

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 - قلمة-



الكلية: الآداب واللغات
القسم: اللغة والأدب العربي
مخبر التوطين الدراسات اللغوية والأدبية.

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان: اللغة والأدب العربي الشعبة: الدراسات اللغوية

التخصص: لسانيات الخطاب

من إعداد الطالب: ولي الدين حملة

بمعنوان

اللغة العربية في وسائل الإعلام الإلكترونية "الشروق أون لاين الجزائرية"
-دراسة لسانية-

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

بتاريخ 2025/06/12

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
السيد: بوزيد ساسي هادف	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 - قلمة -	رئيسا
السيد: طاهر نعيجة	أستاذ محاضر -أ-	بجامعة 8 ماي 1945 - قلمة -	مشرفا ومقررا
السيد: إسماعيل مغمولي	أستاذ التعليم العالي	بجامعة باجي مختار -عنابة-	ممتحنا
السيد: العياشي عمار	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 - قلمة -	ممتحنا
السيدة: وردة بويران	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 - قلمة -	ممتحنا
السيدة: حدة رواجية	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 - قلمة -	ممتحنا

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى التي سهرت وتحملت قسوة الحياة والظروف والأمنيات

من أجل أن أكون من الناجحين في حياتي.

فلا يمكن لحرف أن يختزل مكانتها، ولا أن يجمع أثرها عليّ، ولكن الوصاية الحسنة

في ديننا تُوجب الكتابة والقراءة فأهديها لنجاحي وأقدم لها فلاح

إلى أمي الأزليّة والسّرمدية فلا تتغيّر ولا تبدّل

أعظم امرأة في دنياي.

ثم أثني بالشكر لوالدي الكريم الذي رهن حياته على أن نكون -نحن أبناءه- من العصابة المتفوقة.

وإلى إخوتي المتميّزين "شهاب الدين" و"سراج الدين"، ثم إلى زوجتي الفاضلة "ليديا عياد" التي وهبتني حياتها،

وتحمّلت معي أعباء الحياة وثقل الملّمات.

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

أحمد الله العظيم على توفيقه لي لإنجاز وإتمام رسالة الدكتوراه.

ثم أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى كلّ أساتذة كلية الآداب واللغات نظير

مجهوداتهم التي سعوا بها لإنجاح مشروع تكويننا؛ وعلى رأسهم رئيس فريق التكوين الأستاذ الدكتور: "بوزيد ساسي

هادف"، وإلى رئيس المشروع الأستاذ الدكتور: العياشي عمار، كما أجزل بالشكر جميع أعضاء فريق التكوين

الذين تفضلوا علينا بعلمهم خلال العام الأول، ثم الشكر موصول للأستاذ المشرف "الطاهر نعيّجة" الذي كان

نعم المشرف، فما ترك سعيا إلى الخير إلا دَلَّ عليه، وأكرمني به؛ وأمدني بيد المساعدة من خلال سدّ الثغرات

اللغوية والمعرفية، ولا أنسى الدكتور "بوزيد ساسي هادف" الذي كانت له اليد الطولى في التحفيزات المتواصلة، له

مّني كلّ الشكر والثناء، بارك الله في علمكم جميعا وجعلكم مفاتيح للخير أينما حللتهم.

" قد يقطع الباحث أشواطاً ومراحل في النشاط العلمي ثم تعاوده أسئلة تعيده إلى البدء، أسئلة مبتدئ يحتاج إلى طرحها من جديد، والإجابة عنها بما اكتسبه من تجربة ومران، فما هي هذه اللسانيّات، يا ترى، التي أصبح يتحدّث عنها الكلّ، ويستشهد بها الكلّ، ويشحن مراجعه ببعض منها؟ ما هي هذه اللسانيّات كعلم وكنشاط تحليلي وكفلسفة وكصورة... إلخ؟ كيف نستطيع تمثّلها؟ ما علاقتها بالثقافة؟ ما علاقتها بالعلوم الأخرى الدقيقة أو غير الدقيقة؟ ما النشاط اللّسانيّ بالمقارنة مع أنشطة علمية أخرى؟ لماذا تنغلق المادة على المبتدئ والمتقدم في ذات الآن؟ ما هذا الإحساس الغريب عند اللّسانيّين، ومن شاب منهم ومن شب، بخطورة الظروف، وضرورة التجند، دون انقطاع أو فتور؟ ما هذه السّرعة التي تُطوَى بها الإشكاليات؟ ما هذا القلق وهذا التوتر المستمر الدائم؟ ما هذا الصراع مع النفس، على حدّ تعبير أَيْنشتين؟"

الدكتور: عبد القادر الفاسي الفهري

اللسانيات واللغة العربية، ص 11

مقدمة



مقدمة

بسم بالله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لم يكن اللسان العربي يوما من الأيام مجرد أداة للتواصل فقط، بل يتعدى إلى وظائف أخرى تجعله حاضرا في كل مناسبة تبليغية، وبما أنه يتجاوز منطق الاستخدام الغرائزي إلى الحضور المثالي، فإن ذلك يمنحه قدرة الخلق، فبه خلقت الأشياء بلفظ "كن فيكون"، ومنه استمد العالم وجوده، وانتهى إلى أعظم غاية وهي تبليغ الوحي، فتجسد في أبهى لغة وأسمى بيانا، ويكفي العربية فخرا أن تكلم بها رب البرية، والعظيم لا يأتي إلا بما يناسب عظمتها، ولذا كان الاعتناء بها هاجس كل باحث، فتراه يصنع من الحدث الموجود خطابا يُحدد به المصير، ويرتقي إلى المجد بحسن التعبير، ويسوس الأمة بكلام قصير، ويدخل الجنة بلفظ يسير.

وقد خالطت اللغة العربية ثقافات متنوعة تشكلت من خلالها مختلف العلوم الأدبية واللغوية والفلسفية، وجمعت الكثير من الكلمات والموضوعات لمختلف المعارف، فكان من الضروري إنشاء رسائل وكتب تجمعها للمحافظة على الإرث الأصيل من أي دخيل!، فانبرى علماء العربية قديما لجمعها في أدق عبارة عن طريق الوسائل التقليدية المختلفة، ومع تطور العلوم التقنية حديثا سعى الباحثون في مجالات متنوعة أن يضعوا برامج مفيدة بالعربية تقرب الأقصى بشكل جديد، وتبسط البذل بوعد سديد، وتوسعت دائرة استخدام هذه التقنيات الرقمية وتطورت إلى حواسيب وهواتف ذكية، فاستغنوا بها عن كل تقليدي بسيط، مثل الجرائد والصحف اليومية، واستعاضوا بها أيضا عن التلفاز، الذي أصبح هو أيضا في حكم القديم، ولذا كانت الأجهزة الجديدة (الحواسيب والهواتف) بديلا عن الأوراق والتقنيات البسيطة لارتباط الأولى بالإنترنت، أو الشبكة الجامعة، حيث يتابع الناس الأخبار، في أقصر مدار، فيستجيبون لخطاباتها المعروضة عبر وسائطها الكثيرة، من "يوتيوب" و"فيس بوك" و"أنستغرام" و"تويتر" وغيرها؛ فهي تربط الواقع الموجود بأحداثه عبر المواقع، فتقرب كل بعيد، وتجمعه في صورة مختزلة على شكل مقاطع صغيرة في أشرطة تصويرية تتميز بسمات لغوية تعكس واقع الإعلام في هذا العصر، وبما أن فلسفة الإعلام تقتضي وجوب استخدام اللغة البسيطة والواضحة، فإن ذلك سيؤثر حتما على البنية الشكلية والمعنوية للخطاب المعروض، ولذا جاءت دراستنا المعنونة بـ "اللغة العربية في وسائل الإعلام الإلكترونية" الشُروق أون لاين" الجزائرية -دراسة لسانية-"، من خلال العنوان يمكن أن تمرر الكثير من الإشكالات الرئيسة؛ كون خبرها غير موجود حقيقة فيصنع ذلك العدم وجودا لجوهر



التقاء اللغة بالإعلام من خلال وسائله الإلكترونية في علاقة وطيدة، فلا يمكن للإعلام أن يتحرك دون لغة تحوي موضوعاته، ولا يمكن للغة أن تحيا وتتطور إيجابا أو سلبا دون الإعلام بمصادره ووسائله.

وتكمل أهمية هذه الدراسة في كونها تساهم في توثيق واقع اللغة العربية في أحد أبرز المنابر الإعلامية الإلكترونية في الجزائر وهي قناة الشروق وذلك برصد مختلف التغيرات الطارئة على الصوت وصيغ الكلمات والتراكيب والمعاني الممكنة فيه مع توضيح القدرة الاستعمالية لهذه التراكيب للمعاني في إطار التوجيه الإعلامي، كما أنها تقدم توصيفا دقيقا عن حال الخطاب العربي في الجزائر وهذا ما يكشف عن مستقبلها في الفضاءات الرقمية، وتلقي الضوء عن العلاقة الجدلية بين متطلبات الإعلام الإلكتروني وضوابط اللغة الفصحى في سياق يلتقي فيه الإعلام الحديث بالعلم والدين والثقافة في تمثّلات خطابية عربية حديثة.

أما عن سبب اختيارنا للموضوع؛ فهو راجع إلى طبيعة التخصص الذي يفتح على الكثير من القضايا اللسانية المعاصرة، فيجمع بين مجالات متعددة وخادمة لبعضها البعض وهو ما يُعرف بالبينيات، ويصنع من خلالها آليات لسانية تقارب وصف نظام خطاباتها في طبيعة حديثة، بالإضافة إلى حُبنا للعربية وعلومها جعل دراستنا تنزع منزع مراقبة سيرورة تغير اللغة، ورصد أسباب هذا التغير في الإعلام عبر وسائطه الإلكترونية المختلفة، ناهيك عن ندرة الأطروحات التي تعني برصد الفيديوها وتفرغها والعمل على تحليلها، وإن وُجد بعضها فهو قليل، كما أنّ ندرة تحليل الخطابات لقناة الشروق "أون لاين" في حدّ ذاته هو السبب الكبير وراء الدراسة.

ومن أجل الوصول إلى **الأهداف المرجوة؛** لا بدّ من وضع إشكال عام، يُصاغ على هيئة مخصوصة تجتمع فيه مراحل الدراسة، وجماع ذلك على النحو التالي:

كيف أثّرت وسائل الإعلام الإلكترونية في لغة الخطاب العربي الجزائري؟، وللإجابة عن الأصل الجامع لا بدّ من تحديدها في مجموعة من التساؤلات الفرعية لضبط مسار الدراسة، حتى تكون ذا فائدة للقراء عامة، وللمكتبة الجزائرية خاصة، ولكل خاص خصوصيات تتداخله، وهذه أبرز منافذ الإشكالية:

- ما واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام الإلكترونية؟
- إلى أي مدى استطاعت وسائل الإعلام الإلكترونية التأثير في الخطاب العربي في مدونة الشروق أون لاين الجزائرية؟

- ما الخصائص الصوتية والتركيبية للخطاب العلمي وتحديدًا مجال الطب في الجزائر؟



- ما أبرز النماذج الدلالية التي تساعد في تحديد الدلالة في الخطاب الديني ؟
 - كيف يمكن استثمار آليات المقاربة التداولية في قراءة وتحليل الخطاب الاجتماعي؟
- وبما أن الدِّراسات السَّابقة عرضها له أهمية كبيرة في التأسيس لهذه الدراسة، فإن من لوازم ذلك استحضار بعضها لمعرفة ما قام به غيرنا حتى تكون الدراسة جديدة في نظر الباحثين اللسانيين، فمن الأطروحات التي اعتنت بجانب التحليل اللسانيّ للغة العربية فهي كثيرة جداً، لا يمكن استحضارها جميعاً هنا، وإنما نأخذ الدراسات التي تتصل بالإعلام عبر وسائله الإلكترونية فقط نجد على سبيل المثال لا الحصر:
- أطروحة بعنوان: دراسة لغوية لظاهرة اختلاط الفصحى بالعامية في كتابة النصوص الصحفية على صفحات التواصل الاجتماعي للباحث أحمد محمد عبد العليم، وذلك سنة 2018م، حيث ركز على مختلف صفحات وسائل التواصل الاجتماعي بأخذ تراكيب عامة وعرض الأخطاء فيها وردّها إلى الصواب اللغوي، وكذلك مختلف الاستخدامات الدلالية التي ترد في غير محلها، مع إبراز السمات الاجتماعية والثقافية لعينة المجتمع، ومن هذه الدراسة كثيرة جداً، ومثلها دراسة بعنوان "اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية أو التلفاز أنموذجاً آثار ومتطلبات للباحثة خديجة زبار الحمداني؛ إذ كشفت عن واقع العربية من خلال عرض عينات عشوائية دون اعتماد منهج محدد للدراسة، مما يجعل النتائج عامّة، فلم تقف على التحليل اللساني للعينات وإنما اكتفت ببيان أهمية توظيف اللغة العربية في الإعلام المرئي، وهكذا بقية الدراسات الأخرى.
- وقد وجدت مقالات في سياق التحليل اللساني تصف واقع العربية في الإعلام الإلكتروني مثل مقال موسوم بـ: "اللغة الإعلامية العربية في الوسائط الإلكترونية دراسة تحليلية لعينة من المضامين الإعلامية الجزائرية على الأنترنت" للباحث عبد النور بوصابة، فقد عرض لثلاث قنوات "النهار أون لاين" و"الشرون أون لاين" و"الخبر أون لاين"، عرض من خلالها بعض التركيب والاستخدامات الشائعة وركز فيه على العامي والفصحى محاولاً أن يقارب بين النماذج الثلاثة من القنوات الإعلامية، وهناك كتاب جماعي يضم أعمال الندوة الوطنية "واقع اللغة العربيّة في الإعلام السّمعي البصريّ الجزائريّ في ظلّ التّطورات التّكنولوجيّة" وليس أدلّ على هذا المرجع الهام، وأهميته تكمل في أنه جهد جماعيّ، كلّ باحث يختص بمباحثة جزئية من جزئيات العنوان العام، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات فيها النّظريّ والتّطبيقيّ، ومن المقالات التي جاءت على صلة مباشرة بالموضوع مقال موسوم بـ "واقع اللغة العربيّة في كلّ من قناتي الشّروق الإخباريّة والنّهار التّشرات الإخباريّة وبرنامجيّ (نقاط



على الحروف) و(قضية ونقاش) أنموذجا لـ"باديس مجاني، وأمينه بن سخرية"، غير أنهما لم يُلفتا النظر إلى التحليل اللساني للعينات، حيث اكتفيا بنقاط عامة تصف اللغة من حيث تأثرها بالدرجة الجزائرية والدخيل من مصطلحات أجنبية فقط، وفي هذا السياق الكثير من المقالات والأبحاث العامة التي لا تعالج اللغة العربية في وسائل الإعلام الإلكترونية على ضوء التحليل اللساني، بل تكتفي بعرض شامل لواقعها.

من خلال كل الدراسات التي مرّت معنا تبين أنه لا توجد دراسة دقيقة بعينها خُصّصت لتحليل عينات من الخطاب الإعلامي الإلكتروني في الجزائر، رغم ظهور دراسات تعني باللغة العربية في الإعلام من باب وصف واقعها العام، وأخرى من باب تصويب الأخطاء اللغوية العامة، غير أن التفصيل والتدقيق في جمع عبارات الخطاب من قناة خاصة مثل الشروق "أون لاين" لم نقف عليه إلا في دراسات بسيطة جدا ومتواضعة إلى حد ما في الماستر، أما كأطروحة أو مقال مستقل فلم نعثر عليه، رغم استعانتنا بكبريات المراجع المشرقية والبحث في هوامشها، والتفتيش في محتوياتها، وزيادة على هذا استعمالنا لمختلف البرامج الإلكترونية والمكتبات الجامعية الرقمية والورقية لمعرفة بعض الدراسات المتصلة بموضوعنا فلم نحصل على شيء من ذلك.

كمال أن تعدد الوسائل الإلكترونية لقناة الشروق أون لاين، وتشاركها معا لتأدية غرض التواصل، جعلنا نختار من بينها وسيلة "اليوتيوب" التي تتميز بعرض الأشرطة عرضا منظما؛ وذلك بوضع كل حصة في لائحة خاصة (playlist)، مما يسهل على الباحث أن يختار من الحصص ما يناسب دراسته، يضاف إلى ذلك كل الأشرطة المتعلقة بـ"الشروق" (أون لاين)، المعروضة على "اليوتيوب" موجودة على بقية الوسائل الإلكترونية الأخرى كـ"الفيس بوك" و"الأنستغرام" و"التويتر"، والجرائد الإلكترونية، والصّحف الإلكترونية.

وكان سبب اختيارنا لوسيلة إلكترونية واحدة "اليوتيوب"؛ هو حرصنا على تحليل الخطابات المرئية المسموعة، نظرا لانتشارها بين الناس في اليوميّات، على عكس الجرائد الإلكترونية والمواقع، فالواقع يذهب بك إلى أن حاملي الأجهزة الرقمية يميلون إلى مشاهدة ومراقبة الوسائل الإلكترونية التي تحتوي على فيديو قصير، حيث تكون أكثر تأثيرا عليهم، بدل التصفح العادي للمواقع أو الجرائد والصّحف الإلكترونية، وهو ما دفعنا إلى أخذ العينات منها، والشروق (أون لاين) الجزائرية هي المقصودة بالاختيار، وتم ترتيبها وتنظيمها حسب غايات البحث.



أما عن سبب اختيارنا للمجال العلمي ودراسته وفق المستويين الصوتي والتركيبي دون غيره راجع ذلك إلى واقع اللغة العربية عند فئة الأطباء، فحاجة الناس إلى سماع الطبيب تستدعي الوقوف على أهم السمات الصوتية والتركيبية، فهم يمثلون الشريحة الأعلى في المجتمع لحاجة الناس إليهم دائماً، فإن كلمة الطبيب تُعتبر المفتاح الأول للعلاج، فشتان بين من يحسن العربية ويتقنها وبين آخر لا يجيد إقامة حروفها، لذا دعت الحاجة إلى دراسة الخطاب العلمي لإبراز خصائصه الصوتية والتركيبية، أما اختيار المجال الديني وتحليله دلالياً وفق النماذج المنتخبة حسب وجهة نظرنا فراجع إلى أمر عظيم وهو أن اللغة العربية ما وجدت إلا لخدمة مقصد عظيم وهو التوصل إلى الوحي؛ إذ إدراك حقيقة الوحي هو إدراك لمعانيه ليس لألفاظه، فناسب ذلك دراسة الخطاب الديني وفق المستوى الدلالي، أما عن اختيار المجال الاجتماعي فهو ما يقتضيه موضوع الدرس التداولي من مفهوم السياق، فهو من المجالات المناسبة للدرس، حيث يكشف عن قدرة المتكلمين في التوجيه والتفاعل حسب سياق الموقف.

أما عن أهداف هذه الدراسة بعد ضبط الإشكال المناسب فهي كثيرة نقتصر على أهمها:

- الوقوف على سمات وخصائص بنية الخطاب العلمي في الإعلام الإلكتروني.
- التعرف على الآليات الدلالية المناسبة للخطاب الديني في الإعلام الإلكتروني.
- تحليل مظاهر التبسيط اللغوي والانزياحات الأسلوبية الناتجة عن عدم تنظيم الأفكار.
- معرفة أثر إدخال اللهجات الجزائرية في الخطابات الجماهيرية ومدى انسجامها مع الفصحى.
- تزويد الباحثين بتقنيات التعامل مع الخطابات عن طريق وضع الجداول والتعليق عليها.
- تحقيق التكامل الوظيفي بين اللغة والإعلام عبر وسائله الإلكترونية لضرورة حضارية منتخبة.
- تكوين مختصين في مجال الإعلام لتحقيق النصوص لغوياً، وإضفاء سمة الإبداع عليها أسلوبياً.

وقد كانت دراستنا تنحو منحى تطبيقاً صرفاً، حيث تم تفريغ الأشرطة والعمل على سماعها مرّات عدّة لضمان

الجودة في التحليل، وهذه الطريقة هي من صنيع القدامى والمحدثين؛ إذ يعيدون سماع الكلام باستمرار حتى تنهياً نفوسهم للتحليل وتكتمل لديهم المعطيات.

وقد انتظمت الدراسة على خطة بحث تُفصّل خطوات الإنجاز العلمي الذي سارت عليه وقد اشتملت على:



مقدمة تجمع خطوات البحث التي سار عليها، ثم فصل أول تحدّد فيه أهمّ الفروقات الجوهرية القائمة بين مصطلحات الدراسة (اللغة واللسان واللهجة والعامية والدرجة، ثم الإعلام والاتصال وأنواع الوسائل الإلكترونية)، بعنوان: "الجهاز المفهومي لوحدة العنوان".

ثم فصل ثانٍ خصصناه بالتطبيق على عينات من قناة الشروق أون لاين الجزائرية وفق المستويين الصوتي والتركيب، حيث قمنا بتقسيم المادة السمعية المرئية إلى قسمين، قبل الإعداد والإخراج وبعدهما، لتعرّف على الخصائص الصوتية والتركيبية لبنية الخطاب العلمي بعقد مقارنة بين الخطابات الجاهزة وغير الجاهزة، ومدى تحقق عناصر الاتساق فيهما، أو هو رصد للأخطاء اللغوية التي وقع فيها المتحدثون وأثر ذلك على الخطاب والمتلقي، وقد تمتّ عنوانته ب: الخصائص الصوتية والتركيبية لبنية الخطاب العلمي عينات من الشروق أون لاين".

ويليه فصل ثالث بعنوان: "النماذج الدلالية في الخطاب الديني عينات من الشروق أون لاين" وفيه تطرّقنا إلى الآليات التي اعتمدها أصحاب النظريات الدلالية لمعرفة قدرتها وكفاءتها التحليلية في وصف الخطابات الدينية، مع محاولة إيجاد رابط مباشر في الدراسات العربية التراثية، فهو فصل يُثبت نجاعة الآلية من جهة، ومن جهة أخرى يصف العينات من قناة الشروق الجزائرية لمعرفة مدى انسجام الخطاب الديني.

ويعقبه فصل رابع بعنوان: "الدّرس التداولي في تحليل الخطاب الاجتماعي عينات من الشروق أون لاين" وفيه تمّ التعرّف للنظريات التداولية بشكل مبسّط، مع اقتراح تعديلات نسبية عليها، حتى تكون مناسبة لتحليل الخطاب الاجتماعي.

ثم أتبعنا الدراسة بخاتمة تجمع أهمّ الإجابات عن الأسئلة الجزئية المطروحة، وتبريرها ملازم لمتن الرسالة بالتفصيل، ومن خلالها تعرّفنا على أنّ تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية على اللغة العربية له دور كبير في توجيه المتلقي نحو خطاب له أبعاده التركيبية والمنطقية والتداولية.

أما المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التكاملي مع حضور آليات ومناهج أخرى مساعدة له مثل الوصف والتحليل والمقارن والتاريخ والتداولي، وهو بذلك يتجاوز التجميع السطحي بين المناهج إلى بناء رؤية نسقية جديدة تُدمج بين البنية في مفهومها الشكلي كما عرضنا له في بنية الخطاب العلمي، والمفهوم الإدراكي في فهم محيط الدلالة العميقة بمعرفة الآليات الممكنة في تفسير وتأويل الدلالة، والمفهوم التداولي في علاقة الخطابات بالمتكلم والمتلقي ومعرفة المقاصد من خلال الأفعال المباشرة والقواعد الضابطة للكلام، والحجاج في



تحقيق الإقناع كفن في التأثير، كل ذلك يعتمد على المنهج التكاملي في تصوّري، خاصّة أنّه يوجد تكامل بين تخصصي اللّغة العربيّة والإعلام بأنواعه، فمن الضّروري اقتراح منهج يكون أكثر شموليّة لوصف ورصد الخطابات في كلّ المجالات، فمن شرط المنهج أن يكون متجانسا مع طبيعة المجال، وأن يكون على شرط الحدّثة بشروطها. أمّا فيما يخصّ المراجع والأبحاث التي اعتمدت عليها الدّراسة فهي كثيرة جدّا في كلّ فصل أخذ حظّا وافرا منها نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- سلسلة كتب عبد الرحمان الحاج صالح من بينها: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، و"منطق العرب في علوم اللّسان"، و"البنى النّحويّة العربيّة"، و"الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة".
 - كتب تّمّام حسان من بينها: "اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، و"مناهج البحث اللّغوي".
 - كتاب التّطور اللّغويّ التّاريخي لـ "إبراهيم السامرائي".
 - ورقات في لسانيات النص لـ "رزيق بوزغاية".
 - علم النص لـ "تون فان ديك".
 - علم الدّلالة لـ "أف. آر. بالمر".
 - المقاربة التداولية لـ "فرانسواز أرمينغو".
- أمّا المراجع الغربيّة فأهمّها:

- la pragmatique d'Austin à Goffman, Philippe Blanchet.
- Introduction aux lectures de D. Maingueneau
- Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Perelman et Lucie Tyteca.

وكحال أي دراسة علميّة بمرّ صاحبها بصعوبات قد تُحِيلُ بينه وبين بلوغ الكمال، ولأنّه جهد بشريّ يعتريه من النّقص ما يُعرب عن قدرة صاحبه المحدودة فإنّي لقيت ما لقيه غيري من العناء في إكمال الدّراسة وذلك راجع إلى صعوبات موضوعية وشخصية، أمّا الأولى فتتمثّل في نقص أو ندرة المراجع التي تعتني بالدّراسة التحليليّة لبرامج مرئيّة ومسموعة على ضوء المقاربة اللّسانية الحديثة، ناهيك عن انعدامها في الجزائر، فقد تجدها دراسات مشرقيّة خالصة تحاول من خلال القواعد البسيطة أن تصوّب الأخطاء اللّغوية في وسائل الإعلام



الإلكترونية، ولكنها لا ترقى إلى التحليل اللساني الحديث، أما الدراسات المغاربية فإنَّ وجدتُ تحليلاً لسانياً لعينات ما فهي عينات عامة في وسائل عامة، أما الصعوبات على المستوى الشخصي فأبرزها ضيق الوقت نظراً لمسؤوليات الحياة اتَّجاه بيت الزوجية والأولاد وطبيعة ظروف العمل حالت بيني وبين بلوغ الوجه الأتم في الدراسة. وفي الأخير يجدر بي أن أتوجّه بخالص شكري للمشرف على البحث؛ الدكتور "طاهر نعيجة"، نظير ما قدَّمه لي طيلة السنوات الماضية من توجيهات لغوية ونصائح تقنية، ومتابعته لي بكلِّ ضمير مهني، ناهيك عن صبره وحلمه وتواضعه الذي أمدَّني به حتَّى استقام البحث على هيئته، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي، وصلى الله وسلَّم على سيِّدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فَصْلٌ أَوَّلُ

الجهاز المفهومي لوحداث

العنوان

1- تأصيل مفهوم اللغة

2- تأصيل مفهوم اللهجة

3- تأصيل مفهوم اللسان

4- الإعلام الإلكتروني

1.4- مفهوم الإعلام

2.4- مفهوم الاتصال

5- التعريف بمكونات الشروق (أون لاين)



أولاً: تأصيلُ مفهوم اللّغة

إن عدم استخدام القرآن للفظ "اللغة" يستوقف كلّ باحثٍ جادٍ، ويدفعه للتأمل وطرح السؤال، هل اللغة مصطلح أصيل أم دخيل؟ وما دلالاته الثابتة؟ ولماذا تغيّرت إلى مفهوم اللسان؟، وبعد المكافحة العلمية، وتلبية لمطلب "عبد الجليل مرتاض" حين قال: "وحتى نكون منصفين فإني استوقف المتلقيّ معي... والاقتراح عليه أن نعود إلى بعض التراكيب والشهادات العلمية العربيّة تتعلّق باللغة واللسان والكلام"¹.

وبعد المباحثة الدّقيقة تبين أنّه من المصطلحات التي لم تشهد دلالتها ثباتاً، بل حصل لها تطوّر وتحوّل كبير إلى حدّ النقيض؛ أي من دلالة الكلمة إلى دلالة اللسان إلى دلالة الكلام، وبعد الاطلاع على المعاجم العربيّة أغلبها بحثاً عن أصالة لفظ "لغة" لم نجد له أثراً بالمفهوم الإيجابيّ إلّا مقابلاً للفظ "اللغو"، أو مشتقاً منه، بل نكاد نجزم بأنّ الأوّل لم يُعرف أصلاً بمفهومه المتداول الذي ذكره "ابن جني" (ت 392هـ)، ومن هنا نحوه قديماً وحديثاً، وسنتبيّن العلة في ذلك، وإنّ وجدنا من يضع له حدّاً خاصّاً فهو من قبيل التّكلف في تحميل اللفظ دلالة أخرى جديدة، قد لا تكون إلّا وفق مبحث فلسفة نشأة اللغة ونظرياتها، وأقصد بأنّ من عرّف اللغة على أنّها أصوات كما سيأتي هو من باب الاصطلاح الحادث الذي لم تعرفه المعاجم أبداً، وما الاصطلاح إلّا امتداد للمعاجم؛ أي لا يمكن تأصيل مصطلح بحدوده الثابتة وفواصله الفارقة، إلّا على ضوء ما ورد في المعاجم اللّغويّة، وإلّا لم يكن للمعاجم أيّ فائدة، وبالتالي تحصل العشوائيّة في وضع الألفاظ للدلالة على ما نريد، وكلّ واحد يتكلف في صناعته حتّى لا يبقى توازن معرفي، وهذا ما لم يشدّد عليه العلماء إلّا قليلاً، فحصل بذلك الاختلاف، وتفرّقت الجهود، وتبعثر المقصود، وهذا راجع لعدّة أسباب، من بينها الرؤية الذاتية، وقصر النّظر في المآلات، وعليه احتاج ذلك إلى الرجوع للمعاجم العربيّة لتأصيل اللفظ، بداية من معجم (العين) لـ"الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175 هـ)، مروراً بـ(مقاييس اللغة) لـ"ابن فارس" (ت 395 هـ)، انتهاءً عند (لسان العرب) لـ"ابن منظور" (ت 711 هـ)، حيث وجدنا اللفظ على نفس القصد، إلّا ما أضيف من أمثلة تزيده استقراراً، كما يوجد من غير العرب الخالص من بدّل في المعنى المعجميّ تبديلاً لا يشفع لللفظ، كـ"ابن سيده الأندلسي" (ت 458 هـ) في القرن الخامس الهجري، الذي اعتبر "اللسان اللغة لا غير، واللسان

¹ - عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة الجزائر، 2000م، ص 43.



بِكَسْرِ اللَّامِ اللَّغَةُ، اللِّسَانُ، الرَّسَالَةُ" ولعلّ هذا يشفع له ما ورد عن "أبي عمرو" (ت 154 هـ) "لِكَلِّ قَوْمٍ لَسَنٌ؛ أَيُّ لُغَةً يَتَكَلَّمُونَ بِهَا"¹.

فحمل "أبو عمرو" اللّغة على اللّسان من باب حمل المطلق على المقيد؛ بمعنى كلّ قوم لهم لغتهم، وإذا تعدّد القوم تعددت اللّغة، فخرجت عن كونها لساناً، لأنّ اللّسان ثابت في أصله، واللّغة وفق الأثر السابق نسبيّ، فكلّ قوم لهم لسانهم الخاصّ بهم؛ أي لغتهم، وهذا ما جعل اللفظ اصطلاحاً يأخذ مجرى آخر، وتّسع دلالاته، وينفتح على معانٍ جديدة، وهذا نبسطه في محله.

أ- معجمياً:

كما هو ظاهر فقد رتبت المعاجم ترتيباً زمنياً حتى نتعرف على حقيقة اللفظ وما آل إليه من تغير، وكانت البداية مع أوّل معجم عربيّ في تاريخ العرب، وهو (معجم العين) حيث جاء فيه: "لَغَا (لغو) اللّغة واللّغات [واللُّغُون]: اِخْتِلَافُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ. وَلَغَا يَلْغُو [لغواً]، يَغْنِي اِخْتِلَافُ الْكَلَامِ فِي الْبَاطِلِ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72]، أي الباطل، ... وفي الحديث: «مَنْ قَالَ فِي الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ: صَهْ فَقَدْ لَغَا» أَي تَكَلَّمَ، وَالْعَيْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، أَي رَأَيْتُهَا بَاطِلًا، وَفَضْلًا فِي الْكَلَامِ وَحَشْوًا، وَكَذَلِكَ مَا يُلْغَى مِنَ الْحِسَابِ..."².

فقد جمع بين الآية والحديث ليسترشد بها دلالةً على الأصل من لفظ "لغا"، ويحصر المراد على المسموع من كلام العرب، فجعله مرادفاً للّغة، ثم ذكر الجمع بما يلحق المفرد، والحديث فيه قرينة مهمّة؛ وهي اعتبار "صه" من اللّغو، مع أنّ "صه" بمعنى "اسكّت" هي من اللّسان العربيّ، ومع ذلك اعتبرت في هذا السّياق من اللّغو، دليل على أنّ اللفظ يُقَيّد بسياقاته، وله أحكامه الاستعماليّة الخاصّة، فما خرج عن اللّسان العربيّ الفصيح صار في حكم اللّغو باعتباراتها منها أثناء خطبة الجمعة ولو كان فصيحاً فهو لغو، والكلام الباطل يعتبر لغواً والحشو منه كذلك، وما يوجد في الحساب من أخطاء يعتبر لغواً، باعتبار أنّ الحساب رموز وأرقام، واللّغة تضمّ كلّ ذلك حسب عُرف اللّسائيين.

¹ - أحمد بن فارس بن زكريّا: مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1399هـ، 1979م، ج5، ص 247. (مادة لغو).

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتّباً على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2002م، ج4، ص 92، (مادة لغو)



وجاء أيضا بعد قرنين تقريبا؛ أي في القرن الرابع الهجري في (معجم مقاييس اللغة) أن: "(لغو) اللَّامُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اللَّهْجِ بِالشَّيْءِ [...]".
وَالثَّانِي قَوْهُمُ: لَعَجَ بِالْأَمْرِ، إِذَا هَجَّ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ اشْتِقَاقَ اللُّغَةِ مِنْهُ، أَيْ يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا"¹.

هنا نجد "ابن فارس" لخص ما يتعلق بمعاني اللغو؛ فطورا يحمله على معنى الشيء الساقط، ومنه الكلام الباطل عموما، وتارة يعلّقه على معنى اللهج، وهذا اللفظ سيأتي لاحقا مفصّلا، ثم أضاف صيغة المبني للمجهول للفعل "قال" وتعرّف هذه الصيغة في علم الحديث بصيغة التمريض، وجاز استعمالها هنا للدلالة على أنّ الخبر أو القول ليس مجزوما به، وقرينة ذلك أنّه لم يذكر القائل، ومنه يستفاد أنّه لا ضرورة لهذا القول في الاشتقاق، ولكن ما يعضد هذا الخبر؛ هو ما ذكره الخليل في (معجم العين) كما مرّ معنا.

وهكذا كلّ المعاجم تتفق حول دلالة اللغة على أنّه اللغو، وجمعا بين ذلك كلّ فقد جاء في (معجم لسان العرب) مفصّلا، زيادة أمثلة وشواهد كثيرة من الشعر، ولكن سنقتصر على ذكر المواضع التي تُحمل ما سبق، حيث قال: "قال الأزهري: واللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم... ابن الأعرابي قال: واللغة أخذت من هذا لأنّ هؤلاء تكلموا بكلام مألوف فيه عن لغة هؤلاء الآخرين. واللغو النطق يقال هذه لغتهم التي يلغون بها؛ أي ينطقون. الطير تلغى بأصواتها أي تنغم..."².

فلو تأملنا في هذا السياق لوجدنا خلاصة ما تقدّم؛ إذ نقل "ابن منظور" قول "الأزهري" في تعريفه للغة على أنّها من فعل التّكلم، وكما هو معلوم ليس كلّ تكلم كلاما، فمن شروطه الإفادة، وإذا لم تحصل كان الكلام لا فائدة منه، ومنه لا يعتدّ به فهو ساقط، وهذا يؤكّده بكلام آخر لـ "ابن الأعرابي" في حديثه عن اللغة فجعل الميل بالكلام عن كلام غيرهم من اللغو.

الحاصل تنوّعت دلالات اللفظ في المعاجم بين معان كثيرة كما لاحظنا، وكلّها في الأخير تجتمع على مراد واحد وهو الشيء الذي لا يُعتدّ به، ولا يحقق للفظ وجوده العلمي كما هو الحال في الاصطلاح، وقد اقتصرنا على المعاجم فقط لمناسبة العنوان.

¹ - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 255 (مادة لغو). (المرجع السابق)

² - ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج15، ص 350، 352. (مادة لغو).



ب- اصطلاحاً:

الحديث عن الاصطلاح هو حديث عن شيء لا نجد له ضابطاً دقيقاً يجمع أجزاء المفهوم بوحداته المنتخبة بين العلماء، والسبب أن أغلبها يكون وفق تصوّر خاصّ، ولذا نجد تعدّد الآراء، واختلاف الأقوال حول المصطلح الواحد، وهذا ما ينطبق على مفهوم اللّغة، إذ تباينت آراء الباحثين في تعاريفهم لهذه الوحدة المفهومية، وهذا راجع إلى كثرة النظريات حول نشأة اللّغة بين القائلين بالتوقفية؛ أي أنّها وقف لا اجتهد للبشر فيها، وبالتالي تُعرّف تعريفاً خاصّاً، وبين القائلين بأنّها اجتهدية، واختلفت وجهات النظر في هذه الأخيرة بين القائلين بالمحاكاة الطبيعية لأصوات الطبيعة، ونظريّة الأصوات العاطفيّة أو ما يُصدره الإنسان من أصوات في حالة المشاعر، ونظريّة الغريزة اللّغويّة على اعتبار أنّ الإنسان يُولد وقد زُوّد بجهاز قابل لتعلّم أيّ لغة، وبقيت هذه الفلسفة مطروحة إلى اليوم، ولم يخلص واحد من الجهابذة إلى قول فصل يجمع أو يرجّح ما يكون قريباً من الحقيقة، وفي معقل هذا الاجتهاد تُورد أقدم تعريف معتمد لا يخلو منه بحث ولا كتاب إلّا ونال نصيبه منه، ولنرّ التّوجيه اللاّئق له حسب المناسبة، وكيف السبيل للخروج من إشكالية المصطلح، فقد جاء تعريفها على أنّ اللّغة: "حدّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"¹.

بعد ذكره للحدّ عرج إلى مسألة نشأة اللّغة أمّا موضة هي أم إلهام، وبعدها ذكر أصل اللفظ وبنيت الصّرفيّة بالرجوع إلى المعاجم، وهذا يقودنا إلى ضرورة الرّبط بين الجمل في سياق معيّن، فتعريفه للّغة على أنّها "أصوات" فيه مسألة مهمّة؛ وهي إذا حملنا هذا اللفظ على العموم؛ فإنّ كلّ شيء في العالم الخارجي له صوت خاصّ، ومنه الطير الذي أخذ في المعاجم كشاهد على اللّغو، ومنه الطير تلغى أي تنغم، بل كلّ ما لا يعتدّ به من الأصوات يعتبر لغواً، شريطة عدم حصول الفائدة، أما لو حصلت الفائدة، وكان للكلام معنىً مستقلاً أصبح كلاماً وخرج عن اللّغو، ومع ذلك يبقى التّعريف غامضاً حتّى نتبيّن من سياقه أكثر، فدكرُ للأصوات على صيغة الجمع لها دلالة خاصّة؛ وهي أنّ كلّ قوم لهم أصوات خاصّة بهم، وعليه إذا مالوا بأصواتهم عن أصوات غيرهم أصبح لغواً بالمفهوم المعجمي الذي ذكرناه عن ابن الإعرابي قال: "واللّغة أُخِذَتْ مِنْ هَذَا لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ مَالُوا فِيهِ عَنْ لُغَةٍ هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ"².

فما عبّر به قوم بأصواتهم لا يفهم عند قوم آخرين، ولما حصل التباين في الأصوات أصبحت تسمّى الظّاهرة باللّغة، وحصلت بعدها المواضع في أغلب الألفاظ، وما دام أنّها ظاهرة فهي قابلة للملاحظة والمكاشفة العلميّة، في

¹ - ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952م، ج1، ص 34.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص 350، 352. (مادة لغو)، (المرجع السّابق)



حين اللسان الذي يعتبر العضو الفاعل لها على حدّ تعبير ابن خلدون (ت 808 هـ)، لمّا قال: "اعلم أنّ اللّغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أنّ تصوير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتها"¹.

فإنّ هذا العضو مصدره الله، والقدرة على الفعل مصدرها الله، وما نجم عنه من أصوات مصدرها البشر، وما دام أنّ القرآن مصدره الله، واللسان كذلك فإنّهما واحد، لا يمكن وصف القرآن باللّغة على اعتبار أنّ اللّغة صنعَةُ البشر، والقرآن فاعلية الله، واللسان كذلك، وإذا كان القرآن كلام الله، وهو بلسان عربيّ مبين، فإنّ خبره عنه باللسان يقتضي أنّ كلّ كلام لحق بالقرآن صار في حكمه لسانا، لا في حكم اللّغة الّتي هي منطق المخلوقات، وفيه الميل والانحراف عن الأصل، ومجانبة الصواب.

وتبقى جدليّة اللسان واللّغة قائمة لا يمكن الجزم فيها، إلّا على البناء المنطقي الّذي ذكرناه، ولمّا تجاوز الدّارسون فكرة التّحقيق في المصطلح من حيث أصله وجوهره نظرا لصعوبة الفصل فيه، تنازل القوم عن كثرة الحديث عنه، وعدّلوا إلى التّسليم بترادف اللفظين، وبعدها توسّعت دائرة التّعريفات الاصطلاحية، كلّ واحد يتناوله حسب زاوية تخصّصه، خاصّة عند المحدثين، وهذه المشكلة سببها عدم الإكتراث إلى عواقب الوضع، فقطع الصّلة بين المعاجم التّأسيسية، والدّلالات الاصطلاحية تولّد عنه الابتعاد عن مركزية اللفظ، وأصبح كلّ باحث يضع تعريفا خاصّا به يدّعي فيه صاحبه الكمال.

ولعلّي أقرب الفكرة أكثر لأزيل ما التبس، وما علق بالأذهان من المسلّمات، فقد ذكر الجرجاني (ت 471هـ)، تعريفا آخر أضاف فيه تفصيلا نحويا يختلف عمّا وضعه ابن جني حين قال: "بأنّها نظام من العلاقات والروابط المعنويّة الّتي تستفاد من المفردات والألفاظ اللّغويّة بعد أن يسند بعضها إلى بعض، ويعلّق بعضها ببعض، في تركيب لغويّ قائم على أساس الإسناد"².

في هذا التّعريف اقتصر فيه صاحبه على بيان الجانب النّحوي المتعلّق بظاهرة الإسناد فقط؛ أي التّحديد الشّكلي للّغة، وهنا يظهر البؤن الكبير بين التّعريفين السّابقين وهذا التّعريف؛ إذ الأوّل حدّد ماهية اللّغة وطبيعتها على أنّها أصوات لتلبية الأغراض، والثّاني ذكر مصدر الصّوت ومكوّنه الأساسيّ لتحديد مقصد المتكلّم مع شرط

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط4، ج1، ص 83.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الأمان، الزباط، ط1، 1998م، ص 23.



الإفادة، وهو اللسان؛ أي ذكر الوظيفة التي تناط به، والثالث اكتفى بالجانب التركيبي للألفاظ الناتجة عن العضو الفاعل للصوت؛ أي اللغة من منظور نحوي خالص، وبالتالي عند التمعّن سنجد أنّ التعريفات الثلاثة لم تتفق على جوهر ثابت للغة، فاختلاف الاعتبارات بين طبيعة اللغة، ووظيفة اللسان، وظاهرة الإسناد، جعل تحديدها صعباً نظراً لوضع المصطلح وماهيته، ولذا القائلون بأنّ لفظ "لغة" أصلها يوناني من كلمة "Logos" ومنها أخذ اللفظ، لم يأت اعتباراً، بل له تخرجاته فمن ذلك ما ذكره "هيراكليس" (ت 540 ق.م): "لست أنت الذي تتكلم، وإنما اللوغوس"¹.

وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض اللسانيين من أمثال "حسن ظاظا" حيث قال: "والغريب في لفظة (اللغة) أنّها لم ترد مستعملة في كلام عربيّ يعتدّ به، وإنما كانت العرب تسمّي مجرد الضوضاء التي لا طائل من ورائها لغوا.... ولذلك فقد اختلف في اشتقاقها، وحرار بعض الإعراب في جمعها....، ونحن لا نجد شاهداً واحداً على استعمال العرب لكلمة لغة بهذا المعنى العلمي الذي نعبه، ونظراً لما بدا من اضطراب اللغويين في اشتقاقها، وتردّد الإعراب في ضبط جمعها، لنميل إلى القول بأنّها من أصل يوناني"².

وهذا الاستغراب يجلي حقيقة اللغة وما تحمله من خصومة معرفيّة بين المعنى السلبي الذي كانت تحمله في المعاجم، وبين المعنى الإيجابي الذي آلت إليه بالاستعمال، ولكن هذا فتح على الباحثين باباً كان موصداً لا يلجّه إلّا المتحيز، بل أعطى لهم الجرأة على كسر الثابت وتحريكه بداعي التطوّر، وإن كان لا مجال في هذا الموضوع لمناقشة لفظ "اللغة" إلّا أن الالتباس الذي وقع حولها، وحول أصلها واشتقاقها جعلها تكبو صريعة التّسأل، وبعد الاستعمال المتكرّر لها أصبحت ضمن التّرادف العامّ للسان، وهكذا حال الألفاظ بدايتها تكون غريبة مستغلقة على الاستعمال، ثمّ تحوّل للوصول إلى اللسان لتصبح جزءاً من المنظومة المعجميّة، فجميع التعاريف المذكورة وغير المذكورة للغة هو لوصف الاستعمال الشائع، "فنقول: مصطلح "لغة القرآن"، بمعنى أسلوب، مصطلح "لغة العيون"، و"لغة الطيور"

1 - نص بعنوان "اللغة وعاء الحضارة" مسابقة الدخول إلى المركز لتكوين الإطارات بالجزائر، دورة 1992 مقتطف من محاضرة لسليمان الخش.

2 - حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت 1410 هـ، 1990 م، ص 120، 121.



بمعنى غير لغوي، ولغة الصعيد "بمعنى لهجة"، "اللغة الأم" بمعنى اللغة الأصلية، و"اللغة السامية"¹ و"لغة جيدة" و"لغة أهل الحجاز"، و"لغة هذيل، وتميم"².

فهذه المعاني التي ظهرت من الأمثلة السابقة إنما قيدها السياق، ولذا نجد لفظ "لغة" في كتاب "سيبويه" (ت 180 هـ) يتردد كثيرا بالمعنى الإيجابي، ولكنه يُحمل على المعنى السلبي وهو اللغو، وسبب حمل ذلك على هذا؛ هو تعدد اللغات؛ أي حملة على معنى اللهجة اقتداءً بشيخه "الخليل" (ت 175 هـ)، معناه إذا حصل الميل عن الأصل الثابت وهو -اللسان العربي المبين- حصلت اللغة، لأن كل قوم سيتحدث بخصوصيات لغته، قد تستغل على قوم آخرين، ومنه الميل والخروج عن الصواب كما جاء في المعاجم من معاني (اللغة)، ومقياس الصواب الثابت هو -اللسان العربي المبين-؛ أي العصر الجاهلي والإسلامي تحديدا القرآن والسنة وما قبلهما، وهذا ما ألمح إليه "ابن سلام الجمحي" (ت 231 هـ) حين قال: "ولكنّ العربية التي عني بها هي اللسان الذي نزل به القرآن، وما تكلمت به العرب على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا"³.

إذن: ما ذكره "ابن سلام" تُعدُّ شهادة حق؛ إذ لخص ما أسلفنا ذكره وتأصيله من ضرورة إطلاق لفظ "اللسان" على ما كان في العصرين الأولين (الجاهلي والإسلامي)، وما حدث بعدهما يدخل في حدّث جديد؛ وهو ما يُعرف باللهجات العربية، ومن ذلك جاز أن نطلق على كل ميل وانحراف عن الأصل الثابت لغة؛ على اعتبارها تدخل تحت مسمّى اللهجة.

كان الهدف من هذا الجمع والتّحقيق هو ضبط المصطلحات، وإرجاعها إلى أصولها، ثم معرفة مواضع التطور الدّلالي؛ لإدراك المسارات المعرفية الحديثة، وإن كان الأصل يبقى أصيلا، وما استجدّ منه يكون قسيما، إلّا أنّ الجمع أولى من التّرك حسب المناسبات.

ثانيا: تأصيل مفهوم اللهجة:

بعد معرفة أصل لفظ "اللغة" من خلال المعاجم العربية في التّراث العربي أدركنا حقيقة إطلاقها واستعمالها، حيث خلصنا إلى أنّ اللفظ كان يطلق على اللهجات العربية التي تميل عن الأصل اللسانيّ العربيّ الفصح، والذي كان

¹ - تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، المغرب، 1986م، ص 38.

² - الرضي الإسترباذي، شرح شافية ابن حاجب، تح: جماعة من إلساندة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ج 1، ص 191.

³ - محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، (د.ت)، ج 1، ص 10.



بعد عصر صدر الإسلام الأوّل، ومنه كان من الضروري أن نتعرّف على مصطلح "اللهجة" ومدى قربه من مفهوم اللغة واللّسان، ويأتي هذا في ظلّ الكلام عن حقائق الأشياء انطلاقاً من المعاجم العربيّة، ثمّ مقارنتها بما ورد في اصطلاحات العلماء؛ إذ ثمة فرق بين اللفظ مسموعاً وموضوعاً (المعيارية)، واللفظ في الاستعمال الخاص الذي يتميز بالذاتية غالباً (غير المعيارية)، وقد يُكتب له الانتشار كما حدث في تعريف اللغة لـ"ابن جني" (ت 392 هـ)، لأنّ كلّ باحث يرى الأنسب وفق معايير يضعها لبحثه، وحسب تخصصه الذي يزاوله، ومن هنا بات لزاماً على كلّ دارس أن يقف عند حدود الألفاظ، وما كانت عليه سماعاً، ثم ما آلت إليه استعمالاً.

ومسألة اللهجات فيها أبحاث كثيرة، ولأنّها تتعلّق بطبيعة اللغة فهي تدخل في اهتمام الدّارسين في كلّ الحقول المعرفيّة؛ إذ تعدّ بحوثاً لها منطق علمي دقيق، ودقّتها تظهر فيما جُمع من المدوّنات، وحُرّر من الرّسائل الأكاديميّة، ولذلك تعتبر "اللغة بعامة تنقسم إلى لهجات، كلّ لهجة تتكلّمها جماعة اختصّت ببقعة من الأرض"¹. وحتّى اللهجة الواحدة قد يلاحظ فيها تغيرات صوتيّة وتركيبية ودلاليّة قد تكون سبباً في الانحراف عن القصد، ولذا أُطلق عن اللهجة لغة؛ لما يكثر فيها من اللّغو وهو الابتعاد عن الصّواب، أو الخطأ في العموم، وهو من باب حمل المطلق على المقيّد، فإذا وجدنا العديد من اللهجات، وفي اللهجة العديد من المكونات اللّغويّة بمختلف مظاهرها وتمثّلاتها فهذا يُنبئ عن مدى اعتباريّة العلامة اللّسانية.

وبالتّالي سنعرض للمصطلح بشيء من التّوضيح، ونرى التّداخل الذي يمكن أن يحصل بينها وبين اللغة، ودائماً سيكون الاعتماد على المعاجم نفسها السّابقة لاعتبارين، الأوّل: الاعتبار الزّمني؛ أي أخذ أول معجم ثم نقارن لفظ —لهجة— المراد ببحثه بما كان بعده، حتى يتزَيّل، وأمّا الاعتبار الثّاني: حصر اللفظ في دائرة المعارف التراثيّة لأصالته، ثم مقارنته استعمالاً.

أ- معجمياً:

دُكر لفظ "اللهجة" في أوّل معجم عربيّ للخليل جاء فيه: "لهج فلان بكذا وكذا، أي أُولِعَ به، لهج الفصيلُ بِأمِّه يلهج، إذا تناوَلَ ضرْعَهَا يمتصُّ، وهو فصيلٌ لاهج، وألهجتُ الفصيل: إذا جعلتُ في فيه خِلالاً كني لا يصلُ إلى الرضّاع...".

¹ - علي جميل سلوم، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1969م، ص 9.



واللهجة طَرَفُ اللِّسَان، ويُقال: جَرَسُ الكلام، ويُقال: فَصِيحُ اللهجة [واللهجة وهي لُغَتُهُ الَّتِي جُلِبَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا وَنَشَأَ عَلَيْهَا] وَرَجُلٌ مُلْهَجٌ بِكَذَا، أَيُّ مُولَعٌ بِهِ¹.

من المعجم تبينت المعاني العامة: الولع، وامتصاص الضرع، وجعل الخلال، ومن المعاني الخاصة: طرف اللسان، وجرس الكلام، لغة المنشأ، وهذا يحيلنا إلى وجود ترابط بين كل المعاني العامة والخاصة، ووجه ذلك أن امتصاص الضرع لا يكون إلا بالشفاه، والذي منه تنتج الأصوات الشفوية (ب، م، و)، ومنها الشفوية الأسنان (ف)، كما أن الخلال هو عود يُجعل في اللسان، واللسان هو المقصود بالرضاع، وهو مُنشئ الأصوات في الوقت نفسه، وبالتالي اللسان له وظيفتان؛ وظيفة غريزية تتمثل في الرضاع، وتذوق الشراب والطعام، وإصدار الأصوات الغريزية المرتبطة بالمشاعر دون قصد، ووظيفة عقلية تتمثل في الأصوات المقصودة المركبة، فإذا وُجد المانع مثل العود على اللسان ذهبت وظيفته الأساستان فلا رضع ولا صوت، ومثل ذلك الأمراض التي تمنع التكلم وتحبسه، أما علاقة الولع باللهجة فهو من باب الولع بالأصوات، وهذا تحبه كل الكائنات الحية، بما في ذلك الإنسان فهو مولع بالكلام مجرباً له في كل حياته، فلا يستطيع مزاولتها إلا باللغة التي تعبر عن ولعه بالأشياء، أما عن جرس الكلام فهو داخل في عموم الصوت.

أما بقیة المعاجم فهي آخذة من المصدر الأول في كل لفظ، بما في ذلك (معجم لسان العرب) الذي اكتفى بما ذكره "الخليل" مع زيادة في بعض المعاني من أحاديث، وشواهد من الشعر، أما الزيادة فقد أسندها للجوهري (ت 393 هـ) وفيها: "الجوهري: [...] واللهجة اللسان، وقد يُجرّك، وفي الحديث الشريف: «مَا مِنْ ذِي هُجَّةٍ أَصْدَقُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»...، والمُلهَجُ مِنَ اللَّبَنِ: الَّذِي خُثِرَ حَتَّى اخْتَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ... وَأَيُّقُظَنِي حِينَ أَهْبَجْتُ عَيْنِي أَيَّ حِينَ اخْتَلَطَ الثُّعَاسُ... وَهُوَ الشَّيْءُ: خَلَطُهُ، وَهُوَجَ الأمر: لَمْ يُحْكَمْهُ وَلَمْ يُزْمَعْ. ابْنُ السَّكَيْتِ: طَعَامٌ مُلْهُوجٌ وَمَغْلُوسٌ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْضُجْ"².

وينضاف للمعاني العامة حسب معجم "اللسان": الاختلاط، وعدم الأحكام، وعدم النضج، ولعل هذه المعاني الزائدة عن الأولى تُبين حقيقة اللهجة بأنها مختلطة، وفي الوقت نفسه غير مُحكّمة، وغير ناضجة، بسبب تنوعها

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ج4، ص 104، 105. (مادة لهج)، (المرجع السابق)

² - ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 359، 360. (المرجع السابق)



واختلافها فكلّ قوم لغتهم، بل كلّ فرد لغته كما صرّح بذلك "عبد الجليل مرتاض" قائلا: "اختلاف الأفراد في النطق يؤدّي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى"¹.

ولذا جاز أن توصف اللهجة بالعشوائية لما تتحكم فيها من عوامل كثيرة في تكوينها منها الجغرافية، والاجتماعية، والفردية، والسياسية...²، فهي غير خاضعة لنظام صوتي موحد، لذا يُطلق عليها لغة؛ أي الخطأ والخروج عن الصواب والكلام الباطل وغيرها مما تعرّفنا عليه سابقا، وهذا ينطبق على اللهجة تماما؛ إذ تعددها وكثرتها دليل ذلك، فقد جاء في عُرف القدامى قولهم: لغة أهل الحجاز، لغة تميم، لغة هذيل...، وإذا كانت بعواملها وأسبابها الكثيرة جعلتها تتسم بالتعددية والتنوع، فإنّها غير فصيحة على اللسان الأصلي؛ ومنه فهي غير ناضجة، ولذا جاء من المعاني العامة "طعام مُلهوّج" أي لم ينضج وهو نفسه ينطبق على اللهجة ما دامت فردية بدايتها كما ذكر "عبد الجليل مرتاض" فهي لم تنضج.

كما جاء من معانيها الخاصة: إطلاق لفظ "طرف اللسان" من باب التعبير عن الأصل الفاعل، مثل اللغة، يُقال لها اللسان كما مرّ معنا، وبالتالي حصل اشتراك لمعنى اللغة واللهجة في مفهوم فاعلية العضو اللساني، وسنتعرّف عليه لاحقا، مع الإشارة إلى سبب تسمية العلم اللغوي الحديث باللسانيات.

ب- اصطلاحا:

بعد معاناة لفظ "لهجة" في المعاجم والذي دلّ في عموميه على الأمر المختلط غير المحكم، وغير المبرم نظرا للأسباب الفردية والاجتماعية التي أشرنا إليها، فإنّ هذا لم يمنع من وجود تعاريف اصطلاحية خاصة، ولكنها لا تتسم بالشمولية والدقة اللازمة، فنجد علماء العرب القدامى يعزّون عن لفظ "اللهجة" بمصطلح "اللغة"، ويظهر ذلك جليّا عند "ابن فارس" (ت 395 هـ) في كتابه "الصّاحي" حيث جعل لهذا المعنى باباً سَمّاه "باب القول في اختلاف لغات

¹ - يُنظر: مانت بولغيتي، جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العام - دراسة وصفية -، مذكرة الماجستير، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2014م/

2013م، ص 15، 16، 17. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1996م، ص 39.

² - عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1996م، ص 39.



العرب" فيقول: "اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها: الاختلاف في الحركات نحو: نَسْتَعِين ونَسْتَعِين بفتح النون وكسرها، قال (الفراء): هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون"¹.

فأغلب القدماء عبّروا بكلمة اللّغة عن معنى اللّهجة، ولذا يقولون: "لغة جيدة ولغة أهل الحجاز، ولغة هذيل، وقيم"²؛ ويشيرون بذلك إلى اللّهجة، والأمثلة كثيرة، هذا وقد أطلق عليها لفظ "اللّحن" ولكنها مجهولة القائل، قال أحد الإعراب: (ليس هذا لحن ولا لحن قومي)"³.

فإنّ الأثر وإن كان مجهول القائل قد لا يؤخذ منه حكماً معتبراً، إلّا أنّه لا يمنع من الأخذ به، وتوجيهه توجيهها معجمياً مناسباً، فإذا كان اللّحن هو الخطأ والخروج عن الصّواب، فإنّه بذلك يصير في حكم اللّغة، وكلاهما يحمل معنى اللّغو، وبالتالي يصبح اللّحن واللّهجة بمعنى واحد معجمياً، وتبعاً لذلك يظهر أن مصطلح "اللّهجة" حديث النّشأة بالمفهوم العلميّ الذي سنذكره به؛ لأنّ القدماء أطلقوا عليه لفظ "لغة" كما مرّ معنا، "أما إذا أرادوا التّعبير عن اللّغة الخاصّة بأمة من الأمم، وشعب من الشّعوب، كالعربيّة والسّريانية وغيرها، فيطلقون عليها اللّسان"⁴.

بهذا الاعتبار يكون مفهوم اللّهجة قديماً هو نفسه اللّغة، ولذا أصررت على أنّ اللّغة إنّما هو متعلق بما طرأ من زيادات، وانحرافات على الأصل الفصيح، وهو اللّسان كما في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام الأوّل، وهو على حدّ تعبير "إبراهيم أنيس" "اللّغة التّمودجية"⁵. والقرآن على ذلك شاهد بهذا الوصف، مخلداً الأصل، تاركاً الفصل فيه؛ حيث يقول ربّ العزّة: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103].

أما ما ذكره المحدثون من مفاهيم جديدة للفظ اللّهجة فهي كثيرة، وقد تختلف ألفاظ التّعبير عنها، ولكنها تلتقي تقريباً في المعنى نفسه، فقد جاء في تعريفها أنّها: "مجموعة من الصّفات اللّغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك

¹ - أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللّغة العربيّة ومساائلها وسُنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 50.

² - الرضي الإسترياذي، شرح شافية ابن حاجب، ج1، ص 191. (المرجع السّابق)

³ - حاتم صالح الضامن، فقه اللّغة، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 2007م، ص 13.

⁴ - كاصد ياسر الزبيدي، فقه اللّغة العربيّة، دار الفرقان، (د.ت)، ط1، 1425هـ، 2004م، ص 217.

⁵ - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1992م، ص 11.



في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية¹.

حسب تعريف "إبراهيم أنيس" فاللهجة لا تخرج عن كونها صفات لغوية خاصة تتعلق بالجانب الصوتي، وعند مقارنة هذا المفهوم بالتعريف السابق لا نجد اختلافاً، فإذا كانت اللهجة هي اللغة في إطلاقات القدماء من العرب وتتميز بمميزات صوتية خاصة فهي كذلك عندنا اليوم، وإنما قديماً لم يُعرف هذا المفهوم بمصطلح "اللهجة"، على اعتبار تفضيلهم للفظ "اللغة" على "اللهجة"؛ لأنهم يرون إطلاقاتها على الشيء المختلط الفاسد وغير المحكم من المسلمات، وهذا ما أشار إليه "ابن خلدون" في قوله: "ويسمع كيفيات العرب أيضاً، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي"².

فقد ذكر في سياق كلامه عبارة "فاختلط عليه الأمر"، فإذا حصل في اللسان العربي فساد تصبح لهجة خاصة لها خصائصها الصوتية، فإنّ الكلام يُسمع بكيفيات أخرى كما عبّر "ابن خلدون" غير أنّي عليها الأصل اللسانيّ وتناقلها الأفراد قد أدّى إلى وجود مقاصد أخرى، ولذا كانوا يعبرون بلفظ اللغة؛ ولأنّها أقرب إلى طريقة في الكلام كان الناس يتبعونها، واللهجة بالمفهوم الأصيل لا يمكن إطلاقه على اللسان، إلّا إذا اعتبرنا الانحراف والبطلان الذي حلّ عليه عندها يصبح اللسان متعدداً أو مُلحداً على الآية السابقة، وإذا تعدّد صار في حكم الكلام الفاسد، أو الخارج عن الأصل، وأصبح لغة من اللغو، ومن هنا جاز أن يُجعل لفظ "اللهجة" مطابقاً للفظ اللغة، على اعتبار الوصف؛ إذ كلاهما يحمل معنى الخروج عن الأصل الأوّل وهو اللسان، إلّا أنّ الخصوصية التي تميّز اللفظتين (اللغة، واللهجة) هي الاستخدام العام لهما، فالأوّل يُطلق على ما فسد من الكلام في البنية معجماً وتركيباً، أمّا الثاني فيطلق على ما فسد من الكلام صوتاً وأداءً، والذي يفرّق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان³؛ أي الثاني جزء من الأوّل، وهناك رأي آخر يرى بأنّ ملامح اللهجة تكون في كلّ مستويات اللغة، وقد وضع بعض الدارسين هذه الملامح وأطلق عليها وصف "العادات الكلامية" وهي "مصطلح محدث يراد به الصفات

¹ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 16. (المرجع السابق)

² - ابن خلدون، المقدمة، ص 1046. (المرجع السابق)

³ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 17. (المرجع السابق)



النَّطْقِيَّةُ وَالتَّرْكِيبِيَّةُ الَّتِي تَمَازُ بِهَا لَهْجَةٌ عَنْ أُخْرَى فَتَصْبِحُ صِفَةً لَهَا، وَتَقَسِّمُ الْعَادَاتِ الْكَلَامِيَّةَ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ هِيَ:

- الْعَادَاتِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَصْوَاتِ وَكَيْفِيَّةِ تَصْوِيبِهَا وَطَبِيعَةِ إِصْدَارِهَا.
- الْعَادَاتِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْبَنِيَّةِ وَطَرَقِ صِيَاجَتِهَا.
- الْعَادَاتِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّرْكِيبِ وَكَيْفِيَّةِ نَسْجِهَا.

بالإضافة إلى فرع رابع يدرسه بعض الدارسين دون بعض وهو متعلق بمعجمية الألفاظ ودلالاتها¹.

إذا نلاحظ من التحديد الذي ورد عند المحديثين في تعريف اللهجة بأنها "عادات كلامية" بحيث تكون في جميع المستويات اللغوية، والحق أن الألفاظ إذا أصابها التغيير صوتاً بفعل الأداء فحتماً ستتغير صيغة بنائها، لكن التركيب ونسجه لا يظهر التغيير فيه ظهوراً واضحاً، فقد يكون على مستوى الحروف ومعانيها، والاسماء ودلالاتها العرفية وهو من قبيل النادر، مثل ما جاء في مسألة الخلاف في "ما" الحجازية والتميمية "فإن قلت: زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها وقد نراها ظاهرة الخلاف ألا ترى إلى الخلاف في (ما) الحجازية والتميمية، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الإعلام في الحجازية، وترك ذلك في التميمية إلى غير ذلك قيل: "هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما الفصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به"².

من النص يتبين أن اللهجة قد تطال المستوى التركيبي والدلالي، وهو في حكم القليل، بيد أنه في العصر الحديث قد نجد الكثير من التراكيب المستحدثة، والدلالات الجديدة التي قد توسع من حقيقة اللفظ، وعليه يكون التحديد الذي ذكره "مشتاق عباس" في محله، فالانحراف اللساني الذي وصل إليه اليوم أعظم مما كان عليه في الماضي، ولذا لا وجه للمقارنة، فإذا كان هذا الذي تم تحديده في اللهجة من "عادات كلامية" ينطبق على ما آل إليه الوضع اللساني اليوم فإنه يتساوى لفظ اللهجة مع مفهوم اللغة؛ ويصبح بهذا مصطلح اللهجة هو نفسه اللغة، إلا أن الفرق في أن الأخيرة تتفرع وتتفرع بتنوع "البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلاح على تسميتها باللغة،

¹ - مشتاق عباس، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، ط1، 2001م، ص 112، 113.

² - المرجع السابق، عثمان بن جني، الخصائص، ج1، ص 242، 243.



.... وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات¹.

قد تكون العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص حسب "إبراهيم أنيس"، ولكن إذا اعتبرنا اللهجة بالتحديد السابق تدرس جميع المستويات كعادات كلامية فإن اللغة كذلك، ولكنها ليست عادة نظرا لطبيعة الجوهر، ولذا كان القدامى يطلقون لفظ اللغة على اللهجة، وبهذا الاعتبار يسقط الفرق بينهما، ويصبح القدامى على حق في إطلاقهم، ومنه يتحد اللفظان اصطلاحا، ويُترجّ مخرج ما ورد في المعجم من معاني اللغة اللهجة كما مرّ معنا "والثاني قولهم: لغى بالامر، إذا لهج به. ويُقال إن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها"².

فإذا كان اصطلاح العرب على اللهجة هو اللغة، وفي المعجم من معاني اللغة هو اللهجة، فإن بعض المحدثين قد أكدوا على ذلك كما في التحديد الماضي، غير أن استخدام المحدثين للفظ "اللهجة" له محمل خاص جمل به وهو لفظ "عادات"، فإن اللغة ليست عادة، وإنما ظاهرة ينماز بها الإنسان بصفة عامة، وهو عبارة عن نظام خاص من الرموز والعلامات كما سيأتي، أما اللهجة فهي تتعلق بالأعيان (كلام أفراد محددين)، ولها أسباب في تنوعها كما أشرنا إلى ذلك في مدخل التعريف باللفظ، ولذا الخصوصية تظهر في أن اللهجة أداء خاص، وإلا لم يكن ثمة أي فرق غير الأداء، وهذا ما أكدّه "عبد الوهاب حمودة" بقوله: "هي أسلوب أداء الكلمة إلى السامع، من مثل إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها، ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في جرس الألفاظ، وصوت الكلمات، وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها، وكيفية أدائها"³.

فقد حصر صاحب القول باللهجة في الأسلوب الأدائي للكلمات وهذا ما أوضحناه، ثم ذكر أمثلة على ذلك، ولم يذكر جانب التركيب والدلالة وهذا هو الأصل في اللهجة، أما إذا عملنا بالتقييد السابق صارت في حكم اللغة ومثلها في الحد، ومن اللغات المهمة في التحديد السابق إطلاق لفظ "عادات" على اللهجة، وكذلك في تعريف "إبراهيم أنيس"، فالعادة هي سلوك آلي يأتي عن طريق التكرار ويتميز بالعفوية، كما أنه يكتسب دون شعورنا به، قد تتسلل بعض الأداءات إلى العقل الباطني، فيمارسها اللسان بشكل عفوي، وتترسخ في القاعدة الذهنية، وتصبح جزءاً

¹ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 16. (المرجع السابق)

² - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 255. (المرجع السابق)

³ - عبد الوهاب حمودة، القراءات واللهجات، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1948م، ص 4.



من منظومة المصطلحات، وهذا ما تؤيده النظريات الحديثة في أنّ العقل الباطني يتأثر بسرعة، ويستجيب بقوة لا نشعر بتأثير ذلك علينا.

ولكي نخرج من هذا الاختلاف فقد استنارت الفكرة بالجمع بين التعاريف، فكان الحاصل من ذلك إذا أخذنا اللغة بالمفهوم القديم فهي اللهجة حديثا، ولم يُعرف المصطلح عندهم، وإذا ذكرت هذه الأخيرة حسب التحديد السابق عند المحدثين فهي نفسها تنطبق على اللغة، إلا أنّ الفرق يكمن في جوهر كلّ منهما، وهو أنّ اللغة موضوعيّة؛ أي لا علاقة لها بالأفراد المعيّنين، بمعنى أدقّ مستقلة بذاتها كنظام من الرموز والإشارات وفق قواعد محدّدة، واللهجة أسلوب وأداء يتّصل بالفرد عينا، ولذا يمكن اعتبارها ظاهرة تتعلّق بالكلام لا باللغة حسب المحدثين، أمّا قديما لم يحصل مثل هذا الارتباك المعرفي الذي تبناه أغلب اللسانيين اليوم، إذ جعل القدماء اللغة هي اللهجة بينما اللسان هو الموضوع المستقلّ وإليه المحتكم، فإذا اقتربنا من هذا المفهوم صارت لدينا المعادلة الآتية:

اللسان قديما = اللغة حديثا / اللغة قديما = اللهجة حديثا

فالفرق في اللسان/اللغة؛ هو كلام مستقلّ له خصوصيات الوضع والقاعدة، واللغة/اللهجة؛ هو كلام متّصل له خصوصيات الاستعمال، وهو جوهر براغماتية الغرب، وعليه إذا عبّرنا بمصطلح اللسان فهو اللغة حديثا، وإذا عبّرنا باللغة قديما فهو اللهجة حديثا، والرجوع إلى الأصل فضيلة حسب القاعدة المشهورة¹.

ومّا يدخل في هذه الخصوصيات المتعلّقة بالاستعمال مصطلح العاميّة نسبة إلى ما يتكلّمه عامّة الناس من الكلام، وفيه الفصحح وغيره من المولّد والدّخيل والهجين، "فهي التي تستخدم في الشؤون العاديّة، والتي يجري بها الحديث اليومي، ويتّخذ مصطلح «العاميّة» أسماء عدّة عند بعض اللغويّين المحدثين كـ «اللغة العاميّة»، و«الشكل اللغويّ الدارج»، و«اللهجة الشائعة»، و«اللغة المحكيّة»، و«اللهجة العربيّة العاميّة»، و«اللهجة الدّارجة» و«اللهجة العاميّة»، و«العربيّة العاميّة»، و«اللغة الدّارجة»، و«الكلام الدارج»، و«الكلام العامي»، و«لغة الشعب» الخ².

بعد عرض هذا التعريف وأسمائها المتعدّدة يوحى إلى عدم ضبط مصطلح "العاميّة"، مما قد يُفسد المقصود، ومنه يظهر ما يُعرف بـ"الازدواجيّة اللّغويّة" مع وجود خلط في الفكرة على اعتبار أنّها "ثنائية لغويّة"، وليست "الازدواجية"

¹ - القاعدة لها تخریجات كثيرة من واقع الصحابة والعلماء المجتهدين، كان أحدهم إذا تبيّن له الخطأ في رأيه عدل عنه وتركه ورجع إلى الأصل، وما اشتهر من القواعد العاقبة لا يمكن حصره بمصدر معيّن، أو مرجع ثابت؛ لأنّها صارت في حكم المشهور المتعارف عليه ضرورة.

² - إميل بدیع یعقوب، فقه اللغة العربيّة وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص 144.



كما ألمح إلى ذلك "إميل يعقوب" بقوله: "فإن بعض الباحثين يرفضون استعمال مصطلح "الازدواجية" الذي يستعمله كثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربيّة: الفصحى والعامية..."¹.

ومهما يكن من اختلاف في تقرير دقة المصطلح، فإنّ الثابت أنّ العامّة يستخدمون الألفاظ الفصيحة وغير الفصيحة واللغة الثانية مثل الفرنسية، وقد تكون لغة ثالثة، بأداء صوتي خاص (اللهجة)، وهذا معروف في كل الحضارات بما في ذلك الحضارة العربيّة، بل القرآن خير شاهد على هذا؛ فهو يحتوي على ألفاظ من لغات ثانية، ولكن الأمر إذا أثبتته الوحي أصبح من العربيّة الفصحى لما في ذلك من خصوصية يمتاز بها القرآن عن غيره، فقد عُرف مثل هذا الحدث نتيجة الاختلاط الذي حدث بين الأمم، وهي سنّة رائجة في كل زمان، وهذا الاختلاط انجرت عنه ظواهر لغوية كثيرة بما في ذلك اللحن، كتسكين أواخر الكلم، وتتنصف (العاميّة) بالحقّة في الأداء من حيث مادّة الكلام، وهذا يقتضي أن يكثر فيها الاختزال والاختصار بالحذف والقلب والإدغام واختلاس الحركات وغير ذلك، ولا يمكن التّخاطب اليوميّ العفويّ إلّا بهذا"².

فعبارة "لا يمكن التّخاطب اليوميّ العفويّ إلّا بهذا" أبان عن جوهر الاستعمال الحقيقيّ للسان/لغة وهو في عرف "الحاج صالح" الخطاب، فإذا خرج الخطاب من العربيّة الفصحى المعيارية إلى الاستعمال اليوميّ العفويّ صارت تخاطبا، وهذا ما فصل فيه في كتابه (الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة)، والخطاب والتّخاطب في عرفه يختلف مفهومهما عمّا وردا في الدّراسات اللّسانية الحديثة كما سنبيّن ذلك في الفصل الأوّل إن شاء الله، والتّخاطب هو ما نقصد به "العاميّة" على اختلاف تسمياتها التي مرّت معنا، ومن أهمّ الظواهر التي تتصف بها:

أ- ظاهرة اللحن: ويقصد بها الخطأ الذي يعتري اللفظ في بناءه، حيث صار مع الوقت بحكم الاستعمال ثابتا وهو من اللهجة؛ أي أسلوب أداء الكلمة من حيث البناء النطقي لها، يخصّ الجانب الصّوتي، فقد نجد الحذف مثل حذف حرف الذال من كلمة "ياخذها" في اللهجة التونسية فتصبح "ياخها"، أو زيادة حرف مثل زيادة الباء عند المشاركة نحو: بشرب، باكل...، فإذا اعتبرنا اللهجة هي أسلوب بناء الكلمة فخرج بذلك التّركيب وفق تعريف "عبد الوهاب حمودة"، فاللحن الذي يقع في التّركيب ومنه الدّلالة لا يدخل في اللهجة إنّما يجيء في مفهوم العاميّة، ولذا

¹ - إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربيّة وخصائصها، ص 145، 146. (المرجع السّابق)

² - عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللّغويّ العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرّغاية، الجزائر، 2012م، ج1، ص 177.



یظھر اَنَّهُ لا یمكن اَن نسمیھا بتلك الأسماء الَّتی جاءت فی التَّعْرِیف کلَّھا، بل نقتصر علی بعضها من قبیل لغة الشَّعب، الكلام الدَّارج والعامیِّ والمحكی...، وإذا اعتبرنا التَّعْرِیف الثَّانی الَّذی ذُکر عند بعض المحدثین علی أنَّھا عادات تتعلَّق بكلِّ جوانب اللُّغة من صوت وصرف وتركيب ودلالة كما حددها "مشتاق عبَّاس" حینھا تصیر فی حکمھا، ومن هنا یصبح لفظ العامیَّة مناسباً للفظ اللُّهجة وجاز إطلاق علیھا کلَّ التَّسمیات الواردة فی تعریف العامیَّة وهي: "اللُّهجة العامیَّة واللُّغة العامیة...".

ومَّا نجدھ فی الظَّاهرة الاختصار فی الجمل، وهذا قد یتداخل مع فكرة التَّحت، وهي ظاهرة لغویَّة معروفة، وسببھا السَّریعة فی الأداء اللُّغوی، فكانت هذه الظَّاهرة لها وجود فی حیاة العامَّة ممَّا یمیلون إلیھا فطرة کقولهم "عبدقَّه" ویقصدون "عبد القادر، أو قولهم "عبدشمی" فی بعض المناطق العربیَّة ویريدون عبد شمس...، وسنتعرَّف علی هذا أثناء حدیثنا عن الظَّواهر اللُّغویَّة فی الدِّراسة اللِّسانیَّة، ونأخذھ بالشرَّح المستفیض، حتی یتستقیم ذلك مع موضوع الدِّراسة.

ب- ظاهرة التَّسکین: ویخصَّ جانب التَّרכیب لأنَّ الكلمة المفردة جاز تَکینھا لوحدها عند التَّطرق بها عملاً بالقاعدة "العرب لا تقف علی متحرِّک"، أمَّا العیب عند الوقوف فی التَّרכیب علی کلِّ لفظ بالسَّکون، وهذا نتیجة جهل العامَّة بأصول الإعراب وقواعده، واضطراب الملكة اللِّسانیَّة فاعتمدوا قاعدة "سَکَن تسلم"، وهذا التَّسکین یخصَّ الجانب الصَّوتی، لأنَّه أثناء الكتابة لا نعتمد علی ضبط الكلمات، بل نکتبھا دون حرکات إلاَّ قلیلاً منها کالشَّدة أو كلمة تُشکِّلُ علینا فی قراءتها حینھا نعتمد إلی ضبطها بالحرکات، وهذا من باب الاختصار والتَّخفیف، لأنَّنا لو کتبتنا کلَّ كلمة وضبطناها بالحرکات لاستغرق وقتاً طویلاً، ولكن علی مستوى التَّطرق فلا یمکن تجنُّبھا؛ لأنَّھا من تمام الفصاحة، ولأنَّ اللُّغة أخذت مشافهة من أفواه العرب ودُوَّنت بعد السَّماع فهذا الأصل، أمَّا الكتابة فهي فرع عنها فكان الاعتناء بالأصل لحاقاً بسُمِّت العرب، وما الكتابة إلا رموز وُضعت لحفظ الأصل فیجوز فی الفرع من التَّخفیف والاختصار ما لا یجوز فی التَّطرق باللِّسان، وعلیه من أقرَّ قاعدة "سَکَن تسلم" نغلَّطها ونذمَّھا؛ لأنَّھا قاعدة تبعث علی التَّهاون وعدم التَّعلُّم، ومن أثرها جاءت اللُّغة الهجینیة والمختلطة، وإن کان "إبراهیم أنیس" یدکرھا بتعریف نشعر من خلاله أنَّه یرید مدحها من حیث یرید التَّعْرِیف بها إذ قال: "العامیَّة لغة قائمة بذاتها حیَّة، متطورة نامیة تتميز بجمیع الصِّفات الَّتی تجعل منها أداة طبیعیة للفهم والإفهام وللتَّعبیر عن دواخل النَّفس"¹.

¹ - إبراهیم أنیس، فی اللُّهجات العربیَّة، ص 97. (المرجع السَّابق)



في هذا القول ذكر فيه مفهوم العامية، وأنها "قائمة بذاتها حية"، وحياة العامية وبقائها قد يضرّ باللسان العربيّ الأصيل لما فيها من ظواهر دخيلة عليها، وفيه تحدث الفوضى على مستوى الألفاظ والتراكيب والدلالات، مثل هذا يصيّرهما في حكم الباطل، ولذا كان من تعريف اللّغة واللّهجة في المعاجم يلتقيان مع تعريف اللّحن في معناهما العام؛ وهو الخروج عن الصّواب، وما التّسكين إلّا ضرب من اللّحن الذي تقع فيه العامّة.

ج- ظاهرة الدّخيل: تعتبر هذه الظّاهرة التي اختلف حولها المفكّرون من أهمّ الطّواهر التي ميّزت العاميّة، فهي "جملة مواد اختزلت من اللّغة الفصيحة وأضيف إليها بعض ألفاظ أجنبية من لغات الأقوام الذين دخلوا في اللّغة ولم يستطيعوا اللّحاق بأهلها، وإثماً حفظ منها ما اشتدّت إليه حاجة المتكلّمين بها للتّفاهم في الأغراض المعاشية الظّاهرة"¹.

ومهما يكن تعريف لمصطلح "الدخيل" قديماً وحديثاً واختلاف العلماء حوله بين من يعتبرها مهمّة في حياة اللّغة، ويعتبرها مظهرها من مظاهر التّطور اللّغويّ مثل "حسين الدراويش"؛ إذ يرى أنّ اللّغات المتطوّرة لا يمكن أن تعيش متوقّعة على نفسها، ولا تسلم من الدّخيل²، في حين يعتبرها "إبراهيم أنيس" ظاهرة فاسدة حيث يقول: "فالألفاظ الدّخيلة قد تُفقد اللّغة العربيّة طابعها وخصائصها التي يعتز بها أبناء العرب"³.

ومهما يكن من آراء حولها فنحن لسنا في مقام الحكم، بل يكفي أن نصف الواقع كما هو، إذا رجعنا إليه سنجد أنّ العامّة يستخدمون الدّخيل بكثرة، وكأنّ "العاميّة" خُصّصَتْ لنقل ثقافة الغير أو إدخال ثقافة أخرى على اللّغة العربيّة فابتعدت عن الأداء الطّبيعيّ لمفردات المعجم العربيّ، وقد يستعمل المتكلّم الألفاظ الدّخيلة من باب الاقتراض، والاقتباس، والاستعارة⁴؛ وعليه ظاهرة الدّخيل تتعلّق باستيراد الكلمات والجمل من لغات أخرى، وقليلاً ما تتدخّل اللّهجة في إضفاء على الكلمة زيادة أو حذفاً أو قلباً في أحد الحروف فعندها تصير في حكم اللّهجة.

الحاصل: إنّ العاميّة وصف للكلام الذي يجري على ألسنة العامّة وهي في الأخير لغة بألفاظ ملحونة ودخيلة بأداء لهجي معيّن، ونستطيع أن نحدّد المعادلة الآتية لتقريب وتجميع الفكرة:

¹ - مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، خليل سمعان، ج1، مج43 يناير 1967م، رمضان 1387هـ، على هامش دعوى الصعوبة في تعلم العربيّة، ص 176.

² - حسن الدراويش، تأصيل ما في الإعلام العربيّة المقدسية من الدخيل، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، 2010، ص 367، 387.

³ - إبراهيم أنيس، من أسرار العربيّة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1978م، ص 131.

⁴ - المرجع نفسه، ص 118.



اللغة ظاهرة لسانية/ أو اللسان باعتبار الأصل القديم تنقسم بالقواعد الثابتة.

اللهجة أسلوب أداء الكلمة/ أو اللغة باعتبار النصوص القديمة تخضع لسلطة الاستعمال.

العامة وصف لما يجري على ألسنة العامة من كلام ملحون، وتركيب مسجون، وتصريف مركون.

ثالثا: تأصيل مفهوم اللسان:

مما عُرف عن لفظ "لسان" أنه لفظ أصيل؛ وهو المعيار في التمييز بين لغة وأخرى، باعتبار الزمن الأول تحديدا في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام الأول، كما أشرنا إلى ذلك سابقا مع ذكر تحريجات لهذه الفكرة، وله دلالات عديدة في القرآن تُعرف حسب السياق، وجاء مكررا خمس عشرة (15) مرة، وفي كل مرة لها مناسبة معينة، وستعرف على ذلك حتى تتضح حقيقة اللفظ، وعلاقة المعاني بعضها ببعض في اللفظ، ومعلوم أن اللغات كافة تخضع لسنة التطور وأن الكلمة في كثير من اللغات مادة حيّة يعمل فيها الزمان، ويؤثر فيها، وتجدر فيها الحياة، فتتطور، وتبدل، وربما اكتسبت خصوصيات معنوية أبعدها الاستعمال عن أصلها بُعدا قليلا أو كثيرا¹.

وهذه سنة كل الألفاظ تخضع لنواميس التغير إما بتوسيع المعنى، أو تضيقه، أو انتقاله من دلالة إلى أخرى، "وينحرف الناس - عادة - باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتراحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما أدخروه من ألفاظ وما تعلموه من كلمات"².

لذا نجد تجويز بعض الكلمات الأجنبية وإدخالها ضمن القاموس العربي حتى تصير منه بكثرة الاستعمال، وقد يعتمد الباحث إلى استعمال المجاز الذي يقرب الصورة التي في ذهنه فيربطها ربطا تعسفيا قد تظهر بينونته من قريب، ولكن سرعان ما يطرد ذلك المجاز فيصير مألوفا فيفارق السمة المجازية ويكتسب خصائص الحقيقة، "وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة لللفظ في حدود ضيقة، ويكون للفظ دلالتان واستعمالان وكلاهما من الحقيقة، غير أن إحدى الدلتين تكون أكثر شيوعا من الأخرى"³.

ولكن على كل باحث أن يرجع إلى الدلالة الأصلية ويعتمدها ويبنى عليها معارفه، وما طرأ وحل عليها يناقش علميا، فإذا كان قريبا من الأصل قبلناه وفق معايير القبول المتعلقة بظاهرة تطور اللغة، أما إذا كانت الدلالة جديدة

¹ - إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1401هـ، 1981م ص 228، 229.

² - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1997م، ص 130.

³ - علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، 1364هـ، 1945م، ص 19، 20.



تظلّ غريبة ولو شاعت في الاستعمال العام، حتى تنضبط المصطلحات، قد يبدو هذا غريباً؛ إذ بهذا قد يعتبرني الحداثيون والمعاصرون أنني أنتهج سياسة الإقصاء وهو مبدأ يكرّس التخلّف والرجعيّة، إلّا أنني لا أعتقد إلا ما أراه نابعا من القرآن، وما كان عند الأوّلين فبهما كان الإسلام وكانت العربيّة، وحقّ أن نستمسك بالأصيل، ولا يجب أن ننظر للبديل على أنّه هو الأصيل، إلّا ما غاب فيه النصّ جاز فيه الاجتهاد، أو احتمال غيره من المعاني الثّابتة فقد "كان اللّسان العربيّ عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل، ولا يتطرّق إليه الزّلل، إلى أن فُتِحَت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم ...، فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن وتداخلت اللّغات"¹.

وهذا الذي شهد به كلّ العلماء والمفكرين الذين شقّوا طريقهم نحو اليقين، فاللّسان هو الموضوع العام لكلّ لغة وعاميّة بلهجة خاصّة، وهو المستقلّ عن كلّ استعمال، والباقي بمجده عن كلّ بيان، وبه شهد القرآن ونطقت ألسنة الحقّ له، فقد أشار "ابن خلدون" في كلام له أثناء حديثه عن الفساد اللّسانيّ قائلا: "اعلم أنّ ملكة اللّسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة أهل الجيل كلّهم مغايرة للغة مضر الذي نزل بها القرآن، وإنّما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها"².

وهنا نلمح دقّة كبيرة في وصف اللّسان حيث اعتبره ملكة، فإذا صارت اللّغة متأصّلة في اللّسان بكلّ معاييرها صارت لسانا لا لغة، وصار المتكلّم يمارس لسانا عربيّا فصيحاً لا لغة عربية عاميّة بأداء لهجي خاص، فبسبب اللّحن الذي أصاب اللّسان جعلها تخرج عن المعياريّة ومنه فقدان الملكة، وانشغالها باللّغو الصّريح المخالف للكلام الفصيح، فإذا كانت الملكة من فعل "ملك" بمعنى شيء ثابت لا يفارقه، فإنّ العربيّة إذا ألفها الإنسان بقواعدها ملكها وصارت لسانا، وخرجت عن مفهوم اللّغو، وما عدا ذلك يبقى في حكم اللّغو ومنه اللّغة، وهذا لن يحصل في زماننا ولا الزّمن الذي قبله، لذلك ربطنا اللّسان بالقرآن والعصرين الجاهلي وصدر الإسلام الأوّل واستدللنا على ذلك ببعض الآثار.

أ- معجميا:

مما جاء في تعريف اللّسان عند المعجميين وسنحافظ على نفس التّهج الذي أصّلنا عليه المصطلحين (اللّغة، واللّهجة) بأخذ أوّل معجم وننظر في دلّالته، وكما علّنا سبب اعتمادنا للمعاجم الثلاثة بتباعد زمنيّ معتبر، وقلت

¹ - ابن الأثير: مجد الدين أبو السّعادات المبارك بن محمد الحزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزّاوي، محمود محمد الطانجي، دار

إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1383هـ، 1963 م، ج1، ص5

² - ابن خلدون، المقدمة، ص559 (المرجع السّابق).



حتی نرى مدى تغیر الكلمة، وهل حقًا خضع لناموس التطور المعهود في الألفاظ، أم بقي على أصالته، وثبت على معناه الذي تحطى به، فقد جاء فيه: "لِسْنُ: اللِّسان: مَا يَنْطِقُ، يُذَكِّرُ وَيُؤَنِّثُ، وَاللِّسْنُ بَيَانُ التَّائِيثِ فِي عَدَدِهِ، وَاللِّسْنَةُ فِي التَّذْكِيرِ... وَاللِّسان: الكلامُ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: 4]"¹.

مما يميّز به معجم "العين" أنّه مختصر وبسيط على خلاف المعاجم المتأخّرة، فقد حصر دلالة اللفظ في النطق والكلام، ولم يذكر مسألة اللغة، إلّا ما أدخل فيما بعد كما سنرى، بل كلّ المعاجم التي جاءت بعده حافظت على ما ذكر "الخليل"، مع زيادة توضيح وتفصيل بذكر شواهد من الشعر تثبت مسألة جنس اللفظ تذكيرا وتأيينا، ويعتبر مصدرا مهما لكل من جاء بعده من المعجميين واللّسانيين، وفي مقاييس اللغة لـ"ابن فارس" جاء فيه: "لِسْنُ: اللّامُ وَالسِّينُ وَالنُّونُ مِنْ أَصْلٍ صَحِيحٍ وَاحِدٍ، يَدُلُّ عَلَى طُولٍ لَطِيفٍ غَيْرِ بَائِنٍ، فِي غَضْوٍ أَوْ غَيْرِهِ. مِنْ ذَلِكَ: اللِّسان، مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ وَالْجَمْعُ اللَّسَنُ، فَإِذَا كَثُرَ فَهِيَ اللَّسَنَةُ. وَيُقَالُ أَلْسَنَتَهُ، إِذَا أَخَذَتْهُ بِلِسَانِكَ. قَالَ طَرَفَةُ:

وَإِذَا تَلَسَّنِي أَلْسَنُهَا..... إِنِّي لَسْتُ بِمُوهُونٍ عَمَّرَ

وَقَدْ يُعَبَّرُ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللِّسانِ فَيُؤَنِّثُ حِينَئِذٍ، قَالَ (أَيُّ: الْأَعَشَى):

إِنِّي أَتَنِّي لِسَانًا لَا أَسْرُ بِهَا..... مِنْ غُلُوٍّ لَا عَيْبَ فِيهَا وَلَا سَحَرٌ"².

فقد عرّف اللسان باعتبار الطبيعة الفيزيولوجية، فهو يقوم بوظائف متعدّدة من تذوق، وتحريك، وتصويت، وقد تجتمع كلّها أثناء تأدية وظيفة الكلام، فهو عند التكلّم يستعمل الصّوت ويحرّك لسانه ويتذوّق، فهو عضو مهمّ في إنتاج أشكال التّواصل، ثمّ ذكر مسألة جنس اللفظ، ولكنّه لم يذكر اللغة في هذا الموضع، بينما ذكرها في مكان آخر من الكتاب حيث قال: "اللِّسْنُ: اللغة، يُقَالُ لِكُلِّ قَوْمٍ لِسْنٌ، أَيُّ: لُغَةٌ"³.

عند ذكره للمصدر وتعريفه له لم يكتف به بل زاده بيانا، ففهم المقصود من اللغة، وذلك لما أدخل قرينة مهمّة تصرف مطلق القول إلى سياق الحصر، وهو ما يعبر عنه في أصول الفقه بقاعدة حمل المطلق على المقيد، وتخريجا على هذه القاعدة فقوله اللسان هو اللغة هو من باب تقييد المطلق ووجه ذلك من خلال جملة "لكلّ قوم" فإذا كان كلّ

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتّبا على حروف المعجم، ج4، ص 83، 84. (مادة لسن) (المرجع السابق)

² - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 246، 247. (مادة لسن) (المرجع السابق)

³ - المرجع نفسه، ج5، ص 247. (مادة لسن)



قوم لديهم لسانهم الخاص بهم، انصرف اللفظ عن الأصل إلى دلالة الفرع وهو اللغة، فإذا كان لكل قوم لسان حينئذ صارت لغة عند قوم آخرين، وإلا فالأصل هو اللسان ما لم يتبدل أو يُضاف عليه أو يخرج عن القرآن وشواهد العرب من الشعر الجاهلي وصدر الإسلام الأول.

وهذا نفسه نجده عند "ابن منظور" (ت 711 هـ) فقد خصّ اللسان بـ"كبير في معجمه الذي اختصر فيه ما ورد في المعاجم السابقة، وسبب اتساع الحيز هو كثرة جمع الشواهد، ومهمتنا ليست في تبين جنس اللفظ، إنما في تأصيل حقيقته، فإنه يكتفى بإيراد ماهيته، فيقول: "اللسان: جارحة الكلام، وقد يُكفى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ" ¹.

بعد عرض مصطلح "لسان" على المعاجم الثلاثة وفق التسلسل الزمني المتباعد، تبين مدى تقارب المعاني حوله، وأنه عضو أو جارحة الكلام وهذا العضو أو الجارحة تمارس نشاط الكلام بنطق مخصوص، وعليه فقد عرّف اللفظ معنى ثابتاً في كلّ المعاجم، أما من اعتبره هو اللغة فهو يُحمل على اعتبارات سياقية معينة فيقيده كما مرّ معنا، ولعلّ أكثر ما يستدلّ به المتأخرون على أنّ اللسان هو اللغة هو قول لـ"ابن سيده" (ت 458 هـ) حين قال: "اللسان المقول، يذكر ويؤنث... وإن أردت باللسان اللغة أنثت" ².

إذا يظهر التقييد في اللفظ على اعتبار جنسه، إذا كان مؤنثاً صار من معانيه اللغة، وهذا جليّ جدّاً في تبرير ادّعائنا على أنّ اللغة فرع عن اللسان، وأنه ميل عنه وأنّ هناك ما يقيّد "اللسان" بمنحه خصوصيّة سياقية إما باعتبار جنسه أو باعتبار استعماله، والحق أنّ نرجع إلى الوضع الأول الذي لم يخالطه فسادٌ كما عبّر عن ذلك "ابن الأثير" (ت 606 هـ)، وابن خلدون (ت 808 هـ) كما في الأثرين السابقين.

ب- اصطلاحاً:

مصطلح اللسان في تعريفات القدامى هو نفسه تعريف المعجميين واللغويين والمفسرين، ولذا اقتضى السير أن يُناوله للزمن الحاضر لمعينة الركب لحاقاً غير متبيل، "مع أنّ العصر الحالي شهد وما زال يشهد، الظهور المتنامي لمعاجم

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص 385. (مادة لسن) (المرجع السابق)

² - المرجع نفسه، ج13، ص 386.



المصطلحات إلا أننا لاحظنا غياب لفظ (لسان) مادة مستقلة في معظمها، فكأنما سلّموا -فيما أظن- بكفاية مصطلح (لغة) الذي فرض نفسه بديلا عن لفظ (اللسان)¹.

ومعلوم أنّهم لم يتناولوا (اللسان) بمفهوم خاصّ كما جاء عند العرب القدامى، بل اكتفوا بالبديل، وهو (اللغة) وعيّنوا له موضوعه، ومنهجه، وأقاموه مدعوما بالتصورات المستجدّة في كلّ لحظة، في حين جعلوا اللسان يُذكر كعلم مستقلّ، مع قرينة تصحبه دائما وهي (علم)، ولأنّنا في زمن التخصص، واستقلال العلوم، فقد تعدّدت المصطلحات وتداخلت طورا، وتنافرت تارة، ومثلها ما حدث مع (علم اللسان) و(علم اللغة)، حيث أصبحنا على مصطلحين، وكلّ منهما يختص ببيئة معيّنة، فإذا قلنا الأوّل تبادر إلى الذهن جهود المغاربة، وإذا نطقنا الثّاني حلّت دراسات المشاركة مجاورة، وسبب الاختلاف راجع غالبا إلى الترجمة الذاتية، وعدم توحيد الجهود.

ومع هذا فقد وُجدت لدى المعجميين الغربيين جهود معتبرة في التعريف بالمصطلحات والموضوعات؛ إذ أغلب جهود العرب المحدثين مرجعهم الأوّل هو معاجم الغربيين، خاصّة وأنّ العلم حسبهم ميلاده كان غريبًا على يد "دو سوسير"، فعندما نتحدّث عن مفهوم اللسان أو اللغة، فما حضرنا ملتقى وطنيا، أو دوليا، أو ندوات علميّة، أو طالعنا في كتبهم إلّا وجدنا تعريفات الغربيين والمستشرقين بكثرة، إن لم نقل تمثّل النسبة الأعلى في تقرير أفكارهم، علما أنّنا نقرّ بأنّ الغرب سبقوا إلى أغلب التنظيرات الوصفية للغة كموضوع للسانيات، وهذا ما جعلنا نقف عند تعريف اللسان في معاجمهم لنذكر الفواصل والقواسم المشتركة بين القديم والحديث، ففي (موسوعة لالاند الفلسفية) التي تُعدّ من أهم الموسوعات الحديثة ضمّت العديد من المصطلحات المتنوّعة، منها مصطلح اللغة واللسان حيث جاء فيها: "(Langue) لسان (لغة): تعبير لفظي عن الفكر، يتضمّن مصطلحا ونحوا محدّدين، ثابتين نسبيا، يشكّلان مؤسسة اجتماعيّة مستديمة، تفرض نفسها على سكّان بلد، وتظلّ شبه مستقلة عن ارادتهم الفرديّة"².

بعدها ذكر اللغة بمعانيها المتعدّدة (المعنى الحقيقي، والمعنى المستعمل، والمعنى الأوسع) جعل اللفظ بمعناه المستعمل مرادفا للسان، ولكنّه قيّده بالماضي، وفي هذا خروج عن الصّواب، خاصّة وأنّه انتقص منه بقوله: "اللغة

¹ - جعفر زروالي، مصطلح اللسان بين المفسّرين واللّغويين، مجلة مجمع اللغة العربيّة على الشّبكة العالميّة، الجزء 1، العدد 15، ربيع الأوّل 1439هـ/ نوفمبر - ديسمبر 2017م، ص 139.

² - أندري لالاند، الموسوعة الفلسفيّة، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1979م، ج2، ص 722.



ترادف اللسان (Langue) في الماضي، حالياً لم تعد تقال إلا على لغة الشعوب غير المتحضرة، أو على طرق كلام خاصة، مثل لهجة عامية لا تتميز بثبات اللغات الثقافية الكبرى وانتظامها¹.

وفي هذا النفي الذي ساقه بأن لفظ "لسان" لم تعد موجودة، وإن وجدت فهي لغير المتحضرين فيه انتقاص صريح وتوصيف غير حصيف، يرفضه المنطق السليم، فالواقع غير هذا، كما أنه جعل لفظ (اللسان) ينحصر في منطق اللهجات، وهذا إن صحّ فهو يعود على اللغة لا على اللسان كما شرحنا سابقاً.

وأما ما جاء في معجم لاروس (Larousse) الفرنسي فقد حدّد أمرين أثناء تعرّضه لمصطلح (Langue)، حيث بدأ بالتوصيف الفيزيولوجي على أنه عضو في جهاز النطق، فقال: "جسم سمين ممدود متحرّك، يقع في تجويف الفم، وهو عند الإنسان واحد من الأعضاء الرئيسة للكلام"².

وهذا نجده مماثلاً لما ورد في معجم "مقاييس اللغة"، وقد مرّ معنا، بهذا يكون اللسان بمفهومه الحقيقي هو العضو، ولما انتقل إلى تعريفه المستعمل في عُرف اللسانيين، قال: "هو نظام من الإشارات الصوتية، أو علامات محدّدة خاصةً بمجتمع ما يستخدمونه للتعبير عن أنفسهم أو في التواصل بينهم"³.

نستطيع أن نقول بأنّ أشهر معجم فرنسي قد تفتّن إلى حقيقة اللسان، وأنّه العضو الفاعل للإشارات الصوتية، ولم يفرّق بينه وبين اللغة، وإن كان في التعريف الأوّل لـ "لالاند" تفرّيقاً بينهما، وهذا فيه توضيح دقيق، يتوافق ومفهوم اللسان في العرف الماضي، وما تفرّق منه كان في حكم اللغة.

ويخلص "ماري نوال" (Marry nwall) في تعرّضه لمصطلحي (Parole/Langue) إلى اعتبار "دو سوسير" قد نجح في تقديم تعريف مهمّ للسان كونه قد استطاع تحديد موضوع اللسانيات: (اللسان هو نسق من العلامات)⁴.

فقد حدّد "سوسير" الموضوع العام الذي تتّجه إليه الدّراسة بالوصف وهو النسق العلاماتي، ويحيلنا هذا التّحديد إلى مفهوم النسقية التي تعتبر العلامات المترابطة وفق نظام خاصّ أو قواعد تركيبية محدّدة هي الموضوع

¹ - أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ج2، ص 721. (المرجع السابق)

² - Le petit Larousse illustré; Paris cedex 06, id: 1998, p 585.

³ - libid, p 586

⁴ - ماري نوال غاري بريو، المصطلحات المفتاح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهمم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007م، ص 64.



الأساس لبنيّة اللسان، وبما أنّه وصف لنسق من العلامات يترّك وفق نظام عُرفيّ مخصوص فإنّ ذلك يمنحه حكم اللسان وصفاً، ذلك أنّ الدّراسة عنده وعند تيار النّبويين عموماً يعتمدون على دراسة بنيّة النّصّ معزولاً عن قائله وعن كلّ ظروفه الخارجيّة ممّا يمنحه الاستقلاليّة المطلقة، ويصير بذلك لساناً إذا تحقّق فيه البيان المشروط سابقاً.

ومن جهة أخرى يمثّل الجانب العضوي الفاعل، فإذا قلنا ماذا يفعل اللسان؟ لكان الجواب بأنّه يُخرج أصواتاً وفق صفة محدّدة، حيث يحدث لغوا لا يكون له معنى في البداية ومنه اللّغة، ثم يكون كلاماً له قصد في التّواصل (التّخاطب)، وتعرّضه ظواهر لغويّة كثيرة كالحذف والإبدال والاستغناء، وهو ما فصّل فيه "الحاج صالح" في باب الاستعمال من كتابه (الخطاب والتخاطب)، وعليه يمكن اعتبار اللّغة مرحلة وسيطة قبل الكلام، وبعد الصّوت الناتج عن تحريك اللسان؛ أي: الصّوت، ثم اللّغة ثم عند استقامته على الشّروط اللّازمة يصير كلاماً.

أمّا الوصف كآلية من آليات التتبّع المنهجي فهو يقع على كلّ ما يخرج من اللسان من صوت، ولفظ، وتركيب تخاطبي، وقيدت التّركيب بالتخاطب نظراً للاستعمال اليوميّ للكلام.

رابعاً: مفهوم الإعلام الإلكترونيّ:

وقبل الحديث عن المعنى المناسب لهذا المصطلح بلفظيه، وجب الوقوف عند دلالة كلّ واحد منهما، حتى تجتمع الصّورة في الذّهن، ومن حسن المنهج العلميّ التّأصيل للأفكار بتتبّع حركة الألفاظ زماناً ومكاناً، حتّى يفرغ إلى ما وصل إليه، فكثيراً ما نسمع لفظ "الإعلام"، ولفظ "الإلكترونيّ"، في زمن التحوّلات السوسولوجيّة، والانخراط في جزئيات الحضارة العالميّة، فكان من الضّروري التّعريف على المصطلحات الحديثة التي يتركز عليها المجال، من قبيل الإعلام الجديد، أو الرّقمي، أو الإلكترونيّ كما سيحدّد.

1- الإعلام:

فإذا كان الإعلام في عمومهِ يعرض المعلومات والحقائق من باب إطلّاع الرّأي العام بما يجري من أحداث من أجل رفع مستوى الوعيّ الثّقافيّ لدى المتلقّين، فإنّ ذلك يجب أن يتمّ بطريقة بسيطة وواضحة، خالية من أيّ تعقيد أو تنميق، وبالتالي الموضوعيّة في العرض دون شخصنة المواضيع، وترك الحكم للجُمهور، علماً بأنّ عمليّة التبليغ تكون بمختلف الوسائل العصريّة ووظيفتها الأساسيّة هي تبليغ الحقائق بموضوعيّة، دون خلق الأكاذيب، أو تزييف للأحداث، هذا ما يجب أن تكون عليه.



أ- معجميا:

ورد لفظ "الإعلام" في معاجم العرب قديما بمادة [علم] وجاء فيه الكثير من المعاني التي يقتضيها السياق، ومن تلكم المعاجم التي سقنا منها المعنى المناسب الذي تتداخله أوضاع العصر "معجم لسان العرب"، فقد جاء فيه: "يُقَال: اسْتَعْلَمَ لِي خَبَرُ فُلَانٍ وَأَعْلَمَنِيهِ حَتَّى أَعْلَمَهُ، وَاسْتَعْلَمَنِي الْخَبَرَ فَأَعْلَمْتُهُ إِيَّاهُ"¹.

بعد تفصيل طويل استغرق فيه أربع صفحات وهو يعرض لمعاني (علم)، أورد منه معنى طلب معرفة الخبر، ويزيد "محمود سفر" توضيحا للمعنى اللغوي قائلا: "الإعلام في اللغة: التبليغ، ويُقال: بَلَّغْتُ الْقَوْمَ بَلَاغًا: أَيِ أَوْصَلْتُهُمْ بِالْشَيْءِ الْمَطْلُوبِ، وَالبَلَاغُ مَا بَلَغَكَ أَيِ وَصَلَكَ، فَفي الْحَدِيثِ: "بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"².

إيرادنا لتوضيح "محمود سفر" للمعنى اللغوي قد يعترض عليه بعض الباحثين؛ إذ الأصل أن نرجع في تأصيل اللفظ إلى العرب القدماء من المعجميين، فالعملية المنطقية تقتضي أن تكون الأقوال متقاربة المعاني فجاز تقديم اللفظ الأنسب للفكرة ولو على حساب القديم، لأن ما أورده "ابن منظور" في اللسان، نفسه ما وضّحه "سفر" في كلامه، فما زاده إلا تقريراً وتثبيتاً على المعنى المراد في عصرنا، فمقتضيات السياق الزماني أدت إلى حمل الأول على الثاني شرحاً وتعليقاً، وإلا كان الأول نفسه مدلول الثاني في المعنى العام.

أما استدلاله بالحديث فلا يبعد عن المعنى الذي جاء في (اللسان) فقلوه: "بَلَّغُوا" إذا بحثنا في المعجم النبوي لوجدناه محمولاً على التعليم، من قبيل: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" والمعنى؛ الخير في تبليغ القرآن بعد تعلّمه.

ب- اصطلاحاً:

الحديث عن مفهوم الإعلام الإلكتروني هو في مقدمة المفاهيم التي أفرزتها الثورة التكنولوجية المعاصرة، إلا أن هذا المفهوم عرف الكثير من التشتت والتفكك، فالبحث فيه غالباً يكون مشتتاً ومشوّهاً، ومشوّهاً بكثير من الغموض؛ بسبب عدم اتفاق علماء التخصص في الإعلام والاتصال على مفهوم مضبوط، بل حتى على وضع مصطلح دالّ مقصود، حيث تعددت المصطلحات وتداخلت المفاهيم، وبعضها يدلّ على بعض، وينفتح على روابط متشعبة لا يكاد الباحث المتخصص يهتدي إليها، إلا أنه يذكر كلّ التعاريف ويجتهد في التمييز بينها، والتحقق فيها بما تيسر له من أدوات منهجية، ولكن يبقى الغموض يكتنفها، والمسالك فيه وعرة، مما ينتج عن ذلك معرفة نسبية تقريبية لا

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص 418. (مادة علم) (المرجع السابق)

² - محمود محمد سفر، الإعلام موقف، مطبعة تهامة، السعودية، ط1، 1982م، ص 21.



تتسم بالدقة الموضوعية اللازمة، لذلك تعددت الاسماء والمسميات وهو ما نجده في التداخل الموجود بين مصطلحي "الإعلام" و"الاتصال"، فلا نكاد نجد دراسة إلا وتذكر الأول للدلالة على الثاني، والعكس، وهناك من حاول التفريق بينهما بحدود تكاد تكون دقيقة، وممن حاول التفريق "عبد الرزاق محمد الديلمي" قائلا: "ومن الملاحظ بأن كثيرا ما يستعمل مفهوم الاتصال مكان مفهوم الإعلام، ويحدث العكس... فالأصل لا يؤدي بالضرورة إلى الإعلام"¹.

وقبل الخوض في تعريف الإعلام ذاته، تجدر الإشارة إلى أنّ المفاهيم إنما تتشكل حسب سياقها الثقافي مكانا وزمانا، كحال أي علم من العلوم، وبما أنّ الإعلام تشكلت مفاهيمه حسب النظريات الغربية الفلسفية؛ فإن ذلك يصعب عملية النظر في مدارك القول ومخرجاته العلمية، ولكن مع هذا فقد حاول بعض الدارسين أن يضع تعريفا شاملا بحيث يجمع فيه كل ما كان وما استجد من النظريات، وبالاتماد على المنهج التأصيلي؛ فإن المصطلح ومفهومه يقتزن غالبا بالنظريات النفسية والاجتماعية، كنظريات التوازن المعرفي، ونظريات الاستخدامات والاشباع، والنظريات النقدية، والنظرية البنائية الوظيفية، والنظريات التعليمية، والتأثيرية². ومن هذه النظريات تشكلت نظريات الإعلام وهي أربعة "فقد أصبح للإعلام أربع نظريات هي: نظرية السلطة، نظرية الحرية، نظرية المسؤولية الاجتماعية، النظرية الشيوعية، ثم أضاف "مختار التهامي" إليها نظرية خامسة وهي المسؤولية العالمية"³.

وإذا كان هذا المجال اهتدى إليه الغرب بداية، فإنه من الصعب الوقوف على تعريف دقيق يجمع حقيقة اللفظ اصطلاحا نظرا لاتجاهات الدارسين المعرفية، ولكنها محاولات تقترب من الحد نوعا ما، وعند عرض بعض منها سيظهر الجمع حينها لمقاربة اللفظ، فقد جاء في تعريف "جورج ليندبرج" الأمريكي (George W. Lindberg) (1932م) بأنه: "التفاعل بواسطة الرموز والإشارات التي تعمل كمنبه أو مثير يثير سلوكاً معيناً عند المتلقي"⁴.

فذكره للفظ "التفاعل" الذي يدل على معنى التشارك يدخل في عموم علم الاجتماع، ولفظ "مثير" من ألفاظ النظرية السلوكية؛ وهي من النظريات النفسية المشهورة في المجال، وما يزيدها وضوحا لفظ "سلوك"، ومعلوم أن مثل هذه الألفاظ تدخل في علم النفس، وما لها من نظريات فلسفية تأسست على إثرها المدارس والاتجاهات الغربية، وهذا

1 - عبد الرزاق محمد الديلمي، المدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال، دار الثقافة، عمان، ط1، 2011م، ص 20.

2 - يُنظر: يوسف محمد، النظريات النفسية والاجتماعية في وسائل الاتصال المعاصرة والإلكترونية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط2، 2015م، ص 383، 384.

3 - محمود محمد سفر، الإعلام موقف، ص 27. (المرجع السابق)

4 - عاطف عدلي العبد، الاتصال والرأي العام، الأسس النظرية والإسهامات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993 م، ص 12



أدى إلى تأثيرها على الإعلام فكان لهذا التأثير نظريات خاصة به، ومنها جاءت التعريفات الكثيرة، ومما يلاحظ من التعريف الآن قد جمع بين (الرسالة) حين ذكر وسيلة التفاعل وهي "الرموز والإشارات"، وبين المرسل إليه/ المتلقي لها ذكر عامل الاستجابة من خلال المثيرات أو المنبهات الخارجية، ولكنه لم يركز على المرسل أو المنتج لهذه الرسالة وجلّ التعريفات في المجال هكذا، يولون اهتمامهم للموضوع والمتلقي دون النظر للمتحدث، وهذا نجده في أغلب التعريفات ومثله نجده عند الألماني (أوتجرت) إذ قال هو: "التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها ولبولها واتجاهاتها"¹.

وهو نفسه ما وجدناه في الأول لما قال "التفاعل بواسطة الرموز والإشارات" وهذا الثاني قال "التعبير الموضوعي" والتعبير يقتضي تلك الرموز والإشارات والموضوعية يقتضي التفاعل والتشارك في الأداء، وكذلك تركيزهما على المتلقي، فالأول ذكر "مثير يثير سلوكاً معيناً عند المتلقي"، والثاني كذلك أورد "عقلية الجماهير..."، فلفظ "ميول" و "اتجاه" يحيل إلى التأثير الإعلامي على الجماهير.

فإذا كان هذا عند علماء الغرب فهو تقريباً نفسه عند علماء العرب يركزون على مضمون الرسالة والمتلقي أو الجمهور ونوعه، جاء عن "عمار نجيب" في كتابه (الإعلام في ضوء الإسلام) بأنه: "كلّ نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات ووسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير سواء عبر موضوعياً أو لم يعبر سواء كان التعبير لعقلية الجماهير أو لغرائزها"².

يظهر أنّ في التعريف إضافة لعنصرين أساسيين مهمين على غرار التعريفين السابقين وهما إيراده "للأدوات والوسائل" أو ما يُعرف عند اللساني الغربي "رومان جاكسون" بـ "قناة الإرسال"، وبالإضافة إلى (المرسل) وذلك في عبارة دقيقة وهي: "بقصد التأثير"، وهذا التأثير لن يحصل إلا إذا امتلك المتحدث وسائل من شأنها أن تؤثر، ولفظ "تعبير" لا يتوظف إلا في حقل المتكلم/المنتج، وما يؤكد عنصر المتكلم من خلال التعريف هو حريته فقوله "سواء عبر..." ثم أعادها "سواء كان التعبير..." فتخييره في الموضوع وفي نوعه دليل على ضابط (الحرية) في الطرح، ودليل على وجود الشيفرة المتبادلة في القصد، فاجتمع لدينا في هذا التعريف ما كان في الأول من "الرسالة" و "المرسل إليه" بالإضافة إلى "المرسل" و "قناة الإرسال"، وكلّ رسالة لا بدّ لها من موضوع محدّد وهو ما يُعرف بالسياق، وشيفرة متبادلة ينتمي إليها الموضوع، وفي هذا يقول "جاكسون": "إنّ لكلّ عملية لسانية، ولكلّ فعل تواصلية ستّة عوامل

¹ - محمود محمد سفر، الإعلام موقف، ص 22. (المرجع السابق)

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها



أو مكوناتٍ وهي: المرسل والمرسل إليه والرسالة، التي تستلزم سياقاً تحيل عليه، وشفرات مشتركة بين المرسل والمرسل إليه، وتفترض كذلك قناة للتوصيل"¹.

2- الاتصال:

ومّا يقترب من هذا التعريف مصطلح "الاتصال" والذي نجده مستخدماً كثيراً في مجال "الاتصالات"، بل قد عُرف قديماً في كل الحضارات (المصريّة، البابليّة، الهنديّة، الاغريقيّة، اليونانيّة) ومُن اعتنى بدراسته الاغريق أولاً بوضع قواعده وأسسهِ "ويعُدُّ كوراس (corax) أوّل من وضع نظريّة في علم الاتصال في اليونان... وجاء أفلاطون وتلميذه أرسطو فوضعا دراسات حول فنّ الاتصال، وربط بينه وبين البلاغة، وقد توصّل إلى أنّ الاتصال فنٌّ أو صناعة يمكن تعليمها بالتمرين، وأنّه قائم بذاته"².

إذاً يرتبط الاتصال في مفهومهما بالخطابة وممارسة فنّ البلاغة والإقناع، ثمّ بدأ هذا المفهوم يتّسع ويتطوّر في أوروبا الغربيّة، بفضل الأبحاث المقدّمة في مختلف المجالات، في علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعيّ، وذلك بداية من القرن التاسع عشر، ومُنّ نخض بهذا المفهوم "أوغوست كونت" (ت 1857م)، و"دور كايم" (ت 1917م)، و"ماكس فيبر" (ت 1920م)، وغيرهم، فإذا كانت المعرفة تراكميّة فيفضل هؤلاء تمّ تحديد مفهوم الاتصال باعتباره نسيجاً اجتماعياً يحقّق التكامل بين الأفراد، ومن ثمة أصبح حديثاً يمثّل نظريّة مستقلة.

أ- معجمياً:

فقد جاء فيها أنّها مأخوذة من مادة [و.ص.ل]، والتي تعني "التحائم الشّيء بالشّيء، واتّصل الشّيء بالشّيء لم يَنْقَطِعْ وَصْلُهُ إِلَيْهِ وَأَوْصَلَهُ أَهْلُهُ إِلَيْهِ وَأَبْلَغَهُ إِيَّاهُ"³.

وجاء أيضاً في المعجم العربي الأساسي: "واتّصل الشّخصُ بالشّخصِ اجْتَمَعَ بِهِ أَوْ حَاطَبَهُ"⁴.

¹ - Roman Jakobson; Essais de linguistique générale; Paris; id: 2003; p 213 -216

² - فيليب بروتون، سيرج برو. ثورة الاتصال نشأة إيديولوجيّة جديدة، تر: هالة عبد الرؤوف مراد، دار المستقبل العربيّ، بيروت، 1993، ص 15. (مادة وصل).

³ - ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص 418. (المرجع السابق)

⁴ - المعجم العربي الأساسي، إعداد مجموعة من اللّغويّين العرب بتكليف من المنطقة العربيّة للتربية والعلوم الثّقافيّة، توزيع لاروس، (د.ت)، ص 1312.



ويتبين من خلال المعجمين القديم والحديث أنّ الأوّل اقتصر على طبيعة المادّة وهي الوصل وعدم الانقطاع، ومنه الإبلاغ، في حين الثّاني لا نجده يختلف عن الأوّل إلّا في لفظ "خاطبه" الّتي تدلّ على وجود خطاب في محلّ الاجتماع، وهذا من ذاك، إلّا أن مصطلح (الاتّصال) الأصل فيه على اعتبار ما يميّز به من خصوصية، ذو مفهوم حديث على الثقافة العربيّة فهو ترجمة من لفظ (Communication)، حسب ماكاي (D, M, Mackay) هي كلمة ترجع إلى (Communicatio)، الّتي تعني المشاركة Sharing أو التّوزيع Distributing، والمعنى العام لكلمة (Communicate): يتصل بـ (بشخص يتصل بشخص آخر)، كما تعني نقل المعلومات، وقد لخصّ دلالات الكلمة بالمعاني الآتية: الاتّصال بين طرفين، نقل المعلومات بين طرفي الاتّصال لغرض معيّن¹.

وجاء فيه أيضا (Commune) يحدث بطريقة وديّة، وكلمة (Communication)؛ تعني كذلك جميع وسائل الاتّصال مثل: التّلفزيون، التّليفون، البرق، الطّرق، Communio تعني بيان أو إعلان رسمي، في العموم فالكلمة في الإنجليزيّة قُصِدَ بها المادّة الّتي يمكن توصيلها وإبلاغها كالأخبار.

والمتّبع لأثر اللفظ سيجده قد مرّ على عدّة معاني حسب الاستخدامات، "ولقد كان لهذا التّطور الدّلاليّ لللفظ وما يزال أثر بالغ على التّيارات النّظريّة في علوم الاتّصال"².

وعند الرجوع إليه في الحاضر سنجدّه يتقاطع مع مفهوم الإعلام إذ كلاهما يحمل دلالة التّقل والإبلاغ في اللّغة.

ب- اصطلاحا:

فإذا كان لفظ (الإعلام) يتقاطع مع لفظ (الاتّصال) في المعنى اللّغويّ، وأصلهما واحد من حيث التّأسيس والتّنظير الغربيّ، فأول إشارة في التعريف نجدها عند "روبرت بارك" الّذي يقول عن الاتّصال أنّه: "عملية نفسية اجتماعية يكون الفرد من خلالها قادرا على تبني آراء واتّجاهات الطّرف الآخر إلى حدّ ما"³.

فهو يركّز اهتمامه على الجانب التّفاعلي كما مرّ في تعريف الإعلام من حيث كونه تفاعلا بين الأفراد المشاركين، وتأثير الجماعة على السلوك المنفرد وضّمّه إلى مؤسّسته نسبيا بفعل سلطة الجماعة، فلا يستطيع الفرد أن

¹ -Hinde E, R.A. Non-verbal communication, Cambridge at the university, Press, id: 1972; p 1,3.

² - هوغ، ليفيك، وآخرون، السّلطة والاتّصال، تر: نظر جاهل، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1991، ص 199.

³ - حمدي حسين، نظرية الاتّصال واستراتيجيات البحث في الدّراسات الإعلامية، مجلّة الإعلام، 1997م، ص 155.



يعيش برأيه منفرداً عن رأي الجماعة التي يعيش معها مما يضطرّ للدخول معهم في التفاعل المشترك، فكلُّ الغربيين تقريباً يجتمعون على هذا المفهوم، على أنه عملية تفاعلية مستمرة، وثيقة الارتباط بالسياق الاجتماعي، وبالتالي فهو يجمع بين عناصر الاتصال من خلال لفظ (عملية)؛ إذ العملية لا تكون إلا بوجود العناصر الكاملة في الاتصال، وهذا ما يؤكده "هارولد لاسويل" (ت 1948م) حيث يقدم منظوراً عاماً للاتصال قد جمع فيه ما جمعه في مفهوم الإعلام قائلاً: "إن عملية الاتصال يمكن توضيحها بالعبارات البسيطة التالية:

who says, what, in which channel, to whom, with what effect

من يقول، ماذا، وبأي وسيلة، ولمن، وما التأثير؟¹.

فإذا رجعنا إلى تعريف الإعلام السابق بعد تحليلنا للتعريفات التي أوردناه نخلص إلى نفس ما قدمه "لاسويل"، من محددات: من يقول؟ (إشارة إلى المرسل)، ماذا؟ (الموضوع أو الرسالة)، وكل رسالة لا بد لها من سياق وهذا معلوم، ولمن يقصد الطرف الآخر؟ (وهو المتلقي أو المرسل إليه)، وما التأثير؟ (درجة الإقناع)، وهذه الأخيرة "التأثير" لا تدخل ضمن العناصر الستة التي فصلها "جاكسون" كما مر معنا، إنما هو عنصر يتعلق بحقيقة الاتصال وجوهره وارتباطه بفنّ البلاغة والخطابة، قد يشترطه الدارسون لمعرفة مدى نجاح عملية الاتصال، وهو سؤال يرتبط بجوهر الاتصال لا بعناصره الستة.

وقد حاولت "جيهان رشتي" وضع تعريف جامع لكل الآراء السابقة لدى الغرب فقالت: "إن الاتصال هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي الرسالة (كائنات حية أو بشر أو آلات) في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات (المنبهات) بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرد، أو واقع معين، فنحن حين نتصل نحاول أن نشرك الآخرين، ونشترك معهم في المعلومات والأفكار، فالأصل يقوم على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء"².

ها هي تقدم وتصف حقيقة الاتصال على أنه عملية تفاعلية تكون بين متلقي الرسالة وهذا فيه تحقيق لعنصرين (الرسالة، والمرسل إليه) وقولها "في مضامين اجتماعية معينة" إشارة إلى السياق والشيفرة وبالتالي كل مضمون

¹ - برنت روبن، الاتصال والسلوك الإنساني، تر: نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية، جامعه الملك سعود، معهد الإدارة العامة، 1412هـ، 1991م، ص 72.

² - جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظرية الإعلام، دار الفكر العربي، ط2، 1978م، ص 52.



اجتماعي لا بدّ له من شرطين السّياق والشفرة، وعبرة "مشاركة المعلومات" هو نفسه الإعلام في تعريفه الّذي استوفت قرائنه واكتملت إلى حدود الاتّصال.

فالحاصل أنّ العلاقة بين الإعلام والاتّصال هي علاقة تقديرية تقريبيّة وظيفيّة، فإذا كان الإعلام هو النّقل للمعلومات وهذا النّقل يقتضي الاتّصال بالأفراد، فنستطيع القول بأنّ الاتّصال هو عمليّة تتمّ من خلال الإعلام، وإن شئت قل: الاتّصال هو نتيجة محصّلة عن الإعلام، فكل إعلام اتصال، وليس كل اتّصال إعلام، فقد يتصل المرء بنفسه، كأن يحدثها، أو يقاضيهها، كما قد يكون الاتّصال بينه وبين ربّه، بالخشوع والصدقات، والمنافع الحسنة، فهو اتّصال؛ ومنه سميت الصّلاة، لأنّها تواصل روحاني بين العبد ومعبوده، كما قد يكون الاتّصال مع الآخرين بغير قصد الأخبار، كأن يطلب شيئا، أو يستفهم، أو يتعجّب، أو غيرها من الإنشائيّات، فإذا خرجت من هذا كلّه وانحصرت في دائرة الخطابات صارت إعلاما بمقتضى المجال.

وهكذا بعدما فصلنا لفظ (الإعلام) وما يتقاسمه ضرورة مع لفظ (الاتّصال)، سنتعرّف عليه في حلّة جديدة بعد أن تطورت الوسائل، وانداحت على عصر جديد، عصر التّكنولوجيا والتّقنيات الحديثة، وأثناء تهافت النّاس نحو ما يُعرف بـ"الشّابكة" أو "الإنترنت" كمورد للمعلومات، كان من الطّبعي لوسائل الإعلام أن تتّجه نحو إصدار جديد للعرض المعلوماتي، ومن هذه الثّورة الرقمية الحديثة تجاوب معها الدّارسون بوضع تعريفات خاصّة بهذا النمط الإعلامي الجديد، فقد عرفوها على أنّها: "عبارة عن تكامل تكنولوجي بين أجهزة الحاسبات الإلكترونيّة، وما تملكه من إمكانيات هائلة في تخزين وتنسيق وتبويب وتصنيف المعلومات، والمضامين الإخبارية واسترجاعها في ثوانٍ معدودات، وبين التطور الهائل في وسائل الاتّصالات الجماهيرية المختلفة، الّتي جعلت العالم قرية إلكترونية صغيرة"¹.

وجاء أيضا في تعريفه أنّه: "منشور إلكتروني دوريّ يحتوي على الأحداث الجارية سواء مرتبطة بموضوعات عامّة أو بموضوعات ذات طبيعة خاصّة، ويتمّ قراءتها من خلال جهاز كمبيوتر، وغالبا ما تكون متاحة عبر شبكة الإنترنت لذلك فإنّ المفهوم يدخل في إطاره مفهوم استمرار الجريدة والإعلام على الخطّ"².

من خلال التّعريفين اللّذين يقدّمان حقيقة الإعلام عبر الوسائل الإلكترونيّة يبدو أنّه تكامل بين الوسائل الرقمية كالحواسيب والهواتف وبين المعلومات المقدّمة والإعلام بها، حيث كانت هذه الأخيرة تقدّم بوسائل بسيطة

¹ - عبد الأمير الفيصل، الصّحافة الإلكترونيّة في الوطن العربيّ، الشّروق، عمان، ط1، 2005م، ص 78

² - محمد منير حجاب، وسائل الاتّصال "نشأتها وتطورها"، دار الفجر للنّشر والتّوزيع، مصر، ط1، 2008م، ص 132، 133.



كالمجلات، والجرائد، والمنشورات، وكانت بطيئة الانتشار، وقد لا يلحق الخبر إلى نسبة كبيرة من شرائح المجتمع الواحد، وبفضل الإنترنت أصبحت الأمور التقليدية مدمجة في الأجهزة الحديثة، فنجد الجرائد الإلكترونية، والمجلات الإلكترونية، وغيرها من المنشورات الإلكترونية، وهذا ما أكدّه "زيد سليمان" بقوله: "هو نوع جديد من الإعلام... يعتمد بشكل رئيسي على شبكة الإنترنت التي تتيح للإعلاميين فرصة كبيرة لتقديم موادهم الإعلامية المختلفة بطريقة إلكترونية بحته دون اللجوء إلى الوسائل التقليدية، كمحطات البث الإذاعي، والتلفزيوني، والمطابع وغيرها، بطرق تعتمد على الجمع بين النص والصوت والصورة، وترفع الحواجز بين المتلقي والمرسل"¹.

وعدم سوقنا لتعاريف علماء الغرب بسبب قربها مما أوردها، فلا اختلاف بينها وبين تعريفات الباحثين العرب، ولذا اختصارا لكثرة الكلام الذي قد يرمي بالموضوع بعيدا عن أصالته وجودته تركنا كثرتها، فقد رأينا ثلاثة تعريفات كلّها تصبّ في مسيل واحد، وهو الجمع بين الوسائل القديمة والحديثة في نقل المعلومات.

وكما تعددت التعريفات، تعددت أسماؤه؛ أي الإعلام الإلكتروني، وهي في الأخير تلتقي على أمر مشترك، من بين التسميات التي أطلقت عليه، (الإعلام الرقمي) كما سماها "محمد عبد الحميد"² وكثيرون يفضلون هذا، وأطلقوا عليه كذلك اسم (الإعلام التفاعلي) باعتبار خصائصه لا باعتبار أصله كما عند "حسنين شفيق"³، وأيضا سمي باسم (إعلام الوسائط التشعبية) أو (الفائقة) (hypermedia)، ويشير المفهوم إلى أن النص المترابط أو الفائق (hyper text) الذي يعدّ أساس التّجول داخل شبكة الويب العالمية (www) على وجه الخصوص، لطبيعته المتشابهة، وإمكانية خلقه لشبكة من المعلومات المتصلة مع بعضها بوصلات تشعبية، كما يطلق على بعض تطبيقاته إعلام الوسائط المتعددة⁴؛ لوصف تقنيات الأجهزة والبرمجيات الحاسوبية، وهو أيضاً (الإعلام الشبكي الحي) على خطوط الاتّصال (online media) بالتركيز على تطبيقاته في الإنترنت، كما يطلق عليه صفة إعلام المعلومات (info media) للدلالة على التّزاوج داخله بين الكمبيوتر والاتّصال، وكان في مؤخرة الاسماء زمانيا قد سمي

¹ - زيد منير سليمان، الصحافة الإلكترونية، دار أسامه للنشر، ط1، 2009م، ص 11.

² - يُنظر: محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م.

³ - يُنظر: حسنين شفيق، الإعلام الجديد والجرائم الإلكترونية، دار فكر وفن، 2015م.

⁴ - يُنظر: لؤي الزعبي، الوسائط المتعددة، الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، 2020م، ص 6 إلى 9.



بـ(الإعلام الجديد) وهو عنوان لكثير من المراجع الحديثة كـ(الإعلام الجديد) لحسين شفيق. وكذلك كتاب (الإعلام الجديد "المفاهيم، والوسائل، والتطبيقات") لصاحبه عبّاس مصطفى صادق وهلمّ جرّاً.

كما يطلق على الإعلام الإلكترونيّ (إعلام العولمة) ويعرّف على أنّه: "سلطة تكنولوجيّة ذات معلومات معقّدة، لا تلتزم بالحدود الوطنيّة للدّول، إنّما تطرح حدوداً فضائيّة غير مرئيّة، ترسمها شبكات اتّصالية معلوماتيّة على أسس سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة وفكريّة، لتقديم عالماً من دون دولة، ومن دون أمة، ومن دون وطن"¹.

فقد اقترن مفهوم الإعلام الإلكترونيّ بأجهزة الحواسيب ومختلف الوسائط الرقميّة، فخصائصها وتأثيراتها بدت ظاهرة على الأهم، إذ إنّ تعدّد المفاهيم واختلاف المسمّيات تعكس بالضرّورة منطقيّة تعدّد وتنوّع الخصائص التي يتميز بها الإعلام الإلكترونيّ، فهو تفاعليّ ورقميّ وجديد وتشعبيّ وشبكيّ وعولميّ، كلّها تطرح فكرة حسب خصائصه المختلفة، وبذلك لا يمكن وضع فواصل دقيقة لتحديد مفهوم واحد مشترك بين جميع الدّارسين، مما يجعل الأمر في حكم الاجتهاد لكثير من المسائل التي دارت قديماً وحديثاً، دون تعصّب لأيّ رأي؛ لأنّ المنطلقات تختلف حسب الرّؤى، كما اختلفت المناهج حسب الظّواهر الموصوفة، فإذا كنّا بصدد المقارنة بين الإعلام التقليديّ والجديد سنذكر خصائص كلّ واحد منهما، وبالتالي سينتج المفهوم انطلاقاً من الخصائص فيكون تشعبيّ، وعولميّ، وشبكيّ...، وهكذا تصورات البحوث تبقى رهينة الذاتية دائماً.

خامساً: التعريف بمدونة الشّروق (أون لاين)²:

المقصود من تعيين المدوّنة المقترحة هو النّظر في واقع اللّغة العربيّة من خلالها، وتوصيفها وتحليلها تحليلًا لغويًا ومنطقيًا من أجل الإقتراب من فكرة الصواب اللّغويّ³ والدّلاليّ والتداولي، وبما أن "الشّروق" قناة معروفة لدى المتلقّي الجزائري، فإن النّظر في برامجها التي تُبثّ عبر الوسائط والوسائل الإلكترونيّة المختلفة عن طريق الشّابكة (الأنترنت)

¹ - عبد الملك الدناني، البثّ الفضائيّ العربيّ وتحديات العولمة الإعلاميّة، المكتب الجامعيّ الحديث، الإسكندريّة، 2006م، ص 268.

² - www.youtube.com/@EchoroukTVOfficiel.

³ - هذه الفكرة إن لم نخدم المنهج الوصفيّ، إلّا أنّه يقضي باقتراح المناسب للظّاهرة الموصوفة على سبيل التجوّز، ومثل هذا قال عنه "أيوب السبعان": "أمّا فكرة التّقويم والتصويب فتأتي في مقام التعليق والمناقشة والموازنة". (يلى خلف أيوب السبعان، قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1435هـ، 2014م، ص 16).



مباشرة، هو من الضرورات العصرية التي تفرضها العولمة، فعلى الباحث اللساني أن يواكب تفاصيل التطور الحضاري الزاهن بتحليل مستمر للعينات ليصل إلى واقع الظاهرة في صورتها التفصيلية.

ولا يخفى علينا أن الشُّروق (أون لاين)، هي قناة جزائرية تعرض مختلف البرامج في كل المجالات، بما فيها مجال العلم كالطب والهندسة والتكنولوجيا، ومجال الدين الذي يناقش مسائل العصر، ومجال الثقافة الواسع، ويقدمها نخبة من الإعلاميين البارزين، والمالك لها هو المجمع الشُّروق للإعلام والنشر، أما مديرها الفني فهو "رشيد فضيل"، وكان أول انطلاق بثها في اليوم السادس من شهر مارس سنة 2011م، حيث تتواجد بالقبة الجزائر العاصمة، وما يزال عطاؤها متوصلا إلى الآن¹.

أما عن الأشرطة التي أخذناها من كل حصة حددنا مدرجها الزمني ما بين سنة 2019م، إلى 2025م؛ أي فترة ست سنوات، حيث تتميز الأشرطة في هذه الفترة بأنها مواضيع جديدة وحصرية، خاصة في ظل انتشار وباء كورونا القاتل، وإقبال الناس على مطالعة الأخبار، ومشاهدة الأقدار، من خلال وسائل الأقمار، لتجنب ما يقع من الأخطار.

¹ - [http:// ar .wikipedia .org /wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki), It was viewed on: 22/08/2022 at: 11:04.

فَصْلٌ ثَانٍ

الْخَصَائِصُ الصَّوْتِيَّةُ وَاللُّزَكِيَّةُ

لِبْنِيَةِ الْخَطَابِ الْعِلْمِيِّ عَيْنَاتُ

مِنَ الشُّرُوقِ "أُونُ لَايْنُ"

مطلب أول: الدرسُ الصَّوْتِيُّ بَيْنَ حَقِيقَةِ التَّشْكِْلِ وَوَقَاعِ

الاسْتِعْمَالِ

مطلب ثانٍ: الدرسُ الصَّرْفِيُّ بَيْنَ حُدُودِ الْكَلِمَةِ وَمُنَوَالِ

الْلَفْظِ

مطلب ثالث: الدرسُ النَحْوِيُّ فِي إِطَارِ نَظَرِيَّةِ الْقَرَائِنِ

وَحَدَثِ الْمَوَاضِعِ

فصل ثانٍ: الخصائص الصوتية والتركيبية لبنية الخطاب العلمي عيّنات من الشُّرُوق "أون لاين"

عرفت اللسانيّات في تحليلها للغة عدّة مناهج ونظريات تجاذبتها تيارات من مختلف دول العالم، وأنشأت لها جهازاً مصطلحياً خاصاً، كما تميّزت بالمنهجية الصارمة في تعميق مدارك التحليل والتفسير، وكلّ دارس لهذا العلم بات يعرف مدارات التحوّل الذي حظيت به تلك النظريّات والمناهج اللسانية الحديثة، إلّا أنّه مع هذا التقدّم والتطور ما زال العلم يعرف الكثير من التشتّت المعرفي، والتذبذب المنهجي للتطبيق اللسانيّ، ممّا أدخل الحيرة في نفوس اللسانيّين، وجعلهم يتقاضون صناعة العارف بما لا يعرف، واختلفت الرّؤى وتباينت الأفكار، وتداخلت الأقوال، ممّا زاد الدّرس اللسانيّ الحديث غموضاً وبُعداً عن مقصد الوصف للنماذج الخطابية، بيد أنّ الإجماع وقع على تاريخيّة الوثيقة اللسانية في الاهتمام العام بالأصوات اللّغويّة، باعتبارها وحدةً أساسية في تشكّل المظهر العامّ للّسان، ثم انداح الدّرس اللسانيّ في مرحلة متقدّمة على معرفة مستوى آخر وهو المفرداتيّ، وموضوعه تتبّع الكلمات وجمعها، بوصفها وحدة لغويّة ذات شكل محدّد، تحمل دلالة خاصّة، وقد عرّفه اليونانيون من خلال صناعة المعاجم، وكحال أيّ أمة صنّعتها تنتقل إلى غيرها، فقد عرفه كذلك الرّومان، وتوسّعوا في وصف مباني الكلمات ومعانيها.

ولم يلبث الأمر زماناً حتى تجاور الدّرس الصّرفيّ عضداً بعضد مع الدّرس المفرداتيّ، بل أصبح أحد وجوه هذا الأخير في الحضارة العربيّة الإسلامية، كما أنّ علم الصّرف كان مختزلاً في الدّرس النّحويّ الذي يُعدّ من أعظم الدّروس اللّغويّة اهتماماً لدى المتقدّمين، ولم يفرّقوا بينهما إلّا في إشارات نصيّة عامّة، ثمّ استقلالاً بعد فترة، فكان الصّرف ينظر للكلمة نظر الأوزان والصّيغ، والنّحو يبحث في أشمل من ذلك وهو الجملة، باعتبارها مجموعة من الكلمات مجتمعة في سياق معيّن.

وهذا الأخير الذي عُرف بعلم النّحو أساس كلّ مسألة لغويّة، وحوله ألّفت الكتب والرّسائل والأطروحات، سواء تعلّق بالشّق العلميّ المقصود بالتنظير للقواعد النّحويّة بحثاً وتأصيلاً، أو ما تعلّق بالشّق التعليميّ المنوط باكتساب مهارة الكلام، ومحاولة اللّحاق بأهلها المتكلّمين بها على وجه تستقيم عليه صناعة اللّغة أداءً.

ولكن أثناء مطالعاتنا المستمرة أجدني في استغراب بحثي سليل، إذ مباحث علم النّحو قد أرهقت الدّارسين بحثاً عن حقائق جزئيّة وكليّة أراها كانت سبباً في تشتّت الدّراسات اللسانية الحديثة، ممّا أدّى إلى ظهور العديد من الآراء تقضي بضرورة مراجعة منهج النّحاة القدماء في تعاطيهم لمسائل النّحو، حيث جاء ما يُعرف بـ"نحو النّص"؛ أي توسيع موضوع النّحو حتّى يتناول النّص كلّّه، وهذا جعل الكثير من القضايا يُعاد النّظر فيها ممّا أنشئت مصطلحات

جديدة، وتغيّرت أغلب المباحث، وأصبح يُنظر للنحو على أنّه: "جهاز القواعد البنيويّة للغة، يبني على مجموعة من قوانين تُعرف بالاحتمالات وهي التي تحكم نظم الكلمات"¹.

ويمثّل هذا الاتجاه "زليغ هاريس" Zellig harris (1909م/ 1992م)، كأول من تكلم عن انتظام العلاقات النحويّة في تأسيس النّصّ، وقَدّم تحليلاً كافياً في مقاله الموسوم بـ: (تحليل الخطاب) الصّادر سنة 1952م، وليس هذا محلّ بسطه، إنّما أشرت إلى هذا الاتجاه الجديد في معالجة النّحو حتّى نؤسّس للحضور الغربيّ في مجال يُعتبر ذا خلفية غربيّة بامتياز وهو اللّسانيّات، ولا نستطيع أن نوهم أنفسنا إذا قلنا بأنّ السّبق في هذا العلم بمفهوماته التي وردت كان للعرب.

ثمّ تلتها دراسات أخرى اعتمدت الوصف النّحوي للنصوص ومن أشهرها عمل "مايكل هاليداي" و"رقية حسن" من خلال كتابيهما: (الأنساق في الإنجليزيّة) "Cohesion in English" الصّادر سنة 1976م، ويعتبر مرجعا ضروريّا لكلّ الأبحاث التي جاءت بعده، إذا تحدّثنا عن الأدوات الإجرائيّة التي تساهم في عمليّة التحليل، وهي وسائل الأنساق من قبيل: "التكرار، والإحالة، والحذف... الخ، وإن كانت هذه الوسائل موجودة عند العرب قديما، إلّا أنّها في سياقهم الثّقافي كان أغلبها تحت مبحث من مباحث البلاغة وهو علم المعاني.

كما عرف النّحو تطوّرا آخر يبحث عن وظائف الكلمات في التّركيب وليست الدّلالة المعجميّة كالبحت عن الفاعليّة والمفعوليّة والإضافة، وهو ما يُعرف بالنّحو الوظيفيّ الذي تباينت حوله الرّؤى والتّوجّهات، ومنهم من استشكل حضوره واعتبره فوضى معرفيّة تحصل في عصرنا، ومنهم من أعطى له قدرا مقدورا بتجليّة مصطلحاته، وتجاوز عتبة الخلاف، ومهما يكن فإنّ بعض اللّسانيّين العرب المحدثين تفرّغ لمثل هذه الإشكالات، وحاول أن يستفيض فيها، ويعطيها قسطا وافرا من البحث المتأنّي لعلّه يثمر بنتائج تواكب روح الحداثة، وشروط المعرفة من أمثال "أحمد المتوكّل".

ومن أبرز اللّسانيّين العرب الذين كان لهم الصّدى الأعظم، والحظ الأوفر في تلقّي إنجازاته بالنّظر فيها والتّحقيق والنّقد لاجتهاداته "تمام حسّان"، وذلك بمراجعاته الخطيرة التي قدّمها حول الثّراث النّحوي العربيّ، وأعتبرها محاولة نحر وانتحار لما كان مسلّما به طيلة القرون الماضية، ومما شدّني في دراساته الجديّة وجرأته العلميّة في اختراقه لكلّ ما كان معلوما ومحسوما ومقتولا بحثا؛ إذ أدخل النّحو العربيّ في حوار مباشر مع اللّسانيّات الحديثة، وعلى إثر هذا تعرّض

¹ - Zellig harris; Language and information, Columbia University Press, New york 1988, p 81

لانتقادات كثيرة، وهذا حال كل باحث أقدم على اختراق القديم، وإنشاء الجديد بعقلية حدائثية من أمثال "عز الدين مجدوب" في كتابه (المنوال النحوي)، ولكن يبقى اجتهاده محفوظا ومحفوظا بالحجج الكافية التي تؤهله لأن يكون أحد اللسانيين البارزين في مجال تقييم التراث النحوي العربي، ومن حسن العبارة منه رأينا يفرق بين ما يُعرف بالنحو والتركيب باعتبار أن الأول "لا يمس معنى الجملة في عمومها لا من الناحية الوظيفية العامة كإثبات والنفي... ولا من الناحية الدلالة الاجتماعية التي تبني على اعتبار المقام في تحديد المعنى"¹.

وأراد بذلك أن يقول بأن النحو الذي عناه النحاة القدماء لا يهتم بوظيفة الجملة من تقرير الأحكام واقعياً، بل يكفي بالبحث عن القرائن اللغوية اللفظية التي تربط أجزاء النص، وإن كانت العلامة الإعرابية لا يمكن تحقيقها إلا بالمعنى، غير أن المعنى ليس هو الوظيفة التي تقوم عليها الجملة، فنحن نعرف أن الرفع علامة الفاعلية في أغلب النماذج الاسمية في النحو، إلا أن الفاعلية ليست وظيفة حقيقية، وهو يقصد بالوظيفة؛ أي **تعليل دلالة الفاعلية** في الجملة وفق التركيب الإسنادي المحقق زمانياً؛ أي أن يحصل التفاعل النحوي أثناء التواصل في موقف محدد هذا من جهة وأغلب هذا المبحث يكون مرتبطاً بفرع من فروع علم البلاغة وهو علم المعاني، ومن جهة أخرى علاقة هذا الفاعل بالسياق المقامي؛ أي لماذا حددنا هذا الفعل عن غيره من الأفعال؟ ولماذا حددنا عين الفاعل من غيره؟، فحسبه لا بد من مناسبة جعلت الجملة تقف موقف الحدث الجوهري لا العارض بالتمثيل.

أما فيما يخص التركيب فقد علّق قائلاً: "دراسة النحو كانت تحليلية لا تركيبية"². وهذا ما فصله في نفس الصفحة أثناء كلامه عن حقيقة النحو عند القدماء من العرب، فقد اعتبر النحو له وجهان وجه يتعلق بالتحليل ويكتفي فيه بمكونات التركيب لا التركيب نفسه، ووجه يخص التركيب ذاته وهذا ما وضّحه أكثر في قوله: "لم يُعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو وهو الجانب الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية والمباني التي تدل عليها"³.

وهكذا نجد "تمام حسّان" ينظر للنحو من وجهين: الأول مؤدٍ إلى الثاني بالضرورة، وهو على علم أن الثاني قد اختصّه العرب القدامى بعلم المعاني لا بالنحو ذاته، ويريد بذلك أن يجمع بينهما في صورة تكثيفية تكاملية لا يمكن

¹ - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص 16.

² - المرجع نفسه، ص 16.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

الفصل بينهما، وذلك من خلال دراسة النَّحو دراسة تركيبية تتعدى دراسة الأجزاء إلى الكليات، ومنه البحث عن منطقيّة العلاقة الإسناديّة في شكل تعليل تمّده له نظريّة تظافر القرائن، فإن كان النَّحوي القديم يعمل على تحرير المعاني وتمييزها، والبلاغي يعمل على النَّظر في تعليل هذه المعاني؛ فإنَّ اللَّغويّ المعاصر يصنع بينهما تكاملاً وظيفيّاً. وبما أنَّه اجتهد في الجمع بين علم النَّحو وعلم المعاني على ما جاء في قوله: "إنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قَمّة الدِّراسة النَّحويّة أو فلسفتها"¹. واعتبر علم المعاني نخو من النَّحْوِ [الأنحاء] قائلاً: "وصيّره كالنَّحو صناعة مضبوطة (Exact system) لا منهجا ذوقياً للنقد الأدبي"².

وعليه كان استقرار فصلنا هذا على ضوء ما عرضناه مناسباً لوضع العينات التي اخترناها من مدونة "الشُّرُوق أون لاين الجزائرية"، للنَّظر فيها وتحليلها تحليلاً لغويّاً وفق مستويات التَّحليل اللَّغويّ (الصَّوتي، والصَّرفي، والنَّحوي)، ولم يكن التَّحليل معتمداً على النَّحو بمفهومه القديم العام والذي طبَّقته أغلب الدِّراسات المشرقيّة³، ولا مستنداً إلى الدِّراسات الغامضة في تطبيقاتها الرَّمزيّة المنطقيّة في توصيفاتها⁴، والتي احتضنتها أغلب الدِّراسات المغاربيّة، وإمّا كانت المعالجة بينهما، قاصدين طريقة معتدلة متّزنة يسلكها المبتدئ قراءة، والمتخصّص نقداً، جمعا بين اجتهادات "الحاج صالح" و"تمام حسان" في تقديم طريقة جديدة للتَّحليل التَّركيبيّ كما سنرى، حيث سيكشف هذا الفصل عن الخصائص التَّركيبية التي إمّاز بها الخطاب الإعلامي الإلكترونيّ عن غيره من الخطابات الإعلاميّة غير الإلكترونيّة؛ إذ "هذه الخصائص مبان للمعاني، والمعاني غايات لها"⁵. وليس هذا فحسب بل ستختبر الكفاية التَّحليلية للوسائل النَّحويّة التَّركيبية في قدرتها على مكاشفة اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام الإلكترونيّة من خلال "كفاءة طرقها التَّركيبية ما يبدو في الجهاز الصَّرفي وفي التَّعليق النَّحوي"⁶.

1 - تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 18. (المرجع السابق)

2 - المرجع نفسه، ص 19.

3 - يُنظر: محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي - دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتّصال -، دار النشر للجامعات، مصر، ط 1، 2005م.

4 - يُنظر: عبد القادر فاسي الفهري: اللّسانيات واللّغة العربيّة، دار توبقال، المغرب، ط 1، 1985م.

5 - تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 29. (المرجع السابق)

6 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فَصْلٌ ثَانٍ

الْخَصَائِصُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْزَكِّيَّةُ

لِبْنِيَةِ الْخَطَابِ الْعِلْمِيِّ عَيْنَاتُ

مِنْ الشُّرُوقِ "أُونْ لَايْن"

مطلب أول: الدرس الصوتي بين حقيقة التشكيل وواقع

الاستعمال

مطلب أول: الدرس الصوتي بين حقيقة التشكّل وواقع الاستعمال

الهدف من هذا الدرس التحليلي للغة هو معرفة عمل النص المنطوق/ المسموع، والعناصر الفاعلة فيه على مستوى المقاطع الصوتية، فمن خلال النطق تأتي حركة الخطاب وهذا في علم الأصوات¹، حيث يُنظر فيه إلى المخارج الصوتية، بتتبع حركة الجهاز النطقي وآثاره السمعية، وتسجيل صفاته، وهو أصل الدراسة الصوتية التي تعتمد على الملاحظة الصرفة دون تجريد مسبق؛ أي دون وضع فرضيات يسير عليها الباحث في التجريب، فيكفي أن يسجل ما يسمعه من فوارق صوتية مخرجا وصفة وفق ما يُعرف عند "تمام حسّان" بـ"القيم الخلاقية" وعند "الحاج صالح" بـ"القيمة الإيجابية والسلبية"، ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ مفهوم (علم الأصوات) قد عرف الكثير من التوجّهات والتعريفات، حسب مرجعيات وخلفيات أصحابها، فمنهم من يعرفه من بُعد نفسي، ومنهم من يربطه بالعلوم الطبيعية ويعتبره فرعاً منه²، ومنهم من اعتبره علماً عاماً يدرس الأصوات دراسة شاملة³، ومنهم من يجعلها بمعنى واحد تحت مصطلح الفنولوجيا⁴، ومهما يكن من تعريفات ومن اختلافات، فإنّ ما ذكره "تمام حسّان" من تصويب وتوجيه يُعدّ الوجه الأرجح، وهو الذي سار عليه أغلب المعاصرين من اللسانيين باعتباره علماً له محدّداته المنطقية؛ إذ ينطلق من خاصية التلفظ، ومن سماتها "الصوت" باعتباره شيئاً فيزيائياً يخرج من عضو خاصّ ويستقبله عضو آخر مخصوص بالآثر؛ أي هو حدث منطوق بكيفية مخصوصة من منظور إنتاجي، وله مستقبل من منظور تأثيري (البحث عن الكيف).

إنّنا نجد في حركة الأعضاء النطقية ما يُصدره من أصوات قد تتجاوز حدود المنظور كتابة، والمعقود رسماً، كما لا يمكن التسليم بتكليف عضلي واحد للجهاز، فالدراسات التي تقتصر على وصف الأصوات وصفاً كيفياً عامّاً، فهو من باب الإقتراب من حقيقة الشّيء، وإن كانت الأمانة العلمية تقتضي ضرورة الوقوف على التفاصيل؛ ولذا فإنّ الصوت الواحد يتعدّد ويتشكّل في صُورٍ أدائية كثيرة، فنجد "للّام" أنواعاً كثيرة في الفصحى تبعاً للحركة، منها اللّام المغلّظة في (رواية ورش إذا كانت مفتوحة نحو: ظلّم، يصلّونها...)، وفي (رواية حفص) يكون صوتاً متوسطاً، ومنها

¹ - أول من استخدم المصطلح "علم الأصوات" هو "ابن جني" حيث قال: "ولكن هذا القبيل من هذا العلم؛ أعني (علم الأصوات) والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم". من كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تح: حسن هنداي، دار القلم، دمشق، 2010م، ج1، ص 9.

² - ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، د.ط، القاهرة، 1997م، ص 46.

³ - المرجع نفسه، ص 68.

⁴ - المرجع نفسه، ص 69، 70.

لغات القبائل تصنيفا، واللام في لهجات البلدان العربيّة حديثا متنوّعة وهكذا؛ وعليه فإنّ للصّوت الواحد أكثر من صورة من حيث الأداء، يقول "الحاج صالح": "هناك كميّات لا تُحصى حسب الأقاليم واللهجات وحسب الفرد، لأنّه لا تثبت أحواله في مخاطباته مع غيره على حالة واحدة في حياته اليوميّة"¹.

ومن هذا القول تتّضح معالم الصّوت الواحد أداءً، فمنها ما يكون من تنوّعات لهجيّة مرتبطة بالأقاليم، وأخرى تنوّعات فرديّة، إما انحرافات صوتيّة أو أمراض كلاميّة كاللّثغة" وقد جُمعت في (قُل سِرْ)، وإمّا لسمة أسلوبيّة تتحكّم فيها عوامل نفسيّة واجتماعيّة خاصّة، ولكنّها في النهاية يُجمع بين هذه الأصوات الفرعيّة على اختلاف الأداءات على عنوان أو مجموعة واحدة وهي مفهوم "الحرف"، ف"الحاج صالح" يفرق بين الحرف أو ما يُعرف بالفونيم وبين الصّوت فيقول عن الأوّل أنه: "جنس من الأصوات"² ويقول في الثّاني: "الصّوت النّاتج عن كميّة معيّنة في تأدية وحدة صوتيّة في وقت معيّن"³.

كما اعتبر المتأخّرون الدّراسة الصوتيّة فرديّة؛ أي كلّ فرد له مخارجه الخاصّة به، ومنه تغيّر في الصّفات وفق كلامه (منجز فرديّ)، وهو ما ذهب إليه "تمام حسن" قائلا: "إنّ دراسة الأصوات إنّما تقوم على أساس فرديّ لا جمعي"⁴. ومنه يُتخذ وصفا محدّدا للصّوت، تبعا للهواء الذي يمرّ في الجهاز كميّته وكثافته واتجاهاته، فإذا كان الهواء المنبعث من الرّئتين غير منحسب أو معترض؛ فإنّ الصّوت له صفته الحرّة ويكون رخوا، وإذا اعترضه شيء من الأعضاء يكون شديدا، أو قد يُضيق عليه في منطقة ما من الجهاز فيكون متوسطا ومركبا، وبالتالي فهو "اضطراب اهتزازي للهواء، كما قال علماؤنا قديما، إنّهُ تمّوج الهواء أو كميّة تعرّض الهواء عند التّموج، ويمكن أن تُرسم هذه التّموجات أو الاهتزازات بأنواع كثيرة من الآلات"⁵.

كما أنّ هذا الضّابط في تحديد الصّفة ليس ثابتا في التّبويب، فقد يكون بضابط آخر؛ إذ تتحدّد صفة الصّوت بسبب اهتزاز الأوتار الصوتيّة فيكون مجهورا أو مهموسا، أو حسب شكل حجرات إصدار الرّنين فيكون مفتحا أو مرققا، وإنّما يُعرف هذا بدقّة الملاحظة، والخبرة اللاّزمة، أو الأجهزة الدّقيقة، أو المعامل الخاصّة التي تستطيع تمييز

1 - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، دار موفم للنّشر، الجزائر، ط1، 2007م، ج2، ص 244، 245.

2 - المرجع نفسه، ج1، ص 283.

3 - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، دار موفم للنّشر، الجزائر، ط1، 2007م، ج1، ص 196.

4 - تمام حسن: مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط1، 1990م، ص 68.

5 - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج1، ص 270. (المرجع السابق)

الفوارق الصَّوْتِيَّةُ، والعامل الرسمي فيه، وهذا ما قام به "تمام حسان" وهو يستملي قصصا من أحد العدنانيين، وبعدها قام بدراستها في معمل الأصوات في لندن، وقد توفَّر له ما لم يتوفَّر عندنا، وقد كان أغلب ما توصَّل إليه نتائج جد مرضية حتى إنَّه كان يقول: "وكنْتُ إذا تمَّ التسجيل أدركت هذه الأسطوانات جملة جملة، وربما كرَّرت إدارة الأسطوانة للجملة الواحدة عشرين أو ثلاثين مرَّة أو أكثر حتَّى أحصل على الأثر الصَّوْتِي المرضي"¹.

فإذا كان "تمام حسان" استطاع بفضل الأجهزة الَّتِي اعتمد عليها من قبيل: "البلاتو غرافيا" ومعناه تكتيك الحنك الصَّنَاعِي، وهو يدرس بصمة الصَّوْت بمعزل عن الكلمة، و"الكيمو غرافيا" ومعناه تكتيك التعرُّجات الذبذبيَّة وهو خطوط سوداء متموجة مثل الَّتِي نراها حديثا في جهاز التخطيط القلبي، وكذلك جهاز التصوير بالأشعة وغيرها، إلَّا أنَّه عندنا اليوم من تطبيقات الذكاء الاصطناعي ما قد يشدُّ ثغرة الأُمس، وبعض الأدوات المجانية على الشَّابكة العالميَّة مثل تطبيق برايت "praat" وكذلك أوديكتي "Audacity"، وهما تطبيقان مهمَّان للمحلِّل اللِّسَانِي المعاصر حتَّى يقترب أكثر من أصالة الصَّوْت العربي، ويستثمره في التَّصويب التَّطْقِي.

وإنَّما كان تركيزنا على ما قدَّمه "تمام حسان" و"الحاج صالح" من دراسات صوتيَّة لأتَمَّا الوحيدان اللِّدَان فَصَّلَا ودَقَّقَا واجتهدا في هذا المبحث الكبير، والذي يُعدُّ أصلا عربيًّا تراثيًّا بامتياز، لا يمكن الحيد عنه دون مباحثة لبعض جزئياته، وملازمة لقضاياه الرئيسيَّة، فما تميَّز به القدماء وبرعوا فيه وكانت لهم البصمة الخالدة هو مجال الصَّوْتِيَّات، مثال "الخليل" (ت 175هـ)، الَّذِي ألَّف العديد من الكتب، وكانت كُلُّها تعتمد على علم الأصوات، بما في ذلك المعجم الَّذِي يجمع المفردات اللَّغَوِيَّة، فقد استثمر الدَّرس الصَّوْتِي في تبويب معجمه، وضبطه على النَّظَام الصَّوْتِي، وكذلك علم العروض الَّذِي يعتمد كليًّا على الصَّوْت ذوقًا وعلمًا، ولا ننسى "سيبويه" (ت 180هـ)، الَّذِي جعل كتابه "الكتاب" يستفيض في هذا تحت "باب الإدغام"، وليس هنا محلُّ التَّفصيل في ذكر مناسبة علم الأصوات بـ"باب الإدغام"، ولكن ذكرنا ذلك حتى نستنير به في الجمع بين الأصالة والحداثة، وأنَّهم سبقوا في ذكر تفاصيل الدِّراسة الصَّوْتِيَّة، حتَّى بلغوا حدَّ الكمال تقريبا، إلَّا ما كان غامضا في المصطلح، أو ينقصه شيء من التَّوضيح كما أشار المحدثون إلى ذلك.

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللَّغة، ص 68. (المرجع السَّابِق)

وما يسعنا العمل عليه في التطبيق هو دراسة وظائف هذه الأصوات (الفونولوجيا)، وإن شئت دراسة التشكيل الصوتي على حدّ تعبير "تمام حسّان"¹، وتمثل الجانب الخطابي المباشر، ودراسة الأصوات بمعرفة كفاءة المتكلم الصوتية؛ إذ ثمّ فرق بين دراسة الأصوات نفسها التي قد تمّ العمل عليها قديماً، ووقع التعديل عليها حديثاً، بابتداع مصطلحين جديدين يخصّان اللغة الفصحى المعاصرة هما: "المركّب والمتوسّط"، ويختصّ بدراسة النظام الصوتي اللغوي مستقلاً عن المتكلم، بيد أنّ دراسة التشكيل الصوتي -الفونولوجيا- نجده يُعنى بدراسة سلوك الأصوات في موقعها، باعتبار صوت المتكلم تحت الرقابة الحسيّة، فما يصدره من أصوات نسجله بتعيين مخرجه وصفته، ومنه تفسير سبب وقوع صوت دون آخر في مقطع محدّد، والأسباب التي جعلته يتشكّل على وضع دون آخر.

كما يفرّق "تروبتسكوي" Trubetskoy (1890م/1938م) بينهما بنظرة أخرى حيث يقول: "إن علم دراسة أصوات الكلام هو علم الأصوات، وعلم دراسة أصوات اللغة هو علم التشكيل الصوتي"².

فالقول يحدّد شيئين دائماً نلاحظهما في الدّراسات البنيويّة وهما ثنائية (اللغة والكلام)، فجعل علم الأصوات يختصّ بالكلام (ومنه المتكلم)، وعلم الصوتيات أو علم وظائف الأصوات أو علم التشكيل الصوتي يتعلّق بأصوات اللغة في ذاتها دون النّظر إلى من يتكلّمها؛ إذ تهتمّ الدّراسة بتفسير ما في النظام اللغويّ من المقابلات الصوتيّة أو "القيم الخلافيّة"، أمّا عن التّسميات التي أُطلقت على العلم مضافاً، فهو من قبيل تعيين حدوده، فإذا قلنا "علم الصوتيات" فيعني أخذ معطيات علم الأصوات وتفسيرها، والبحث فيها تقسيماً وتبويها وتنظيماً وفق عملية التجريد، ف"الكشف عن النظام الصوتي للغة من عمل الباحث في الصوتيات"³.

في حين تسميته بـ "علم وظائف الأصوات" فهو من باب حصر العلم وتقريب حدّه؛ إذ يقوم العلم على ما سمّاه "تمام حسّان" بالقيم الخلافية أو كما سمّاه "الحاج صالح" أثناء حديثه عن نظام التقابل بالقيمة الإيجابية والسلبية، وهي عبارة عن اختلاف الوحدات وظيفيّة⁴ في المقطع الصوتي، وتكون في أي نظام لغوي وهو ما يُعرف بـ "المعنى الوظيفي"،

¹ - ينظر: تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، ص 111 (المرجع السّابق)

² - Trubetskoy; principe de phonologie, paris, 1949, p 3

³ - تمام حسّان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص 66. (المرجع السّابق)

⁴ - إنما قيّدنا دراستنا بهذا الاتجاه المسمى بـ "الاتجاه الوظيفي" ليس من باب التضييق أو الاستدراك على الآراء الأخرى، بل رأينا الأقرب إلى الدّراسة، والأنسب لموضوع المصطلح -الفونيم-، فقد تعدّدت الرّؤى حول تفسير الفونيم منهم من يردّه إلى اتجاه نفسي أو عقلي؛ بأنّه النموذج المثالي في الذهن، وفي هذا نجد عشرات الأقوال والاختلافات حول جوهر المثالية، ومنهم من يُرجعه إلى اتجاه مادي نسبة إلى الأعضاء الناطقة به والمتلقية له ويختصّ بالمتكلم، وهذا

وإن كان "الحاج صالح" لم يكتفِ بذكر علاقة واحدة تجمع بين الوحدات الصوتيّة وهي "المعنى الوظيفيّ"، وإمّا الكفاية بقدر الحاجة إلى التّحديد الوظيفيّ للأصوات، وذلك بعرض العينة كما هي، وفق المخارج المنطوقة ومقاربتها من المعيار الصّوابي.

أما عن تسميته بـ"علم التشكيل الصّوتي" فهو مصطلح أطلقه "تمام حسن" في كتابه "مناهج البحث في اللّغة" ولكن لا نجده في كتابه الثّاني الذي ألفه بعده وهو "اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، فقد يكون هذا من باب النّسخ الكلاميّ؛ إذ يوحي الإطلاق على كيف وصفا، لا على التّعليل تفسيرا، وكأنّه أراد بهذا أن يقول كيف يتشكّل المقطع الصّوتي، وأقصاه يتماشى مع آلية الوصف، وليس لماذا وُضعت هذه الوحدة الصوتيّة في هذا المقطع، حتى يُفسّر ويُعلّل بذكر الوظيفة، وكذلك إذا كان المبحث يركّز على المقاطع الصوتيّة وما فيها من "أصوات وحروف" فقد يدلّ المصطلح على الجانب الشّكلي للمقطع من حيث الرسم (الحرف)، وهذا يُحيلنا إلى مفهوم اللّغة وهو أصل التّفريق بين الدّراسة الصوتيّة للّغة والتي يُعنى بها هذا المبحث (الفونولوجيا)، كما قد يشير إلى الجانب الصّوتي لا الشّكلي مما يضطرنا إلى العمل على الأداءات المختلفة وفق التّنوعات الفرديّة، واللّهجيّة القبائيّة، (المقاطعات/الولايات والدول بمفهومنا الحاضر)، وبالتالي سيركّز المطلب على المتكلم في حدّ ذاته، ومنه ستكون الدّراسة مشتركة بين علم الأصوات وعلم التشكيل الصّوتي، وما الثّاني إلّا امتداد عن الأوّل، وإن كان وصف نوع التشكيل بأنّه صوتيّ، يحيلنا إلى الصّوت ومفهومه؛ أي المتكلم وفق التّنوعات الفرديّة واللّهجيّة، مهما تكن من تسمية؛ فإنّ دقّة المصطلح مهمّة في البحث العلميّ مثل هذا حتى تنضبط المفاهيم على أساس منطقي سليم.

والأقرب من تلك التسميات هو "علم وظائف الأصوات" أو "علم الصّوت الوظيفيّ"، فإذا كان "علم الأصوات" رصد بالملاحظة، وتسجيل بالملاصقة، ويكون العمل فيه بذكر المقابلات المقطعية بعرض الوجه الاستعمالي الذي نطقوا به المقاطع الصوتيّة من حيث الكيفية والأداء، ومقارنته بالوجه المعيارى الصّوابي الذي يكون به القياس الصحيح، فإنّ "علم وظائف الأصوات" هو تفسير للملاحظة وفق السّمات التمييزيّة لكلّ مقطع صوتيّ، (سنتطرق إلى شرح الفكرة في التطبيق).

موضوع "علم الأصوات" وليس "علم الصوت الوظيفيّ"، سبق في المتن بيان هذا، وهناك الاتّجاه الوظيفيّ الذي أشرنا إليه وهو أصل تفريقنا في الدّراسة بين العلمين، للتوسّع أكثر في هذا يُنظر: ربّعة برباق: علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، دار قانة للنشر والتّوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2016م، ص 141 إلى 154.

وأقصد بالسّمات التمييزيّة أو الفارقة للصّوت، هي التي يُؤتى بها للتمييز بين المعاني، وهذا المبحث قد استغرق فيه غير واحد من المتقدّمين والمتأخرين وحاولوا الإقتراب من حدوده، وإن اختلفوا في ضبط المصطلحات، فقد تنطق بالكلمة وفيها حرف السّين صادًا، فينتقل المعنى التّفصيلي من شيء إلى شيء أقوى منه رغم اتفاقهما في المعنى العام، نحو: سدّ عند نطقها صدّ، فكلاهما لمعنى المنع و"الحاجز إلّا أنّ الأوّل لسدّ الباب ونحوه وهو ضعيف فاستخدم له السّين الضعيفة، والثّاني لجانب الجبل وهو قوي، فاستخدم له الصّاد القويّة"¹.

وخلاصة الأمر يوجد علمان أساسان في الدّرس الصّوتي، أحدهما يُعنى بالجانب الفيزيولوجي الفيزيائي من حيث المخرج وكيفيّة الأداء؛ أي الصّوت الملموس ويختصّ بالمتكلم عيّنًا، ومنه يتحرّر مبحث الاستعمال اللّغوي، والثّاني يُعنى بالجوانب المعنويّة من إدارة المعاني في النّفس ومدى تأثيرها على المتلقّي، وأثر ذلك في المجتمع، حيث نجد نفس الحرف يُنطق بكيفيات متعدّدة يكشف عن الحالة النّفسية والاجتماعيّة التي يعيشها المتكلم، وتصبح بعد التصنيف مطّردة في الاستعمال العام وتتحوّل بضابط الاطراد إلى قاعدة ثابتة في اللّغة؛ بمعنى أدق نطق الصّوت مفتوحًا في بعض الولايات، ونطقه مرققًا في ولايات أخرى، يعكس أثره النّفسي، ويُبين عن الحالة الاجتماعية التي يعيشها الفرد في ذلك المجتمع، وهنا يحيل إلى مسألة التّغمة والنّبر وما إلى ذلك من فواصل الكلام، وهذا يختصّ بالجانب اللّغوي ومنه يتحرّر مبحث الوضع، لذا يقول تروبتسكوي: "ولهذا ينبغي أن ننشئ لا علما واحدا لأصوات اللّغة بل علمين: يكون موضوع الأوّل فعل الكلام، وموضوع الآخر اللّغة... فإن علم أصوات الكلام المنطوق بما أنه يعالج ظواهر طبيعية ملموسة فيجب أن يلجأ إلى مناهج العلوم الطبيعية، أما علم أصوات اللّغة فإنه يجب أن يلجأ إلى مناهج لغوية محضة ونفسانية واجتماعية"².

ويتحدث "تمام حسان" في هذا السّياق عن موضوع "الموقعيّة" ويعتبره موضوعا مهما يحدّد من خلاله دراسة علامات الموقع، مثل موقعيّة البداية كسبب وقوع الحرف الأوّل ساكنا، وكيفيّة التّخلّص منه؛ إذ من قواعد التّلفّظ عدم البدء بساكن، وهذا من خصائص العربيّة عكس اللّغات الأخرى، فقد يُؤتى بهمزة الوصل إذا كانت الكلمة

¹ - عبد الغفّار حامد هلال، علم اللّغة بين القديم والحديث، ط2، 1986م، ص 198.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات الحديثة، ص 246. (المرجع السّابق)

محتملة الوقوع بحرف ساكن بداية الكلمة، لذا قال ابن جني: "ألف الوصل تلحق في أول الكلمة توصلًا إلى النطق بالسَّكَن وهربًا من الابتداء به"¹.

كما ذكر **موقعيات الوسط** وعددها ولكنّه في الأخير بعد شرحه لها كاملة، جعلها في موقع وسطي واحد وهو موقعيّة نقطة الاتصال، وقصد بذلك التقاء حرف صحيح في آخر الكلمة بحرف صحيح بداية الكلمة التي تليها، مثل ما يحصل في باب الإدغام أو الإخفاء أو الإقلاب في أحكام النون الساكنة أو الميم نحو: من بعد، تقلب النون إلى ميم لمناسبة الالتقاء فتحصل الغنة بسبب الموقعيّة... الخ، وكذلك التقاء حرفا علّة يُحذف الثاني بسبب عدم وجود العلّة في النطق، مثل يسمو الطالب، فنلاحظ نهاية المقطع الأوّل بالواو حرف علّة، وبداية المقطع الثاني بحرف علّة الألف ورمز لهما "تمام حسان" ب(ع)، وضبط قاعدة حين التقائهما تصير (ع، ص)؛ أي تُحذف الهمزة المفتوحة أثناء النطق وهو موضوع الموقعيّة، والمحدّد لسبب حذف حرف العلّة في المقطع الثاني، وكذلك موقعيّة الشدّة الأنفيّة وأراد بها حروف القلقلة المجموعة في (قطب جد)، وهي التي تظهر صُويّتا زائدا على تعبير "الحاج صالح" وتتحسّسه بأذنيك أنّ ثمة صوتا زائدا على الأصل، حيث قال "تمام حسان": "يحتّم بعض الظواهر الموقعيّة كالحذف والطول والقلقلة وما أشبه هذا، إلّا يتغافل الباحث عن عدم اطراد الورود بين المقطع التشكيلي والمقطع الأصواتي"².

فهو يحدّد لنا فرقا تلمحيّا مهمّا في العمل التطبيقيّ؛ إذ جعل بين مفهوميّ "التشكيل" و"الأصواتي" من المقطعين ضرورة الانتباه إلى ما يفارق فيه الشكّل الصّوت؛ بمعنى آخر قد يحصل في الصّوت من الظواهر ما لا نجده في الحرف الدّال عليه، ويواصل الشّرح في بيان فكرة الموقعيّة على الثنائية التي فرّق بها "المقطع التشكيلي والمقطع الأصواتي" بقوله: "وإنّا لنجد أحيانا مقطعا تشكليا في صورة (ص ع ص ص) يقابله من النّاحية الأصواتية مقطعان هما: (ص ع + ص ع ص) كنتيجة من نتائج القلقلة"³.

الحاصل من هذا التّفصيل أنّ القلقلة تضيفي صويتا زائدا على المقطع وهو موضوع الموقعيّة في حروف القلقلة التابعة للشدّة الأنفيّة، ولعلّها ليست هي موضوع القلقلة، لأنّها حروف غير أنفيّة، مع ما فيها من الشدّة، وذكر بعدها موقعيّة النّهاية وربطها بماء السكّت أثناء الوقوف على الكلمة، أو أيّ حرف آخر يوقف عليه بالسكون، وسبب

¹ - أبو الفتح عثمان ابن جني، المنصف، القاهرة، 1954م، 1960م، ج2، ص 53

² - تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 141. (المرجع السّابق)

³ - المرجع نفسه، ص 141.

الوقوف على السكون هو موقعية النهاية، وأخيرا ذكر موقعيات الشيوخ، وهو محلُّ الشاهد في المسألة؛ إذ يتعلَّق بها صفات سبق الحديث عليها أثناء ذكرنا لعلم الأصوات،

أما الظواهر التي تحيى على المقطع الصوتي من نبر وتنغيم، وهما الظاهرتان اللتان نجدهما في أغلب الدراسات اللسانية، إلا أن "تمام حسن" يجعلهما تحت عنصر "الموقعية"، فإذا كان علم الأصوات يصف الظاهرة الصوتية من منظور فيزيولوجي وفيزيائي ويسجلها، فإن علم الصوت الوظيفي يفسر الصفات على ضوء عنصر الموقعية، ويُعطي لها بُعدا خاصًا كما سنعمل عليه، في النبر والتنغيم، والإجهار والأهماس، والتفخيم والترقيق، والشدة والرخاوة، ولكن لا يمكن أن نعطي تفسيراً للظواهر (الصفات) التي تظهر على المقاطع كلّها نظراً لضعف التفسير الذي نعلل به تلك الصفات، عدا صفتي "النبر والإدغام"، وسبب قولنا ضعف التفسير ليس من تلقاء أنفسنا، بل نجد له إشارات في نصوص "تمام حسن" مثل قول: "وأنا أستمح القارئ عذرا في اختيار كلمتي الإجهار والأهماس، ولقد أكثرت من الاعتراض عليهما لنفسني من كل ناحية"¹

وهنا منطق آخر من دراسة الصوت يُقسّم الفونيمات (الحروف) على أساسين هما: المقطعية وتسمى التركيبية أيضا؛ أي التي يتركب منها المقطع (الكلمة)، وفيها الحروف والحركات على تعبير العرب القدامى، أو بالتعبير اليوناني المتوارث ديناميكيا عند الغرب، وبعض من ترجم من العرب إلى "صوامت وصوائت"، ويعتمد تمييزها على السمع فحسب، ويستطيع أي شخص أن يفرق في المقطع الصوتي بين الأصوات واحدا واحدا وهذا الذي سنركّز عليه في تطبيقنا، كما اعتمد الوظيفيون على ما يُسمى بمصطلح "التبديل" لاختبار التغير الذي يحدث للكلمة من نفس الموضع دلاليًا، فإذا حصل التغير الدلالي حقيقة أطلقوا عليه مصطلح "فونيم"، وإذا لم يتغير سموه "ألفون" وفيه كلام طويل لا نحتاجه في عملية التطبيق، بل هذا المصطلح في ذاته وإن لم يضعوه حرفيًا، إلا أنهم عملوا به، فإذا كان "الخليل" اعتمد على التقلب الصوتي في صناعة معجمه، فإن ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة" اعتمد على خاصية الاستبدال الحرفي كما في فش، فض، فظ...²، بل عرفوا كذلك تطبيقيا مصطلح "الألفون" أي الحرف الذي لا يحدث به تغيرًا دلاليًا إذا حلّ في نفس الموضع مكان الحرف الأصلي، ومثاله: إبدال حرف الجيم بالياء، الشجرات

1 - تمام حسن، مناهج البحث في اللغة، ص 152. (المرجع السابق)

2 - يُنظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. (المرجع السابق)

تصبح الشيرات¹، وهذا النوع من الأساسات الفونيميّة وجدت آثارها في الدِّراسات العربيّة الأصيلّة حيث استوعب "ابن جني" ذلك وشرح معالم الفكرة وأعطى لكلّ صوت معنًى خاصّاً به، ولذا فإنّ "للأصوات دوراً كبيراً في تحديد دلالة الكلمات، ناهيك عن إبدال الصّوامت الذي ينتج عنه تغيّر الدلالات"².

وعليه فإذا كان للصّوت الذي يعتبر الممهّد لنطق الحرف، سواء أصوات الحركات أو مدّات الأصوات على اصطلاح "الحاج صالح"³ له دلالة خاصّة في الكلمة، فإنّ الصّوامت أو ما يُعرف بالحروف لها دلالة خاصّة من باب أولى، ومثال ذلك ما قدّمه "ابن جني" من أمثلة توضّح الفكرة كما في قوله: "النّضخ للماء ونحوه، والنّضخ أقوى من النضخ... فجعل الحاء لرقّتها- للماء الضعيف، والحاء -لغلظتها- لما هو أقوى منه"⁴.

والوجه الثّاني لدراسة الصّوت وهو: الفونيمات (الحروف) الفوقطعية وتسمى أيضاً التطريزية من ضمنها "النّبر والتّنعيم" حيث تقول "ربيعة برباق": "وهي لا تقلّ أهمية في تحديد الدلالات والمقاصد عن الفونيمات التّركيبية، ومثال ذلك إبدال نبرة عالية بأخرى منخفضة"⁵.

أما النّبر (stress)؛ فهو ظاهرة صوتيّة تظهر من خلال الضّغط كعامل أساس فيه أو المدّ في أحد المقاطع الصّوتيّة من الكلمة، وهو "وضوح نسبيّ لصوت أو مقطع إذا قورن بقيّة الأصوات أو المقاطع في الكلام"⁶. ولا يمكن أن يتحقّق مفهوم الوضوح النسبيّ إلّا في كلمة كاملة؛ بمعنى أقرب تمييز لقوة الضّغط يكون بمقارنة الموضع (المقطع) من الكلمة بغيره من المواضع (المقاطع) الأخرى في الكلمة نفسها، كما زاد الفكرة بياناً "محمد جلال" قائلاً: "إشباع مقطع من المقاطع بحيث يكون واضحاً في السّمع بالنّسبة للمقاطع الأخرى، عن طريق شدّته أو ارتفاعه الموسيقي أو مداه أو عدّة عناصر مجتمعة"⁷.

- 1 - يُنظر: إبراهيم السامرائي، التّطور اللّغويّ التّاريخي، دار الأندلس للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1938م، ص 115، 116.
- 2 - محمد بوعمامة، علم الدّلالة بين التّراث وعلم الحديث، رسالة دكتوراه، قسنطينة، 1993م، ص 83.
- 3 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 179. (المرجع السّابق)
- 4 - ابن جني، الخصائص، ج1، ص 158. (المرجع السّابق)
- 5 - ربيعة برباق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 154. (المرجع السّابق)
- 6 - تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 160. (المرجع السّابق)
- 7 - نقلاً عن: ربيعة برباق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 196 (المرجع السّابق)، ألّفت محمد جلال، النّبر في العهد القديم، 1979م، ص 10.

فالمقاطع المنبورة تخضع لنشاط زائد على البقية، فيكون صوتاً شديداً أو ارتفاعاً واضحاً في السَّمْع، نتيجة الهواء المندفع من الرّئتين، كما أنّه يقع "في جميع اللّغات وهو راجع إلى ارتباط اللّغة بالحالات الانفعاليّة... والنّبر الّذي يعبر عن ذلك يكون غالباً على مستوى الجمل أو الكلمات الّتي تقوم مقامها"¹.

والحالات التّفسيّة المرتبطة بالنّبر الّذي يكون على مستوى الكلمة إنّما يظهر في الجملة حيث تدلّ على التأكيد أو التقرير، أما موضع النّبر في الكلمة الواحدة؛ أي المقطع المنبور فقد اختلف العلماء في ضبط القانون الّذي يُرجع فيه إلى تحديد المنبور، فليس هناك قانون ثابت في هذا، ولذا قال: "تمام حسان": "والواقع أن هذه المسافة يتحكّم فيها عامل الإيقاع في الكلام العاديّ،.... ولكن الملاحظ أن المسافات بين كلّ حالّتي نبر تبدو كأثما متساوية تقريباً وهذا ما نسمّيه الإيقاع، وللقارئ إن شاء أن يتأمّل كلامه، ويحدّد المسافات بين حالات النّبر"².

بل نجد أغلب اللّسانيّين المعاصرين لا يذكرون له تحديداً خاصّاً إلّا من باب التّقريب، أو تعليقه بدراسة العاميّات واللّهجات المعاصرة، فلم يقفوا على حقيقة عند العرب وهذا ما نبّه عليه "تمام حسان" قائلاً: "العربيّة الفصحى لم تعرف هذه الدّراسة في قديمها ولم يسجّل لنا القدماء شيئاً...، إنّما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العاميّة"³.

في حين يُعدّ التّنغيم من الطّواهر الّتي ترافق النّبر دائماً في الدّرس الصّوتي اللّغويّ، فهو ذو وظيفة تميّزيّة يتعلّق باللّغة المنطوقة لا يمكن أن يُمثّلها نظام لغويّ معيّن من جهة الرّموز، غير ما استُحدث في اللّغة الرّمزية على وسائل التّواصل الاجتماعيّ ما يُعرف بـ"الإيموجي" أو الوجوه التّعبيرية، ويفرّق اللّسانيّون بين مصطلحي النغمة (التون)، والتّنغيم، فالأوّل يكون على مستوى الكلمة عبارة عن تذبذب صوتيّ مستمرّ في ناحية معيّنة صعوداً أو هبوطاً أو يكون بينهما ثابتاً، وهو نادر، "بحيث يمكن أن تنوّع منسوبها الأخير ليدلّ على تقرير بسيط أو سؤال تعجّبيّ، أو كلام سيّأتي أو غيرها من المعاني الإضافيّة"⁴.

أما التّنغيم (intonation)؛ يكون على وتيرة الجملة، وهو: "تغيّر في الأداء بارتفاع الصّوت وانخفاضه في أثناء الكلام العاديّ للدلالة على المعاني المتنوّعة للجملة الواحدة"⁵.

1 - ربيعة برياق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 199. (المرجع السّابق)

2 - تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 163. (المرجع السّابق)

3 - المرجع نفسه، ص 163، 164. (المرجع السّابق)

4 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغويّ، ص 191. (المرجع السّابق)

5 - مناف مهدي محمد الموسوي، علم الأصوات اللّغويّة، جامعة السّابع أبريل، ليبيا، ط1، 1993م، ص 119.

ويقصد بالمعاني المتنوّعة؛ أي يقوم بدور نحويّ أو بلاغيّ فيبيّن الفرق بين الأساليب وأغراضها؛ كالاستفهام أو الطلب، أو التعجب... إلخ، "بحيث يثير ذلك انتباه السامع إلى حالة المتكلّم النّفسيّة"¹ فهو يختصّ ببيان الحالة النّفسيّة الّتي يكون عليها المتكلّم، فتحيل إلى الموقف الّذي يعيشه نسيباً، وهو مبحث مهمّ في دراسات علم النّفس الحديث، وهنا أمر وجب الإشارة إليه وهو أن الكثير من العلماء اعتبروا النعمة ضمن التّنظيم، لأنّ الكلمات لا يمكن أن تستقلّ بمعانيها الأسلوبية لوحدها لتعطي الأساليب وأغراضها، بل لا بدّ من انتمائها ضمن وسط تركيبّي (الجانب النّحوي)، حتّى تأتي الإضافة على مستوى المعنى، وعليه فالظاهرة تكون فقط على مستوى اللّغة المنطوقة، ولا يمكن أن تتجسّد على الكتابة، ولو كان هناك ما يعوضها من علامات التّرقيم فسيبقى تحقيق الغرض غير موزون، "ذلك لأن ما يستعمله التّنظيم من نغمات أكثر مما يستعمله التّرقيم من علامات"².

في خُطوات التّطبيق سنعتمد فيها على الآتي:

✓ ذكر نوعين من المادّة المداعة المسموعة والمرئيّة على "اليوتيوب" تخصّ قناة رسمية وهي: "الشُّروق أون لاين الجزائريّة" للمقارنة بينهما، في مجال من المجالات العلميّة وتحديدًا مجال الطّب، حتّى ننظر في الخصائص الصوتيّة لهذا النّوع من الخطابات الحديثة، بناءً على مادّة سبق إعدادها، حيث يكون دور المتكلّم فيها دوراً قرائياً فقط، مثل البرامج الثّقافية، ومادّة أخرى لم يسبق إعدادها تميّز بالتلقائيّة، حيث يكون المتحدّث صاحب الدّور الأكمل في تحديد المستوى اللّغويّ الصّوتيّ الّذي يريد؛ إذ يكون حُرّاً في اختيار الأصوات المناسبة لبنية الكلمة.

✓ الجداول ستكون وفق التّقسيم الّذي ذكرناه في التّفصيل النّظريّ؛ أي اتخاذ جدول يتعلّق بالفونيمات المقطعية أو التّركيبية (الأساسة)؛ ويختصّ بالدراسة الصوتيّة لمخارج الحروف وصفاتها، وجدول آخر يخصّ الفونيمات الفوققطعية أو الفرعيّة يتماشى مع الدّراسة الفونولوجيّة أو ما يُعرف بالدراسة الوظيفيّة للصّوت، وفيه تظهر علاقة الصّوت بظاهريّ النّبر (stress)، والتّنظيم (intonation).

¹ - ربيعة برباق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 198. (المرجع السّابق)

² - المرجع نفسه، ص 210.

✓ اعتماد برنامج Praat "برايت" من أجل التحليل الصوتي الدقيق، بمعاينة قياس الصوت من حيث زمنه بالثواني وأجزاؤه، وقوة الصوت وشدته (التبر)، ويقاس بالديسبل (decibel)، وأخيرا التنغيم ويُقاس بالهيرتز (hertz)، مع التعليق على كلّ الجداول بما يناسب مقام الشرح والتحليل.

أولا: الفونيمات التركيبية في الخطاب العلمي المعدّ مسبقاً (الجاهز) "حصّة عيش يؤ مع بسمة أنموذجاً"

سبق أن عرفنا في الشقّ النظريّ المقصود بالفونيمات التركيبية، فالتأسيس المصطلحي تنبني عليه خصائص التركيب اللغويّ العام كما سيتبيّن.

كما وضعنا في التخطيط أعلاه أن نركز على نوعين من المادّة المسموعة المرئية، وهي أشرطة توفّرت على القناة الرسميّة لمدونة الأطروحة "الشُّرُوق أون لاين"، والتي تتميز أغلب خطاباتها بأنّها ذات نوعين من المستويات اللغويّة "فصحى العصر" و "شبه الفصحى"، وسنعرّف عليهما في ظلّ معالجتنا للمواد المعروضة، ولتكن البداية مع المادّة التي سبق إعدادها وإخراجها قبل بثّها، وسنحدّد مجموعة من الأشرطة في كلّ حصّة، ونأخذ من كلّ شريط الجمل التي تُظهر مخالفة للمعيار الصوتي الذي يجب أن تكون عليه، وذلك بالنظر في الأصوات التي خالفت أصل المخرج أداءً، وإنّما كان اقتصارنا على هذه المنهجية في معالجة الخطابات من باب معرفة حقيقة المستوى الصوتي وفق الدّراسة الصوتيّة في لغة الإعلام بمختلف وسائله الإلكترونيّة، وليس الهدف من هذه المعالجة تحليل كلّ الحصص والعيّنات؛ إذ لو أخذناها كلّها ما وسعنا إدراك كلّ التّماذج بالتحليل، وإنّما عملاً بالقاعدة الأصوليّة: "ما لا يدرك كلّ لا يتركّ جلّه" أخذنا مقتطفات محدّدة، حسب الضّابط الذي وضعناه.

وبما أنّ الخطابات تستعمل المفردات البسيطة فهي تدخل في مفهوم (فصحى العصر) "وتستخدم في الموضوعات العلميّة والمعرفيّة، وهي التي تقترب من الفصحى التقليديّة"¹.

كما قسّم "أيوب السبعان" برامج هذا النوع إلى مستويين، ذو المستوى الواحد وهي التي تُستخدم فيها العربيّة الفصيحة دون العاميّة، وأعطى أمثلة على ذلك مثل نشرات الأخبار، وهذه حتما تستخدم العربيّة البسيطة فقط، إلّا ما كان من ألفاظ المصطلحات العلميّة التي تكون مقترضة غالباً، وبرامج أخرى تستخدم أكثر من لغة، فتمتّزج العربيّة بالعاميّة واللّغات الأخرى، ومثّل لها ببرامج البثّ المباشر، وهذه تكون في الأغلب عيّنات تتميز بالتلقائيّة والعفويّة؛ أي دون أن يُعدّ المتكلّم محتوى البرنامج، وهي النوع الثّاني من العيّنات التي سننتقل إليها، وكلّها تدخل في مفهوم فصحى

¹ - ليلي خلف أيوب السبعان، قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 25. (المرجع السّابق)

العصر، وفي البرامج الجزائرية أغلبها بنسبة كبيرة جدًا تستخدم اللغة المحلية، إن لم نقل كلّها، وهي التي تصنّف حسب الدكتور "أيوب السبعان" إلى شبه الفصحى، التي تكثر فيها مفردات العامية أو اللهجة المحلية.

أما الخطاب العلمي فيقصد بها الخطابات التي تتميز بالأسلوب العلمي البسيط، والمصطلحات الدقيقة في عرض محتوى الخطاب، ومجال الطبّ أحد هذه الخطابات العلمية التي تتوجه للجمهور بأداء يتسم بالمقبولية كأحد المعايير النصية في الخطابات الحديثة، ولذا كان الاعتناء بهذا المجال تقرّه الضرورة الواقعية خاصة بعد انتشار أمراض بيئية كثيرة، منها مرض كورونا ممّا دفع كلّ العالم للاستماع إلى الخطابات المتعلقة بالأطباء والخبراء ممّا يجعل المحلل اللساني يقف مستمعًا وواصفًا لما ينطق به الطبيب من كلم.

أ- عنوان الحصة: عيش بيو مع بسمّة، تحتوي هذه الحصة على خمسة وعشرين (25) شريطًا، تعالج مواضيع علمية متفاوتة، وتمثّل هذه الحصة في القناة أهمّ الحصص العلمية، حيث يتعرّف المتلقّي فيها على الأمراض وأسبابها وعلاجاتها.

ب- عنوان الخطابات:

شريط 1: عيش بيو مع بسمّة _ ما هو دور البراسيتمول وما هي استعمالاته؟.

شريط 2: البشرة الجافة في الشتاء.

شريط 3: أهم النصائح لتنشيط مناعة جسمنا في فصل الشتاء.

ج- قائل الخطاب: بسمّة قرفة وهي دكتورة صيدلانية متخصصة.

د- مكان الخطاب: نُشرت خلال السنتين 2022م / 2023م.

هـ- توقيت الأشرطة:

شريط 1- دقيقة واحدة وعشرون ثانية (09د، 20ث).

شريط 2- تسع دقائق وأربعون ثانية (09د، 40ث).

شريط 3- عشر دقائق وست وخمسون ثانية (10د، 56ث).

وبالاعتماد على تقنية "سبيد سلووار" (speed slower)، معناها "السرعة الضعيفة"، أمكننا تسجيل كلّ مقطع على حدة، وتحصلنا على دقة النطق بعد تكرار كثير للشريط، وغلطنا ما نراه تجاوزا للصوت الأصلي، ووضعنا العديد من الفواصل للدلالة على الوقف الذي يقوم به المتحدث.

و- تفريغ محتوى الأشرطة:

شريط 1: "الدّوا هو أي مادّ كيميائيّ تؤثر...، غرضها التشخيص...، أيضا تستعمل للوقاية من الأمراض...، خافط للحرار، ولانم نعرّفو إنّو كلّ الأدوية...، العنصر النشّ...، إللي هو...، المواد المضاف إلي هي، تُوظف في المادّة لفعّال بغرض تثبيت الدوا...، باش ما نحشّوش بهذا...، تعزّز الدوا بالخاسيات الـطريوي"¹.

شريط 2: "نعرّفو إنّو بشرتنا...، الهواء البارد راح يؤثّر سلبا على البشر تاعنا، فيرودة الهواء وجفاف...، يعني راح تُفقد نشاطها بنسبة تلاتين إلى خمسين بالمئ...، خكينا على الأسباب الداخلي والخارجي إللي تؤدي إلى جفاف البشر، فبصّح لازم نتأكدو...، باش نتفادو جفاف البشر...، أي طاي ساعد...، في حالة وجود تشقّقات، بسبب بعض الأدوية ليتناؤلوها...، لكن لازم نرتبو بشرتنا...، الفطرات لقصير، نقدرو نستخدمو البدائل لجبناهم اليوم ساهلين وماهلين ومش غالين... إن شاء الله نكونو فدناكم تهلّو في صحتكم"².

شريط 3: "كيفاش نقوّ مناعة أجسامنا...، طعّف المناع...، تلات محاور...، مضافات الأكسدة...، الـطغط النفس...، يجعله عرطة للإصابة...، يعني لازم ما نتقلقوش، الـطمر اللبي يعتبر مصدر جيد للألياف، واستبدالها بـوخرى جديد...، لأنّها تساعد...، مثلا نزلّات البرد...، لهذا نركّزو على الحمضيات ما دأمتا في فصل شتاء...، ضرك نـحكيو...، وكما عودناكم... نـحيبولكم دايّما...، يقدر يسـنـغـنو على العسل، نـروحو نـشوفو مع بعـضانا ضرك...، نـحـلّاها ربّ عـساع...، مدّة عشريّام...، وصـلنا لـنهاية حلقنا..."³.

و- طريقة العمل: نشرع عن طريق الجدول تحليل المقاطع الصوتية إلى قصيرة، ومتوسط مفتوح، ومقفّل، وطويل مقفّل بصامت، ومقفّل بصامتين، لنكشف عن مدى توافقها أو اختلافها عن النطق الأصلي لمفهوم التّععيد (التبويب) الذي أشرنا إليه، وذلك وفق وضع معيارين أساسيين، وبيان ما طرأ عليها من انحرافات صوتية، بسبب التّنوعات الفردية واللهجية (الاستعمال اللّغوي)، وفي هذا سلكنّا طريقة بعض الباحثين في العمل، بعرض مستوى

¹ - <https://2u.pw/NdgOXk4D>, It was viewed on: 22/09/2023 at: 15:55

² - <https://2u.pw/B5MC1hT6>, It was viewed on: 22/09/2023 at: 14:01

³ - <https://2u.pw/zRThMRlr>, It was viewed on: 22/09/2023 at: 14:07

فصحى العصر الّتي تحدّثنا عنها، وإن كان هو بدوره استخلص الطريقة من الباحثين الذين سبقوه¹، إلّا أنّنا أضفنا اجتهادنا الشخصي في الطريقة كما سيأتي.

وقبل الشّروع في العمل يتسنى لنا أن نتعرّف عن المقصود من المعيارين، وهما المعيار الاستعمالي، فإذا كان المطلوب الّذي نعالج فيه تحليل العيّنات وفق الخصائص الرّكيبية؛ فإنّ هذا المعيار هو: "مجموعة الخصائص الصّوتيّة والصّرفيّة والرّكيبية والدّلاليّة الّتي تميّز كلّ مجال من مجالات استعمال اللّغة في المواقف اللّغويّة الحيّة، وقد تكون هذه الخصائص محلّيّا، فتتقسم المادّة اللّغويّة بهذا الاعتبار على سبيل المثال إلى عربيّة مصريّة أو عربيّة كويتيّة، وعربيّة فلسطينيّة... الخ"². وفيه سنكتفي بعرض الكلمات، وننظر فيها بتحديد المقاطع وأنواعها، وما يطرأ عليها من تغيّرات على مستوى الصّوت، ومن ثمّ مقارنة بطبيعتها الأصليّة الّتي يجب أن تكون عليها من باب التّصويب اللّغويّ الصّوتيّ؛ أي من حيث المخرج والكيفيّة الّتي يُنطق بها الحرف، وما يلحقها من ضبط، وهنا يظهر دور المعيار الصّوابي الّذي هو: "المقارنة بين نمطين من الاستعمال أحدهما محكوم له بالصّواب... أمّا الآخر فيوصم بأنه انحراف وشذوذ"³.

وفيها نركّز على ظاهرة الابدال الحرفيّ، وما يعتور اللّسان من انحرافات بيّنة من جهة ضبط الكلمات، وما يلحقه من أدلّة الإعراب، إذ حركة الإعراب ضروريّة في الإبانة عن وظيفة الكلمة في التّركيب، ولذا لا يصح العمل على وظيفة الكلمات تركيبيا إلّا بعرض الحركات المناسبة التّابعة لحكم الصّوت، فلا يمكن أبدا الفصل بين القسمة الرّكيبية الثلاثيّة، إلّا ما كان قيد الدّراسة التّحليلية، فكلّ واحد من المستويات اللّغويّة امتداد عن الآخر، فالصّوت مقدّمة الكلمة، والكلمة مقدّمة التّركيب، والتّركيب مقدّمة الدّلالة، والدّلالة مقدّمة التّداول ومنه دراسة اللّغة في إطار الاستعمال اليوميّ ثم تنفتح على مجالات بيّنيّة أخرى.

¹ - من الباحثين الذين سلكوا هذه الطريقة "السعيد بدوي" في كتابه: مستويات العربيّة المعاصرة في مصر، وكذلك "عبد العزيز شرف" في كتابه: العربيّة لغة الإعلام، وأيضا "محمد عيد" في كتابه: المستوى اللّغويّ، ومن الباحثين المستشرقين الإنجليزي هارل، الذي حدد المعايير الّتي تُدرّس بها العربيّة المعاصرة في إذاعة مصر، إلّا أن الباحثين أطلقوا على كلمة "معيار" مستوى، وفي الحقيقة نظرت في هذا من حيث المعنى فلم نقنع به فعدلنا عنه إلى لفظ "معيار"، والأقرب هو هذا؛ إذ كلمة "معيار" تشير إلى القاعدة الأصليّة الّتي يُرجع إليها في حال الالتباس، أما كلمة "مستوى" فهي تحيل إلى درجة معينة من التّحليل العلمي.

² - ليلي خلف أيوب السبعان، قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 32. (المرجع السّابق)

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها والّتي تليها.

1- الفونيمات التركيبية للخطاب العلمي بين المستوى الاستعمالي والمُعيار الصَوَائِي:

دراسة الصوت (الكلام)		مقاطع
معيار صوائي	مستوى استعمالي	أنواع ورموز
الدوا(ء)، مادَّة(ة)، كيميائي(ة)، غر(ض)ها، التشخي(ص)، أي(ض)ا، تستعم(ل)، اللوقاي(ة)، الأمرا(ض)، خاف(ض)، للحرار(ة)، يَلْزَ(م)، نَع(ر)ف، أن(ن)، (ن)حسن، الأدوية، كل(ل)، الأدوي(ة)، الم(ض)اف(ة)، ال(ل)تي، بغر(ض)، الدوا(ء)، بالخا(ص)يا(ت). ال(ل)ذي	[شريط 1]: الدوا(.)، مادَّة(.)، كيميائي(.)، غر(ط)ها، التشخي(س)، أي(ط)ا، للوقاي(.)، للحرار(ة)، الأدوي(.)، الم(ظ)اف(.)، الخا(س)يا(ت)، الضروري.	مقطع قصير ¹ (ص + ح)
نَع(ر)ف، أن(ن)، ب(ش)ر(ر)ثنا، الهوا(ء)، البار(د)، (س)يُوث(ر)، البشَر(ة)، جفا(ف)ه، (ت)ف(ق)د، نشا(ط)ها، (ت)لائين، (ح)كَي(نا)، الأسباب(ب)، الخارجي(ة)، الداخلي(ة)، جفا(ف)، فالصَّحي(ح)، يَلْزَ(م)، (ن)ت(أ)ك(د)، (ن)ت(ف)ادي، أي(ض)ا، (ي)ساع(د)، حال(ة)، ال(ل)تي (ي)ت(نا)لو(ن)ها، (ن)رطب، الفترا(ت)، ال(ق)صيرة، نَق(د)ر، نَسْتخد(د)م، البدائ(ل)، (ن)كو(ن)، (أ)فدناكم.	[شريط 2]: ب(ش)رثنا، البشَر(ة)، (ت)فقد، بالمئ، (ح)كينا، الخارجي، الداخلي، البشَر(ة)، ف(ب)ص(ح)، أي(ط)ا، (ل)يتناولو(.)ها، الفطرات، القصير(ة).	

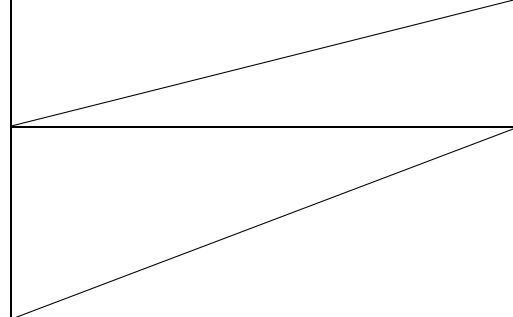
¹ - هذا المصطلح هو الذي درج عليه المتأخرون غير أنهم اختلفوا في تحديد مفهومه، فنجد على سبيل المثال دراسات تعتبره خاصاً بالحرف المتحرك المتلو بحرف آخر متحرك كما هو عند "تمام حسّان" يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 69 (المرجع السابق). ودراسات أخرى تعتبره هو الحرف المتحرك لوحده مثل: ب + -، ب + ه = ه... الخ. يُنظر: علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 191 (المرجع السابق).



[شريط 3]: (ظُ)عَفُ، عر(ظَ)ةً، كِي(فَ)، (نُ)قَوِي، منع(ة)، أجسا(م)نا، (ضَ)عَفُ، (تَ)لا(تُ)، محاو(ز)، م(ضَ)ادا(تُ)، الضغ(طُ)، عر(ضَ)ةً، يَلْز(مُ)، التم(زُ)، يعتب(زُ)، مصد(زُ)، واستبدا(لُ)ها، لَأَنَّ(نَ)ها، (تَ)ساع(دُ)، نزلا(تُ)، (نُ)رَكَ(زُ)، الحمضيا(تِ)، فَص(لِ)، [ال]ش(شِ)تا(ءِ). و(كَ)ما، (نَ)جي(بُ) (لَ)كَمْ، دا(يِ)مًا، يَق(دَ)رو(نَ)، يستغنو(نَ)، (نَ)رو(حُ)، (نَ)شو(فُ)، بع(ضِ)نا، رب(عُ)، عش(رَ)(ةً)أَيَّامٍ.	[شريط 3]: (ظُ)عَفُ، عر(ظَ)ةً، جديد(ة)، نَ(زَ)لا(تُ)، نجيو(لَ)كم، عش(رَ)(ةً)أَيَّامٍ.	
ال(لِ)ذِي. ال(لِ)تِي.	[شريط 1]: نَعْرَ(فُو)، إِنَّ (نُو)، ال(لِ)(ةِ)ي.	
ال(لِ)تِي، فالصَّ(حِي)ح، نتفا(دِي)، ال(لِ)تِي، الفَتَ(رَاتِ).	[شريط 2]: نَعْرَ(فُو)، إِنَّ (نُو)، جفا(فُو)، ح(كِي)نا، ال(لِ)(ةِ)ي، (لا)زَمْ، نتأك(دُو)، نَقْدَ(رُو). نَسْتَحْدُ(مُو)، نكو(نُو).	مقطع متوسط مفتوح¹ (ص + ح ط)
نَقُو(وِي)، نح(كِي)، يقد(رُو)نَ، يستغ(نُو)نَ، نُخ(لِي)ها.	[شريط 3]: م(ظَا)دَات، نُرَكَ(زُو). و(كِي)ما. نُجِي(بُو)لُكَمْ، يَقْدَ(رُو)، نرو(حُو). نشو(فُو)، بع(ضَا)نا.	
(أَنَّ) نَ، (يَلْ)زَمْ، الن(شَطُ)، نخ(سَ)، الضروري(يَهْ). البَشَ(رَهْ)، القصي(رَهْ).	[شريط 1]: تُسْتَعْم(لُ)، خافِ(ظُ)، (لا)زَمْ، (إِنَّ) نُو، كُلْ، الن(شِتْ)، بغ(رَضْ).	

¹ - أطلق عليه "تَمَام حَسَّان" مصطلح المقطع المتوسط المفتوح نحو: ما، لا، في...الخ.



بالم (تة)، (يَلْ) زم، نَت (أَكْ) كَدُ، ن (رَطْ) طِب، (نَسْ) تَخْدِم، أ (فَدْ) نَاكَمْ. نُ (رَكْ) كِزْ، (دُم) نَا. كيميائ (يَي) ة	[شريط 2]: بَش (رَتْ) نَا، البَا (رَدْ)، تُف (قَدْ)، يُوْث (ثِرْ)، نِت (أَكْ) دُو، (نِت) فَا دَاو، يَسَا (عِدْ)، حَا (لَة)، (يِت) نَاو لُو هَا، (نِسْ) تَخْدُمُو، نُ (رَتْ) بُو، (نِسْ) تَخْدُمُو، البَدَا (ئِلْ)، (.) (فَدْ) نَاكَمْ.	مقطع متوسط مقفل (ص + ح + ص)
ال (ضَعْ) ط، (يَلْ) زم، نَقْ (لَقْ)، ال (تَمْ) ر، ب (أَخْ) رِي، جَدِي (دَه)، نَزْ (لَات)، (نَحْ) كِي، (يَسْ) تَغْنُون، (نَحْ) لِيهَا، (رُبْ) ع، عَشْرَة (أَي) يَامْ.	[شريط 3]: نَقْو (وَوْ)، مَنَا (عَهْ)، مَحَا (وِرْ)، (لَا) (زَمْ)، نِت (قَلْ) فُوشْ، يَعْت (بِرْ)، مَصْ (دَرْ)، ل (أَنْ) (.) هَا، نُ سَا (عِدْ)، نُ (رَكْ) زُو، (نَحْ) كِيُو، (يَسْ) تَغْنَاوْ، ن (حَلْ) لَاهَا، عَشْر (.) يَامْ.	
	[شريط 1]: الأَمْرَا (ظْ)، الد (وَاءْ)، نَحْسْ (سُوشْ).	مقطع طويل مقفل بصامت¹
	[شريط 2]: اله (وَاءْ)، رَاخ²، الْأَسْ (بَابْ)، ج (فَافْ)، نِتْفَا (دَاوْ)، ن (شَاتْ) هَا.	

¹ - أطلق عليه "تَمَّام حَسَّان" مصطلح المقطع الطويل بالمد والإسكان نحو: باغ، باب، ناؤ... الخ.

² - تعتبر كلمة "راخ" بديلاً عن حرفي "السين وسوف" الإعلان على المستقبل، وبما أنهما يعتبران حرفان أو صوتان، فإن لهما مقطعا خاصاً "سي" (ص + ح)، و"سوف" (ص + ح + ص / ص + ح)، وبما أن لفظة "راخ" لها معنى معجمي وهو "الذهاب"، يُقال: (راخ زيد)، للدلالة على حدث في الزمن الماضي، فإن "راخ" عندما تدخل على الفعل يصبح لها معنى وظيفي، بمعنى المستقبلية، وحينئذٍ جاز وضعها ضمن الخوالب أو الأحرف التي لا تصنف لها بين الأسماء والأفعال وأحرف المعاني، ومصطلح "الخوالب" نطبق عليه في المستوى الصرفي - إن شاء الله -



	[شريط 3]: كي(فَاشْ)، أـج(سَامْ)نا، ت(لَاثْ)، مضَا(دَاثْ)، نَتَقَّلْ(قَوْشْ)، لِلْأَل(يَافْ)، واستَب(دَالْ)ها، (بُوحْ)رى، الحمض(يَاثْ)، (دَامْ)نا، شْ(نَاءْ)، نَحْ(كِيَوْ)، (دَائِي)مَّا، يَسْتَع(نَاؤْ).	(ص + ح ط + ص)
	[شريط 1]: نَعْرُ(فُوْ)، (فَصْلْ).	مقطع طويل مقفل بصامتين ¹
	[شريط 2]:	
	[شريط 3]: ال(ظَعْطْ)، ال(طَمْزْ)، (عَشْرْ)يَامْ.	
ال(لْ)لذي، ال(لْ)لتي.	[شريط 1]: (نْ)حُشُوشْ.	مقطع أصغر ² (ص)
ال(لْ)لذي، ال(لْ)لتي.	[شريط 2]: (تْ)لَاثِينْ، (خْ)حَكِينَا، (يْ)سَاعِدْ، (نْ)زَبَوْ، (لْ)(قْ)صِيرْ، نَقْ(دْ)رُو، نَسْتَخْ(دْ)مُو، (نْ)كُوْنُوْ.	
ال[ال(شْ)شِثَاءْ.	[شريط 3]: (نْ)فَوَوُوْ، (تْ)لَاثْ، (نْ)(تْ)فَلْقَوْشْ، (تْ)سَاعِدْ، (نْ)رَكْزُوْ، (شْ)نَاءْ، (نْ)جِيُوْلُكُمْ، يَقْ(دْ)رُو، (نْ)رُوحُوْ، (نْ)شُوفُوْ، (نْ)خَلَاها. (زْ)بُعْ	

(جدول 01)

¹ - أطلق عليه "تَمَام حَسَنان" مصطلح المقطع الطويل بالتقاء الساكنين نحو: بَقْرٌ، قَمْحٌ، قَبْلٌ... الخ، هذا المقطع يتعلّق بضرورة الوقف على متحرّك استنادا للقاعدة العربية "العرب لا تبدأ بساكن، ولا تنتهي بمتحرّك"

² - مَن تفرّد به في الدراسات الحديثة هو "تَمَام حَسَنان" وجعله أقلّ من المقطع الصّغير واصطلاح عليه بـ"الأصغر" قائلا: "وهو المقطع الأقصر الذي يمثّل حرفا صحيحا مشكّلا بالسّكون، مثل لام التعريف... وأن يكون في بداية الكلمة حتى يصدق عليه أنه حين يمتنع الابتداء به تسبقه همزة الوصل"، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص 69 (المرجع السّابق).

تعليق:

بعد عرض التحليل على الجدول تظهر النقاط الآتية:

1- نجد الكثير من الأصوات نُطقت مخرّجاً، وأدأءً، وضبطاً، بطريقة غير موافقة للعربية الفصحى، وإنما اقتربت منها إلى ما، فإذا أخذنا المقاطع الصغيرة (ص+ح) في الأشرطة الثلاثة سنجد ثلاث ظواهر بارزة وهي: تبادل المخارج الصوتية كما في الأصوات الأسنانية اللثوية، وكلماتها كثيرة جداً على مستوى الأشرطة الثلاثة، بل لا نكاد نجد أبداً المخرج الصحيح بين حرفي "الظاء" و"الضاد"، فكلّ الألفاظ التي مخرجها الأوّل أُبدل بالثاني مثل: "غرظها، أيظا، المظافة، ظعف، عرظة..." ولعلّ هذا من سمات "فصحى العصر" البارزة، ويلتمس بعض المحدثين عذراً لهذه الظاهرة، ويعلّلها بتقارب المخرجين والصفتين، غير أنّهما يفتقران في كون "الظاء" صوتاً رخواً، و"الضاد" شديداً، أمّا من حيث الصفات الأخرى كلاهما مجهور ومفتّح، علماً أنّ التفريق بينهما حتم لازم في اللسان العربي؛ إذ لكلّ منهما خاصيته الصوتية، ويحمل وقعا نفسياً خاصاً، فإذا قلنا "أيضا" ونطقناها جيّداً حصل ضغط على الحرف وشدّة، ممّا يحملنا على الانتباه، وقد ألّف العلماء في هذا أزيد من ثلاثين كتاباً يبيّنون فيها الفرق¹، ولكنّ الكثير من المتقدمين رويت عنهم آثاراً كثيرة حول عدم التفريق بينهما، مهما يكن من أمر فلا تُحجّر واسعاً، ما دام أنّ الأمر فيه تفصيل واختلاف ما لم يؤدّ إلى تغيير في المعنى المعجمي، مثل ضالين، وظالين، فلاستبدال بين الحرفين أدّى إلى الاختلاف في المعنى، الأوّل من الضلال، وهو الانحراف عن الهدى، والثاني من الظلال، وهو ظلّ يُستَظَلُّ تحته.

ومن الأصوات كذلك التي يحدث فيها التبادل "الضاد" و"السين" مثل التي رأيناها في الجدول "التشخيص، الخاسيات...)، رغم الفرق بين الصوتين إلّا أن اتفاقهما مخرّجاً وصفة كونهما صوتان رخويان ومهموسان واختلافهما ترقيقاً وتفخيماً جعلهما في مقام "القيم الخلافية" صوتاً لا لفظاً ولا معنى؛ أي الضابط في التفريق بين الصوتين؛ هو صفتنا الترقيق والتفخيم باعتبار حجات الرنين التي تكلمنا عنها سابقاً، وهذه الظاهرة لها تخرّجات كثيرة، وشواهد من القرآن في طريقة القراءة، بل عندما نفتح المصحف على سورة الغاشية في لفظ ﴿مُصِيطِرٌ﴾ [الغاشية: 08]، نجد فوق "الضاد" "سيناً" صغيرة، بل في كثير من الكلمات تجد بعض القراءات تقلب بينهما، وهذه الظاهرة متأصلة في التراث، وجُعِلَ هذا من باب التخفيف، ولكن شرط التخفيف أن يُؤمّن من الالتباس المعنوي، مثل في كلمتي (حسير وحصير) فالأوّل معناه عدم الرؤية يُقال رجل حسير، وحصير نوع من الأفرشة، وبالتالي إذا تحقّق المعنى نفسه رغم الاستبدال

¹ - يُنظر: أبو البركات بن الأنباري، كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، تح: رمضان عبد التواب، (د.ط)، (د.ت)، ص 12 إلى 25.

الصَّوْتِي فَإِنَّهُ جاز التَّبدِيل بينهما تخفيفاً، وجرباً على لسان العرب المتقدِّم، وبالتالي ما قامت به المتكلمة مشفوعاً له فيه بالتَّخريج السَّابِق.

ونجد أيضاً ظاهرة أخرى في المقطع الطَّويل المقفل بصامت وهي استبدال "التاء" بـ"الطاء" كما في لفظة "ن(شأط)ها" وأصلها "نشا(ط)ها"، والعكس في المقطع الطَّويل المقفل بصامتين استبدال "التاء" بـ"الطاء" في لفظة "ال(طمرُ)" بدل "ال(تمُّ)رُ"، وهذا الاستبدال كذلك يعتبر قديماً من حيث وجوده فيقبلون "الطاء" "تاءً" والعكس، وسببه اتِّحاد المخرجين واتِّفاقهما في أغلب الصِّفات، فكلاهما صوتان شديداً، ومهموسان، غير أنَّ "التاء" مرقَّعة، و"الطاء" مفخَّمة.

ثم ننتهي إلى الاختلاس الصَّوْتِي الَّذِي تقوم به المتحدث؛ وأقصد بذلك عدم إعطائها للصَّوت حَقَّهُ الزَّمني نطقاً، وهذا أفضى إلى ابتلاع وسقوط الحروف الأخيرة في الكثير من الكلمات، كما أنَّها تقف على متحرِّك في مواضع الوقف، ومثاله: (كيميائي، مادَّ، للوقاي، المضاف، الضروري)، بدل نطقها بالتَّاء المربوطة، أو عند الوقف هاءً ساكنة، تلجأ إلى اختلاس زمنه حتى يصير إلى العدم، وهذا في كلِّ الأشرطة، سواءً الَّتِي تمَّ تحليلها أو الَّتِي لم يتمَّ تحليلها، فهي ظاهرة متفشية في جميع اللهجات العربيَّة بما في ذلك القطريَّة والمصريَّة والتونسيَّة وغيرها، وربَّما هذا راجع إلى الخوف من الوقوع في الخطأ إعراباً، فيضطر إلى التخلِّي عن نطقه، وهذا الاختلاس يؤدي إلى عدم نطق الكلمة بطريقة صحيحة.

2- أمَّا في المقاطع المتوسطة المفتوحة نجد ظاهرتين وهما إطالة الصَّوْت القصير في آخر الكلمات كون الحركة القصيرة يمكن أن تطول عند إشباعها بمدة زائدة ذلك "أنَّك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الَّذِي هي بعضه"¹.

وهذا تكلم فيه غير واحد نظريّاً، وإنَّما هذه الظَّاهرة كما في الكلمات التَّالِيَّة (نعرفو، أنو، جفافو، نتأكدو، نقدر، نستخدمو، نكونو، نركزو، نشوفو، نروحو...) سببها التَّأثير اللّهجيّ، ولعلَّ تحليلها الفلسفيّ العميق يحيلنا إلى فكرة قد تبدو منطقية وهي: سبب بداية الكلمات بالسَّواكن أو اختلاس الحرف المضعف كحرف من جنس أصله، أو تعويض لضمير متّصل محذوف، جعل الحرف الأخير من الكلمات تُشبع تعويضاً للحركة المعدومة في البداية أو للحرف المعدوم في الوسط أو المحذوف في الأخير، وكأنَّه جبر صوت بصوت يُلحق في الآخر.

¹ - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص 17، 18. (المرجع السَّابِق).

وأما الظاهرة الثّانية فهي البدء بالسّاكن، نجد أن الكثير من الكلمات بدأت بساكن، وهذا مخالف للقواعد العربيّة الأساسيّة، فلا نجد في الفصحى الابتداء بساكن الذي وجدناه في العاميّة الجزائريّة، فالفصحى تجعل ألف وصلٍ للتوصّل إلى الحرف السّاكن، واصطلح عليها "تمام حسنّ" بالموقعيّة وذكر أقسامها، وفصل في هذا، رغم أنّ الكلمات الّتي ابتدأت بساكن في العاميّة الجزائريّة ليست من الكلمات الّتي تحتاج إلى ألف الوصل، ولعلّ هذا من باب الاقتصاد وتوفير الجهد، ويعتبرونها ظاهرة لغويّة ناتجة عن التّطور، وهذه من ضرورات قواعد التّلفظ كما أوجزها "الحاج صالح"¹.

ويمكن تفسير هذا فلسفيّاً أيضاً أن الابتداء بالسّواكن لا يخلو من أمرين، أحدهما طبيعة الشّعب الّذي تعود على البسيط والسّهّل مما استصعب عليه نطق الحركة فمال إلى التّسكين، ونجده في ثلاث مقاطع متتالية كلّها ساكنة، مثل: "نُقَدِّرو"، وأقلّها تجده في مقطعين مثل "نُحْكُو"، وهذا يعكس طبيعتهم من وجهة نفسيّة أيضاً فأغلبهم يكون قلقاً ومُكرهاً على الكلام لولا حاجته لتبليغ أمره لما تكلم، ولنا أن نرى أثر ذلك في حياتهم اليوميّة، فالمتكلّمة "بسمّة" كلّما عرضت الموضوع بالفصحى أتبعَت الكثير من الكلمات الجانب اللّهجي، وهذا حال كلّ الأشرطة في الحصّة الّتي سبق إعدادها، أما عن الأمر الثّاني فهو تأثير اللّهجة الأمازيغيّة واللّغة الفرنسيّة، الّتي من أبرز سماتها الابتداء بالسّاكن مثل: (class, plus, spaidier,...)، وبما أن أغلب الشّعب الجزائريّ يمتلك لهجات كثيرة واستُعمِر من العثمانيين ثم من الفرنسيين، فإنّ التأثير لا بدّ أن يظهر أثره على العربيّة بقصد أو بغير قصد.

3- أما المقطع المتوسط المقفل فإنّ أغلب ظاهرة نجدُها فيه هي الوقف على السّاكن، مثل (بَشْ(رِتْ)نا، البَا(رِدْ)، تُفْ(قَدْ)، يُوْثْ(يُزْ)، يَسَا(عِدْ)، حَا(لَةْ)، البَدَا(ئِلْ)، مَنَا(عَةْ)، مَحَا(وَزْ)، لَا(زِمْ)، يَعت(بَرْ)، مَصْ(دَزْ)، تُسَا(عِدْ)، عَشْرْ(يَا)، فاللّغة العربيّة الجزائريّة المستخدمة من طرف "بسمّة" وغيرها تجاوزت المألوف في الخطابات العلميّة في استنادهم للوقف في كلّ كلمة، فلا تكاد تمرّ كلمة إلّا السّاكن آخرها، فكُلّها تسكين للأواخر ولو في مجرى الوصل، إلّا أنّ هذه الظّاهرة في فصحى العصر أو شبيهة بالفصحى على تعبير "السّبعان" متفشية في كلّ لهجات العرب الحديثة، عملاً بالقاعدة الباطلة "سَكْرُنْ تَسْلَمْ"، وإنّ خوفنا الكبير من هذه الظّاهرة يزداد يوماً بعد يوم، وذلك لما يجده اللّغويّون من تخريجات وتقعيدات استناداً لبعض لهجات العرب القديمة مثل الّتي تكلمت بها تميم²، حيث نجد الكثير من أهل اللّغة المحدثين يبرّرون لهذه الظّاهرة بقراءات قرآنيّة ثابتة مثل الّذي يقرأ في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا

¹ - انظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 186. (المرجع السّابق)

² - انظر: عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، ط1، 1987م، ص 328 وما بعدها.

لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف: 80]، يقرأونها بتسكين اللّام في "رسلنا"، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [سورة الأنعام: 109] يتلوها بتسكين الرّاء "يشعركم"، فهناك مئات الشّواهد على التّسكين، ولكن لا ينبغي مجاراتها أو الأخذ بها في تبرير القاعدة الباطلة؛ لأنّ التّسكين في القراءة الّتي ذُكرت فيها هذه الظّاهرة هو من باب البيان الّذي لا يدركه أغلب أهل اللّغة المحدثين، فله دلالات روحية قلبيّة خاصّة يتفرّد بها القرآن رسماً.

وهذا التّسكين انجرّ عنه سقوط الإعراب تماماً!، حتّى أبسط قواعدها لم نر لها أثراً، كالاسم المجرور المسبوق بحرف الجرّ، أو كان مضافاً إليه، ناهيك عن المرفوع والمنصوب فلا يكاد يُرى إلّا نادراً، وإن وجدناه لم يسلم من اللّحن مثل العبارة الّتي مرّت بنا في الشّريط "غرظها التّشخيص والتّسكين والمعالج" بدل الرّفْع نصبت وسكّنت وبدلّت، وهكذا أدّى بالكلمات ذات المقطع القصير في الآخر لتصبح ضمن المقاطع المتوسطة المقفلة، والطّويلة المقفلة بصامت وبصامتين، فأدّى إلى تذبذب المقاطع بدل استقرارها على مقطع سرديّ واحد، ولذا تعتبر ظاهرة التّسكين من الظّواهر المدمّرة لعلم كامل، علم تأسّس على قواعد الضّبط المحكم للسان العرب، وهو علم النّحو؛ ولذا قيل عنه تعظيماً لشأنه: "النّحو في الكلام كالملح في الطّعام"، وبهذا التّسكين المستقر، والاضطراب المستمرّ للمقاطع، أدّى إلى تذبذب الخطاب لفظاً.

في المقابل إذا ردّدنا هذا الاستعمال إلى المعيار الصّوّابي قصد التّعليل نجد أنّ المقاطع القصيرة هي أصل الخطاب العلميّ باللّغة الفصحى المألوفة؛ لأنّ مقام الخطاب يقتضي السّرد، والسّرد يقتضي الاسترسال في العبارة، وهذا يحصل بالمقاطع القصيرة، والوصل هو الظّاهرة المناسبة لذلك مثل: سرد القصص، أو نشرات الأخبار، يستوجب أن تكون أصواتها قصيرة من أجل الأداء السّريع المتّصل؛ ولأنّه لا يمكن التّوصّل إلى الحرف نطقاً إلّا بحركة قصيرة، فكانت تمثّل النّسبة الأعلى.

الحاصل:

إن أغلب الظّواهر المتعلّقة بالاستبدال الصّوّبي هي قديمة من حيث وجودها الأصلي، فقد تكلمت بها قبائل عربيّة كثيرة، ويحقّ لأيّ باحث هنا أن يُفرد لكلّ ظاهرة من هذه الظّواهر الّتي مرّت معنا شواهد من الشّعْر والقرآن وكلام العرب، حتّى يُبرّر الموقف ويزيده حجّة، وعملاً بالقاعدة "لا تُحجّر واسعاً" واستناداً للخطاب العربيّ الأصيل؛ فإنّ مثل الخطابات الّتي مرّت معنا في التّحليل الصّوّبي هي عربيّة صحيحة، من حيث الاستبدال الصّوّبي بشرط أن لا

يحدث تغييراً في الدلالة المعجميّة، فالتغيير بقدر ما هو جائز وله ما يبرّره، إلّا أنّه ليس على إطلاقه؛ لأنّ التوسّع في المباحث يُفضي إلى التجاوزات.

أمّا من حيث البدء بالسّاكن فلا أعلم عن العرب قديماً فعلت هذا، ولعلّه من تأثير اللّغات الأخرى كما سبق بيانه، كما أنّ الوقف على السّاكن عند كلّ كلمة ليس من سمات كلام العرب، فقد يلحنون فتحاً أو ضمّاً أو جرّاً، ولكن لا يسكّنون إلّا في مواضع الانتهاء من الكلام فصلاً، بينما ظاهرة الاختلاس فهي قديمة قدم العربيّة، وكان العرب يعيونها في قراءات القرآن، وهو عبارة عن خطف لزمن الحرف حتّى يصل إلى حذف الحرف كلّ.

2- الفونيمات الفوقطعيّة (التطريزيّة/ الفرعيّة) للخطاب العلميّ الجاهز:

وهي التي تختصّ بدراسة المقطع الصوتي من حيث المدة الزمنيّة؛ لأنّ في تحديد المدة مقياس معيّن يدلّ على معنى جزئيّ يحدّد حالة المتكلّم النفسيّة، فقد بحث اللسانيّون المحدثون عن هذه المسألة، ولكن لم يولوا أهميّة لزيادة الصّوت الذي يكون في المقطع، ولذا أرى بأنّ الدّراسة الوظيفيّة للصّوت بقدر ما هي تُعنى بالجانب اللّغويّ للحرف، فهي لا تنفكّ عن معرفة حقيقة ناطق هذا الحرف، وإنّ وصفنا المقطع في اللّغة بأنّه قصير، أو متوسط، أو طويل من حيث الكميّة، إلّا أنّ حقيقة القصر والتّوسط والطّول راجع إلى المتكلّم مدّةً، فقد يجعل الطّويل قصيراً أو العكس، لذا أهمّ ضابط تميّز به المسألة هي الحرف والصّوت، فإنّ كان الأوّل فهو وصف بالكميّة (قصير، متوسط، طويل)، ومنه كان للنبر معنى سياقيّ خاصّ، أو وظيفة تمييزيّة، وإنّ كان الثّاني فهو تجسيد للحرف على لسان المتكلّم يُقاس بالثّواني وأجزائها؛ أي بالمدة الزمنيّة يقول "تمام حسن": "أمّا المدة فهي اصطلاح أصواتي لا تشكيلي يقاس بوسائل ميكانيكية ويدخل في مفهوم الزمن، ويمكن استخراجه من المسافة، كما يستخرج من السّطوع التوقيتيّة كميناء الساعة وخطّ الذبذبة"¹.

وفي الحقيقة يُعتبر برنامج "praat" فريداً من نوعه خاصّة بعد العمل على تطويره، وقد اختُبرت نتائجه على العديد من العيّنات في غير هذه المناسبة، وسيأتي ذكر شيء منها، وحتّى أثبت الفكرة بالتّحليل والشرح، لا بدّ أن أوضّح إشكالا قد يقع فيه بعض الباحثين حول استخدام هذا التّطبيق واعتباره ليس كافاً للقيام بهذه العمليّة التحليليّة للمقاطع الصوتيّة، يكفي أن أوجّه فكريّتي على النّحو الآتي:

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 157، 158. (المرجع السّابق)

- البرنامج هو كسائر البرامج التحليلية يخضع لنمط التحديث في كل شهر مرة أو مرتين، وهذا التحديث يكون فيه تعديلا لما كان سيئا أو غير فعّال.
- البرنامج يعمل بمنطقية رياضية عالية التركيز، حيث الصّوات تقابلها المنطقة السوداء، والصّوامت تقابلها المنطقة الرمادية، ويكشف عن عدد أجزاء الثانية التي يمرُّ بها المقطع الصّغير قبل المتوسّط والطّويل.
- وضوح الصّوت في النّبر هو وضوح نسبي بظهور مقطع على حساب آخر، وهذا يعكس حالة المتكلّم النفسية والاجتماعية، ولا ننسى أن "تمام حسّان" حين ذكر موضوع النّبر في صفحتين لم يزد، قسّمه إلى نبر صرّفيّ، ويكون على مستوى صيغة الكلمة، ونبر دلاليّ يكون على مستوى البناء النّحوي، والذي يهّمنا هو الأوّل المعروف عند أغلب المتأخرين ويُعرف على البرنامج بالخط الأصفر.

1.2 أَهْمُ الْمَسَائِلِ وَالْفَرْضِيَّاتِ حَوْلَ ظَاهِرَةِ النَّبْرِ:

- اتّفق اللّغويّون المحدثون بأنّ النّبر ليس له وظيفة تمييزية، ولكن يعدّونه ظاهرة صوتية حقّت دراستها، ولا يلزم أن يكون لها معنى مقصودا؛ كونها ظاهرة تُدرس من أجل ذاتها لا من أجل هدفها؛ أي النّبر من أجل النّبر، وليس النّبر من أجل وظيفة تمييزية، وهذا يناسب فكرة عزل النّصّ عن متكلّمه وظروفه الخارجيّة حسب النّظرية البنيويّة.
- لا يمكن الجزم بمواضع النّبر، كما أنّه لم يلحقنا شيء عن الظّاهرة في تحديدها غير بعض الصّوابط التي أشار إليها المتأخّرون؛ لأنّ "مواضعه في اللّهجات العربيّة الحديثة، فقد تختلف عمّا هي عليه في العربيّة الفصحى، بل حتّى في الفصحى لا ندري كيف كانت تنطق في العهد القديم"¹.
- وفي هذا الكلام تلميح واضح إلى عدم اتّفاق الباحثين على مواضع بعينها، بسبب اختلاف اللّهجات، وإن كان حتّى في الفصحى لا يوجد فيها دليل على حضور موضوع النّبر والتّنعيم، وإنّما الأمر كلّه راجع إلى الاجتهاد الفرديّ، وهذا ما نجده عند المتأخّرين، كلّ باحث يقترح ضابطا يُرجع فيه إلى مكان النّبر الصّحيح، فقد جعل "تمام حسّان" موضع النّبر يعتمد على علو الصّوت؛ أي علو مقطع من الكلمة على آخر قائلا: "المقطع المنبور من "محمد" وهو "حَم" بحيث يصبح المقطع أقوى نطقا وأعلى صوتا"².

¹ - ربيعة برباق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 200. (المرجع السّابق)

² - تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 231. (المرجع السّابق)



وهذا ما سنوضحه على التطبيق (برايت praat) سنعمد عليه في تحديد المقطع الأعلى صوتا من بين المقاطع على أنّه هو المنبور، ومقارنته بموضع النّبر التي يجب أن يكون عليها.

• وضع قوانين للكلمات في اللغة العربيّة من باب الضبط الكميّ (الحرف) لا الزّمني (الصّوت)، وخير من ضبطها وحصرها وأوضحها، وجانبها التعقيد "إبراهيم أنيس" فجعل النّظر في المقطع الأخير من الكلمة إذا كان من نوع (ص + ح ط + ص) أو (ص + ح + ص + ص)؛ أي الطّويل بنوعيه المقفل بصامت وصامتين، يصبح هو المقصود بالنّبر، بشرط الوقف على الكلمة، والنّظر في المقطع ما قبل الأخير إنّ كانت الكلمة ليست من التّوعين (الطّويل بنوعيه)، وكانت من نوع (ص + ح + ص) أو (ص + ح ط)؛ أي المتوسط بنوعيه المقفل بصامت والمفتوح كان هو مكان النّبر، في حين إذا كان ما قبل الأخير مقطعا قصيرا (ص + ح)، وكان الذي قبله مثله، يصبح الذي قبل الأخير هو موضع النّبر؛ أي المقطع الثالث عند العدّ من آخر الكلمة، أمّا لو لم يكن المقطع الثالث هذا مثل الذي قبل الأخير مقطعا صغيرا يصير ما قبل الأخير هو المناسب للنّبر¹. أمّا الكلمة ذات ثلاث مقاطع من نوع القصير، مثل التي في الأفعال الماضية، فأول الكلمة هو المقصود بالنّبر، أو بعبارة أخرى، آخر مقطع عند العدّ من نهاية الكلمة نحو "فعل" فالفاء هي موضع النّبر.

بطريقة أبسط نختصر الضوابط المتعلّقة بموضع النّبر كما يلي:

- ✓ المقطع الأخير = (ص + ح ط + ص) أو (ص + ح + ص + ص) هو المقصود بالنّبر.
- ✓ المقطع ما قبل الأخير = (ص + ح + ص) أو (ص + ح ط) هو المقصود بالنّبر إذا لم يكن الأخير كما سبق.
- ✓ المقطع الثالث من آخر الكلمة = (ص + ح) هو المقصود بالنّبر في حال ما كان قبل الأخير مقطعا قصيرا أو طويلا.
- ✓ المقطع ما قبل الأخير = (ص + ح) هو المقصود بالنّبر في حال كان المقطع الثالث من آخر الكلمة غير قصير.
- ✓ المقطع الأوّل من آخر الكلمة = (ص + ح) هو المنبور في حال كل المقاطع من نوع القصير.

¹ - يُنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1981م، ص 170، 171

ويرجع هذا الاختلاف في تحديد مواضع النبر إلى مسألة مهمة أراها تستحق أن تكون دراسة مستقلة في مقال علمي دقيق، وأوجزها في نقطة وهي الاختلاف في التحديد بناءً على الموضوع العام للدراسة العلمية؛ بمعنى إذا وضعنا تحديد "تمام حسن" في ضبط الأماكن المنبورة فمرجعه إلى الصوت، وإذا أخذنا بكلام "إبراهيم أنيس" السابق فمرده إلى الصّرف؛ أي وضع قانون عام ولو على حساب أعلى صوت وقوته، وبما أن الصوت مقدمة للصّرف؛ فإنّ الأولى وضع قانون عام يحمي الصوت من التغيّر والتحوّل الذي قد يطرأ على أصالة الحرف وجودة الصوت، كما أننا لو عوّلنا على الصوت دون الصّرف، فإنّ هذا الأخير ستتشتت صيغته، ويُزاد أو يُنقص في بنية الكلمة، كما تحدث الفوضى في النطق، وتصبح مسائل الصوت فردية، ويقع الانحراف اللغوي، وفي ذلك تبعات كثيرة لولا القانون الذي يحفظ مملكة الصوت من الزوال.

وهذه النقاط الثلاثة تعتبر فرضيات نحاول معرفة مدى قرب النماذج الثلاثة منها، أو بالأحرى اختبار صحة الفرضيات في الأشرطة الثلاث، كما لا يفوتني أن أضع حيزاً أو قيداً لتتبع مفاسل الكلام؛ إذ العمل على كلّ الألفاظ في تحديد الظاهرتين (النبر، والتنغيم) يستغرق منا مجلّدات لا حصر لها من أجل تحليل خطاب قصير، لذا عملاً بالقاعدة الأصولية العامة "ما لا يُدرَكُ كلُّهُ لا يُتركُ جُلُّهُ" سنركّز على الكلمات التي أخذناها في التحليل الأوّل الخاص بـ(المخارج والصّفات)، كما أنّه يمكن الاطّلاع على تحليل الأشرطة المعروضة في الملاحق آخر الدّراسة، فالجدول الآتي يوضّح اللفظ في صورته المستعملة وما يجب أن يكون عليه في صورته الثابتة وضعاً:

دراسة وظيفية للصوت				
مستوى استعمالي				معيّار صوّابي
أشْرطة	لَفْظَة	كَمِيَّة وَمَدَّة (بالجزء من الثانية)	قياس ب db	أصل النبر
	الدّوا	"ا" (0.19) من أصل (0.51)	76.16	الدّد [واء]
	كيميائيا	"كيم" (0.21) من أصل (0.74)	77.07	كيميا [ئي] يه
	يُؤثّر	"ي" (0.12) من أصل (0.61)	71.69	ئي [وْث] ثر
	تُتَشخّص	"خي" (0.21) من أصل (0.58)	70.82	التش [خيص]
	أيضاً	"أي" (0.25) من أصل (0.49)	71.94	[أي] ضاً
	تُستعمل	"مل" (0.24) من أصل (0.67)	75.53	تُس [تغ] مل
	للقايا	"يا" (0.29) من أصل (0.66)	74.75	و [قا] يه



شريط 1	أمراض	"را" (0.25) من أصل (0.56)	75.72	أم[راض]
	خافظُ	"خا" (0.24) من أصل (0.38)	73.01	[خا]فضُ
	لازم	"زَم" (0.17) من أصل (0.29)	75.49	[يَلَن]زَم
	نعرفو	"نَعَر" (0.20) من أصل (0.36)	67.80	[نَع]رِفُ
	إِنُّو (إِنَّ)	"إِنَّ" (0.14) من أصل (0.26)	73.66	[إِنَّ]نَ
	أذوي	"أذ" (0.31) من أصل (0.59)	73.91	أذ[و]يَـ
	عُنْصُر	"عُن" (0.19) من أصل (0.50)	65.86	[عُن]صُر
	أُنْشِطُ	"أُن" (0.18) من أصل (0.57)	60.12	الن[ن]شِطُ
	تُوظَعُ	"ظَع" (0.26) من أصل (0.41)	76.17	[تُ]وْظَعُ
	مادد	"د" (0.25) من أصل (0.38)	72.63	[ماد]دَـ
	ففعَالَ	"عا" (0.17) من أصل (0.58)	76.41	فع[عا]لَـ
	عَرَضُ	"ع" (0.12) من أصل (0.38)	76.11	[ع]رَضُ
شريط 2	نُحْسِسُوش	"سُوش" (0.32) من أصل (0.51)	68.18	[ن]حُسُ
	نعرفو	"نَعَر" (0.21) من أصل (0.38)	76.58	[نَع]رِفُ
	إِنُّو (إِنَّ)	"إِنَّ" (0.13) من أصل (0.24)	77.65	[إِنَّ]نَ
	بشرتنا	"نا" (0.21) من أصل (0.62)	76.44	بش[ر]تُنا
	هواء	"واء" (0.18) من أصل (0.34)	73.44	هَ[واء]
	بارد	"با" (0.23) من أصل (0.35)	76.58	[با]رَدُ
	يؤثر	"ؤ" (0.21) من أصل (0.44)	77.05	يِ[ؤث]ثِرُ
	سلبا	"با" (0.21) من أصل (0.44)	79.28	[سل]بَا
	بشّر	"بش" (0.17) من أصل (0.35)	71.90	[ب]شَرَّـ
	برودة	"رؤ" (0.15) من أصل (0.42)	79.26	بُ[رو]دَـ
	هواء	"واء" (0.24) من أصل (0.38)	77.93	هَ[واء]
	جفافو	"فو" (0.27) من أصل (0.65)	74.70	جَ[فا]فُـ
	تُفقد	"تف" (0.15) من أصل (0.41)	74.82	[تف]قَدُ
	نشاطها	"شاط" (0.32) من أصل (0.65)	75.62	نَشَا[ط]ها

تلاتين	"ثين" (0.31) من أصل (0.51)	82.01	ثلا[ثين]
خمسين	"سين" (0.41) من أصل (0.62)	77.27	خم[سين]
مئى	"مي" (0.31) من أصل (0.51)	71.91	[مي]ئه
جفاف	"ج" (0.21) من أصل (0.56)	70.08	ج[فاف]
حكينا	"حكي" (0.32) من أصل (0.50)	76.99	ح[كي]نا
خارجيا	"خا" (0.15) من أصل (0.69)	77.64	خار[جي]ية
نتأكدو	"نتأك" (0.54) من أصل (0.73)	72.61	نت[أك]كد
نتفاداو	"داو" (0.36) من أصل (0.77)	75.66	نت[فا]دى
عديد	"ديد" (0.60) من أصل (0.74)	82.22	ع[ديد]
تغلغل	"ت" (0.23) من أصل (0.70)	79.45	ت[غل]غل
استحمام	"مام" (0.28) من أصل (0.72)	75.00	استح[مام]
عشوائي	"وا" (0.21) من أصل (0.66)	75.35	عش[وا]ئي
نقوؤ	"نقو" (0.32) من أصل (0.69)	68.08	ن[قو]وي
مناعة	"نا" (0.10) من أصل (0.39)	70.09	م[نا]عه
أجسامنا	"سام" (0.32) من أصل (0.62)	68.16	أجسا[م]نا
مناغ	"م" (0.21) من أصل (0.64)	75.25	م[نا]عه
إنقباظ	"باظ" (0.40) من أصل (0.75)	73.05	إنق[باض]
باقي	"با" (0.44) من أصل (0.67)	70.91	[با]قي
دذارج	"دار" (0.13) من أصل (0.40)	75.32	الددا[ر]جة
ثلاث	"ثلاث" (0.27) من أصل (0.27)	67.52	ث[لاث]
محاوؤ	"ور" (0.27) من أصل (0.54)	65.22	م[حا]وؤ
مظادات	"دات" (0.21) من أصل (0.52)	71.48	مضاد[دات]
أكسد	"أك" (0.15) من أصل (0.58)	66.47	أ[كس]د
ددهون	"هون" (0.32) من أصل (0.57)	77.07	الد[هون]
عمل	"مل" (0.24) من أصل (0.43)	73.65	[ع]مل
نتقلقوش	"نتقل" (0.40) من أصل (0.79)	66.67	نت[قل]لق

شريط 3

أَطْطَمَر	"أط" (0.22) من أصل (0.43)	64.98	الت [تَمَر]
اسْتَبْدَالُو	"دا" (0.16) من أصل (1.03)	76.13	استب [دا]لُة
مُظَاذ	"م" (0.18) من أصل (0.67)	71.78	[م]ضادَدَة

(جدول 02)

تعليق:

بعد عرض نتائج الجدول نحاول تقديم تفسير منطقي لما يطرأ على ظاهرة النبر من تحولات أو اختلافات عن موضعه الأصلي، وحتى نتعرف على واقع الاستعمال اللغوي في الظاهرة، والتي تطرق إليها "إبراهيم أنيس" أثناء حديثه عن مسألة (عناصر اختلاف النطق)، وحصرها في ثلاث نقاط منها اختلاف مكان النبر فقال: "اختلفنا في موضع النبر من الكلمة: وهذا هو المظهر الثالث الذي يفرق بين النطق في البلاد العربية، بل يفرق أيضا بين لهجات الكلام في الإقليم الواحد"¹.

وعليه نبنى النقاط التالية:

1- في الأشرطة الثلاثة نبر غير موافق للأصل الذي يجب أن يكون عليه في القاعدة، والذي اصطلح عليه "إبراهيم أنيس": بالنطق النموذجي، وهو إظهار مواضع النبر، والنطق الصحيح، الذي يجب أن تكون عليه فصحي العصر، ثم اعتذر "إبراهيم أنيس" عن هذا الاختلاف الصوتي، وجعل تحقيقه شبه مستحيل في هذا العصر؛ إذ قد استشرى الأمر، واطرد اللحن حتى صار في حكم القاعدة في عصرنا، ولكن مع هذا حاول أن يقترح الوسائل المناسبة في تكوين النطق النموذجي، كاختيار المدرّس الخاص بهذا المجال، والذي يمتلك القدرة على تمييز الأصوات، ومعرفة مواضع النبر ودلالات التنغيم، وله أذن موسيقية مرفهة²؛ سبب اعتمادنا على تلك القواعد التي وضعها "إبراهيم أنيس" هو تسكين آخر الكلمات صيغة؛ أي من منظور صرفي لا نحوي، ولكن الحقيقة تدعو إلى استعمال النبر في الجملة عن طريق الكلمات أداءً صوتيًا، وبالتالي اعتمادنا على تلك القوانين كان من باب الاقتراب من حقيقة النبر، كما كان لو سمعناه من أفواه العرب الأصليين، وإن كان في هذا إجحاف للحقيقة، فلا يستطيع "إبراهيم أنيس" ولا غيره أن يحدّد بالدقّة اللازمة مواضع النبر كما لو سمعوها من الأولين؛ لأنّه لم يبلغنا من ذلك شيء، وإنما وضعه لتلك

¹ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 36. (المرجع السابق)

² - المرجع نفسه، ص 31.

القوانين كان بمعيار كميّة المقطع طولاً وتوسّطاً وقصرًا، وإلاّ فإنّ إدراك ذلك لا يكون بضابط الكميّة، بقدر ما هو اقتراب من الصّواب، وإلاّ فإنّ النّبر تحدّده يخضع للاجتهادات الجماعيّة في بلد ما، كما كانت القبائل قديماً، كلّ قبيلة تتميّز بنبر خاصّ بها في الكلمة، ونبر أهل البادية ليس كنبر أهل المدينة، ولذا وضّع "إبراهيم أنيس" للقوانين هو من باب السّعي إلى توحيد النّبر في الكلمات على السنة النّاطقين بها، حتّى لا يتشتّت النّاس في تحدّده، ولكن قد يكون هذا مبالغ فيه إذا أقرنا بمبدأ الاختلاف في الحياة؛ إذ السنن الكونيّة أسبغت علينا نعمة الاختلاف حتى نتميّز بها عن بعضنا البعض، فقد أشار القرآن إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَلَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]. ولذا أمر الاختلاف بين السنة الأمم تقرّ باختلاف الأصوات ولو في اللّغة الواحدة، وإذا أنصفنا القول بوجود الاختلاف في مظانّ الحياة فإنّ ضبط أواخر الكلمات راجع إلى حقيقة المقاطع الصّوتيّة أثناء تركيبها، فإذا اعتبرنا الصّوت جزءاً من الكلمة، والكلمة جزءاً من الجملة؛ فإنّ الجملة يجب أن تُضبط صيغة وصوتا، والصّوت المنبور يظهر في الكلمة حين إدخالها في التّركيب، فلا يمكن أن نتصوّر النّبر بمعزل عن الصّوت، وللنّبر حقيقة تظهر في الكشف عن الجانب الاجتماعيّ، كما في التّغيم حقيقة الكشف عن الجانب الانفعاليّ التّفنسيّ، فلو كانت الدّراسة في علم الاجتماع اللّغويّ لحرصنا على تجلية ذلك.

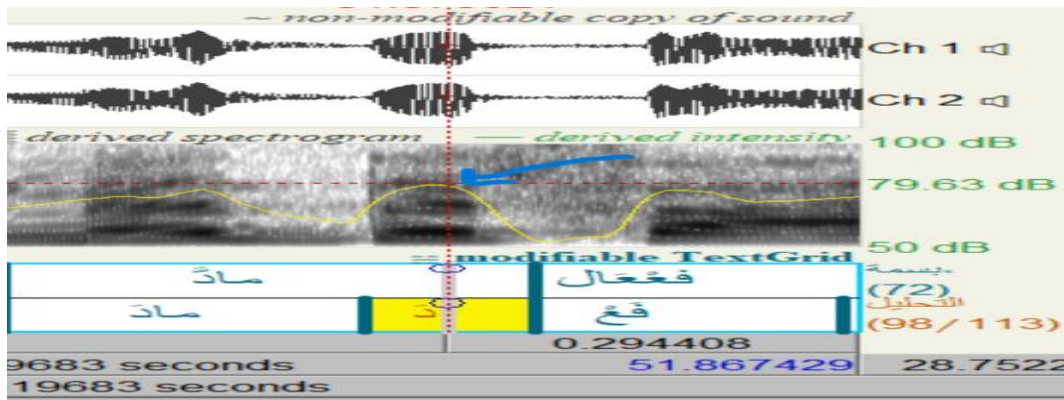
2- فإذا انطلقنا من فرضية (لا وظيفة تمييزيّة للنّبر)، وفرضية (عدم الجزم بمواضع النّبر الحقيقية) اللّتان سبقتا قبل الجدول سنجدهما متحقّقتين، كما أنّنا أوردنا في الجانب النّظريّ كلاماً لـ "تمام حسّان" يقول فيه: "وللقارئ إن شاء أن يتأمّل كلامه، ويحدّد المسافات بين حالات النّبر"¹.

فقد جعل تحديد "حالات النّبر" موكل إلى أمر القارئ وفق آلية التأمّل، فلا يمكن الجزم بمواضع النّبر الحقيقيّة للكلمة، مالم يتصل الموضوع بتطبيقات حديثة، نعمل بها لمعاينة الصّوت معاينة علميّة منطقيّة، كما إنّ تحدّده يخضع لمحدّدات فصلناها، منها (المدة الزّمنيّة للصّوت، شدّته، ارتفاعه...)، ولا تناسب بينها، فقد نجد مقطعا طويلا مدّته طويلة، ولكن لا شدّة فيه، مثل: ("فو" في كلمة "نعرفو"، و"ماذ" في كلمة "مادّدة"، "عش" في كلمة "عشوائي"...). فهذه أمثلة على طول المقطع بلا شدّة، فإذا وقع التّعارض، ولم نتعرّف على الوضوح التّسبيّ في الكلمات، رجّحنا موضع النّبر بـ "ارتفاع الصّوت" وجعلناه هو الواضح وضوحاً نسبياً يتميّز به عن غيره من المقاطع، كما قد نجد العكس وهو الأكثر في الكلمات، مدّته قصيرة، وليس مقطعا طويلا، ويكون هو موضع النّبر بضابط ارتفاع الصّوت، والشدّة،

¹ - تمام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، ص 163. (المرجع السّابق)

ولعلّ أبين المقاطع التي تحتوي على النبر ما كان في بناء الكلمة صوت الدال مثل: ("اذ" في كلمة "ادّوا"، يقدر شدة المقطع بـ76.16، وأيضا "اذ" في كلمة "أدوي" يقدر بـ73.91، و"ذ" في كلمة "مادّ" يقدر بـ72.63، و"داو" في كلمة "تتفاداو" يقدر بـ75.66، و"ديذ" في كلمة "عديد" يقدر بـ82.22، و"دات" في كلمة "مطادات" يقدر بـ71.48...)، فهذه كلّها أمثلة على وفق المعيار الاستعمالي، نلاحظ أن صوت "الدال" في الكلمات التي تحتوي عليه أكثره بروزا وأرفعه شدة، سواء كان مقطعا صغيرا كما في "مادّ[ذ]"، أو طويلا كما في "تتفاداو"، فهو الأظهر موضعا على المقاطع الأخرى، وإليك شكلا واحدا للتجسيد التطبيقي للكلمات حتى نستوعب التحليل السابق وسأترك بقيّة الكلمات الأخرى في الملاحق حتى يتسنى الاطلاع عليه:

(شكل 01)



صورة توضّح طريقة عمل برنامج "برايت" (praat)

كما نلاحظ الخطّ ذا اللون الأصفر في مقطع صوت "الدال" الذي أشرتُ إليه بسهم أزرق أنّه أعلى شدة من بقية المقاطع الأخرى، وهكذا بقية الألفاظ التي تحتوي عليه.

3- عند المقارنة بين ما نسمعه ونحلّله على التطبيق؛ أي عند المقارنة بين المعيار الاستعمالي وما نكتبه دون صوت وفق المعيار الصوّابي سنجد أن أغلب الكلمات اختلفت موضعا إلّا القليل منها مثل: (غرض، أيضا، خافض، إننّ، بارد، مئة، باقي، فعالة، هواء، بروده، تفقد، ثلاثين، خمسين، عديد، استحمام مناعه، إنقباض، مضادات، الدهون، استبداله، مضاده)، فهذه الكلمات تحقّق فيها الفرض الذي عقدناه آنفا قبل التحليل، وهو (وضع قانون خاص لمعرفة موضع النبر) والذي أوضحناه من خلال كلام "إبراهيم أنيس"؛ أي توافق المقطع المنبور الذي قامت به المتكلّمة -بسمه- للكلمات السابقة مع القاعدة المتعلّقة بتحديد مكان النبر، وهو توافق نسبيّ مقبول جدا مقارنة

بالكلمات الأخرى، فلو أخذنا ما عندنا في الجدول، الذي يحتوي على ثلاثة وستين كلمة، لكان الموقف منها يقدر بـ 33.33%.

4- كما يوجد بعض الكلمات ذات المقطع الواحد لم نضعها في الجدول؛ لأنّها تمثّل برُمّتها نبرا مثل حروف الجرّ و"بعض" و"باش"... يقول "تمام حسان": "إذا كانت الكلمة ذات مقطع وحيد وقع عليه النّبر أيّا كانت كمّيّته"¹.

الحاصل: تحقّقت الفرضيتان بعد التّحليل والتّعليق والشرح، وهما: لا معنى تمييزيّ للنّبر، وكذلك لا قانون ثابت في تحديد المقاطع الصوتيّة، خاصّة إذا خرجت عن مضمون الفصحى القديمة (التّراث)، وإن كانت حتّى هذه الأخيرة لا نعلم حقيقة النّبر فيها، فلم يصلنا شيئا عن هذه الظّاهرة محقّقا، ومع ذلك يوجد توافق نسبيّ في الفرضية الثالثة، وهي وضع قانون خاصّ بموضع النّبر (قاعدة إبراهيم أنيس)، فقد يظهر ثمة تعارض بين الفرضية الأخيرة والتي قبلها، ولكن في الحقيقة لا تعارض بينهما؛ لأنّ النّسبة القليلة في حكم التّادر، وبالتالي "الحكم مع الأغلب الأعم".

2.2 أهم المسائل والفرضيات حول ظاهرة التّنغيم:

أمّا بالنّسبة لظاهرة التّنغيم فهي عبارة عن تغيّرات في أجزاء الصّوت ارتفاعا أو انخفاضاً أو استواءً، بطيئة كانت أو سريعة أو بينهما، فكلّ تغيير من ذلك له وظيفته في التّمييز بين أساليب الجمل وأغراضها، "ومعظم اللّغات تستخدم التّنوعات الموسيقيّة في الكلام بطريقة تمييزيّة تفرّق بين المعاني"².

كما أنّ التّنغيم أشمل من النّغمة؛ إذ التّنغيم هو تفعيل للنّغمة على مستوى الجملة، والنّغمة قد يراد بها الكلمة، وقد وُجد مثل هذا الاختلاف عند المتأخّرين في تحقيق الموضوع الرئيس للتّنغيم بين القائلين بأنّ موضوعه هو الكلمة والجملة³، وبين القائلين بأنّه يخصّ الجملة أدا⁴، إذ نغمة الكلمة لوحدها لا يمكن معرفة حالة المتكلّم فيها إلّا إذا عمد إلى تركيبها في جملة، عندها يظهر أثر التّنغيم ودلالته التمييزيّة، ولا يتعلّق الأمر بالكشف عن أنواع الجمل فحسب، بل يتعدّى الأمر إلى الكشف عن حالة المتكلّم النّفسيّة والاجتماعيّة، وعليه أقرّر في طرحي هذا أنّ النّبر يُعنى بالمقاطع في الكلمة الواحدة حسب قوانينها التي مرّت معنا، وفي الجملة أيضا، وفيه قد يحصل المعنى التمييزيّ، بيد

¹ - تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 173. (المرجع السّابق)

² - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغويّ، ص 174. (المرجع السّابق)

³ - يُنظر: ربّعة برباق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 206. (المرجع السّابق)

⁴ - يُنظر: مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر، ص 37.

أنّ التنّعيم تظهر وظيفته الفعلية أثناء الجملة؛ أي موضوعها هو الكلمة في الجملة لا الكلمة لوحدها، وهو الرأي الذي نميل إليه.

فدرجات التنّعيم له حالات منها الهابطة وتكون في الجمل التقريرية؛ أي حين يتحدّث المتكلّم وهو يسرد شيئاً ما ثم تنتهي الجملة بكلمة فيها نغمة هابطة فهو تقرير لحدث ما، بينما الصاعدة تكون دالة على الاستفهام، بينما لو كانت هابطة ثم صاعدة فتقديرها يكون للاحتمال أو الارتباك؛ بمعنى تجد في الجملة كلمة واحدة نغمتها هابطة وصاعدة بين مقاطعها بسرعة كبيرة، فهنا يحصل نوع من الارتباك النفسي، أما إذا كانت مستوية أو مسطّحة على طول الجملة فلها دلالات كثيرة منها سرد الكلام، أو عدم الاهتمام به، أو الحيادية في الطرح، كما قد يدلّ على الانبساط بالكلام، وأمّا إذا كانت منخفضة سريعة بعد ارتفاع فلعلّها تفيد التأكيد، ولكن بما أن اعتمادنا على هذه الدّرجات وأنواعها الكثيرة يعتمد على تحديد موضوع التنّعيم، باعتبار أنّ هناك من علّقه على الكلمة الواحدة والجملة معاً مثل: "محمد علي الخولي" ومناف مهدي محمد الموسوي¹، ومنهم من علّقه على الجملة واعتبر التنّعيم إطاراً لها، مثل "تمام حسّان" و"مصطفى حركات" الذي يقول: "التنّعيم هو تغيير في ارتفاع النغمة يخصّ سلاسل أطول من التي ينطق عليها النّبر... وإنّه متواجد في كلّ الكلام"².

وبما أن التنّعيم يقوم مقام علامات التّقييم كتاباً وهذه هي حجّتنا الأقوى في التّرجيح؛ فإنّها تُعنى بالجملة كلّ من حيث سياقها التّركيبيّ، لذا يقول "تمام حسّان": "التنّعيم في الكلام يقوم بوظيفة التّقييم في الكتابة"³.

ومعلوم أن التّقييم لا يختصّ بالكلمة المفردة، بل يحتاج إلى جملة وهكذا يحدث التنّعيم، فإذا كان يُعنى بالجملة لا بالكلمة المفردة؛ فإنّنا نعتمد تقسيماً ثلاثياً للدرجات المنخفضة، والصاعدة، التي اكتفى بها "كمال بشر"، وتكون الأولى عنده خاصّة بالجمل التقريرية، والثّانية تخصّ الجمل التأكيدية، والاستفهامية⁴، ويزيد "تمام حسّان" وغيره الثّالثة وهي المستوية أو المسطّحة.

يعتبر التنّعيم أهم ظاهرة لغوية تطرأ على الكلام المنطوق، ويفتح أمام المتلقّي معارف كثيرة لمعرفة حال المتكلّم، وطبقته الاجتماعيّة، فلو كانت الدّراسة في مقام "علم اللّغة الاجتماعي" لأبرزنا أهم هذه السّمات، إلّا أنّنا في هذه

¹ - ينظر: ربيعة برباق، علم الأصوات "دليل الطالب الجامعي"، ص 206. (المرجع السّابق)

² - مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر، ص 37.

³ - تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 276. (المرجع السّابق)

⁴ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 534. (المرجع السّابق)

الدِّراسة نبحت عن واقع التَّنْغيم في الكلام المنطوق، دون التَّطرق إلى الأثر أو الوظائف الخاصَّة به، وسنرى مدى توافق هذا الكلام التَّنْظيري مع التَّحليل التَّطبيقي للخطابات المعروضة آنفا في الجدول الآتي:

دراسة وظيفية للصوت				
أشرطة	جمل	نغمة	درجة التَّنْغيم HZ	معنى التمييزي
شريط 1	الدوا هو أي مادَّ كيميائي تؤثر في ل جسم	هابطة	205.7	جملة تقريرية
	غرضها التشخيص والتسكين وال معالج.	هابطة	254.1	جملة تقريرية
	كل لأشكال لأدوي.	مستوية	312.2	وقف على معنى
	ليسيبو تحديدا.	مستوية	310.3	لم يكتمل
	توضع لمادَّ لفعَّال.	صاعدة	333.8	تأكيد المعنى
	والموادَّ ل مظاف.	صاعدة	284.2	تأكيد المعنى
شريط 2	مضاد أكسد قوي.	هابطة	190.9	جملة تقريرية
	خمسين بل ميع.	هابطة	226.2	جملة تقريرية
	لهواء ل بارد.	مستوية	309.5	وقف على معنى
	إللي يحافظ على رطوبتها.	مستوية	194.5	لم يكتمل
	لأمر لذي يكون مزعجا ل لغاي.	صاعدة	347.9	تأكيد المعنى
	مناطق لأكثر عرض للهواء ل بارد...مثل	صاعدة	320.6 / 240.6	تأكيد المعنى
شريط 3	التغذي سليم.	هابطة	206.7	جملة تقريرية
	تقوية لجهاز ل مناعي.	هابطة	189.7	جملة تقريرية
	يؤدي إلى ضعف ل مناع.	مستوية	352.4	وقف على معنى
	خلايا دم ل بيضاء.	مستوية	279.5	لم يكتمل
	سكرات معقد.	صاعدة	212.7	تأكيد المعنى
	هرمونات سعاد.	صاعدة	249	تأكيد المعنى

(جدول 03)

تعليق:

بعد عرض الجدول وما يحتوي عليه من جمل وفق درجات التَّنْغيم المناسبة لها وقياسها، تبدَّى الآتي:

1- النَّغَمَاتُ الهَابِطَةُ فِي كُلِّ الْأَشْرُطَةِ تَحِيلُ إِلَى تَقْرِيرِ الْحَقَائِقِ، بَلْ أَغْلِبَ مَا فِي الْأَشْرُطَةِ بِنِسْبَةِ تَفَوْقِ 90%، جَمْلُهَا تَنْتَهِي بِنَغَمَاتٍ هَابِطَةٍ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ هُوَ مَقَامُ سَرْدٍ لِلْحَقَائِقِ، وَتَقْرِيرٍ لِلْمَعْلُومَاتِ حَتَّى يَكُونَ الْمُتَلَقِّي عَلَى عِلْمٍ بِمَا يَحْدُثُ فِي عَالَمِ الطَّبِّ، وَيُمْكِنُ الْجُزْمُ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ بِأَنَّ كُلَّ الْجُمْلِ الْعِلْمِيَّةِ فِي مَجَالِ الطَّبِّ نَغَمَاتُهَا الْأَخِيرَةُ مِنْ الْكَلِمَاتِ هَابِطَةٌ أَوْ مُنْخَفِضَةٌ، وَإِنْ بَدَتْ فِي بَدَايَةِ الْكَلِمَةِ صَاعِدَةً، إِلَّا مَا يَحْدُثُ مِنْ وَقَفَاتٍ تَحْتَاجُ إِلَى مَعْنَى يَتِمَّمُهَا، وَعِنْدَهَا تَكُونُ النَّغْمَةُ مُسْتَوِيَّةً، أَمَّا الصَّاعِدَةُ مِنْهَا فَهِيَ قَلِيلَةٌ جَدًّا، يُؤْتِي بِهَا فِي مَقَامِ السَّرْدِ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى فِكْرَةٍ هَامَّةٍ، وَقَدْ تَكُونُ الْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي نَحْكُمُ بِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ بِسَبَبِ الْوَقْفِ بِدَايَتِهَا صَاعِدَةً وَتَنْتَهِي هَابِطَةً وَهَذَا نَحِيلُ الْأَمْرَ لِأَصْحَابِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ مَوْضُوعَ التَّنْغِيمِ الْكَلِمَةُ وَالْجُمْلَةُ مَعًا، لِيَصِحَّ قَصْدُهُمْ كَقَصْدِ مَوْضُوعِ النَّبْرِ؛ أَيْ تَدَاخُلِ الظَّاهِرَتَانِ: "النَّبْرُ" وَ"التَّنْغِيمُ" عَلَى مُسْتَوَى الْكَلِمَةِ، لِيَصِيرَ لَدَيْنَا مَسَافَةٌ لَا تَفْرُقُ عَنِ تَقْصُودِ الْفَارِقِ، وَهَذَا مَا لَا نَرْضَاهُ، فَلِكُلِّ مَفْهُومٍ تَصَوُّرَاتِهِ وَتَحْدِيدَاتِهِ الْمُمَيِّزَةِ، فَإِنْ كَانَ النَّبْرُ عَلَى مُسْتَوَى الْكَلِمَةِ، فَالتَّنْغِيمُ عَلَى مُسْتَوَى الْجُمْلَةِ، وَجَازَ تَأْخِيرُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ إِلَى الْمُسْتَوَى النَّحْوِيِّ كَمَا فَعَلَ "تَمَامُ حَسَّانَ" وَلَكِنْ لَغَلَبَةِ مَعْنَى الْأَسْمِ جَعَلَهَا فِي حَكْمِ الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ، فَالنَّغْمَةُ لَهَا عِلَاقَةٌ وَطِيدَةٌ بِالصَّوْتِ، فِي حِينٍ يَرَى غَيْرُ هَذَا بِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْحَدِّ السِّيَاقِيِّ، وَهَذَا مَا نَسِبَهُ إِلَى الْقَرَائِنِ اللَّغَوِيَّةِ ضَمِنَ الْقَرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ، وَمَا دَمْنَا ذِكْرَهَا هُنَا فَلَنْ نَعِيدَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا لَاحِقًا.

2- بَعْدَ الْمَكَاشِفَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي الْجَدُولِ أَعْلَاهُ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّنْغِيمَ الْهَابِطَ كَوْنَهُ الْأَغْلِبَ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ فِي مَجَالِ الطَّبِّ تَحْدِيدًا يَقْدَّرُ قِيَاسُهُ مَا بَيْنَ 189.7 هِرْتِزٍ إِلَى 254.1 هِرْتِزٍ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا 64.4 هِرْتِزٍ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ التَّنْغِيمَ الْهَابِطَ مَدَاهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مِنْهُ الْمَدَى الْإِيجَابِيُّ، وَمِنْهُ الْمَدَى النَّسْبِيُّ، وَالْمَدَى السَّلْبِيُّ، وَيَسْتَعْمَلُ الْأَوَّلُ لِلتَّأَكِيدِ الْإِثْبَاتِ، وَالثَّانِي لِلْإِثْبَاتِ غَيْرِ الْمُؤَكَّدِ كَالْكَلَامِ الْعَادِيِّ، وَالثَّلَاثُ دَلِيلٌ لِلْحُسْرَةِ أَوْ التَّسْلِيمِ بِالْقَوْلِ، وَأَرَى بِأَنَّ الْمَدَى بَيْنَ الْقِيَاسَيْنِ لَا يُمْكِنُ تَصْنِيفُهُ ضَمِنَ الْمَدَى النَّسْبِيِّ، بَلْ هُوَ بَيْنَ السَّلْبِيِّ وَالْإِيجَابِيِّ، وَهَكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلصَّاعِدَةِ أَقْلَهَا قِيَاسًا 212.7 هِرْتِزٍ فِي الْمَدَى السَّلْبِيِّ، وَأَعْلَاهَا 333.8 هِرْتِزٍ فِي الْمَدَى الْإِيجَابِيِّ، وَالْفَارِقُ بَيْنَهُمَا 121.1 هِرْتِزٍ، وَهَذَا فَارِقٌ يَعْتَبَرُ كَبِيرًا وَهُوَ مَا يَنْبَغُ عَلَى دَرَجَةِ التَّأَكِيدِ الْمُتَوَاصِلَةِ، فِي حِينٍ النَّغْمَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ أَقْلَهَا قِيَاسًا 194.5 هِرْتِزٍ، وَأَعْلَاهَا 352.4 هِرْتِزٍ، وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُ تَحْدِيدُ الْفَارِقِ بَيْنَهُمَا؛ وَالسَّبَبُ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّهَا نَغْمَةٌ مُسْتَوِيَّةٌ فَهِيَ ذَاتُ وَصْفٍ مُطَرَّدٍ الْمَجَالِ، لَيْسَ بِالصَّاعِدِ الَّذِي يَكُونُ فِي صَعُودِهِ دَرَجَاتٍ، وَلَا كَالْهَابِطِ الَّذِي يَكُونُ فِي هَبُوطِهِ دَرَجَاتٍ، بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ، وَهَذَا مَا يَنْبَغُ تَحْدِيدُ الْمَدَى بَيْنَ الْقِيَاسَيْنِ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ الْأَعْلَى أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى طَبِيعَةِ الْكَلِمَةِ فِي صِفَاتِ أَصْوَاتِهَا كَالْجَهْوَةِ الْمَفْخَمَةِ، وَأَقْلَهَا رَاجِعٌ إِلَى الْمَهْمُوسَةِ الْمُرَقَّقَةِ، وَكَذَلِكَ طَوَّلُ الْكَلِمَةِ وَزَمْنُهَا فَقَدْ يَكُونُ هُوَ السَّبَبُ فِي الْفَارِقِ،

ناهيك عن نفس المتكلمة ففي البداية يكون نشاطها أكبر من النهاية، فلو أخذنا الكلمات التي انتهت عندها الجمل في الدرجة المستوية (أدوي، تحديد، بارد، مناع) سنلاحظ على قرب واحد (310.3، 312.2، 309.5، 352.4 هرتز) على الترتيب، ما عدا لفظ (رطوبتها) التي قيست بـ"194.5 هرتز" وهذا راجع إلى الظواهر التي تحللت اللفظة مما قلصت من زمنها وكمية الصوت فيها؛ بسبب البدء بالسكان، وتسكين التاء، واختلاس زمن الهاء، وإبدال صوت "الطاء" "تاء"، وهذا ما جعل قياسها يكون أقل من سابقاتها.

3- أما عن المعاني التمييزية فهذا محل اتفاق بأن التنعيم الهابط لتقرير الحقائق، وهذا ما ثبت فعلا أثناء التحليل، والمسطح لعدم تمام المعنى، وهذا كذلك محقق في الأشرطة كلها، إلا ما كان من وقف في غير محله وهو كثير، والتنعيم الصاعد للحرص على التأكيد وفق سلم المدى الذي وضعناه آنفا، ومنه تتأكد الفرضية في المعاني التمييزية، (التقرير، والوقف غير المتمم المعنى، والتأكيد)، وقد يكون يكون التنعيم الصاعد في بعض الأحيان ليس للتأكيد، أو قد يلتبس أو يتداخل مع الاستفهام، كما يظهر من الجملة التي أخذناها في الشريط الأول "كل أشكال لأدوي" وحالها يقتضي الاستفهام، ما بها؟، أو الجملة الأخيرة "خلايا دم لبيضاء" ما بها؟، وهكذا دواليك، ولذا يرى "كمال بشر" أن الجمل العربية غالبا ما تصنف جملا استفهامية حتى ولو لم تذكر فيها أداة الاستفهام¹، وحصر باب الغالب حتى لا يكون الكلام مفتوحا هو من باب عطف العام على الخاص، فأغلب الجمل التي ننطقها في حياتنا تحتاج إلى معانٍ تتممها حتى في القرآن فلو قرأنا أي سورة سنجد أن نعمتها تكون مستوية، مثل قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد: 01-03]، فالمعاني في الكلمات (البلد، البلد، ولد) تكون النغمة مستوية لأن المعنى في القسم لم يتم، وتقديره لماذا القسم هذا؟، إذا فهو من باب تقرير حقيقة خلق الإنسان في كبد، ففي كلمة (كبد) تصير النغمة إلى الهبوط.

الحاصل: التنعيم وفق فرضياته محقق إلى حد ما، لولا الظواهر الصوتية الأخرى التي اعتلت الوحدات اللغوية لكان محققا تحقيقا مطلقا، ولكن على العموم ظاهرة التنعيم لما كانت ظاهرة تطال الجملة ككل كان تحقيقها سهلا، في حين لو كانت الظاهرة تُبنى على الجزئيات مثل التبر يصعب تحقيقه، فالصعب دائما يكون في الأطراف والجزئيات، والسهل يحصل في الكليات، وهذا من السنن الطبيعية، والتنعيم ظاهرة طبيعية في الكلام.

¹ - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ط1، 2000م، ص 544.

ثانيا: الفُونِيَمَاتُ التَّرَكِيبِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ التَّلَقَّائِيِّ (غَيْرُ جَاهِزٍ) "حِصَّةُ Dr Help أُنْمُوذَجًا"

وهي المادّة الّتي تُعرف على أنّها خطاب عفويّ تلقائيّ دون أن يُحضّر المتكلّم خطابا محدّدا، أو دون أن يبحث عن إجابة دقيقة، تكون اللّغة المحليّة هي الغالبة في الحديث، والكثير من الألفاظ الفرنسية نظرا لأثر المستدمر، وهي ميزة ينماز بها أغلب دول المغرب العربي الكبير؛ لأنّهم تعرضوا للاحتلال الفرنسي لسنوات طويلة، وهذا النّوع من المواد يدخل ضمن مستوى "شبه الفصحى" حسب مصطلح "أيوب السبعان" في كتابه (قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة)، وهي الّتي لها شبه أو اقتراب نسبيّ من العربيّة الأصليّة، وهذا المستوى من اللّغة موجود في أغلب برامج قناة الشُّرُوق "أون لاين" لمن تتبّع ذلك، خاصّة العلميّة منها، والّتي تحظى بأكبر نسبة مشاهدة، وسأكتفي بتحليل عيّنة واحدة لأسباب نوجزها على النّحو التّالي:

- كلُّ الحصص تستعمل نفس اللهجة العاميّة الجزائريّة مع الألفاظ باللّغة الفرنسية نظرا لعوامل كثيرة.
- الشّريط المأخوذ للتّحليل فيه ثلاثة أفراد بدلا من أخذ ثلاثة أشرطة كما صنعنا في الأوّل، فإنّ ثلاثة أشخاص يقابلون ثلاثة أشرطة، والمبتغى هو تسليط الضّوء على أهمّ الأصوات الملحونة، مع ذكر المعيار الصّوّابي، والتّعليق عليه، وشرحه، كما صنعنا مع العيّنة الأولى.
- الخطابات العلميّة أغلبها باللهجة المحليّة، إلّا ما استثنى من برنامج "عيش بيو مع بسمة" السّابق، وكذلك "صحّة" والّتي تُعتبر حصّة تعرض الأخبار فقط ليس لها منطلق علميّ موضوعيّ معيّن، أمّا باقي العيّنات فهي واحدة في استعمال اللهجة والموضوع.

أ- عنوان الحصّة: Dr Help

ب- عنوان الخطاب: هذه أكثر الأمراض الّتي نكتشفها في الفحص المبكر قبل الزواج.

ج- قائل الخطاب: الدكتورة "سعاد غربي" ومتحدثان متفاعلان.

د- تاريخ الخطاب: نُشرت الحصّة في سنة 2020م.

هـ- زمن الخطاب: دقيقة واحدة وسبعة وثلاثون ثانية (1د، 37ثا)، وبنفس الطريقة الّتي اعتمدناها في تفرّغ

الخطاب للعينّة الّتي سبق إعدادها وإخراجها نصنع مع هذه العيّنة، بتكرار اللفظ الواحد مرارا حتى يُضبط ضبطا صحيحا كما سمعناه.

و- تفرّغ محتوى الخطاب:

[م1]: "المشاهدين مَادِيْم يَعْرِفُو شُوي [...] "

[ط]: بالطَّبْع، alor، آآ نَبْدَاوْ بِالتَّحَالِيلِ آآآ آدَم، آآآ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ تَحْدِيدُ الزَّمَرَا الدَّمُويِ آآآ، آآ
Groupage avec le resize، لَأَتُوْ إِلَى كَانْ، الأَم أَوْ لَزُوجَا تَكُون negative، والأَب يَكُونُ
positive، هُنَاكَ رَاخٌ يَكُونُ مُشَاكِلٌ آآآ يَعْنِي [بَعْدَ الْوَلَادِ] فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَعْدَ الْوَلَادَا وَلَا أُوْمَنتَ au moment تاغ
الْوَلَادِ، يَعْنِي [إِلَى مَدَى] la grossesse

[م2]: خَطُورَةُ هَذِهِ الْمَشَاكِلِ يَعْنِي حَتَّى الْمَشَاهِدُ يَعْنِي بِأَنَّهُ، لَمَّا تَكُونُ fa سَيْلَةُ resize غَيْرَ مُنَاسِبٍ [أَهَاهُ]
الْعَوَاقِبُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونُ وَخِيمًا [جِدْ وَخِيمًا] عَلَى الْجَنِينِ أَوَّلًا وَعَلَى الْأُمِّ ثَانِيًا.

[ط]: بالطَّبْع، يَعْنِي هُنَاكَ بِمَا يَعْرِفُ بِالْأَجْهَاضِ الْمُتَكَرِّرِ، مَا يَعْرِفُوشُ السَّبَبَ تَاعُو، إِلَّا بَعْدَ الْأَجْهَاضِ بَاشَ
يَدِيرُو التَّحَالِيلِ وَهُوَ si simple بَرَكٌ يَكُونُ يَعْنِي لَمْ تَحْدِيدُ الزَّمَرَا قَبْلَ الْوَلَادِ، بِشْ يَكُونُ هُنَاكَ يَعْنِي يَكُونُ نَزِيفٌ
[مُصَلٍّ] لِمُصَلٍّ، [لِلْأَزْمِ بَاشَ تَاخْذُو الْمَرَأَ مُبَاشَرَةً بَعْدَ الْوَلَادَا] لَازِمٌ تَاخْذُو مُبَاشَرَةً بَعْدَ الْوَلَادِ لِتَجْنِبَ هَذِهِ الْأَجْهَاضَاتِ
الْمُتَكَرِّرِ، وَإِذَا مَا فَاقْتَشَ الْمَرَأَ كَي يَكُونُ الْحَمْلُ مُتَط...، مُتَقَدِّمٌ، يَقْدَرُ يَصْرَا تَشَوُّهَاتٍ لِلْجَنِينِ، يَعْنِي وَوُو بِالطَّبْعِ. [وَالِينَا
فِي هَذِهِ التَّحَالِيلِ]، هَازِي التَّحَالِيلِ alor نَقُولُو لَكَشْفَ عَنْ لَأَمْرَاضِ آآآ الْمُتَنَقِّلِ آآآ، بِلِجِنْسِ le malady sexy
element transmissible، عِنْدَنَا le serology، آآآ نَكْشِفُو عَلَى Hépatite، كَيْمَا يَقُولُو آآآ [التَّهَابِ]
التَّهَابِ الْفَيْرُوسِي الْكَبْدِي، مِنْ نَوْعِ b وَ c، لِیَنْتَقِلَ عَنْ طَرِيقِ دَدَمٍ وَلِجِنْسِ، آآآ hiv هُو السَّيْدَا، وَكَذَلِكَ [يَعْنِي
الْمَنَاعَ ...]، voila، وَكَذَلِكَ مَرِطُ الزَّهْرِي لِيَهُو Syphilis، هَازُو نَقْدَرُو نَكْشِفُو عَلَيْهِمْ مَبَكَّرًا، إِلَى كَانْ
positive رَاخٌ نَذِيرُوهُ حَالَةً [تَسْف...]¹.

و- طريقة العمل:

بِنَفْسِ الْخَطُوطِ وَالتَّفْصِيلَاتِ الَّتِي أَخَذْنَا بِهَا الْعَيْنَةَ الْأُولَى نَقُومُ بِفَحْصِ وَتَحْلِيلِ الْعَيْنَةِ، إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا هُوَ
نَوْعُ الْمَادَّةِ، مِنْ حَيْثُ الضَّبْطُ وَالْإِخْرَاجُ، فَالْأُولَى ضَابِطُهَا الْإِعْدَادُ الْجَيِّدُ، وَالثَّانِيَةُ -هَذِهِ- ضَابِطُهَا الْحَدِيثُ التَّلْقَائِي
الْأَيُّ أَثْنَاءَ الْحَصَّةِ.

1- الْفُونِيمَاتُ التَّرْكِيْبِيَّةُ لِلْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ غَيْرِ الْجَاهِزِ بَيْنَ الْمُسْتَوَى الْأَسْتَعْمَالِيِّ وَالْمَعْيَارِ الصَّوَائِي

مقاطع	دراسة الصوت (الكلام)

¹ - <https://2u.pw/6hw9RDKO>, It was viewed on: 02/11/2023 at: 10:03

أنواع ورموز	مستوى استعمالي	معيّار صوابي
مقطع قصير (ص + ح)	ما(ذ)/ المرأ(.) [2 مرّات] (Fa)(س)يلة، شَي(.)، مناسب(.)	(ب)هم/ يَغ(ر)ف/ بالتحالي(ل)/ الدد(م) [2] مرّات/[نبذ(أ)/ قَب(ل)/ كَل(ل)/ تحدي(ذ) [2] مرّات/[الزمر(ة) [2مرّات]/ لأن(ه) [2 مرّات] الزوج(ة)/ تَكُونُ (ت/ ن) [7 مرّات]/ الأ(م) [2] مرّات/[الأ(ب)/ هنا(ك)/ المستقب(ل)/ يَغ(ذ) الولاد(ة) [4مرّات]/ خطور(ة)/ فصيل(ة)/ غيّر (ر)/ العواق(ب)/ يملك(ن)/ جذ(ذ)/ الجنى(ن)/ يُعرف(ف)/ الاجها(ض) [2 مرّات]/ يعرفو(ن)/ نزي(فأ)/ تآخذ(ه)/ المرأ(ة) [2 مرّات] تجنّ(ب)/ الاجهاضا(ت)/ الحم(ل)/ متقد(مأ)، تشوّه(ت)/ هذ(ه) [2 مرّات]/ التحالي(ل)/ نَقُولُ (ن/ ل)/ الكش(ف)/ الأما(ض)/ المتنقل(ة)/ بالجن(س) [2 مرّات]/ نكش(ف)/ (ك)ما/ يَقُولُونَ (ي/ ن)/ التها(ب)/ نو(ع)/ يتنق(ل)/ طري(ق)/ المناع(ة)/ مر(ض)/ نَقْدِرُ (د/ ز)/ نُذِيرُهُ (ن/ ز)/ حال(ة)/ ف(ص)يلة.
مقطع متوسط مفتوح (ص + ح ط)	(بي)هم/ يعر(فُو)/ الزم(رأ) [2] مرّات/[الدمو(يا)/ لأن(نُو) [2] مرّات/[الزو(جأ)/ الولا(ذأ) [6مرّات]/ مناس(بأ)/ وخي(م) [2 مرّات]/ تآخ(ذُو)/ المتكرّر(رأ) [2 مرّات]/ ها(ذِي)/ نقو(لُو)/ المتنق(لأ)/ نِكْش(فُو)/ ك(كي)ما/ يقو(لو)/ المنا(عا)/ نَقْدِرُ(زُو)/ إ(لِي)/ ندي(رو)هـ.	ما(ذأ)/ إ(ذأ).

كُ(نْ) / ذ(دَمْ) [2مرّات] / الأ(م) / الأ(ب) / المستقب(لْ) / خطو(رَة)، faسيل(ة) / العوا(قَبْ) / يم(كِنْ) / يُع(زَفْ) / الس(بَبْ) / لتج(نُبْ) / متقد(دَمْ) / (هَدْ) / لينتقل(قِلْ) / رَظْ) / حا(لَة)	المموي(يَة) / الولا(دَة) [2 مرّات] / وخي(ه) [2 مرّات] / كا(نَتْ) / المتكرّر(ه) [2مرّات].	مقطع متوسط مقفل (ص + ح + ص)
نَب(دَاوْ) / تَح(دِيدْ) [2 مرات] (كَانْ) / ت(كُونْ) / ه(نَاكْ) [2 مرات] / لُج(نِينْ) / لُج(هاضْ) / يعز(فوشْ) / ن(زيفْ) / لُجها(ضاتْ) / تشو(هاتْ) / التحا(ليلْ) / الأم(راظْ) / إلت(هاب) / ط(ريقْ)		مقطع طويل مقفل بصامت (ص + ح + ط + ص)
قَبْل(نْ) / بَعْد(نْ) / عَيِّر(نْ) / حَمْل(نْ) / كَشَف(نْ) / جَنَس(نْ) [2 مرّات] / نَوْع(نْ) / نَقْد(رو).	شَي(ء)	مقطع طويل مقفل بصامتين ¹ (ص + ح + ص + ص)
(يْ)عَرَفْ / ت(نْ)كُونْ [7 مرّات] / (نْ)قُولو / (يْ)نْقُولو .. / (نْ)دِيرُوَة.		مقطع أقصر (ص)

(جدول 01)

تعليق:

1- نلاحظ من خلال الجدول أنّ عدد المقاطع المستعملة في لغة المتكلمين (المتوسطة بنوعيتها؛ المفتوحة والمقفلة بصامت، والطويلة المقفلة بصامت) أكثر من عدد المقاطع الأخرى، وتحديدًا أكثر من المقطع القصير الذي كان الأولى

¹ - أطلق عليه "تمام حسن" مصطلح المقطع الطويل بالتقاء الساكنين نحو: بَقْر، فَمَحْ، قَبْل... الخ، هذا المقطع يتعلق بضرورة الوقف على متحرك استنادًا للقاعدة العربية "العرب لا تبدأ بساكن، ولا تنتهي بمتحرك"



أن يحظى بنسبة أعلى باعتبار تقنية السرد، كما أنّ ظاهرة الابتداء بالسّاكن كثيرة جداً، ومستفحلة إلى حدّ لا ينفع معه التقويم، وهذا راجع إلى اللهجة المتأصّلة في المغرب العربيّ الكبير، فإذا كانوا يجعلون ألف الوصل للتوصّل إلى الحرف السّاكن وهو الذي ذكرناه في الشرح السّابق؛ فإنّ الأمر الذي يُناقش وينظر له هو أنّ الكلمات التي ابتدأت بالسّاكن في العاميّة الجزائرية ليست من الكلمات التي تحتاج إلى ألف الوصل، بل العجيب أنّ كلّ كلمة يتلقّطون بها يسكنون أولها وآخرها، فيجعلونها بين ساكنين، مع أنّ المتأخرين علّلوا الظّاهرة بأنّها شيء طبيعيّ، فجرّيان اللّسان نطقاً بالسّاكن هو من باب الاقتصاد وتوفير الجهد، واعتبروها ظاهرة لغوية ناجمة عن التطور، وهذا مخالف لضرورات قواعد التّلفظ.

فهذا التّخريج لا يمكن التّسليم به، خاصّة وأنّ قواعد التّلفظ تحتاج إلى مستند علميّ، أو قاعدة مطّردة الاستعمال، كالتي أبانها "الحاج صالح" ونجزها كما يلي¹:

- امتناع الوقف على المتحرك.
- لا يمكن الابتداء بالسّاكن.
- لا يلتقي السّاكنان.
- لا يمكن الابتداء بالحركة بلا قبل الحرف ولا الانتهاء بها.

وكلّ واحدة من هذه القواعد لها مستند علميّ، وشواهدا المستقرّة في الوضع العربيّ الأصيل كما شُمتعت من أفواه المتقدّمين أرباب العربيّة الفصحى، فلو نظرنا في المقاطع التي تحصّلنا عليها من الشّريط نجدها تخالف هذه القواعد، بدايةً بالوقف على المتحرّك، وهذه تخصّ الكلمات التي تنتهي بالتّاء المربوطة مثل (زُمرّا، دُمويّ، زوّج، مناسب، وخيم، لولاد، لمتكرّر، والمنتقل، لَمناغ)، تسع كلمات مكرّرة عدّة مرّات على مستوى الخطاب، يقف فيها المتحدّثان والطّبيبة على حركة الفتح مع اختلاس زمن الحروف، وحذف التّاء المربوطة في الوصل، ولا يراعون "هاء" السّكت في الوقف، فلا نجد هذا في كلّ الحصص المعروضة في قناة الشُّروق "أون لاين" في الخطابات العفويّة، أمّا الحصص التي تتكلّم الفصحى بقواعدها فهي تَعْمَلُ عن "هاء" السّكت فتقف على التّاء المربوطة وفق حركتها، وما دام توصيفنا متعلّق بالخطابات التّلقائيّة فلا حضور للقاعدة الأولى بتاتا، فنجد في المعيار الاستعمالي على الجدول الكلمات التي تنتهي بالتّاء المربوطة، وضعنا نقطة بين قوسين للدّلالة على الحذف، وتمّ تعويضها في المعيار الصّوّابي،

¹ - انظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 186. (المرجع السّابق)

فألحقت بالمقاطع القصيرة أغلبها، والبقية ألحقت بالمقطع المتوسط المقفل عندما يتعلّق الأمر بالوقف عليها لتصير "هاء".

وهناك كلمات عامّة يقفون فيها على متحرّك في موضع الوقف وهي كلمتان (ثانيًا، مبكرًا)، وهذا نجده حتّى في خطابات الفصحى الّتي مرّت معنا، أمّا فيما يخصّ الوقف على السّاكن فهو في كلّ الكلمات كما مرّ معنا في بداية الفقرة، ولا مبرّر له إلّا ما قلناه، بداعي قانون الاقتصاد في الجهد، وبداعي التأثير بالاستدمار الفرنسي الّذي من خصائص لغته الفرنسية توالي السّواكن كما بيّنا في نموذج خطاب الفصحى، وأعطينا أمثلة على ذلك ولا بأس من التذكير بأخرى مثل: (spraim, gnome, crise)، فهي كلمات تتوالى فيها السّواكن في بداية الكلمات وهذه الخصيصة تفرّدت بها اللّغات اللّاتينيّة بصفة عامّة، والفرنسيّة المستدمرة بصفة خاصّة، ولذا البدء بالسّواكن ليس من أصل العربيّة في شيء، وقد استبدلت المقاطع السّاكنة في البدايات بمقاطع قصيرة في المعيار الصّوائي من الجدول والّتي اصطلاح عليها "تمام حسان" بالمقطع الأصغر، وهي كثيرة جدا في الخطاب، ذكرنا بعضها في الجدول، وهذه حال العاميّة الجزائريّة وفي كلّ المغرب العربيّ الكبير.

كما نجد بعض الأصوات القصيرة خرجت عن درج المخرج الصّحيح، مثل الّتي وجدناها على لسان المتحدث²، عند تلفظه بـ"fa" فصيلة" وأراد "فصيلة" فوقع في تفخيم "الفاء" وجهره وتشديده له، وهو أصله صوت من صفاته رخوي، مهموس، مرقّق، وهذا الصّوت عند الجزائريين غالبا يكون على غير طبيعته، بسبب ما ذكرنا من موضوع التأثير، وكذلك ترقيق "الصّاد" حتّى أصبحت "سينّا" وهذا القلب موجود حتّى في اللّهجات القديمة وهو كثير وله ما يبرّره، ولكن بشرط أن لا يقع لبس في الدّلالة المعجميّة، كما بينت سابقا في التّماذج الأولى، وفي كلمة "فصيلة" إذا رَقّقنا "الصّاد" صارت "فسيلة"، والفسيلة هي الثّبتة الصّغيرة، لحديث جاء فيه: "إنّ قامت السّاعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتّى يغرسها فليغرسها"¹

وبالتّالي سيتغيّر مدلول الكلمة تماما، لولا قرينة السّياق لحصل الالتباس، إذا في كلمة واحدة وجدنا فيها مقطعين خرجا عن المراد، الأوّل: خروج صوتي لم ينتج عنه تغيّر في الدّلالة المعجميّة، والثّاني أدّى إلى تغيّر في الدّلالة وحقق مفهوم "القيم الخلافية".

¹ - أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة، ط2، 1379هـ، ص 168. رقم الحديث: 279.

وكذلك حرف "الظاء" تمَّ استبداله بـ"الظاء" وتحدّثنا عن هذا، وهو كثير ومعلوم، بالإضافة إلى تفخيم حرف "الباء" كالتّي وردت في كلمة (مناسب)، بما أنّه حرف شديد هواء، ومجهور وتراً، ومرفّق أداءً، إلّا أنّ الصّفة الأخيرة على لسان المتحدث الثّاني لم تتحقّق، بل وقع التّفخيم حتّى صارت قريبة من حرف p اللّاتينية، وهذا دائماً له عامله السّياسي، وقد يدخل ضمن الأداء الفرديّ للحرف، وليس الجماعيّ باعتبار أنّ غيره مثل الطّبيبة نطقته بصفة عادية.

2- ثمّ تليها المقاطع المتوسطة المقفلة وهي قليلة جدّاً وفق المعيار الصّوّابي، إذا قارناها بالمعيار الاستعمالي، وضرورة الوقف تقتضي على السّواكن، ومن دلالات الوقف انتهاء المعنى في الجملة، فلا يقف وفقاً عشوائياً كما حدث على لسان الأطباء، فقد يلتبس المعنى، ويختلط على المتلقّي مقصود الخطاب، مع أنّ هذا النوع من المقاطع يلحقه المتقدّمون ضمن المقاطع الطّويلة، كون الحركة إذا أشبعت صوتاً؛ أي زيد في كمية النّفس نتج عنها حرف المدّ، وهذا الاشباع الصّوّتي يُصطلح عليه بـ"كميّة الصّوت"، وعند التأمّل في المعاني التمييزيّة الّتي قد تظهر من الصّوت المتوسّط المقفل المرموز لها بـ(ص + ح + ص)، تشير إلى وجود حدث صوتيّ يعكس صدهاء على المتلقّي، مثل حروف القلقلة الّتي ترد وسط الكلمة، مثلاً فلو أخذنا الكلمات الّتي وردت في الشّريط وفق المعيار الصّوّابيّ لوجدنا الفارق واضحاً وهي: (مُسْتَقْبَل، لِيَنْتَقِل) كلمة مستقبل عند تقطيعها إلى مُسْ = ص + ح + ص / تَقْ = ص + ح + ص / بِلْ = ص + ح + ص، فإذا نظرنا في المقاطع سنجدّها ضمن المتوسّطة المقفلة بصامت، وهي ثلاثة متوالية، فعند نطقها مفصّلة نشعر بوجود ثقل بين كلّ مقطع، ويمكن إعطاء تفسير منطقيّ علميّ لذلك؛ هو أنّها من قانون الوضع العربيّ لا من اجتهادات المستعملين، وبالتّالي الحبس المؤقّت الّذي يحصل بمثلها، ومثل الحرف المضعّف، هو من الوضع العام للكلمة؛ إذ الحبس المؤقّت في الصّوامت خاصّ بالحروف الرخوة غالباً، فهي في درج الصّائت (الحركة)؛ بسبب الهواء الخارج بسهولة، لذا هي تشبه الصّوائت في تأديتها¹، والحروف الرخوة حسب العربيّة القديمة والمعاصرة هي نفسها ثلاثة عشر (13) حرفاً: (ف، ظ، ذ، ث، ز، ص، س، ش، غ، خ، ع، ح، هـ)، فما كان منها في الكلمة ساكناً، جاز اعتبارها في موضع الحركات لحقّتها، أمّا حرف "اللام" الأولى الّتي نلاحظها في "ال" التعريف في لفظة "المستقبل" هي من الحروف الّتي اختلّف فيها بين العربيّة القديمة الّتي اعتبرتها ضمن المخارج الشّديدة، والمعاصرة اعتبرتها ضمن المخارج المتوسطة، فاللّسان فيها يكون على رؤوس الأسنان العليا ممّا يسمح بمرور الهواء نسبياً، ومنه الانتقال إلى الحرف الصّامت الّذي يليه، أمّا في المقاطع المتبقية "مس" فالسّاكن هو حرف رخو و"تق" السّاكن هو

¹ - انظر: ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 636 وما بعدها. (المرجع السّابق)

حرف قلقلة، عند إصدار الصَّوْتِ الرَّائِدِ عن الصَّائِتِ يسمح بمرور النَّفْسِ إلى الحرف الَّذِي يليه، وهذا هو تبرير القاعدة الَّتِي أوجزناها سابقاً (لا يمكن التَّقاء السَّاكنين).

3- بالإضافة إلى السَّمَاتِ التَّمْيِيزِيَّةِ الَّتِي تعتبر من أهمِّ مباحث علم الصَّوْتِ الوظيفيِّ أو الفونولوجيا، وسنعمل عليه في الفونيمات التطريزية الَّتِي تتمثل في الثَّبر والتَّغْيِيمِ خاصَّةً، ففي "مُسْن" جذب بحرف "السَّين" السَّاكن، فيخرج الحرف ومعه همس جاذب، وله تنغيم ساحب، والمقطع الَّذِي يليه "تَقْ" يخرج "القاف" ومعه قلقلة مغلَّطة واضحة تدفع الأذن للتَّأمل، وهذه المميزات الوظيفيَّة لا نجدُها في أغلب عاميَّة المتكلِّمين الجزائريين، إلَّا حرف "الجيم" عندهم مشبعة، كالَّتِي سمعناها في كلمة "جَجْنَس"، حيث ضغطت الطَّبِيبة على الحرف، وصدر منها صوتا ثانويا على أصل الصَّوْتِ النَّاتِجِ أثناء الاحتكاك، لذلك يُعتبر في النِّظام الصَّوْتِي المعاصر حرفا مركَّبا، وهو الوحيد الَّذِي ينفرد بهذا الوصف، عكس النِّظام العربي القديم، حيث اعتبروه حرفا شديدا مرقَّقا، ينحبس معه الهواء، وشرحنا ذلك في الشَّقِّ النَّظَرِيّ، فهنا المتكلِّمة حقَّقت المخرج المناسب للحرف، وهو في العاميَّة الجزائريَّة من الحروف الَّتِي يعطونها حَقَّها ومستحقَّها مخرجا وأداءً، بينما نطقت حرف "القاف" مخالفا للنِّظام اللُّغويِّ الصَّوْتِيّ في الكلمات التَّالية: (قَبْل، متقدِّم، المستقبل، نقْدرو، يُقدرو)، خمس كلمات نطقت فيها الحرف مرقَّقا على خلاف الأصل وهو المفخم، ودرجة التفخيم حسب الحركات، والأصل فيها الفتح، ثم السَّكون الَّذِي ينتج عنه صوتا ثانويا يُقال له القلقلة، وهذا ما لم نسمعه منها؛ لأنَّ الوظيفة الَّتِي يضفيها هذا الحرف إذا كان على صفته يحيل إلى القوَّة والجديَّة في العمل مثل (قوة، قتل، قاصي، قائم، قادم...) كلمات تدلّ على القوَّة، وعلى الجديَّة في الحركة، ولكن إذا نُطقت القاف مرقَّقة رخوة لم تحمل الكلمة دلالة القوَّة، فطاقة الصَّوْتِ مهمَّة لتأدية الغرض.

الحاصل: فالخطابات الَّتِي تتَّسم بالتلقائيَّة وتكون عفوية في الأداء فهي كثيرة جدا وتمثِّل النِّسبة الأعلى في مجال الطبِّ، بل في كلِّ المجالات، فإنَّ أغلبها لم يحترم معايير الفصحى، ولم يقترب منها مخرجا وصفة إلَّا في القليل النَّادر، ناهيك عن الظَّواهر الأخرى الَّتِي تخصَّص الصَّوْتُ كيفاً وكمّاً، فيكثر الاختلاس الزمانيِّ للحرف، في مثل عبارة (قبل كل شيء) مرَّت في 0.55 جزء من الثَّانية (شكل 1)، كما نجد العكس إعطاء الصَّوْتِ زمنا أكثر من حقِّه، كما في الكلمات الفرنسيَّة (شكل 2).

(شكل 1)

0.558867	0.740047	متحدث	0.933562	0.430218	متحدث
قبل	شيء كل	تحييد	زمر	فرنسية	هناك
(8/63)	(178)	(6)	(63)	(28/178)	(6)

(شكل 2)

صورتان توضّحان كيفية تحديد المقاطع

كما يكثر الاستبدال بين الحروف المجاورة أو القريبة من المخرج الواحد وقد مرّ معنا، وهذه الظاهرة كثرت اليوم في بلدان المغرب العربي الكبير، وقد انتبه إلى ذلك الدكتور "إبراهيم أنيس" فقال: "مالت الأصوات المطبقة إلى الاستفال في لغة الكلام المصرية في معظم الأحيان؛ إذ نلاحظ أنّ المصريين بصفة عامّة ينطقون الصّاد سيناً، والطاء تاءً، والصّاد دالا"¹.

هذا كلامه على أهل مصر، وهو عام في دول المغرب العربي الكبير تقريبا، والجزائر واحدة منها، ونفس الأصوات التي ذكر فيها الاستفال هي عندنا سواء في الخطابات الفصيحة، ولعل هذا راجع إلى السبب الذي ذكره زيادة على ما ذكرناه من التأثير بالاستدمار في لغتهم (الأتراك، والفرنسيين) وزاد قائلا: "وإنّما وجّهوا كل عنايتهم بلغة الكتابة وهي اللغة الفصحى، فإذا انحرف الطفل في الكلام بلهجة أبيه، لم يجد من يُعنى بتصحيح هذا الانحراف،... فأخذت اللهجة مجراها الطبيعي، وتغيّرت جيلا بعد جيل"².

ولا تعارض بين السبب الذي قدّمناه وهذا الذي بيّنه "إبراهيم أنيس"؛ إذ التأثير بلغات أخرى جعل الانحراف لدى الأطفال بسبب ما يسمعه من والديه، ثم تطوّرت اللهجة على ما هي عليه من الانحراف، وقد نعتبر السبب الأول سياسي، والثاني اجتماعي، ونادرا ما نجد تحقّقا للأداء الصوتي على هيئة منقوصة، أمّا عن ضبط الكلمات فلا نكاد نجد له بيّنة، إلّا من حروف عامّة كالرّبط والجرّ، وهلمّ جرّا.

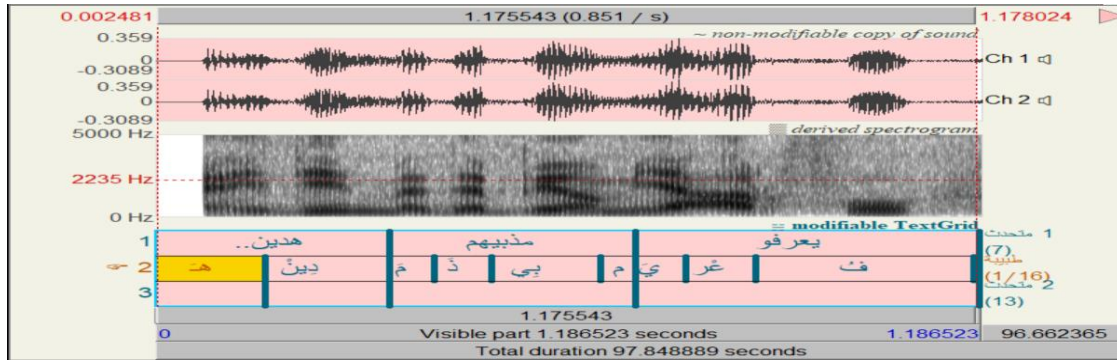
¹ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 228. (المرجع السابق)

² - المرجع نفسه، ص 228.

2- الفونيمات الفوقطعية (التطريزيّة/ الفرعية) للخطاب العلميّ غير الجاهز

وقبل حصر النتائج في الجدول يسعني أن أذكر تحليلاً عاماً للمقاطع الصوتية حتى تتبين الدقّة التي نبحت عنها في النتائج، ودورها في عملية التحليل بالنسبة للباحث، وهذا شيء من التحليل العام للمقطع الصوتي:

(شكل 01)



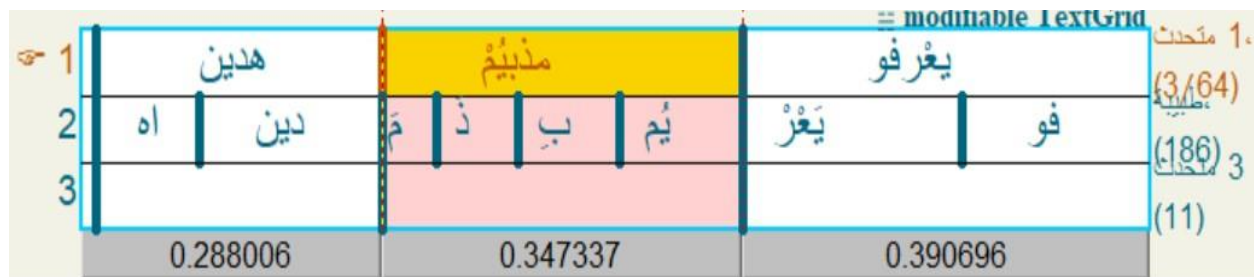
صورة تبين طريقة تقسيم الشرط حسب أدوار المتحدثين

فقد قمت بتقسيم الشريط إلى ثلاثة أجزاء (متحدّث 1، وطبيبة، ومتحدّث 2)، كما هو موضّح في الشّكل على يمين الصّورة في المكان الملّون بالوردي، وبدأت بتقسيم المقطع الخاص بالمتحدّث 1، فتحصّلت على المدّة بالتواني وهي 1.175543 ثانية؛ أي ثانية واحدة وسبع عشرة جزءاً من الثانية تقريباً، وفيها جزأها فتحصّلت على ثلاث ألفاظ، الأول "هدين" أصل اللفظة "مشاهدين" إلا أنّ الشريط تمّ تقطيعه فذهبت نصف اللفظة.

ونلاحظ أيضاً فوق المكان الملّون بالوردي شريطاً أسوداً، وفيه مناطق مختلفة الألوان بعضها أسوداً (قاتماً)، وبعضها رمادياً، فالأول يشير إلى الصّوائت (الحركات)، والثاني يوضّح الصّوامت (الحروف عند بداية نطقها)، وذلك الشريط من خلاله يمكن معرفة النّبر والتّنعيم والصّفات والكثير من المزايا التقنيّة.

في الشّكل التالي نبين تحليل بعض المقاطع وثوانيتها الزّمنيّة:

(شكل 02)



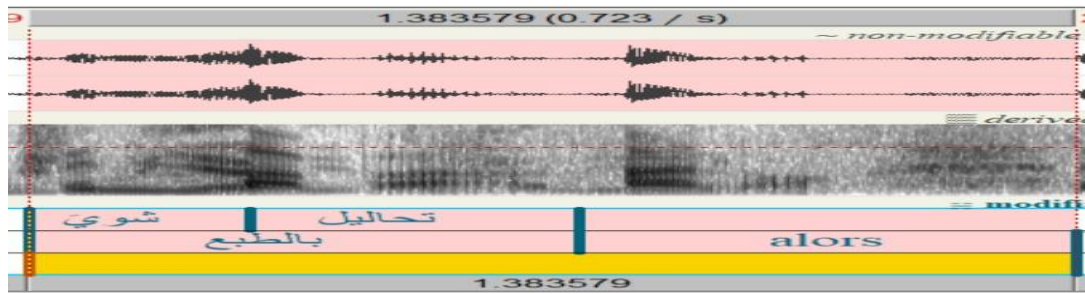
صورة تُبرز تقسيم الكلمات إلى مقاطع صوتية بالثنائي

كما هو مشاهد لفظ "اهدين" مدتها 0.28 ج/ثا، ولفظ "مَدَيِّم" مدتها 0.34 ج/ثا ، ولفظ "يَعْرِفُو" مدتها 0.39 ج/ثا، عند المقارنة بين أزمنة الألفاظ الثلاثة نجد أن الأخيرة أوسعها زمناً.

عند الرجوع إلى الشكل الأول الذي حصر المقطع للمتحدث 1، نرى أنَّ المنطقة السوداء المقطعة تحيل إلى صوت ولكنه قصير، أما المنطقة الداكنة المائلة للرمادي هو الصَّامت، ثم أتبع بسواد مستمر دليل على حضور المقطع الطَّويل، وهذا التمييز نحتاج إليه في تحديد مواضع النَّبر مع بيان المدة كما وضَّحنا.

ثم يأتي دور الطَّبيعة لتعقِّب بكلمتين "بالطبع" و"alors"، وتبدأ بالشرح، واستغرقت الكلمتان 1.38 ثانية، كما هو موضَّح في الشكل 03:

(شكل 03)



صورة توضح عدد الثواني بأجزائها للكلمتين اللتين نطقت بهما الطَّبيعة

زمن كل كلمة هو الأولى 0.72 ثا، والأخرى 0.64 ثا حسب (شكل 04).

(شكل 04)



صورة تبين زمن الكلمتين

1.2 النبر

وهكذا العمل مع بقية الكلمات، إلّا أننا سنكتفي بتبيين مواضع ظاهرة النبر، ومدى تأثير الصوت الزائد، وما دلالة تلك المدة الزمنية الزائدة على أصل الحرف الفصيح الذي يستغرق أقلّ مما لو استخدم أداءً؛ لأنّ الأداء مختلف كما أشرنا في الجانب النظري إلى هذه الفكرة، نسطر في الجدول النتائج التالية:

دراسة وظيفية للصوت				
مستوى استعمالي				مقياس صوتي
أشربة	ألفاظ	كمية ومدّة (بالجزء من الثانية)	قياس ب db	أصل النبر
متحدث 1	شاهدين	"دين" (0.17) من أصل (0.27)	70.21	مشاه [دين]
	مذبيم	"يم" (0.13) من أصل (0.34)	71.12	[ما] ذا - [ب] هم
	يعرفو	"يعر" (0.20) من أصل (0.39)	70.82	يعر [فون]
	لازم	"لا" (0.12) من أصل (0.25)	72.83	[لا] زم
	تاخذو	"دو" (0.10) من أصل (0.28)	72.23	تاخ [دون]
	مرأ	"أ" (0.19) من أصل (0.36)	73.96	[مر] أه
	تحاليل	"ليل" (0.14) من أصل (0.37)	70.25	تحا [ليل]
طبيبة	بططبع	"طبع" (0.43) من أصل (0.68)	70.69	بال [طبع]
	يندو	"دو" (0.18) من أصل (0.42)	74.94	[نب] دأ
	تحليل	"ح" (0.15) من أصل (0.63)	73.21	تحا [ليل]
	أدم	"دم" (0.26) من أصل (0.58)	72.45	[الد] دم
	تحديد	"ديد" (0.20) من أصل (0.36)	75.19	تح [ديد]
	زرمر	"ر" (0.09) من أصل (0.44)	72.98	ز [زم] را
	دمويا	"يا" (0.23) من أصل (0.72)	73.63	دم [وي] ية
	أثو	"أن" (0.09) من أصل (0.29)	74.61	[أن] ن
	زوّج	"زو" (0.37) من أصل (0.57)	75.37	ز [زو] جة
	هناك	"ه" (0.13) من أصل (0.36)	74.22	هـ [ناك]
	يكون	"كون" (0.28) من أصل (0.47)	74.05	ي [كون]



م[شا]كِلْ	72.91	"م" (0.09) من أصل (0.70)	مشاكل
مس[نَقْ]بَلْ	71.94	"نَقْ" (0.16) من أصل (0.51)	مُسْتَقْبَلْ
[بْ]عَدْ	73.07	"بَع" (0.15) من أصل (0.24)	بَعْدْ
و[لا]دَهْ	76.23	"و" (0.11) من أصل (0.29)	ولادَ
بالط[طَبْعْ]	71.69	"طَبْع" (0.49) من أصل (0.73)	بِطْطَبْعْ
[يُعْ]رَفْ	73.26	"يُع" (0.22) من أصل (0.45)	يُعْرَفْ
إج[هاضْ]	73.90	"إج" (0.15) من أصل (0.47)	إجهاظْ
مت[كَرْ]رَرْ	73.20	"ت" (0.14) من أصل (0.80)	مُتَكَرَّرْ
ن[زيفْ]	75.95	"ن" (0.11) من أصل (0.65)	نزيفْ
مبا[شْ]رَهْ	76.27	"با" (0.07) من أصل (0.44)	مباشرةً
ت[جنْ]ئُبْ	75.10	"ت" (0.13) من أصل (0.41)	تَجَنَّبْ
مت[قَدْ]دِمْ	75.98	"ت" (0.10) من أصل (0.71)	مَتَقَدِّمْ
تشو[هاثْ]	72.94	"شَو" (0.32) من أصل (0.69)	تشوهاتْ
ج[نينْ]	71.90	"ج" (0.14) من أصل (0.36)	جنين
متنق[ق]لَهْ	72.59	"لا" (0.20) من أصل (0.80)	مَتَنَقِّلَا
[نَكْ]شَفْ	74.52	"فو" (0.19) من أصل (0.49)	نُكْشَفُو
ط[ريقْ]	72.70	"ط" (0.10) من أصل (0.29)	طريقْ

مدى	"م" (0.10) من أصل (0.23)	73.85	[م]دى
خطورة	"طو" (0.21) من أصل (0.62)	74.75	خ[طو]رة
هاذي	"ها" (0.12) من أصل (0.24)	71.10	[ها]ذي
مشاكل	"شا" (0.19) من أصل (0.48)	70.27	م[شا]كل
مشاهد	"شا" (0.21) من أصل (0.57)	70.07	م[شا]هد
يعي	"عي" (0.16) من أصل (0.36)	74.90	[ي]عي
أننو	"نو" (0.25) من أصل (0.43)	73.93	[أن]ن
لمما	"لم" (0.21) من أصل (0.44)	73.09	[لم]ما
يكون	"كون" (0.25) من أصل (0.40)	70.04	ي[كون]
Fa سيلة	"Fa" (0.16) من أصل (0.53)	71.86	ف[صي]لة
منسبًا	"با" (0.23) من أصل (0.64)	73.72	منا[س]بة
عواقب	"وا" (0.15) من أصل (0.46)	73.95	ع[وا]قب
يُمكن	"يُم" (0.17) من أصل (0.31)	72.19	[يُم]كن
وخيم	"و" (0.17) من أصل (0.45)	73.08	و[خي]مة

متحدث 2

(جدول 02)

تعليق:

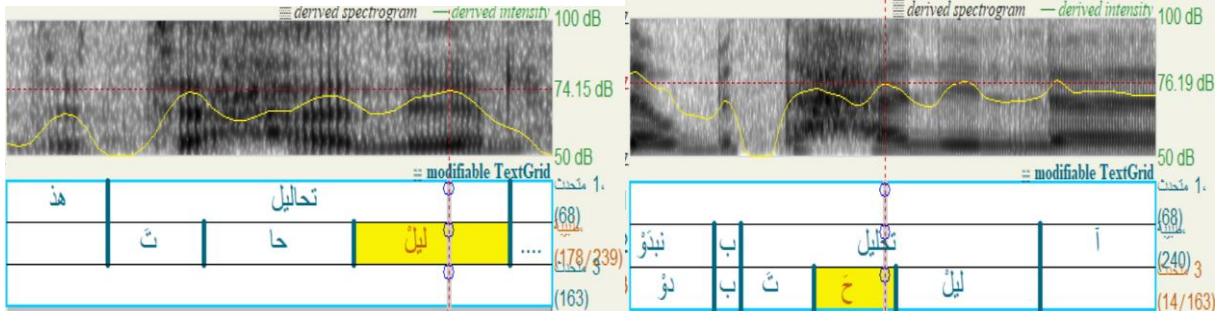
بعد عرض النتائج المتحصّل عليها في الجدول تبين ما يلي:

1- عرفنا في العيّنات الأولى أنّ مواضع النّبر أغلبها مخالف للفرضيات الّتي عقدناها وهي ثلاثة (فرضية: لا وظيفة تمييزية للنّبر، وفرضية: عدم الجزم بمواضع النّبر، وفرضية: وضع قانون خاص بموضع النّبر)، أما الأولى فهي محلّ اتّفاق بين المحدثين كما بيّنّا ذلك سابقا وهو نفسه ما يظهر في هذه العيّنة، والثّانية نجد اختلافا كبيرا بين جمهور الدّارسين في تحديد الموضع المناسب للنّبر، وهذا الاختلاف مبني على أسس علميّة؛ إذ طائفة تعتمد في التّحديد على قوانين علم الصّرف لتمييز المقطع المنبور، وأخرى ترى بوجوب تتبّع الصّوت عمليّا لمعرفة النّبر الصحيح في لهجة الجماعة الواحدة المستقلّة، ولا تعارض بينهما؛ فالأوّل هو توجيه هدفه توحيد الظّاهرة، والثّاني هدفه الإقرار بمبدأ الاختلاف الواجب فطرةً، ولكن ما لا يجب أن يحصل هو الاختلاف اللّهجي فرديّا، فتجد لكلّ شخص أسلوبه، ونبرته التي يستقلّ بها عن غيره، مثل الّتي مرّت معنا في الجدول في كلمة "تحاليل" حيث نجد المتحدث الأوّل، المقطع

المنبور في ملفوظه هو "ليل" (شكل 1)، والطبيبة في "ح" (شكل 2)، وهناك مواضع كثيرة في نفس الكلمة اختلف فيها على سبيل المثال لا الحصر، وبالتالي الاتفاق الذي عقده المحدثون في كون النبر لا وظيفة تمييزية له، ربما هو بسبب هذا الاختلاف الفردي في اللهجة الواحدة.

(شكل 2)

(شكل 1)



صورة تبرز أنواع المقاطع الصوتية وعددها في الكلمات

2- يوجد الكثير من الاتفاق إذا ما قارنا المعيارين مع بعضهما يصل بنسبة 38.77%، بعدد تسعة عشرة (19) كلمة، من تسعة وأربعين (49)، وهو تقارب نسبي ملحوظ، وأغلب تحققه كان على لسان المتحدث الثاني، بحيث كان ينطق الكلمات بالعربية الفصحى، فطرح السؤال بها، إلا أنه يسكن أواخر الكلمات كغيره، ولما كانت القوانين التي وضعها "إبراهيم أنيس" تتماشى مع الكلمات وفق علم الصّرف، لا مع الجمل حصل هذا التقارب، فلو أخذناها في الجمل لاختلفت كلّ المواضع، ولما كان للقوانين أي معنى، ولا يفوتني أن استدرك شيئا مهما هنا هو أنّ المقاطع تنتمي إلى عالم الكلمات، وهذه الكلمات هي موضوعة في المعجم كما سُمت، وعند النطق بها لا نحرك أواخرها، إذ نطق الكلمة دون حركة إعرابية هو الأصل في المعجم، أما لو خرجت من المعجم إلى الاستعمال الجملي يختفي موضوع النبر على المقاطع، ويحلّ بدلها نوع آخر من أنواع النبر، وهو النبر الدلاليّ أو نبر الكلمات، وهذا الأخير ذكره "تمام حسان" في المنهج النحوي من كتابه (مناهج البحث في اللغة).

الحاصل: العينة المأخوذة للتحليل الصوتي تُظهر نفس النتائج التي أثبتناها سابقا على العينة المعدّة مسبقا، وهو ما يدعونا إلى التأمّل في حالات النبر المتاحة من باب العلم بها لا أكثر، لذا رأى الكثير من المتأخرين الاستغناء عن هذه الظاهرة لا يضّر كما أنّه لا يُفيد غير العلم بالشيء على منهج البنيويين هو وصف الظاهرة كما هي.

2.2 التنعيم:

بما أننا تعرّفنا على درجات التنعيم وفصلنا فيه، وذكرنا أهمّ مسأله يسعنا في ذلك التطبيق على هذه العينة حتى نقرب أكثر من واقع المادّة العفوية في إخراجها، ونتعرّف على واقع التنعيم، من خلالها نعرض أهمّ النتائج في الجدول الآتي:

دراسة وظيفية للصوت				
أشرطة	جمل	نوع النغمة	درجة التنعيم	معنى التمييزي
متح 1	اهدين مذيّم يعرفو شوي تحاليل.	هابطة ومستوية	186.5	ارتباك
	بعد لولاد.	مستوية وهابطة	147	استدراك وتقرير
	تاخذو المرأ مباشرة بعد لولاد.	مستوية وصاعدة	171.1	استدراك وتأكيد
	وصلينا في هد تحاليل.	مستوية وصاعدة	159.2	استدراك وتأكيد
	إلتهاب.	مستوية	141	استدراك
طبيبة	نبدو بتحاليل أدم.	مستوية وصاعدة	235.9	الاستمرار والتأكيد
	هناك راح يكون مشاكل.	مستوية	231.3	عدم اكتمال المعنى
	لإجهاز المتكرر.	هابطة وصاعدة	220.6	الاحتمال
	تحديد زمر قبل لولاد.	صاعدة	185.6	التأكيد
	لتجنب هذي لإجهازات لمتكرر.	صاعدة	285.4	التأكيد
	يقدر يصرا تشوهات للجنين.	مستوية	86.97	تقرير الحقيقة
متح 2	لما تكون fa سيلة ريزيس غير مناسب.	مستوية	117.2	عدم اكتمال المعنى
	لعواقب يمكن أن تكون وخيم.	هابطة	109.4	تقرير الحقيقة
	على لجنين أولاً وعلى لأم ثانيا.	هابطة	103.1	تقرير الحقيقة

(جدول 03)

تعليق

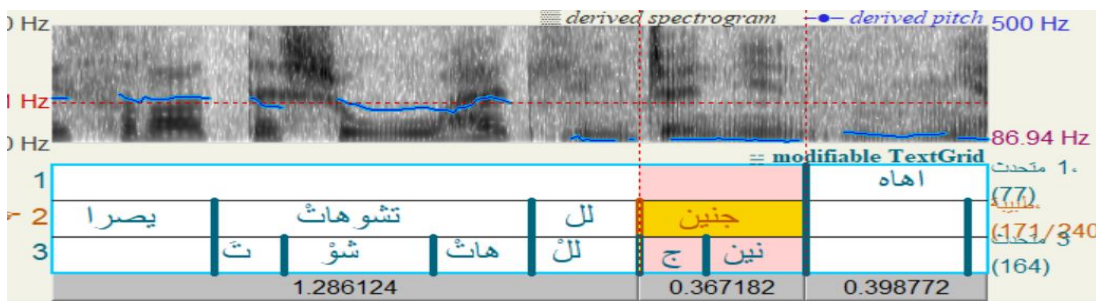
يمكن التعليق على الجدول بما يناسب نتائجها في النقاط الآتية:

- 1- حسب تتبّع أحداث الشريط يظهر بأنّ النغمة في أغلب مظاهرها مشتتة بين الهبوط والصعود والاستواء في الكلمة الواحدة عند نهاية كلّ جملة، مع أنّ المتكلّم في مقام تقرير لحقيقة علميّة ما، فالأصل أن تكون النهايات أغلبها

هابطة، أو صاعدة، وبعضها مسطح، فالمهم أن تكون منظّمة تنظيماً يدلّ على أصالة اللّغة، ولكن لم نلمس هذا في الشّريط، بل نجد تداخل الأدوار موجود بكثرة من باب الاستدراك أو السّؤال، ففي المقطع الأوّل للمتحدث الأوّل، حدث تداخل بين آخر كلمة قالها، وبين أوّل كلمة بدأت بها الطّبيبة، فحدث نوع من الارتباك الصّوتي بسبب تداخل الأدوار، هبوط ثم استواء، أمّا بقية الجمل التي تكلمها المتحدث الأوّل نجد منها المستوية الهابطة، والاستواء هنا له معنى الاستدراك، وليس عدم تمام المعنى كما أخذنا ذلك في العيّنات الأولى، وسبب هذا الاستدراك حصل بسكوت الطّبيبة في حال النّسيان أو استرجاع فكرة ما، فيستدرك عليها فتكون النّعمة مستوية، فعرّفنا أنّ من النّعمات المستوية ما تكون لمعنى الاستدراك، وهذا معنى جديد نكتشفه في عمق الخطابات المتبادلة بين الأطراف، أمّا المستوية الصّاعدة، فهي كذلك للاستدراك ثم تثبيت الفكرة وتأكيدّها، والجملّة الأخيرة مستوية النّعمة فهي من حاصل عدم تمام المعنى.

2- أما دور الطّبيبة في تحليل جملها التي تكلمتها كان فيه تذبذباً كبيراً بسبب الوقفات الكثيرة والآهات المتكرّرة للدّلالة على الاسترجاع والتذكّر، ولم تكن النّعمات موفّقة في أغلب حالاتها، فالأولى كانت مستوية وصاعدة في الكلمة الأخيرة من الجملّة، والاستواء هنا هو من باب الاستمرار والصّعود من حاصل التأكيد، وكأنّ الاستمراريّة في تقرير الحقائق حاصلّة بتأكيدّها، وأمّا في الجملّة الأخيرة الأصل فيها أن تكون نغمتها هابطة ولكن رأينا أنّها مستوية مع أنّ المقام مقام تقرير لحقيقة ما، ولا يمكن حملها على عدم تمام المعنى أو الاستدراك، فهي ليست في موضوع النّسيان، ولا في محلّ التمام، وأمّا الجملّة مكتملة في معناها وهي (يقدرُ يصرا تشوهات للجنين)، انظر شكل 1،

(شكل 1)



صورة تعكس وجود تنعيم هابط في الكلمة

وأما التّنعيم الذي في الجملّة (لأجهاز لمُتكرّر) هابطة وصاعدة فهو للاحتمال؛ أي من المحتمل أن يحدث الاجهاض مرّات، ولذا جاءت النّعمة دالّة على الاحتمال في تكرار العمليّة.

3- بينما المتحدّث الثَّاني لا نجده قد تدخّل كثيراً، لذا أحصينا ثلاث عبارات فقط، وقد وافقت الفرضية المتعلّقة بالقاعدة العامّة للتّغيم، منها عبارتان بتغيم هابط للدّلالة على تقرير الحقيقة، وواحدة مستوية للدّلالة على عدم اكتمال المعنى، أمّا عن القياس فهو دالّ على ثبات نسبيّ، مرة بقياس (109,4 و 103.1 هرتز)، وهما متقاربان نزولاً، ومرة بقياس (117.2 هرتز) استواءً، وهو ما يدلّ على ثبات المتكلّم الثَّاني، وهدوئه في طرح أفكاره، بسبب استعمال التّغيم في المناسبة الخاصّة، وهذا راجع لعدم تكلمه كثيراً، أو لأنّه يمتلك الآليات النّفسيّة اللاّزمة في التحكّم اللّغويّ أثناء الحوار.

الحاصل: لم يحظ التّغيم بالثّبات اللاّزم، حيث نجده مشتمّاً في هذه العينة، وهو دليل على أنّ المادّة الّتي لم يسبق إعدادها هي مادة ضعيفة اللّغة في مستواها الصّوتيّ، وغير منظّمة؛ بسبب تداخل الأدوار في كلّ مرّة، ونسيان المعلومات ممّا يضطر الآخر للتّذكير، فتظهر الخوالف الصّوتيّة، مع الایماءات والإشارات لتغطي الضّعف الكامن وراء الأداء اللّغويّ، وهذا ما جعل المادّة غير ثابتة على مستوى التّغيم، ويُسْتثنى منها دور المتحدّث الأخير الّذي لم يساهم كثيراً في إدارة الحوار، بقدر ما أعطى فكرة لخصّ بها مضمون المعلومات.

فَصْلٌ ثَانٍ

الْخَصَائِصُ الصَّوْتِيَّةُ وَاللُّرَكِيَّةُ

لِبْنِيَةِ الْخَطَابِ الْعِلْمِيِّ عَيْنَاتُ

مِنَ الشُّرُوقِ "أُونْ لَايْن"

مطلب ثانٍ: الدُّرُسُ الصَّرْفِيَّةُ بَيْنَ حُدُودِ الْكَلِمَةِ وَمَنَوَالِ

الْلَفْظِ

مطلب ثانٍ: الدُّرُسُ الصَّرْفِيُّ بَيْنَ خُدُودِ الْكَلِمَةِ وَمَنَوَالِ اللَّفْظِ

العمل في هذا المستوى المسمّى بعلم الصَّرف أو مستوى الكلمة واللفظة يجعل أيَّ باحث في مجال "علوم اللِّسان" ينظر إلى أبعاده واتِّجاهاته الفكرية التي عُرف بها تاريخياً، وبما أنَّ الدِّراسة هنا ليست في مقام عرض الاتجاهات، ومسالك الأبواب التي تستقلّ كتابةً في مجلِّدات ومؤلِّفات خاصّة، إلّا أنّنا لا نُغفل الأهم منها؛ من أجلّ مكاشفة علميّة لموضوعاته وحدوده الفارقة مع بقية المستويات، ومقايستها، ومقارنتها بما استجدَّ من نظريات حديثة، فمن المعلوم أن علم الصَّرف يهتمُّ بالكلمة المفردة من حيث الصِّياغة، فهو "علم بأصول وقواعد تُعرَف بها أحوال أبنية الكلمة"¹.

فقد كتب "تمام حسن" في هذا المبحث في كتابه الأوَّل (مناهج البحث في اللغة) اثنتين وعشرين (22 صفحة) تحت عنوان (منهج الصَّرف)، ووضع بعض التوضيحات المهمّة، وبني أفكاره على فلسفة جديدة تُراعي فكرة الصِّيغة والاشتقاق والملحقات، وفي كتابه الثَّاني (اللغة العربية معناها ومبناها) أطال فيه النَّفس فكتب ثلاثة وتسعين (93 صفحة)، بنظرة تأصيليّة جديدة، واعتبر علم الصَّرف بناءً يتمُّ على "ثلاث دعائم هائلة، هي:

- 1- مجموعة من المعاني الصَّرْفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم² ويعود بعضها الآخر إلى تصنيف الصِّيع.
- 2- طائفة من المباني بعضها صيغ مجرّدة وبعضها لواصق وبعضها زوائد³ وبعضها مباني أدوات...
- 3- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية...، وطائفة أخرى من القيم الخلافية...⁴.

فقد حدّد "تمام حسن" طريقة خاصّة في معالجة اللغة العربيّة صرفيّاً، وقَدّم المعاني على المباني، وهذا الذي يظهر من خلال عنوان الكتاب، فحرصه على هذا التّقديم له قصد معتبر، مع أنَّ المنطق يقول بأنَّ المبنى سابق المعنى في الوجود الفعلي، بيد أنَّه يرى العكس فالوجود الدّهني أسبق من الوجود الفعلي، فقد يتأخّر الفعل حتى ينتظم الدّهن

1 - أحمد بن محمد الحمالوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م، ص 9.

2- ما ورد في كتاب سيبويه أثناء حديثه عن التّقسيم الثَّلَاثي هو لفظ (كلم) وليس (كلام)، فهذا الأخير لم يظهر إلّا بعده، وهذا التّدقيق مهمّ في تأسيس ما يُبنى عليه من تصوّرات، وقد تنبّه لهذا "الحاج صالح" وحلّصه في كتابه: "البنى النّحوية".

3- فهذه الزيادات التي تزيد عن الكلمة المفردة تجعلها تخرج عن حد الكلمة إلى مستوى أوسع منها وهو اللفظة حسب اقتراح "الحاج صالح" سيأتي تفصيله في المتن.

4 - تمام حسن، اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص 82. (المرجع السّابق)

على صورة تجمع بناء الفكرة، وهذا ما أشار إليه فندريس (vendryes) لما اعتبر الجملة تحتوي على تعبيرات من الأفكار، وعلامات على الارتباط بين هذه التّعبيرات¹.

فقد قدّم الأفكار ثم بعد ذلك ذكر العلامات التي تربط بينها في تعبير خاصّ، ثم ذكر أنّ مردّ هذه المعاني إلى شيئين أو بابين هما: أقسام الكلم، وفعل التّصريف أو التّحويل، وهذا يحتاج إلى شيء من التّفصيل؛ لأنّ المعاني إجمالاً أصلها يرجع إلى التّصريف الذي مبناه على الاشتقاق، ف"التصريف يطلق على مبحث خاص من مباحث النّحو يقال له الاشتقاق، أو اختراع الصّيغ القياسية، أو مسائل التمرين"².

ويعرف فندريس الاشتقاق بقوله: "هو العلم الذي موضوعه دراسة المفردات، وتنحصر في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة"³.

أما معاني أقسام الكلم من الاسميّة، والفعلية، والإضمار، والظرفيّة، والتعليق بالأداة، تتحدّد وفق مبانيها اسماً، وفعلاً، وضميراً، وظرفاً، وأداة على الترتيب بفعل الاشتقاق، وهي عبارة عن قوالب وصيغ مجرّدة؛ أي لا يقع الاشتقاق على الزوائد الدّاخلية أو اللّواصق، فهذا من خصائص العربيّة فهي "تعتمد على القالب لاشتقاق الكلمات، دون توظيف اللاصقة لاشتقاق الكلمات، فتزد الأفعال عاملة وغير عاملة، عن طريق الوزن لا عن طريق لاصقة صرفية"⁴. وكذلك موضوع التصريف يختصّ بالزوائد الدّاخلية على أصل الكلمة وهو ما صرّح به "تمام حسّان" لما قال: "مباني التصريف تنفرع إلى لواصل وزوائد"⁵؛ بما أنّ التصريف هو عملية تحويل، فهو يقع على الزوائد والواصل مثل الضّمائر المتصلة أو حروف الزيادة (سألْتُ مُؤنِياً)، وهو تحويل للأصول إلى فروع والعكس وفق ميزان معتبر سمّاعاً وقياساً، "فمعنى التصريف هو ما أريتك من التلاعب بالحروف الأصول لما يُزاد فيها من المعاني المفادة منها وغير ذلك"⁶.

¹ - نقلاً عن: تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 170 (المرجع السّابق)

² - أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 42. (المرجع السّابق)

³ - جوزيف فندريس، اللّغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص 26.

⁴ - محمد عبد العزيز عبد الدايم، نظرية الصرف العربي "دراسة في المفهوم والمنهج"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة، الحوليّة 21، 2000م/2001م، ص 29.

⁵ - تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 86 (المرجع السّابق)

⁶ - ابن جني، التصريف الملوّكي، تح: البدرأوي زهران، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية، القاهرة، ط1، 2001م، ص 44.

ويقول أيضا مبيِّنًا حاجة اللُّغويِّين إليه وسبب ذلك: "التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية...؛ لأنه ميزان العربية، وبه تُعرف أصول كلام العرب من الزَّوائد الدَّاخلَة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به"¹.

إذن فحاصل الكلام أن الكلمة تخضع لميزان معيَّن تتفَعَّل فيه المعاني، ولا يمكن أن تظهر إلا فيما يُعرف بالجزر² المتكوَّن من (ف، ع، ل)، كأصغر وحدة صرفية ذات دلالة خاصَّة، فجعل الاشتقاق عملية أو وسيلة من وسائل التصريف، أما الزَّوائد الدَّاخلَة عليها، أو ما يعرف بالملحقات فهي ذات معنى من نوع آخر، لا يمكن فهمها إلا في إطار الكلمة الَّتِي وردت فيها؛ لأنَّها زوائد تزيد وظيفة على الدَّلالة الأصليَّة العُرفيَّة، فإذا فصلناها عن الكلمة الأصليَّة صار معناها إلى العدم؛ إذ الحرف وحده لا معنى له، فلو قلنا: يمتنعون، فأصل الكلمة من الجذر الثلاثي (م، ن، ع)، فهي ذات معنى معجمي مستقل، ودخول زائدة "الياء" في صدر الكلمة أفادت معنى وظيفي لا معجمي وهو تحديد زمن المنع، ودخول "التاء" وسط الكلمة حشوا أضفت عليها معنى الافتعال؛ أي القيام بالحدث عن قصد، ودخول "الواو" في عَمُز الكلمة دلَّ على الجماعة، والنون دل على الرفع ليخرج غير الرفع من حسابان اللَّفْظ كحذف النون في الجزم والنَّصَب، ولذا كان التَّفريق بين المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي أمرا حتميا للخروج بتأصيل دقيق يُفهم به قصد المتقدمين والمتأخرين في هذا الباب.

أما رؤية "تمام حسَّان" لطائفة المباني فهي نظرة تفصيلية وسَّع فيها بوضعه لثلاث مبانٍ اللَّوَّاصق، والزَّوائد، والأدوات، وإن كانت المفاهيم متداخلة ومحتملة لبعضها البعض، فتعبير "ابن جني" جاء مجملا كما مرَّ معنا "... الزَّوائد الدَّاخلَة عليها"، ولم يفصِّل نوع الزَّوائد، وإن كانت تقتضي وجودها البنائي صدرا وحشوا وعجزا كما مرَّ معنا في المثال، كما أن الأدوات تدخل في عموم الزَّوائد الَّتِي يتضح معناها الوظيفي في الجملة، يكشف عنه علم النَّحو؛ فالتَّفريق بين هذه الزَّوائد يظهر في إطار الوحدة الصَّرْفِيَّة ممثلة في الصِّيْغَة المجردة للكلمة.

أما عن "الحاج صالح" فهو يرفع هذا النوع من التَّصورات إلى مستوى أعلى من الكلمة وهو اللَّفْظَة، وهو مستوى وسطي بين الكلمة والجملة المفيدة، ويعتبر الزيادة الدَّاخلَة على الكلمة المفردة مما يحدِّد معناها أو يخصِّصه، ولا

¹ - ابن جني، المنصف في شرح تصريف المازني، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1954م، ص 2.

² - قال "الحاج صالح" عن هذا المصطلح أنه: "قد استعاره الغربيون من اللِّسانِيَّات الهندية القديمة (وبلا شك من النَّحو العربي أيضا)، أما مفهوم مثال الكلمة أو وزنها وبنائها فهو مفهوم عربي أصيل ولا يوجد ما يماثله إلى الآن في اللِّسانِيَّات الحديثة" (بحوث ودراسات في اللِّسانِيَّات العربيَّة، ج2، ص 48). (المرجع السَّابِق)

يعني التغيير من حكمها، فالاسم يظل على اسميته ولكن يُحدّد وفق الزيادة¹، واعتماده لهذا التفصيل ليس من ابتداعه، بل له أثر في الدّراسات التراثية، فالخليل يرى أن الكلم المفرد ما خلا من لوازمه؛ أي ما يدخل عليه، وبالتالي اقترح مفهوم اللفظة باعتبار معنى الانفصال أو الانقطاع كمقياس لذلك؛ أي قابلية فصل الكلام إلى أجزاء (كلمات) دون الوقوع في الخلل، فتصير إلى مفهوم الأفراد الذي نسبه إلى سيبويه وهو ما يُعرف بالانفصال التام ومثاله: جميع الضّمائر المنفصلة، والأسماء التّكرة غير المزيّدة كـ"أرض، فرد، كتاب...، وهناك فصل آخر يسمّى الفصل بالبدل؛ ويعني أن الزائدة الّتي تلحق الاسم أو الفعل تكون في أصلها منفصلة، ولكن أثناء النطق بالكلمة منفردة دونها يكون في حكم المبحال؛ إذ لو فعلنا ذلك وفصلنا الزائدة عن أصل الكلمة، صارت الزائدة لا معنى لها، مثل الضّمائر المتصلة عموماً، ويُسْتثنى من الزوائد ما كان من أصل صيغة الكلمة مثل: "تاء" الافتعال في "انتقد" من كلمة "نقد" أو "منتقد" (م)، فإن مثل هذا لا يمكن فصله بالبدل أو الحذف، مع ما تدلّ عليه من معنى زائد إلا أن الزيادة ليست في أصل الكلمة إنّما هو في الدّلالة وله تفصيله.

فالذي يحيل إلى كل ما له معنى الزيادة غير الّذي استثنينا، فهو في حكم اللفظة، وهي على النّحو التالي بالنّسبة للاسم: حروف الجر، و"ال" التّعريف، والتنوين أو المضاف إليه، ثم الصّفة، فهذه كلها تكون زوائد على الكلمة، باستثناء علامات الإعراب الّتي لا أعتبرها من الزّيادة الدّاخلة على الكلمة بقدر ما هي تابعة للعوامل الدّاخلة عليها، فإذا كانت الكلمة دون عوامل تدخل على الكلمة فلا يمكن اعتبار علامتها الأصليّة في حكم الزيادة؛ لأنّها على أصلها، وإنّما نعتبر العلامة الإعرابيّة زائدة مع عاملها الّذي يدخل عليها، أما فكرة رفع المبتدأ بعامل معنوي فهو محلّ كلام طويل وعريض، وإلا لم يكن لمستوى الكلمة أي معنى؛! فيعني ذلك نفي مستوى الكلمة، ولا يعتبر ما قدّمه جديداً في ساحة اللّسانيّات الحديثة؛ لأن الاكتفاء بالكلمة وفق صيغة معيّنة هو من اهتمام المعجم، والمعجم هو مستوى من مستويات التّحليل اللّسانيّ مستقل بذاته، ولذلك إذا أردنا الإبقاء على نفس التّأصيل الّذي اجتهد فيه "الحاج صالح" لا بدّ من إخراج الحركات الإعرابيّة من حسابان مستوى اللفظ وتركه في مستوى الكلمة ما لم يدخل عليها ما يغيّر أصلها الأوّل.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج2، ص 72، 73. (المرجع السّابق)

فالمهم أن تكون الزيادة من اسمه؛ أي تابعة له تبعيّة حقيقيّة، ويُستثنى التمييز، والبدل وغيرها من التّوابع؛ لأنها ليست من أصل الاسم، حسب اصطلاح الأوّلين، وهذا الَّذي صرّح به "الحاج صالح" بقوله: "وقد اجتهدنا في إيجاد تسمية لهذه الوحدة -الجليلة القدر رغبة في التمييز بينها وبين الكلمة- فسمّيناها "لفظة"¹.

وهذا الاجتهاد الَّذي وصل إليه استنادا إلى ما وصل إليه من قبل "ابن يعيش" (ت 643) في كتابه (شرح المفصل) لما قال: "مما هو معرّف بالألف واللام فإنه يدلّ على معنيين التّعريف والمعرّف ومن جهة النطق لفظة واحدة وكلمتان إذ كان مركبا".

فمن قول "ابن يعيش" يتحدد اجتهاد "الحاج صالح" ويواصل في شرحه وتبريره للمصطلح الجديد الَّذي عدّه من مستويات اللّغة في التّحليل، ويحدد كذلك الفعل متى يصير لفظة لا كلمة وفصل تفصيلا طويلا في كل مناسبة، فجعل الماضي تدخله عن اليسار قد، و "أن" و "ما" المصدريتان، وعن اليمين الضمير المتصل المنصوب (ضمير المفعول به)، أما إذا كان المفعول به اسما ظاهرا أو ضميرا منفصلا فهو متفرد وخارج عن مفهوم اللفظة، وأما المضارع فتدخله حروف المضارعة "أنيت"، وعلامة الإعراب في آخره رفعا أو نصبا أو جزما حسب العوامل الدّاخلية على الفعل، وكذلك نون التوكيد بنوعيّها، ينضاف إليه ما دخل على الماضي الضمير المتصل المنصوب، وتدخل عن اليمين قد، ولا النافية والسين وسوف ولا تؤثر على أصل حركته لفظا، وحروف أخرى تؤثر لفظا ومعنى على المضارع وهي: لم، ولن، لما، لام الأمر، لا الناهية فيصبح عندها مجزوما، ومتفاوت المعاني زمانا، وهذه تأتي في الموضع الأوّل، وأما الثّاني فتكون فيها "ما" المصدرية الّتي تحول الفعل إلى مصدر، وأنّ، وكى، وحتى، قد تكون متبوعة بـ "لا" النافية، وكذلك "الفاء"، و "الواو"، و "أو"، كلها تكون ناصبة إذا دلّت على غاية، وأما فعل الأمر فتدخله "لام" الأمر من باب التكافؤ فقط، ولذا الكثير من القدامى اعتبروه على طريقة المضارع للفاعل المخاطب منزوع الأوّل، وعليه كانت هذه أهم التّفصيلات الّتي حددت الرّوائد الدّاخلية على أنواع الأفعال الثّلاثة، حتى يستبين من خلال الخطاب الَّذي نتناوله بالتّحليل أهم ما ورد هنا في التنظير.

وأجدني هنا مضطرا لبيان مفهوم الصّيغة الّتي يتكرر الكلام عنها، وعلاقته بمفهوم المورفيم الَّذي كثر تداوله في الدّراسات اللّسانية الحديثة، فالمورفيم باعتباره وحدة صرفية دالة مجردة؛ أي كيان ذهني غير مجسّد، يتمثل في المعنى

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، البنى النّحوية العربيّة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة، ط1، 2016م، ص 81.

الوظيفي للصيغة كقولنا (الفاعلية، والمفعولة، والاسميّة)، والصيغة هي علامة له؛ بمعنى أدق صيغة "قتل" والتي على وزن "فعل" فهذا الوزن يصلح لأن يكون لطائفة من الكلمات على نفس الشّكل، وهي علامة على مورفيم الفعالية، أو بتعبير آخر:

مورفيم = وحدة صرفية دالة (مجرّدة) ← العلامة = البناء الشكلي للكلمات (تجسيد الوظيفة الذهنية)

المثال = العلامة (وحدة معجميّة) ← الوزن = المسموع والمصنوع قياساً (تجسيد صرفي)

مثال: (ساهم) علامة دالة على مورفيم المشاركة، وهذه المشاركة وحدة مجردة تُدرك ذهنًا، وتُمارَس استعمالًا، فالعلامة هي المثال؛ وهي تجسيد لمورفيم المشاركة، وفق وزن مسموع.

الحاصل: المورفيم هو الذي يعبر عن المعنى الوظيفي، والمثال يعبر عن المعنى المعجمي، ويشتركا في الصيغة الواحدة التي تحدد انتماء الكلمة عُرفًا، والصيغة عبارة عن الجذر بالإضافة إلى الوزن، وإنما بينا هذا التوجيه حتى نفهم معنى مصطلح "مورفيم" الذي عرف الكثير من الآراء حتى لا نقول الخلط، فكل رأي له ما يُسنده، ولذا قال: "المورفيمات تربط بين الأفكار التي يتكوّن منها المعنى العام للجملة، وهذه الأفكار واضحة في "السيمانتيمات"، أو نواة المعنى المعجمي"¹.

فالربط بين الأفكار هو الوظيفة التي يختص بها مصطلح "مورفيم" وهو معنى صرّفي نحوي، على غرار الأفكار التي تحمل معنى معجمي، وهكذا نكون قد وضعنا تصورًا بسيطًا سنعمل عليه في النموذج المختار.

أما عن طريقة العمل في هذا المستوى سيكون كالتالي:

1- إنشاء جدول إحصائي يتضمّن أنواع الأسماء؛ وأقصد بأنواع الاسم، ما ثبت قديمًا وحديثًا من تفصيل لبنية الاسم من حيث الاشتمال المعنوي، في الحقيقة هذه المسألة ممن بحث فيها مفصّلة، وأرى تفصيله مناسبًا لتصوّراتي التي تُدَاخِلُنِي؛ إذ بناء المعرفة متوقف على الاجتهاد التفصيلي للأحداث العملية للغة، فقد رأى "تمام حسّان" أنّ الاسم ينقسم إلى خمسة أقسام، والصّفة مستقلة عن الاسم، فجعل لها مكانًا خاصًا، وبرّر كلّ قسم من حيث المبنى وفق الصورة الإعرابيّة، والرسم الإملائي، والرّتبة، والصّيغة، والالصاق، والتّضام، ومن حيث المعنى وفق التّسميّة، والحدث، والزّمن، والتّعليق، والمعنى الإجمالي²، وهي: **الأوّل:** الاسم المعين، **الثّاني:** اسم الحدث ويتضمّن (المصدر، واسم

¹ - تمام حسّان، مناهج البحث في اللّغة ص 170. (المرجع السّابق)

² - يُنظر: تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 90. (المرجع السّابق)

المصدر، واسم المَرَّة، واسم الهيئة)، الثالث: اسم الجنس وهو العام عند سيبويه، الرابع: الصَّبِغ المشتقة المبدوءة بالميم (الميمات)، فخرج بذلك غير المشتق كالمصدر الميمي، الذي يدخل في النوع الثاني (اسم الحدث)، الخامس: الاسم المبهم، أما الصِّفَة فقد أورد فيها تعريف الأشموني (ت 929 هـ) ونصر مذهبه في هذا، باعتبارها نسبة الحدث إلى الموصوف دون إفادة معنى الحدوث، وهي بذلك خرجت عن التعريف الرائج للاسم وهو "ما دلَّ على مسمًى"، وبالتالي الصِّفَة لا تدل على مسمى بل تنسب المسمًى إلى حدث ما دون معنى الحدوث، وهي خمسة: صفة الفاعل، والمفعول، والمبالغة، والتفضيل، والصِّفَة المشبهة.

بيد أنَّ "الحاج صالح" يرى الاسم ينقسم إلى قسمين فقط هما الاسم العام وهو اسم الجنس الذي يدلّ على ذات مبهمّة كما عبّر عن ذلك، والاسم العلم الذي يدلّ على ذات معيّنة بعلامة خاصّة، وبذلك نحا رسم "سيبويه" في هذا التقسيم مستنداً بكلامه، والصِّفَة تابعة للاسم على وجه التمام وهي جزء منه، وأثناء حديثه عن التّوابع استثنى البديل واعتبره منفرداً عن الاسم ليس تابعا حقيقياً؛ إذ يمكن الاستغناء عنه أو حلول البديل مكان المبدل عنه، وهو ما يدلّ على أنّه ليس تابعا حقيقياً إلّا من حيث الإعراب فقط¹.

أما سبب ترجيحي لرأي "تمام حسّان" فهو مبني على أسس علميّة معتبرة وهي التّفصيل في الأحكام، ولا يمكن أن يشبه نوع من الاسم نوعاً آخر إلا في السمات الشّكلية، وربّما كان تقسيم النّحاة الأوائل إلى اسم عام وعلم هو من باب المبنى فقط، ولم ينظروا للمعنى؛ إذ الاسم المعين هو اسم يتحدد بالإشارة إليه كأسماء الإعلام والأجسام والأعراض، ومقابله الاسم المبهم وهو ما لا يُعرف إلا بالتعيين سواء كان التعيين بالإضافة أو الوصف أو التمييز، وهي كثيرة منها: الأعداد وفيها تحتاج للتمييز، والموازين والمكاييل والمقاييس والأوقات وفيها يحتاج إلى التمييز أو الصِّفَة، والجهات وفيها تحتاج إلى الإضافة، وفي هذين الآخرين الأوقات والجهات قد يستخدمان للدلالة على الظرف، ولذا يستخدمهما النّحاة على أنّها ظروف وليست أسماءً، وفي الحقيقة هي كذلك، وإنّما استخدمهما بمعنى الظرف على سبيل التجوُّز باعتبار تعدد المعنى الوظيفي، وهذا النقل الوظيفي من باب التوسّع في مدلولات الأسماء، وإلا فهناك الكثير من الأدوات تحمل معاني الظروف مثل: أين، ومتى، والكثير من ضمائر الإشارة تحمل معاني الظروف كذلك...، وهذان النوعان هما اللذان وردا عند النّحاة الأوائل، أما البقية مثل اسم الجنس فقد ألحقوه بالمعين، ولكن

¹ - يُنظر: عبد الرحمان الحاج صالح، البنى النّحوية العربيّة، ص 8-9. (المرجع السابق)

عند النَّظَر في معناه سنجد أنه يختلف عن المعين، فهو إطلاق الوصف على المعين حتى يصير في حكم غيره مشاركة فيه، أو هو اسم مفرد جامع لأشياء كثيرة بضابط الاشتراك الوصفي من غير حقيقة الوصف، فقولنا: العرب أو الترك، فظاهره اسم معين، ولكنه لا يدل على علم الجنس بقدر ما يدل على اسم الجنس، فهو يجمع بوصفه كل من كان عربياً، وكذلك في جمعه مثل إبل ونساء فهي أسماء جنس جمعي، ولا يقع التعيين على شخص معين أو شيء محدد، فيطلق على كل إبل وعلى كل امرأة، وبالتالي خرج مفهوم التعيين من اسم الجنس فاستقلَّ قسماً، وكذلك بالنسبة إلى اسم الحدث أو المصادر، فهي أسماء تدل على الحدوث ولكن لا تحمل حقيقة الحدث زماناً، وفيها المصدر، وفيه مطلق الحدث، ومصدر الهيئة والمرّة فهي تحمل معاني الأحداث بنسبة ظاهرة، كما أنه سمي بـ"اسم الحدث" لمشاركته أصل الفعل في الحدث، ولذا اختلف اللغويون في أصل المشتقات بين من يرى أن الأصل هو الفعل، وبالتالي الأسماء مشتقة منه، وهم الكوفيون، ومنهم من يرى أن المصدر هو الأصل، والفعل مشتق منه، وهم البصريون، كما يُصطلح على "اسم الحدث" بـ"اسم المصدر"، وكلاهما واحد إلا أن التسمية الأولى تنزع إلى جوهر الاسم، وهو الحدث مطلقاً باعتبار المعنى، والثانية تذهب إلى أصل الكلمة من حيث البناء، ويعرف في هذا السياق على أنه: "تركيب يقوم على مشاركة الوحدة الفعلية في أصواتها الأصلية بناءً، مع حذف الزائد منها دون حاجة إلى التعويض... أما الأنواع الأخرى... فهي: 1- مصدر النوع (اسم الهيئة)، 2- مصدر المرّة (اسم المرّة)، 3- المصدر الميمي، 4- المصدر الصناعي"¹.

وبذلك خرجت عن مفهوم التعيين ومفهوم الجنس، أما الأسماء المشتقة المبدوءة بالميم كأسماء الزمان والمكان والآلة، فهي أسماء معينة ولكن التعيين فيها لا يحمل مفهوم التجربة؛ لأن تعيين الشيء يقتضي اختباره صراحة، على عكس أسماء المكان والزمان، ثم هي مشتقة، أما المعين فلا يكون مشتقاً، فهو أصلي في وجوده عينا، وبذلك خرج عن مفهوم التعيين، والجنس، والحدث، واستقلَّ باشتقاقه وزيادته للميم إصافاً.

زيادة على ذلك؛ فإن اسم الحدث والميمات يتميزان عن بقية الأقسام (العام، والعلم، والجنس) بقابليتهما للتصريف، مع اشتراك الأقسام جميعاً في قبولها للزوائد الدّاخلية على أصل الكلمة، أو ما يُعبّر عنه "تمام حسن"

¹ - عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار أزمدة، عمان، ط1، 1998م، ص 281.

بـ(جدول الالصاق)، فهو يرى وفق الجداول الثلاثة التي حدّدها (جدول الالصاق، وجدول التصريف، وجدول الإسناد) أنها؛ أي: اسم الحدث والميمات تدخل في الأوّل والثاني دون الثالث الذي يختص بالأفعال.

2- التعلّيق على الجدول وما احتواه من تفصيل لبنية الكلمات وصيغها ومعانيها الوظيفية، خاصّة ما يتعلّق بمستوى الكلمة واللفظة، كما يتضمّن الأفعال بأنواعها؛ فالكلام عن الفعل يحتاج إلى فلسفة عميقة؛ فهو يمثّل أصل الحركة واستمرارية الأحداث، أما "الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وتُبيّت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع"¹.

فقوله "لما مضى" وهو الأصل في الفعل، ولا يحتاج إلى أي زيادة حتى يُعرف به، بل من شروطه أن يكون مجرّداً من أي زيادة داخلية عليه، وقد يعترض ذلك المصدر كونهما يشتركان في مفهوم الحدث، خاصّة إذا وقف عليها، مثال كلمة (ذَهَبَ)، فهي تحتمل معنى الذهاب، ومعنى الذهب (نوع من المعادن)، ف"الحدث هو في اصطلاحهم ما يدلُّ عليه المصدر من الوقائع كالأكل والضرب والجلوس ويدلُّ الفعل عليه أيضاً إلا أنه حدث في أثناء حدوثه"².

فيضطرنا ذلك للانتقال إلى مستوى أعلى من الكلمة وهو اللفظة؛ أي اقتراح الرّوائد لاختبارها مثل "الـ" التعريف، وعند قبول الكلمة لهذا المورفيم الدّال على التعريف ذهنياً، صارت في حكم الاسم، وإذا لم تقبلها فهي في حكم الفعل، وإذا اشتبهت انتقلنا بها إلى مستوى أعلى وهي الجملة المفيدة استناداً إلى السّيق كوسيلة لمعرفة دقّة الألفاظ.

وقوله: "لما يكون ولم يقع" فهو المستقبل، بما أنّ الفعل هو حدث وزمن؛ فإن الزّمن يحتاج معه إلى وقفة لتحديد ماهيته، يرى "تمام حسن" أنه يعرف معناه من خلال الصّيغة، فما كان على وزن (فعل) دلّ على الماضي من النّاحية الصّرفيّة، أما على المستوى النّحوي فقد يدلّ الماضي على المستقبل إذا دخل عليه "إذا"، كما أن المضارع قد يدلّ على الماضي بدخول "لم"، كما قد يدلّ على المستقبل بدخول "السين، وسوف"، إلا أن "الحاج صالح" يرى طرحاً آخر، ويعتبر التمييز يحصل على مستوى أدنى من الجملة المفيدة، وهو مستوى اللفظة، سبق الإشارة إلى هذا، وبالتالي

¹ - أبو بشر عمرو بن عثمان الملقّب بـ"سيبويه"، الكتاب، طبعة بولاق، 1316هـ، 1317هـ، ج1، ص 12.

² - عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللّسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012م، ص 44، 45.

يمكن التمييز بين الأزمنة الثلاثة بما دخلها من زوائد، وسمّاها وحدات دالة متكافئة؛ أي لا تغير الزيادات حكم المفردة¹.

3- اختبار كفاءة الخطاب الموضوعية، ومعاينة مستوى المتكلمين اللغوية في العينة التي تمّ إعدادها مسبقاً، والعينة العفوية التي لم تخضع لسلطان القاعدة، وتمثّلت مقتضى الاستعمال، أمّا من حيث كفاءة الخطاب الموضوعية يظهر في جوانبها الدلالية للصيغ المفردة وللألفاظ عند حصول الزيادات، فيكون دور المتلقي حين دخول الزيادات مزوّداً بأفكار جديدة، متوجّها نحو إرادة أخرى غير التي كان عليها، ففي كلّ الأحوال سواء في العينة الفصيحة أو التي تقترب منها سيحمل توجيهها مخصوصاً، وقد سبق الكلام عن مفهوم مصطلح "فصحى العصر" وتقسيمها إلى مستويات، وكذلك الشبيهة بالفصحى التي تستخدم اللهجة المحلية.

أولاً: صيغُ فصحى العصر في الخطاب العلميّ الجاهز "حصّة الأوبئة أنموذجاً"

بما أننا عرضنا لأقوال كثيرة جمعت مفهوم الصيغة والتي تحمل مقصوداً علمياً مسائراً لمادّة الصّرف، واعتقدنا أنّ الصيغة هي جمع بين الميزان الصّرفي أو ما اصطُلح عليه قديماً بالمثال الصّرفي، والعلامة الدالة على معنى معيّن لنحصل في الأخير على أمثلة دالة على مادّة معجميّة معيّنة، وصيغ الفصحى بين الأفراد والتّركيب كثيرة جدّاً مختلفة حسب أقسام الاسم والفعل، وتتفاعل مع مفهوم المورفيم لتشكّل مع بعضها بنيةً دلاليّةً خاصّة تُعرف بالمعنى الوظيفي، فلو قلنا: (رجل، ورجلان، ورجال) لكان الفارق بينها هي الصيغة التي تحتوي على مورفيم خاصّ بها، الأوّل مورفيم يحمل دلالة المفرد، والثاني مورفيم ألف التثنية، والثالث مورفيم الجمع للتكسير، وفي الخطاب العلميّ المعدّ مسبقاً مميزات تتعرّف عليها في ضوء المادتين وفق الطّريقة التي اتخذناها في تبويب المادّة السّمعية المرئية.

أ- عنوان الخطاب: الغيبي والتجربي في مواجهة الأوبئة.

ب- قائل الخطاب: تقديم منشورات مرئية بها محتوى الخطاب بقراءة سردية دون ظهور السارد (غير معروف).

ج- تاريخ الخطاب: نشر بتاريخ 2021/08/04م.

د- توقيت الخطاب: دقيقة واحدة وإحدى وخمسون ثانية (1د، 51ثا)، نقلنا المنشورات المتتابعة بالضغط على

زر pause توقف، ثم play تشغيل، عدّة مرّات والتّثبت من الصيغ الصّرفية دون زيادة أو نقصان.

¹ - يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج2، ص 73. (المرجع السّابق)

هـ- **تفريغ محتوى الخطاب:** "عاشت البشرية عبر التاريخ تحديات أوبئة مختلفة.. كتبت بحبر من دم تاريخنا من الفتك والقتل، أحد أهم هذه الامتحانات المتأخرة كان وباء كورونا، الذي انشغالات مختلفة.. طيبة عقدية فقهية وحتى أخلاقية، بالتساؤل عن التصرف الأمثل سواء للفرد أم المجتمع أو الدولة، مبرزاً أن الإيمان بالقدر والمصير.. لا يجب أن يُغني عن اتباع الإرشادات الوقائية، والتداوي يتضمن الوقاية من باب أولى لارتباط الأسباب والمسببات، الأخلاقيات الطبية الإسلامية وأخلاقيات الأوبئة.. تجيب عن مثل هذه التساؤلات، إجراءات العزل الاجتماعي وغسل اليدين وغيره.. مما هو مفصل في كتب الآداب، يضاف إليها توجيهات نبوية منها حديث النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»¹.

تلقت العناية إلى مبدئين وجب اعتبارهما هنا الأول تحقيق أعلى المصالح وأعظمها لأكثر عدد من الناس، والثاني دفع الضرر وعدم الإضرار.. طبقاً لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، «لا ضرر ولا ضرار»².

فكل اختيار فردي سيؤثر على مصير الجماعة.. يعد إضراراً.. كل هذه الاعتبارات تبرر الحرص والوقاية والتطعيم.. لأجل النجاة من هذا الوباء»³.

1- الاسم بين حدود الكلمة ومنوال اللفظ:

نواة مركبة (مستوى الكلمة)		توابع أصلية للنواة (مستوى اللفظة)	
أقسام الأسماء	ميزان	دلالة ⁴	زوائد داخلية
			معنى وظيفي ⁵

¹ - أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ، ج4، ص 175. رقم الحديث: 3473

² - تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، (ابن دقيق العيد)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ، 2003م، ص 106.

³ - <https://2u.pw/nGTkHy1v>, It was viewed on: 19/11/2023 at: 13:04

⁴ - لكل وزن صرفي أو مثال صرفي على تعبير الأولين دلالة خاصة به، وهذا في رأي "تمام حسان" يجعل العربية لا تواكب الصبغ الجديدة المتعلقة بالحضارة الزاهنة إذا تمسكنا بالصبغ القديمة ثم أتبع قائلا: "ولكن الصبغ الصرفية كما رأينا منذ قليل محدودة العدد، والمعاني الصرفية العربية من مطاوعة إلى تعدية إلى طلب... والتشاطر العلمي يشمل من مقولات التحول والتفاعل أكثر مما يمكن أن تُعبر عنه المعاني الصرفية... لا بد إذا أن نبحت عن وسيلة جديدة لإثراء اللغة غير طريقة خلق المفردات على مثال الصبغ المتاحة" (اللغة العربية معناها ومبناها، ص 152)، (المرجع السابق)، وبذلك قام باقتراح وهو ضرورة خلق صبغ جديدة خاصة بألفاظنا الحديثة، وهذا في الحقيقة اجتهد يبلغه المختصون في مجال الصرف بذكر التعليل عند استصحاب وتقرير الجديد من الصبغ والمفردات.

اسم مبهم	فَعَلَ.	الحركة	مضاف/ مضاف إليه	التَّخْصِص والتَّبْعِيز
عدد/ أحد.	فَعَلَ.	الثبات	"ل" + المضاف إليه.	الغاية والسَّبَب.
كُلُّ (مَرَّتَان).	فُعِلَ.	التَّكَرُّار	"ف" + مضاف إليه/ مضاف إليه.	الاستثْناف + التَّعْمِيز والتَّخْصِص.
مَعْيَن ¹	فُعُولَة.	الاستمراريَّة	-	-
كورونا.	مَفْعَل	التكثيف والتَّكَرُّار	جملة اعتراضية "صَلَّى الله عليه وسلم"	التكريم والتقدير والدعاء
اسم جنس ²	فاعول.	الاستمراريَّة	"ب" + "ال".	الوسيلة + التَّخْصِص
طاعون.	فَعَلَ.	الاستقرار	سواء + "ل" + "ال".	التسوية + الاستحقاق + العموم
فرد (مَرَّتَان).	//	//	"ب"	بمعنى "في" للمكان
أرض (مَرَّتَان).	فِعْل	التحوّل	"ب".	الوسيلة
حَبْر	مُفْتَعَل.	الصيرورة	أَمْ + "ال".	التسوية + التَّعْمِيز
مجتمع.	فَعْلَة.	المصدر	"أو" + "ال"	التناوب + التَّخْصِص
دولة.	فَعَلَ	المصدر	"من" + مضاف إليه	التَّخْصِص والترجيح
باب	فُعِلَ.	التَّكَرُّار	المضاف إليه.	التَّخْصِص
كُتِب.	أَفْعَال.	التعدد	"ال".	التَّعْمِيز
آداب/ أسباب.				

5 - بما أنّ كلّ معاني الكلمات الّتي تمثّلها مستويات التّحليل اللّغويّ ليس لها مقصودا بذاتها، فهي ذات مقصود تكوينيّ تجميعي؛ أي المعنى التّفصيلي للمادّة لا يظهر إلّا على مستوى الكلمة كعلامة ثابتة في المعجم، يقول "تمام حسن": "إنّ المعنى على مستوى النظام الصّوتيّ والنظام الصّرفيّ والنظام النّحويّ هو معنى وظيفي" (اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 182)، (المرجع السّابق)

1 - وهو الذي لا يقبل الزوائد مطلقاً؛ لأنّه "معرفة فيغطي العَلَم موضعه وموضع ال"، (المرجع نفسه، الصفحة نفسها).

2 - يقول "الحاج صالح": "أما درجات التمكن والتصرف فأشدها تمكُّنا هو لاسم الذي يمكن أن يَحتمل كل الزوائد مطلقاً وهو اسم الجنس المتصرف" (البنى النّحويّة، ص 85)، (المرجع السّابق)، وهو الذي يُجوزُ إطلاقه على كلّ ذات لعلّة وصفيّة مشتركة، ولا يشترط أن تكون معرفة، فهي تشارك الاسم المعين في التّكثير، وتنفرد بالتعريف لفظاً، كما "يمكن أن تزداد عليه جميع الزوائد الخاصة بالاسم بمينا وشمالاً" (المرجع نفسه، الصفحة نفسها).

أخلاق.	//	//	"ي" + "ات"	الانتماء + نوع الجمع
أوبئة (مرّتان).	أفعلة.	التحويل	صفة / "ال".	التنوع + التّعميم
دم ¹ .	فَع.	المصدر	"من"	الابتداء والمصدر
يد.	فَع.	//	"ال" التعريف + "ين"	التّعميم + العدد والنّوع
وباء (مرّتان).	فَعَال.	الصيرورة	المضاف إليه / "ال"	التّخصيص / التّعميم
قدّر.	فَعَل.	الحدوث	"ب" + "ال".	التعلق + التّخصيص
ضَرَر (مرّتان)	//	المباشر	"لا" / "ال"	النفي المطلق + //
عَدَم.	//	//	"و" + مضاف إليه.	العطف + التّخصيص
ناس.	فَعَل.	المصدر	"من" + "ال"	التبويض + التّعميم
جماعة.	فَعَالَة.	الاستمراريّة	"ال".	التّعميم
امتحان	انفعال	الاستجابة	"ال" + "ات" + صفة.	التّعميم + نوع الجمع + التّخصيص
مصالح.	مفاعل	الوسيلة	"ال".	التّعميم
تاريخ (مرّتان).	تفعيل	التحوّل	"ال" + مضاف / -	التّخصيص
اسم حدث				
فَتَكَ.	فَعَل.	التعدية ²	"من" + "ال".	الابتداء + التّعميم
قَتَلَ.	//	ومنه	"و" + "ال".	العطف + التّعميم
عَزَلَ.	//	المصدر	"ال" + الصّيغة.	التّعميم + التّخصيص
غَسَلَ.	//	//	"و" + مضاف إليه	العطف + التّخصيص

1 - هذه الكلمة ضمن الكلمات الثنائية؛ أي أصولها لا تزيد عن حرفين وهي قليلة في العربيّة "عدها لا يزيد عن أربع وثلاثين كلمة. وفي حقيقة وضعها فإن اشباع الصائت القصير على الصوت الثاني منها يولّد لنا بناءً ثلاثياً" (عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 53)، (المرجع السّابق).

وهو مذهب من يرى أن البنية الصرقيّة امتداد عن مفهوم الوحدات الصوتية، فلا سبيل لعزل علم الصرف عن الصوتيات، وفي هذا الأخير فضل في وجود الأول وإخراجه من عدميّة الكلمة إلى وجوديّة التّشكّل الصوّتيّ بتقابلات وضعيّة من أصل جوهريّ لا عرضيّ.

2 - ما كان على وزن "فَعَل" فهو للدلالة على التعدية، وذلك باعتبار أن المصادر الأصليّة ترجع إلى أصل فعلها الماضي وتُقدّر في الذهن ليُتوصّل بها إلى حقيقة المصدر، وهذا ما جعل الكوفيّون يقررون أن المصادر مشتقة من الأفعال، ومن هذا التقدير الذهني جاءت دلالة التعدية؛ أي تقدير ذلك: قَتَلَ وبَاءَ كورونا الناس، فالفعل "قتل" متعلّق، وقس على ذلك البقيّة، ولذا إذا ورد على وزن "فَعَل" فهو يحتاج إلى التعريف بـ"ال" أو "الإضافة". (يُنظر: المرجع نفسه، ص 274، 275)



دفع.	//	//	مضاف إليه	التخصيص
ضرار.	فَعَال	الصيرورة	"و" + "لا".	العطف + النفي المطلق
بَشَرِيَّة.	فَعَلِيَّة.	الثبات	"ال"	التعميم
وقائِيَّة.	فِعَالِيَّة.	//	//	//
طَبِيَّة (مَرَّتَان).	فِعَلِيَّة.	//	//	//
إِسْلَامِيَّة.	إِفْعَالِيَّة.	//	//	//
عَقْدِيَّة.	فَعَلِيَّة.	//	-	-
فَقْهِيَّة.	فِعَلِيَّة.	//	-	-
نبوية.	فَعَلِيَّة.	//	-	-
أَخْلَاقِيَّة.	أَفْعَالِيَّة.	//	"و" + "حتى"	العطف + الإضافة
حِرْص.	فِعْل	مصدر	"ال"	والتدرج
طَبَق + مِثْل.	//	//	- / "عن" + مضاف.	التخصيص
تَصَرُّف.	تَفْعُل.	التكرار	"عن" + "ال" + صفة	التجاوز + التخصيص
انشغال.	انفعال	التأثر	"ات" + صفة	الربط + التخصيص
ارتباط.	افتعال.	الصيرورة	"ل" + مضاف إليه.	النوع + التخصيص
اعتبار (مَرَّتَان).	//	والتحويل	مضاف إلى / "ال" + "ات".	التعليل + التخصيص
اجتماع.	//	//	"ال" + "ي"	التخصيص / التخصيص + النوع.
اختيار.	//	//	مضاف + صفة	التخصيص + الانتماء
اتباع.	//	//	"عن" + مضاف إليه	التخصيص
تساؤل (مرتان).	تفاعل.	المشاركة	بِ / "ال" + "ات".	بشأن + التخصيص
تداوي.	//	//	"و" + "ال".	الوسيلة + التخصيص / التخصيص + النوع
إرشاد.	إِفْعَال.	التأثير	"ال" + "ات" + صفة	العطف + التخصيص
إيمان.	//	والتحويل	أَنَّ + "ال".	التخصيص + النوع
إضرار (مرتان).	//	(التسبب في	"ال" / "و" + "لا"	التعميم / العطف + النفي
إجراء.	//	الحدث)	"ات" + مضاف إليه	النوع + التخصيص

وقاية (مرتان)، عناية توجيه. تحقيق. تطعيم. تحدّي.	فِعَالَةٌ تفعيل // // //	الصنعة التكثيف والتكرار والتكثير والتدريج	"و" + "ال" / "ال" "ات" + صفة - "و" + "ال" "ات" + مضاف إليه	العطف + التّخصيص النّوع + التّخصيص - العطف + التّخصيص النّوع + التّخصيص
ميمات مصير (مرتان). مبدأ.	مفعّل // //	الحالة الناتجة //	"و" + "ال" / "على" + مضاف إليه "إلى" + "ان"	العطف + التّخصيص / على بمعنى في + التّخصيص الانتهاء + العدد

(جدول 01)

تعليق:

1- عدد الأسماء إجمالاً دون احتساب الصّفات بسبب ما ذكرناه من وجوه الاختلاف لفظاً ومعنى هو: تسعة وسبعون (79) اسماً، موزّعة على النّحو التالي: الاسم المبهّم: خمسة (05)، والاسم المعيّن: اثنان (02)، واسم الجنس: تسعة وعشرون (29)، واسم الحدث: واحد وأربعون (41)، والميمات: اثنان (02).
حيث نجد أعلى نسبة انفردت بها المصادر (أسماء الحدث) مقدّرة بـ(51.89 %)، وهذا ما يجعل الخطاب العلميّ أكثر دقّة، وأحرص على تأدية معاني الأحداث العلميّة بأبسط الطرق، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلّا بالمصادر الّتي تتميّز بمصاحبة الحدث فعلاً دون زمن، وإن كان على رأيٍ آخر يرى من خصائص المصدر مصاحبة الحدث الخاص بزمن مطلق، والأفعال تقيّد الزّمن، والمصدر هو المنفذ العلميّ لحصر مصطلحات المادّة العلميّة، وجعلها في مناسبة الوقائع حاضرة بقوة، كالمصادر الصّناعيّة الّتي تصنع الحدث لفظاً، للدّلالة على الاستقرار (الثّبات)، والتّحوّل عن الاسميّة العامّة إلى اسميّة خاصّة بالحدث كما أشرنا إلى ذلك على الهامش.

كما أنَّ تعدّد المعاني الوظيفيّة التي قد تشترك في معنى واحد إجمالاً يعطينا قيمة أدقّ مما لو كانت مجتمعة، إذ "اشتراك الصّيغ في معنى من المعاني الوظيفيّة أو تواردها لا يعني تساويها في الدلالة، ولكن لكلّ صيغة معناها الوظيفيّ الخاصّ تدلّ على المعنى من زاويتها"¹.

ولذا نرى أنَّ الأوزان مثل: (فاعل، وتفاعل) تشترك في معنى المشاركة، ذلك أن "المعاني التي تزداد لها الألف بين الفاء والعين (فاعل)، [تكون] الدلالة على أن الفعل حادث من الفاعل والمفعول معاً"²، وهو ما نجده في كلمة: تساؤل؛ أي حدوث السؤال من طرفين فأكثر.

ومثل: (انفعال، افتعال) تشترك في معنى المطاوعة، وهو ظهور أثر الفعل على المفعول من باب الاستجابة له، ونجدها في الكلمات التالية: (انشغال، ارتباط، اعتبار، اجتماع، اختيار، اتباع)، فهي تدلّ على استجابة المفعول به لأصل الحدث، وكأنّك قلت طواعٍ زيد الاختيار، أو الاجتماع، أو الاتّباع، فهو استجاب لم يعصِ كلاً من الأحداث السّابقة، فهو يعمل على مناسبة الحدث إيجاباً، دور المتلقّي فيها دور التّسليم بالحدث.

ولكنّها تختلف فيما إذا نظرنا إليها من زاوية دقيقة؛ لأنّ الدقّة في تفصيل الدلالة المجتمعة تعطي للكلمة بُعداً حقيقيّ، وتساهم بشكل ما في إعطاء السّياق العام للكلمة معنى وظيفيّاً يتناسب مع طبيعة الخطاب، فكلمة زاد المبنى زاد المعنى وفق القاعدة المشهورة؛ ويعني ذلك قد نجد المطاوعة كمشارك دلالي صرّفي، ولكن الوظيفة المحددة لهذا المشترك تتفاوت أبعادها فمنها ما يكون للتأثير، ومنها للضرورة والتحويل، ونلمس أثر ذلك في الأمثلة السّابقة ككلمة انشغال التي تقابل الوزن الصّرّفي (انفعال) التي تدلّ على التأثير باعتبار الذي ينشغل بشيء يتأثر به حتمًا، ومثل ذلك ما ورد في الآية: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: 54]، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: 11]، وغيرها من الآيات التي تعطي معنى عاماً لكلمة "شغل"، فموقف كورونا يجعل المتلقّي يتأثر بأحداثه، وكذلك للكلمات الأخرى التي تدل على المطاوعة تحملها معاني الضرورة والتحويل؛ إذ الكلمات: (اجتماع، ارتباط، اتباع، واختيار) تبنى على المعنى الوظيفيّ لتصرّ الأحداث وتحوّلها من حال إلى حال، أو من شيء إلى شيء، فالاجتماع لا يكون إلا من تحويل الحالة الفردية إلى الجماعية، والاختيار لا

¹ - عاصم شحادة علي، المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة في التركيب: دراسة في الدلالة، المجلد 35، العدد 3، 2008م، مجلّة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، ص 550.

² - عبده الراجحي، التطبيق الصرّفي، دار النهضة العربيّة، بيروت، (د.ت)، ص 30.

ينشأ إلا من اعتماد شيء وترك ما أنت عليه فتصير إلى حدث أنت اخترته، والارتباط لا يحصل إلا بعد الوحدة، فتصير من حال الوحشة إلى حال الأنس بغيرك، والاتباع لا يهتدي به إلا من كان سالكا طريق الابتداء، فهي حالات من التقيض إلى التقيض بصيرورة حتمية، وتحويل آني يوجّه المتلقّي ويُنَبِّهه بتحوّل الوضع الصّحيّ من حالة الأمان إلى حالة الخطر.

ويلحق بهذه الأوزان التي تحمل المعنى الوظيفيّ (التحويل والصيرورة) وزن آخر وهو "إفعال" بزيادة همزة في أوله، وصائت طويل بين العين واللام، والمناسبة الجامعة هي دلالة التحويل المباشرة للحدث، فكلمات مثل: (إرشاد، وإضرار، وإجراء)، تجمع بينهم الوحدة في خلق السبب في الحدث، أو تحويل الحدث بسبب، فالإضرار لا يقع إلا بسببه، والإجراء والإرشاد كلها على شاكلة واحدة في جعل الأسباب تصنع الحدث المتعلّق بكورونا؛ ولذا التوجّه نحو المتلقّي بهذه الأفعال من شأنه أن يصنع سببا في التأثير على رأيه.

وأما الوزن الصّرفي (تفعيل، وتفعّل) فهي دالة على التكرار والتكثيف في الحدث، باعتبار أنك إذا قلت الكلمات التي جاءت على الصيغة (تطعيم، توجيه، تحقيق، وتحقّق)؛ معناه تكرار حدث التطعيم والتوجيه والتحقيق والتحقّق من أجل إفادة المتلقّي باستمرار خطر "كورونا" وتكثيف العمل على توعية المواطن توعية يستقرّ فيها على خبر يقين. أما عن المصادر الصناعية التي تدلّ عليها اللاحقة "يّة" في آخر الكلمات فهي ذات معنى وظيفي محدّد لا تخرج عنه وهو الثّبات، فكلمات مثل: (فقهية، بشرية، إسلامية، نبوية، أخلاقية، طبية، عقدية، وقائية) ثمانية كلمات أضفت على الخطاب طابع الثّبات، "والتي تعني الانتساب إلى مجال من العلوم والاتّصاف بخصائصه... ذلك أنّها صارت وصفا، يتمنّع بالاستمرار والثّبات"¹.

فكل موضوع علمي دائما يكون طابعه الثّبات في نقل الخبر، من أجل ترسيخ فكرة ما، أو إقناع المتلقّي بها، كلّما ازدادت المصادر الصناعية في الخطاب زادت قوّة الخطاب ثباتا، وهي كثيرة بالنسبة للأنواع الاسميّة الأخرى.

2- ثم تليها نسبة أسماء الجنس المقدرة ب(36.70 %)، وتعتبر نسبة مرتفعة مقارنة بأنواع الخطابات الأخرى؛ لأن كثرتها تنبئ بمدى اتّساع الخطاب العلميّ للأنواع والفئات والأشياء الكثيرة، ويكفي أن ألفاظا مثل: طاعون، فرد، كتب، آداب... قد جمعت في معانيها الكثافة النوعية، خاصّة وأن دلالة الأوزان تدل على ذلك باعتبار الاستمراريّة

¹ - محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح، مكتبة غريب، (د.ت)، ص 77.

والصيرورة والتكرار وما إلى ذلك من خصائص الأوزان العلمية، كما أن هناك بعض الألفاظ التي اختلفت في وزنها الصرفي باعتبار العلاقة القائمة بين عدد حروف الكلمة وصيغتها، مثل: "يد"، و"دم"، وفيهما اعتمدت على تعليل المتأخرين، مثل: كلمتي "باب"، و"ناس" وفيهما رجحت إلى اقتراح السيوطي في المزهري¹.

أما بخصوص كلمة "فَرَد" على وزن "فَعَلَ" فهو وزن مشهور جداً يستعمل للدلالة على المصدرية غالباً، إلا أنه قد يكون ضمن الأسماء المعينة مثل "عَمَر"، وقد يكون من أسماء الجنس كـ"حَبْر" كما يمكن أن يكون على أصله مصدراً كـ"صَبْر"، وهو من باب التعدد الوظيفي للوزن، يقول "تمام حسّان": "صيغة فَعَلَ: وهي صالحة للاسم المعين كبيت، وللمصدر كضرب، وللصفة كشهم، فالبنى لا ينصرف إلى واحد من هذه المعاني إلا بالقرينة"².

وقد ثبت أيضاً عند المتقدمين أن هذه الصيغة يمكن أن تكون ضمن أسماء الجنس أيضاً، ولا يمكن تحديد مصرفها الأصلي إلا بالقرينة وفق خاصية التعليق النحوية التي ستأتي معنا لاحقاً.

فتنوع الأوزان الصرفية دليل على حركية الخطاب العلمي وتأثيره في المتلقي، لأن استخدام وزن معين والاكتثار منه يبعث على ملل المستمع، فإذا كنّا بصدد الكلام عن فكرة وتكرّر نفس الوزن لن يشعر المتلقي بحيوية الخطاب، فلو أعدت له كلمات على وزن واحد كـ"فَعَلَ" مثل: حَبْرٌ وشَبْرٌ وقِسْمٌ وفِلْسٌ وصَهْرٌ...، وكونتها داخل تراكيب سيعطي انطبعا لديه بأنه كلام غير مؤسس على التنوع المعرفي بقدر ما هو جمود في محطة التردد الفاسد للمعنى، ولكن عندما نجد: (فاعول، تفعيل، فَعَلَ، مُفَعَّلٌ، فَعْلَةٌ، فَعَلَ، فَعْلٌ، فُعْلٌ، أفعال، أفعله، فَع، فَعَالٌ، فَعَالَةٌ، انفعال، مفاعل)، فهذا يعطينا انطبعا على أنّ الخطاب المتنوع يبعث على ترقّب المزيد من المعلومات المهمة، والتعرّف على مصادر الأشياء.

3- وبعدها تأتي نسبة الاسم المبهم بـ(6.32%)، وهي ضئيلة جداً، وهذا يدل على أن الخطاب ليس مبهماً أو غامضاً على المتلقي بقدر ما يحتاج إلى توضيح بسيط عن طريق حركة الخطاب المستمرة، أما عن الاسم المعين الذي تقدّر نسبته بـ(2.53%)، فهو الذي يدور حوله الخطاب العلمي، ومن سمات الخطاب العلمي أنه يتميز بنسبة ضعيفة جداً للأسماء المعينة؛ إذ يركّز على ظاهرة معينة يعالج فيها جوانب محدّدة، وعليه نسبة هذا القسم من الأسماء لا يعني ضعف الخطاب بقدر ما هو تحديد دقيق وحصر لمنفذ الخطاب العلمي، وهكذا شأن جميع الخطابات العلمية، على عكس الخطابات الأدبية التي تكثّر فيها الأسماء المعينة؛ لأن كثرتها توحى على انفتاح النصّ على قراءات

¹ - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 2008م، ج2، ص5 وما بعدها

² - تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص148. (المرجع السابق)

نموذجية كثيرة، أما عن الميمات (المشتقات الخاصة وقد سبق أن بيّنا سبب فصل الميمات عن المشتقات مع أنها تنتمي إليها)، التي نجدتها بنفس النسبة والتي تدل على الزمان أو المكان فهي تحمل دلالة الأسماء المعيّنة؛ لأنّ ذكر الظاهرة يُوجب ذكر مشتقاتها زمانا ومكانا أو على الأقلّ واحدا منهما.

4- أما عن الزوائد الدّاخلية على الكلمة المفردة، فقد صيرّتها في حكم اللفظة، (شرحنا ذلك سابقا)، وأكسبتها دلالة إضافيّة عن أصل الدّلالة المعجميّة، بل ساهمت في تغيير بيئة الكلمات الدّلالية، كما في الكلمات التي تدل على اسم الجنس وتحوّلت إلى اسم حدث (مصدر) أو العكس، وهذا يُظهر أنّ الزوائد لها شأن عظيم لما تحمله من حمولات دلاليّة وظيفيّة، تتقيّد حسب الصّيغة التي دخلت عليها، وفي الجدول أعلاه نجد أنّ أغلب الزوائد جاءت للتخصيص والتّعميم، وهذا يدلّ على أنّ الخطاب العلميّ يتنقلّ بألفاظه عبر مسارات التّحكم العمليّ لما تقتضيه ضرورة التّوجيه، فاللتّخصيص يراد به حصر وضبط الخطاب العلميّ، والتّعميم يساهم في توسيع الخطاب إلى دائرة الجماهير الواسعة، فنلاحظ أنّ "أسماء الجنس" زوائدها التّعريفية يغلب عليها معنى التّعميم، وهذا يوافق مفهوم "اسم الجنس" على أنّه يجوز إطلاقه على كلّ ذات أو نوع لعلّة وصفية مشتركة، ولذا فمعنى التّعميم في "ال" التّعريف تلحق بنوع الزوائد لا بحقيقة الكلمة؛ إذ الكلمة في أصلها ذات طابع معجميّ عربيّ، فالاسم يبقى على اسميته، وإنّما الزوائد خاصّة تدخل في الوظيفة، ومنه تصنّف اسميّا إلى نوع خاصّ، أما عن الإضافة فدائما تكون للتّخصيص على اعتبار المطلق المقيد، فإذا قلنا: (كلّ اختيار فرديّ)، فالتّواة هي كلمة "كلّ" وهي مطلقة، فإذا حملناها على الكلمة التي بعدها "اختيار" صارت في حكم الاسم المقيد باعتبارها لفظا واحدا؛ أي لا يمكن الفصل بين المتضايقيّن، ومنه يأتي تخصيص الكلمة بملازمة بعديّة، أمّا عن التّخصيص في زوائد أخرى فتحملها الصّفة على اعتبار وصف للذات أو للشّيء المراد وصفه.

كما أنّي لم أُولي اهتماما لحركات الإعراب التي تعتبر من الزوائد على رأي "الحاج صالح" (مرّ بنا الكلام والتّعقيب عليه)، وأمّا عن حروف الجرّ التي ذكرنا معناها الوظيفيّ باعتبار علم البيان؛ لأنّه كما في تركيب الكلام وظيفية - حسب نظرية النّظم للجرجاني - فإنّ للّفظ وظيفية قبل التّركيب، فإذا دخل حرف الجرّ على كلمة مفردة زاد ذلك في وظيفة الكلمة كوظيفة الابتداء، أو الانتهاء أو الاستعلاء وغيرها مثل "إلى مبدآن" رغم الخطأ الإعرابي الذي وقع في اللفظة من رفع المثني في حال الجرّ، إلّا أنّه أفاد معنى الانتهاء بدخول "إلى" فيصبح المعنى انتهاء المبدأين يكون ب(ثمّ) يأتي على ذكرهما.

2- الصّفة بين حدود الكلمة ومنوال اللفظ

نواة مركزيّة (مستوى الكلمة)		توابع أصليّة للنواة (مستوى اللفظة)	
أنواع الصّفات ¹	ميزان	دلالة	زوائد داخلية
فَاعِل			
ثاني .	فاعل .	المشاركة والمولاة	"و" + "ال" .
مبرز .	مُفْعِل .	القيام بالفعل	-
متأخّر .	متفَعِّل .	التكلف	"ال"
مختلف (مرّتان) .	مُفْتَعِّل .	التنوع	"ة"
مفعول			
-	-	-	-
مبالغة			
الله	فَعَال .	-	مضاف إليه
تفصيل			
أعلى .	أَفْعَل .	التّفصيل والمقارنة	"ال" + المضاف إليه
أكبر .	//	//	"ل" + المضاف إليه .
أمثل .	//	//	"ال" .
أعظم .	//	//	"و" + مضاف إليه .
أهم .	//	//	"ال" .
أولى	فَعْلَى .	الأفضلية والأولوية	مضاف
مشبهة			
مسبّب	مُفْعَل	التكثيف والتكرار	"و" + "ال" + ات
			العطف + التّخصيص + النوع

¹ - ما جعلنا نميز بين الاسم والصفة هو التأصيل الذي سبق، في اعتبار الصفة نسبة الحدث إلى الموصوف، في حين الاسم هو ما دلّ على مسمّى بطريقة مباشرة، ناهيك عن التّفصيل الذي أورده "نمّام حسنّ" في وضعه لمعايير محددة تخصّ المبنى وأخرى للمعنى، ولكن قد يقع التشابه والتوافق بين الاسم والصفة من حيث الصيغة إلا أن الضابط الذي وضعه "نمّام حسنّ" كفيل بأن يميّز بينهما، وهو الجدول التصريفيّ قائلًا عنه: "الذي يحكي قصة العلاقات الاشتقاقية بين الصيغة والصيغة الأخرى من خلال المثال، فإذا أخذنا كلمة (فلس) لم نجد تحت مادّتها فعلاً ثلاثياً ماضياً... أما (سهل) فإن مادّتها الاشتقاقية تمتد على صيغ فعلية ووصفية أخرى مثل سهّل، ويسهل، وأسهل" (اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص 101)، (المرجع السّابق).

رسول	فعول	الثبوت والدوام	مضاف إليه	التخصيص
نبي/ حديث	فعليل	//	"ال"/ مضاف إليه.	التخصيص

(جدول 02)

تعليق:

1- تتداخل الصفات وتشارك فيما بينها إلى حد يصعب فيه الفصل، فلو نظرنا إلى الصفات المشبهة لوجدنا بعضها ينتسب إلى صفة الفاعل أو صفة المبالغة، في حين إذا نظرنا في صفة التفضيل لوجدناها واضحة لا تشابه مع غيرها، وذلك راجع إلى الصيغة الملازمة لها الكلمة وهي "أفعل" التي تدلُّ على التعدية في العموم، ثم تنداح إلى دلالات خاصة؛ وتمثل عدد الصفات مجملاً سبعة عشرة (17) صفة، موزعة على النحو التالي: أعلاها صفة التفضيل بعدد ثمان مرّات؛ أي بنسبة 47.05%، ثم تليها صفة الفاعل خمسة (05) كلمات، بنسبة 29.41%، وبعدها تأتي الصفة المشبهة أربع (04) كلمات بنسبة 23.52%، ثم تحلُّ صفة المبالغة مع اسم المفعول بعدد كلمة واحدة لكل منهما بنسبة 5.88%.

2- ولذا نجد الكلمات (أعلى، أكبر، أمثل، أعظم، أهم) تعني وظيفياً التفضيل والمقارنة، مما يعطي للمتلقّي اختيارات متنوعة وعليه أن يختار الأفضل، فلا تنعقد المقارنة إلا في ظل وجود شيئين فأكثر حتى تكون صفة المفاضلة قائمة على الترتيب والتقديم، ومنه يأتي الباعث النفسي للمتلقّي في الاختيار، نستطيع أن نقول صفة التفضيل تأتي لاستثارة عقل ووجدان المتلقّي من أجل اعتماد الأنسب لنفسه، وهذا يليق بمقام الخطاب العلمي الذي يعرض عدّة احتمالات للحالة الصحيّة، ويعطي للمتلقّي فسحة للاختيار، وقليلًا ما تلتبس مع الصفة المشبهة، إلّا أنّ المعنى الوظيفي يفصل بينهما بقيد التفضيل والثبوت، كما أنّها تلتبس مع بقية الأقسام الأخرى فيكون ضابط التفريق هو ما ذكرناه من المعاني الوظيفية، إذ "معناها يختلف (من حيث الدوام والثبوت) عن معاني الصفات... فالصفة المشبهة تشبه في مبناها صيغة الفاعل كطاهر والمفعول كموجود... أو المبالغة كوقح أو التفضيل كأبرص وأشدق، فالمعنى يفرّق بين كلّ واحدة"¹.

فإذا نظرنا إلى الكلمات على وجه عامّ وجدنا التفريق بين تلك الصفات مبني على دور المتلقّي الذي يساهم بشكل أو بآخر في توجيهها، فإذا أخذنا كلمة "حديث" التي قد نعتبرها صيغة في صفة المبالغة على وزن "فعليل" فإنّ

¹ - تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 99، 100. (المرجع السابق)

المتلقي يُحدّد مسارها الوظيفي بقيد التّكثير أو الثّبوت، فإن أخذها بالقيد الأوّل صار الحديث دالّاً على التّكثير، وبالتالي سيأخذ حديث النّبيّ على أنّه غنيّ وثريّ وكثيف في معانيه فيضطر للعمل به، وإنّ هو أخذه بالقيد الثّاني بمعنى الثّبوت والدّوام فهو كذلك أمر يتّصف به النّبيّ في حياته، فيقول قولاً ثابتاً، وحكمة دائمة فيضطرّ إلى الأخذ بها. فإذا كانت الصّفات تتشابه كما سبق في سياق الشّرح الفائق، وتتداخل ولا تكاد تتزيّل عن بعضها، فهي في العموم تجتمع على مبنى مشترك يفصل بينها المعنى الوظيفي، ولذا فإنّ الصّفات جميعاً من حيث المبنى هي وصف بالحدث للفاعل أو المفعول أو على وجه التّفصيل أو المبالغة، وإنّما كان الفصل بينها وبين الأسماء لهذا الصّابط الذي شرحناه سابقاً، فإذا كانت نسبة الصّفات في الخطاب العلميّ متوسطة أو مرتفعة فهذا ينمّ على دقّته وسلاسة معانيه، والصّفات بمثابة الوسيلة التي توضّح قصد الخطاب.

3- إذا نظرنا إلى الزوائد الدّاخلية على الصّيغ الأصليّة فهي أغلبها تدلّ على التّخصيص، وهذا مناسب لمفهوم الوسيلة؛ لأنّ الوسائل تخصّص لنا بياناً نوعيّاً يلجأ إليه المتلقي لمعرفة ظروف الخطاب، وهكذا يستنير بها لمواصلة البحث عن خصوصيات المعنى العام للكلمة.

3- الفعل بين حدود الكلمة ومنوال اللفظة

نواة مركزيّة (مستوى الكلمة)		توابع أصليّة للنّواة (مستوى اللفظة)	
كلمات	ميزان	دلالة	زوائد داخلية
ماضي			معنى وظيفي
عاش	فَعَلَ ¹	الحدث المجرّد	علامة التّأنيث
كُتِبَ	فُعِلَ	//	//
كان	فَعَلَ	//	-
طرح	فَعَلَ	//	-
سمع	فَعِلَ	//	المفعولية + خطاب الجمع
			"ث" + "م"

¹ - هذا الوزن له دلالات وظيفية كثيرة فهو من باب تعدد الوظيفة لمبنى واحد، (ينظر: تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 144) (المرجع السّابق). وغالباً ما يدل على الشّيء وضدّه، مثل الجمع كما في جمع وسمح، والتفريق كما في بذر وقسم، والتحول في ذهب ورحل... وغيرها كثير وقد جمعها المحقق محمد محيي الدين في ذيل شرح ابن عقيل، (ينظر: ابن عقيل بماء الدين، شرح ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين، دار التراث، ط 20، 1140هـ، 1980م).

وقع وجِبْ	فَعَلَ فَعَلَ	// //	- -	- -
المضارع				
يَجِبُ	يَعِلُ	الاستمرارية	"لا" + "ي"	النفى + المضارعة + الغيبة
يُعْنِي	يَفْعَلُ	الاستمرارية	"أَنْ" + "ي"	مصدرية + المضارعة + الغيبة
يَتَضَمَّنْ	يَتَفَعَّلُ	المطاوعة	"ي"	المفرد الغائب المذكر
يُجِيبُ	تَفْعَلُ	الاستمرارية	"ت"	المفرد الغائب المؤنث
يُضَافُ	يُعَالُ	التعدية	"ي"	المفرد الغائب المذكر
تَدْخُلُ	تَفْعَلُ	الاستمرارية	"ت" + "وا" ¹	المضارعة + المخاطب + الجمع
تَخْرُجُ	//	الاستمرارية	"ت" + "وا"	//
تَلْفُتُ	//	الاستمرارية	"ت"	المفرد الغائب المؤنث
يُعَدُّ	يَفْعَلُ	الاستمرارية	"ي"	المفرد الغائب المذكر
تَبْرَرُ	تَفْعِلُ	التكثير والتعدية	"ت"	المفرد الغائب المؤنث
يُؤَثِّرُ	يُفْعِلُ	التكثير والتعدية	"س" + "ي"	المستقبل + المفرد الغائب المذكر

(جدول 03)

تعليق:

1- يمددنا الجدول بالإحصائيات التالية:

سبع (07) كلمات من الفعل الماضي، وإحدى عشرة (11) كلمة من الفعل المضارع، المجموع هو ثماني عشرة كلمة، وبما أنَّ المضارع هو الأكثر حضوراً؛ فإنَّ الخطاب العلميَّ المعروض هو خطاب توجيهيٍّ، والتَّوجيه لا يكون إلَّا بأفعال مضارعة الَّتِي تدلُّ على الحركة والاستمراريَّة في نقل الأحداث، و"يجعل الأفكار أوثق عرى بمكانها وزمانها

¹ - وتاء المضارعة تشترك في الدلالة مرة تكون بمعنى الغيبة وتارة تكون بمعنى المخاطبة، يقول "تمَّام حسان" "أما التَّاء فإن لم يشاركها غيرها عند الخطاب فإنَّها هي نفسها تشارك الباء في الغيبة، وبذا تصبح الباء أقوى على تعيين الغائب من التَّاء على تعيين لمخاطب" (اللَّغة العربيَّة معناها ومبناها، ص 156، 157)، (المرجع السَّابق)، وقصد بقوله "فإن لم يشاركها غيرها عند الخطاب"؛ أي لم تلتصق الكلمة بحروف في العجز تنقلها من أصلها إلى معنى الغيبة، وفي اللَّفظة وردت "تخرجوا" فالتصقت الكلمة بصدر "التَّاء" وعجز "وا" فصيرتها في حكم المخاطب.

ويعمل على حضور الأشياء...، ويخلق تفاعلا مباشرا وحيويا بين بنية الخطاب والعالم الخارجي، ويستحضر الواقع في الخطاب، ويتفاعل مباشرة مع المتلقي¹.

وهو الزمن الرئيس؛ لأنه يخلق فضاء تفاعليا بينه وبين المتلقي، فالخطاب العلمي يستند إليه حتى يوجه المتلقي في أحسن الظروف، وقرينة هذا التوجيه هو الزيادات التي تدخل عليها مثل: "فلا تدخلوا، فلا تخرجوا" فهذان النهيان دالان بصفة مباشرة على التوجيه، وعلى خلق تفاعل مباشر بين المتكلم والمتلقي في صنع خطاب يؤسس للعالم الخارجي، أما عن الأفعال الأخرى فهي بمثابة صنع الحدث المستمر الذي يجعل من الخطاب حيويا.

فكلها تحضر فيها حروف "أنيت" المضارعة وهي من الزوائد، غير أنها مصوغة في أصل الفعل؛ أي من نواته الأصلية وإن كانت زائدة فهي تُعِين على معرفة صاحب الفعل، فإن الهمزة (أ) للمفرد المتكلم، والثون (ن) للجمع المتكلم، والياء (ي) للمفرد الغائب المذكر "هو"، والتاء (ت) للمفرد الغائب المؤنث "هي"، وهذه الأخيرة محتملة التعيين فطورا تكون للغائب، وتارة تكون للمخاطب، وقد فصلنا ذلك على هامش الصفحة الماضية، وبما أن الفعل لا يمكن أن ينفرد عن الفاعل فهو محمول عليه فإن جميع الأفعال التي ذكرت في الجدول ضمائرها مستترة في حكم الموجود، فمرة يكون المستتر ضمير "هو" في الكلمات (يجيب، يُعني، يتضمن، يعد، يؤثر)، ومرة ضمير "هي" كما في الكلمات (تبرر، تدخل، تخرج، تجيب، تلفت)، في حين لو كان محذوفا يصبح على تقدير معدوم، ولذا فإن المستتر كالموجود في الحدث حكما، فلو حذف المستتر لما كان للحدث أي معنى في وجوده؛ إذ وجود الحدث مبني على الحدث له. وأما الفعل المضارع الدال على المستقبل بزائدة "السين" فقد ورد مرة واحدة، فهو لأمر توقعي يحدث جراء الحاضر، وكأها نتيجة للأسباب الحاضرة، ولفظة "سيؤثر" دالة على حالة انفعالية مقصودة لها صفة التكرير.

2- بينما نجد الفعل الماضي في المرتبة الثانية يثبت الحدث انقطاعا عن الحاضر، دلالة على الانتهاء، وهو ست كلمات، وكلمة واحدة في الماضي تدل على المستقبل، بقرينة "إذا" الشرطية، التي تصير الحدث الماضي مستقبلا، إلا أنها لا تدخل في حد اللفظة الفعلية؛ إذ يمكن فصلها عنه، فلو قلنا: (إذا وقع...)، فإنه من المنتظر أن نسمع جواب الشرط، وبالتالي فهي خارجة عن حد اللفظة الفعلية إلى الكلام المفيد، فيبقى الفعل على ما هو عليه في هذا المستوى يدل على الماضي انقطاعا.

¹ - محمد العبد، بحث في تحليل الخطاب الاتقاعي، دار الفكر العربي، 1419هـ، 1999م، ص 69.

ودلالة الأوزان في "فعل" هي لمعنى الحدث المجرد؛ أي مجرد عن كل الزيادات التي قد تدخل عليه لفظا ليحتمل معها دلالات إضافية، فلا تكثير ولا تعدية ولا مطاوعة فيه، فهو بسيط وتلقائي الحدث، فقد سبق بيان كل هذه الأنواع في باب الأسماء، وحصر الأوزان، ودلالاتها الوظيفية، وشرحناها بالتفصيل، واستعملها في الخطاب العلمي يدل على أن الخطاب بسيط جدا، وهي (عاش، كُتب، كان، طرح، سمع، وقع، وجب)، لا تكلف فيها، فهي تُحرّك الأحداث بصفة مطردة من باب تيسير المعلومات على الجمهور، بينما الزوائد الداخلة عليها فهي على درجات، منها ما يكون دالا على صيغة المؤنث، ومنها ما يكون دالا على ضمير متصل في محل المفعول به، ومنها الدال على الجمع يظهر أن الخطاب موجّه لعامة الناس في فترة زمنية معينة.

4- الضمائر وأنواعها:

موصول	شخص	إشارة	تكلم	خطاب	ضمير
		1. هذه	-	سمعتم (أنتم)	الضمير
		2. هذه		أنتم	الدال
		3. هنا		تخرجوا (أنتم)	على
		4. هذه			الحضور
		5. هذا			
1. الذي 2. ما	1. عاشت (هي) 2. كُتبت (هي) 3. كان (هو) 4. طرح (هو) 5. يُعني (هو) 6. يتضمن (هو) 7. تجيب (هي) 8. غير (ه) 9. هو 10. إلي (ها)				الضمير الدال على الغياب

	11. من(ها) 12. تدخلو(ها) 13. وقع (هو) 14. ب(ها) 15. من(ها) 16. اعتبار(هما) 17. أعظم(ها) 18. يؤثر (هو) 19. يُعد (هو) 20. تُبرر (هي)				
1. وباء (قبلية) 2. مفصّل (بعدية)	1. البشرية (بعدية) 2. تحديات (قبلية) 3. وباء (بعدية) 4. وباء (قبلية) 5. الإيمان (قبلية) 6. التداوي (قبلية) 7. الأخلاقيات (قبلية) 8. إجراءات (قبلية) 9. مفصّل (بعدية) 10. الإجراءات (قبلية) 11. حديث (بعدية) 12. أنتم (قبلية)	1. الامتحانات (بعدية) 2. التساؤلات (بعدية) 3. إحالة مقامية (بعدية) 4. الاعتبارات (بعدية) 5. الوباء (بعدية)	-	إحالة مقامية (خارج النصّ)	العلامة الدالة على الحضور والغياب¹

¹ - ارتأيت تسمية ما يدل عليه الضمير بـ"العلامة المحددة أو المقيدة"؛ لأنّ مبحث الصّرف لا يهتمّ بالضمائر المنفصلة (الحقيقية منها أو الحكيمة كأسماء الإشارة والموصولة)، وذلك راجع إلى طبيعة المبحث الصّرفي؛ لأنّه يبحث في الكلمات من حيث الصّنع وتشكلاتها وفق عملية الاشتقاق، والضمائر لا يمكن الاشتقاق منها أو تصريفها على كيفية محدّدة، وبالتالي فهي في أصلها تدلّ على الحضور والغياب على الإطلاق، وأردنا تقييد هذا المطلق، وحمله على العلامة المحدّدة في الخطاب وفق وسيلة الإحالة، الّتي اعتبرها اللّسانيّون أداةً من أدوات علم النّحو، وهنا مراجعة تحتاج إلى استبصار مجتهد.

13. الطاعون (قبلية)				
14. أرض (قبلية)				
15. أرض (قبلية)				
16. مبدآن (قبلية)				
17. المصالح (قبلية)				
18. اختيار (قبلية)				
19. اختيار (قبلية)				
20. الاعتبارات (قبلية)				

(جدول 04)

تعليق:

يُتَّضح من الجدول أعلاه الآتي:

1- أدخلنا أسماء الإشارة والموصولة ضمن الضمائر لما فيها من التقارب والتشارك الشكلي والمعنوي، والحق أن تلحق بها مناسبة البناء، فهي كلها من المبنيات؛ أي لا تدخلها الحركات كما في الأسماء والأفعال، وإنما الحركة تكون وفق هيئة واحدة لا تبدل مهما تغير موضعها في الجملة، ولكن قد تكون في محل شيء من الأسماء، ولا يمكن أن يكون لها أصل اشتقاقي كالأسماء والأفعال، كما يجب أن يتوقر على مرجع يُعَيَّن الضمير تعينا كافيا، ولا يشترط أن يكون المرجع متقدما على الضمير، فمن الممكن أن يكون متأخرا في الظهور، وبأداة الإحالة يمكن استيعاب المطلق وتقييده وفق القرائن، لذا فهي تستقل بقسم خاص، وتشاركها كذلك في المعنى، فهي ليست أسماء بالمفهوم الذي مر معنا، فلا تدل أبدا على المسمى، ولا على الحدث (المصدر)، ولا على موصوف بالحدث (الصفة)، فهو مطلق في حضوره وغيابه، إلا بتعيين يناسبه وظيفة، فهو يتعين حسب قرائن سياقية، "لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع"¹.

2- كما أن الضمير المتصل يختلف عن المنفصل، فإذا اعتبرنا أسماء الإشارة والموصولة في حكم الضمائر لعلية تجمعها بالضمير كما بينا؛ فإن الضمائر على هذا النحو قسمان، منفصلة وهي المقصودة بالقسم المستقل، ومتصلة

¹ - تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 111 (المرجع السابق)

فهي مختلفة من حيث بناؤه عن الضمير المنفصل، مثال: هُم، فإذا اتصل بحرف جرّ مثلاً "اللام" بقي كما هو، ولكن عندما تتصل بحرف الجرّ "الباء" تختلف عن الأولى تصبح "بهم" بكسر الهاء؛ ويفسر ذلك بوجود قانون خاص جعلها تختلف بالكسرة عن أصلها الأوّل الضمة، وهو قانون التخفيف، لأنك لو قلت: "بهم" حصل الثقل، وإن كانت بعض اللهجات العربية تنطق بما على أصلها، كما يوجد قراءات من القرآن تقرأ الضمير المتصل على أصله المنفصل.

3- يوجد في الخطاب ضميراً بارزاً ظاهراً، وضميراً مضمرًا مستتراً، وأغلبه من النوع الثاني، فالتقدير هو علامة معدومة المظهر معلومة المرجع، وفق وظيفة ثانوية للفعل، "حيث يدلّ المورفيم (ي) وهو سابقة على أنّ الفعل مسند إلى ضمير الغائب"¹.

وقد جاء عددها نحو ثلاثة عشرة (13) مرة مقارنة بالظاهر الذي سجّل حضوره سبعة عشرة (17) مرة، وهذا الظاهر ينقسم إلى منفصل ورد تسع (09) مرّات، والمتصل ظهر ثمان (08) مرّات، ومنه جميع الضمائر (أسماء الإشارة + الأسماء الموصولة + الضمائر)، حاصلها ثلاثون 30 مرة، وهذه النتيجة يمكن تقسيمها إلى ضمائر دالة على الحضور وعددها 8 مرّات، وضمائر دالة على الغياب عددها 22 مرة؛ أي بنسبة 73.3% تقريباً، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالتي تدلّ على الحضور، وهذا يوضح أنّ الخطاب في مقام سرد الأحداث والمعلومات، فهو يُخبر عمّا يجب أن يلتزم به الإنسان في ظلّ وجود وباء كورونا، فهو خطاب خبريّ اللَّفْظ إنشائيّ المعنى؛ أي ينصح دون أن يستعمل أفعال الأمر أو الطلب أو ما يدلّ على الإنشاء، وذلك بتقرير الحقائق من حيث يريد تمريرها إلى العقول بقصد التأثير، وهذا الأسلوب أبلغ من الخطاب الدالّ على الحضور المباشر الذي قد ينتج عنه تفريط مباشر في تقبل النصيحة، ولذا كان السرد في هذا المقام أنفذ إلى النفوس من التوجيه المباشر.

4- أمّا عن العلامة الدالة على الحضور والغياب من الصيغ التي تظهر في الجدول فهي من باب حمل المطلق على المقيد، فلا يمكن أن تكون الضمائر لها معنى معجمي، بل هي مفتقرة لهذا المعنى إلّا بقرينة تدلّ عليها، فعملها وظيفيّ في السياق، فضمائر المتكلّم والمخاطب والإشارة ضابطها الحضور، وقد يمثل هذا الحضور وجود قرينة في النصّ وهي التي اصطلاحنا عليها بالعلامة المحدّدة أو المقيدة، حرصاً ممّا على تأدية معاني علم الصّرف، وهو يدلّ على حضور المتلقّي لإدراك الخطاب، كما أنّ ضمير الغائب يقيده المرجع ويكون لفظاً متقدّماً أو متأخراً رتبة، كما لاحظنا

¹ - حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1992م، ص 58.

الأمثلة في الجدول نحو: "هو" التي ترجع إلى علامة "مفصل" وجاء المرجع في الخطاب بالنسبة للضمير متقدماً عليها، فيحمل الضمير عليها، أمّا مسألة الضمير المستتر المقدّر بـ(هو، وهي) فهو من ضرورات الفعل، فكلُّ فعل لا بدّ له من فاعل، يكون ظاهراً أو مقدّراً، وله مرجع مؤكّد في سياق الخطاب.

ونجد مثل هذه الدّراسات عند "فاينريش"، حيث يُطلق على العنصر الذي تُشكّل معه الأداة ضميمة اسمية بـ"المحدّد بالأداة"، وفيها يقول: "بهذا المحدّد بالأداة تتعلّق الوظيفة الإشاريّة للأداة، بحيث يفهم السّامع بشكل معيّن المحدّد بالأداة إمّا من خلال المعلومة السّابقة (المستمرة)، وإمّا من خلال المعلومة اللاحقة (المتوقّعة جدتها)".¹

ولهذا اعتبر اللّسانيّون المحدثون مسألة وظيفة الإحالة من المسائل التّحويليّة التي تسهم في ترابط النّصّ وتماسكه قصد تأدية المعاني الوظيفيّة، والحقُّ أنّ الإحالة كوظيفة هي من النّحو وصفاء، ولكن لا نلمس مثل هذه الدّراسة في أصل علم النّحو العربيّ القديم رغم أهميّتها، ولذا في القول الذي عرضناه فكرة مهمّة وهي عبارة "المعلومة السّابقة...المعلومة اللاحقة"، وهذا يحيلنا إلى فهم حقيقة الإحالة نحواً، فلا تتعلّق باللفظ بقدر ما ترتبط بالمعنى كمعلومات تحضر أثناء السّياق النّصّي؛ ولذا الإحالة تعمل عمل الوظيفة لا عمل الوسيلة، فالوسيلة هي العلامة المحدّدة، غير أنّ مسألة الإحالة من المواضيع التي تقترب من حدود نحو النّصّ لا نحو الجملة، وهذا ما تميّزت به في الدّراسات اللّسانية الحديثة، وبما أنّ الدّرس الصّريّ لم يعرف حدوداً واضحة في النظريات اللّسانية الحديثة فإنّ ذلك لا يعني الاستغناء عنه، فهو درس أساسي في تأصيل الصّيغ ومعرفة التّصارييف والتّقاسيم العلميّة للكلمات كما رأينا في في الجداول.

ثانياً: صيغُ فُصْحَى الْعَصْرِ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ غَيْرِ الْجَاهِزِ "حصّة صباح الشُّرُوقِ أُمُودَجًا":

ونقصد بها المادّة التي تتمّ بطريقة عفويّة من طرف المتكلّم فلا يتكلّف في نطق الصّيغ، ولا يرجع فيها إلى المختصّين من اللّغويّين، بل يكون سلوكه في تأدية الكلام حرّاً بلا قيود، وفي الحقيقة هذا النّوع من المواد يعكس حقيقة المتكلّم بقدر ما يعكس محتوى المادّة المذاعة عكس العيّنة الأولى، التي يتقلّص فيها دور المتكلّم، ولا يكاد يُرى أثر لسانه إلّا على ما تملّيه عليه الجهات المعنيّة بالخطاب أيّاً كان نوعه، ويكون سلوكه مقيّداً بمواجز كثيرة، وكأنّه لا يوجد في الواقع غير صوت مندّد، ومرحلة الصّوت هذه تقف عند المستوى الأوّل من التّحليل، بينما يُرى العكس في المادّة

¹ - فيرنر كليماير وآخرون، أساسيات علم لغة النّصّ، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2009م، ص 134، 135.

الحرّة، حيث يجتهد المتكلّم بوضع ألفاظ قد اكتسبها بتجربته الشخصيّة، ويظهر فيها مستوى التّجسيد الفعلي للدلالات المعجميّة والوظيفيّة، وهنا مكمّن الفرق بينها وبين الأولى، وهنا يأتي دور المحلّل اللّسانيّ ليرى حال المتحدّث واصفاً للغة محلاً لتفاصيل الصّيغ التي يستعملها، لمعرفة مدى وعيه بالقواعد الصّرفيّة، فيكون ضابط العينة الأولى مقيداً بالتّحليل الصّوتي -تقييم الأداء الصّوتي-، أمّا تقييم المحتوى فهو راجع إلى المنظور العام لإصدار الخطاب؛ أي من هو وراء هذا الخطاب؟، وهنا يُسند الأمر إلى الجهات العامّة، وجاز أن تُستدعى فكرة "موت المؤلّف" باعتبار الخطاب مجهول القائل، وإن توفّر القارئ فهو وإن اقترب من الخطاب لساناً لم يُحط بجوانبه الأخرى بيّناً، بينما الثّانية يكون هو بذاته صاحب القول ابتداءً، ومنه تتجلّى السمات الصّوتية والصّرفيّة للخطاب.

أ- عنوان الخطاب: هل يمكن أن يتحوّل "الفيبروم" الى سرطان ؟

ب- قائل الخطاب: مختصة في طب النساء.

ج- مكان الخطاب: نُشر بتاريخ 2022/03/05م.

د- وقت الخطاب: دقيقة وست وخمسون ثانية (1د، 56ث)،

هـ- تفرّغ محتوى الخطاب: "عمرو ما الفيبروم، يُؤبّي سرطان، (امم) عمرو عمرو ما الفيبرون، ما يُؤبّي سرطان Mani ya pas Geniresouns برّك، مرّاً صرت عندي حالة Une malade اللياااا، أكيد ضررنا لكان شافتنّي تعرفني أوبرينا فيبروم، On finit أوبرات في عندّ، Je crois في L'hôpital آه، أنفيبروم عادي، عمليّة عاديّة، كي قمنا بتحليل فيبروم لقيناه سرطان، Donc في هاد الحاله، سرطان احنا أخذناه على أنّو فيبروم، ماشي فيبروم ولّا سرطان، عندنا فيبروم (التّشخيص لمكانش في محلّو) ورم حميد Par excellence، مرّات فيه، ومرّات Le photo، ولّا Tellement منظمّ، Tellement هاذ Les images، (عبارة على أنّو) Absolutement Absolutement (آ طيب دكتور متى يجب أو تولّي هناك ضروره، أنو يجب إزالة هاذ الفيبروم جراحياً؟) Donc من هذ المنطق بما أنّو الفيبروم عمرو ما يولّي كونساز، Donc La Loguque أنّو عمري ماهوش ما يستدعشّ عمليه جراحية ONIERGENS معناها كي نقلّك Madame عندك فيبروم، مش معناها قتلك Madame لزملك عمليه، سؤال، ثاني ليطرحوهولي Est-ce que الفيبروم يذوبّ بالدواء؟، شحال من واحد يقلّي طبيبه، Est-ce que الفيبروم يذوبّ بالدواء؟، عمرو عمرو كيف كيف ما الفيبروم يذوبّ بالدواء، الفيبروم يكثر تحت تأثير الهرمونات، البروجيسترون والأستروجان، كيما Chaque fois نقلّكم تعريف المرأه، هي

الأستروجان زائد البروجيسترون، Donc A Chaque fois حاب يقول طول ما راهي المرا صغيره يجي تقريبا فوق الثلاثينات، ويتغذى بهاد الهرمونات، بما إني نقلك يتغذى بالهرمونات، ويكبر، تحت تأثير الهرمونات، معناه لما نلحقو سنّ اليأس، معناه فوق الأربعين هد الفيرومات راح يتكمشو مع سن اليأس، وراح يروحو وحدهم، أنو كاين دواء يدوّب الفيروم عمرو الفيروم إما يبقى في الحجم ديالو ما يكبرش، وإما يتنحّى بفعل نُقص الهرمونات لما يروح الأستروجان والبروجيسترون¹.

و- طريقة العمل: فهي مختلفة قليلا عن العينة الأولى، نظرا لاختلاف لغة الخطاب، فعينة الفصحى يتحتمّ التعامل معها وفق نمط كلاسيكي خالص، بتعيين الأوزان ودلالاتها، لكنّ التعامل مع العامية أو الدارجة يختلف جذريا، وبما أن المادّة التي سبق إعدادها حتما ستكون بالفصحى أغلبها، مع القليل من الكلمات الفرنسية نظرا لطبيعة المجال العلمي -الطب-، فإنّ هذه العينة التي تتميز بالعفوية في الأداء سيكون فيها الكثير من الخروج عن الصّواب، فلا يصحّ أن نستعمل الطّريقة القديمة في التحليل، فلذا كان العمل عليها يستوجب اقتراح الجديد، وهو ما حاولنا فيه باستثمار الأدوات التي ذكرها "تمام حسّان" في كتابه (اللغة العربيّة معناها ومبناها)، ومن خلال الجدول سنعرض للتحليل الصّرفي حسب معيارين، المعيار الاستعمالي، والمعيار الصّوائي، الذي سبق الحديث عنهما في المستوى الأوّل، وذكرنا على هامش الصّفحة الكثير ممن اعتمد هذه الطريقة في العمل التطبيقي (راجع ص 57)، مع استثمار ما قلناه، وهذه أهمّ النتائج مبينة في الجدول التّالي:

1- الاسم ومحدّداته:

المعيار صوائي		مستوى استعمالي			أسماء
زيادات	صيغة	تعليّل	خوالف ²	زيادات	أقسام
					اسم مبهم فوق ³
الأربعين	فوق	-	-	الرّبعين	

¹ - <https://2u.pw/1tVHu8ZH>, It was viewed on: 22/08/2023 at: 14:55

² - هو مصطلح أطلقه "تمام حسّان" وأراد به ما يخلف الكلام الفصيح وهي أساليب تعبر عن مواقف انفعالية ما (يُنظر: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص 113)، (المرجع السّابق)

³ - سبق توضيح المقصود من الاسم المبهم، ومنها ظروف الزمان والمكان التي مبناها تدلّ على الاسميّة ومعناها يدلّ على الظرفيّة، وتغليب الاسميّة عليها يجعلها في حكمه. (يُنظر: المرجع نفسه، ص 97).

تأثير	تحت	-	-	تأثير	تحت (2 مرة)
-	-	-	-	ي / نا / ك	عند (3 مرة)
"ال"	آن	استحضار		-	ضرك
-	-	-	-	"ال" + "ات"	ثلاثين
"ال"	أربعين	-	-	"ال"	ربعين
في + ال + له	حجم	عامية مغاربية	ديالو	في + ال	حجم
-	كم ¹	-	-	-	شحال
-	فقط	عامية جزائرية	برك	-	-
الشيء	نفس	للدلالة على التشابه	كيف كيف	-	-
-	دائما	-	-	-	ديما
				ما + ال / أن / على + أنو / ال + ات ال //	<u>اسم معيّن</u> فيبروم (17 مرة). بروجيستول (3 مرة) أستروجان (3 مرات)
هـ / أن + ي أو -	عمر سرطان -	تأكيد الفكرة الانبساط بالفكرة -	ووو / ييي امم -	"أنو" + "ي" - / ولا حميد	<u>اسم جنس [عام]</u> عُمُر (8 مرّات) سَرَطان (5 مرات) ورم

1 - "كم" جعلها "تمّام حسان" تحت باب الأسماء المبهمة، وهي في العامية الجزائرية "شحال" والكلمة أصلها مكوّنة من شقين "ش" و"حال"، وعند البحث عن أصلها قال بعض المتأخرين ممن حاول أن يفهم معنى "ش" قالوا بمعنى "شيء" ثمّ قدّروا محذوفا استفهاميا وهو "ما" لتصير العبارة "ما حال الشيء؟" وفي الحقيقة وقع في نفسي منه شيء، فلا يستقيم أن نقول "شحال" التي تدل على الاستفهام المباشر، ثم عند تحليلها نعلقها بمحذوف استفهامي، ولذلك أرى أن "ش" هي اختصار لكلمة "واش" أو "ايش" لتصير "واش الحال" ثم نُجَنِّتْنا معها مع مرور الزمن فأصبحت "شحال"، والسؤال يتضمّن سؤالاً عن "الحال" فما علاقة "الحال" التي تدل على الكيف، بالتي تدل على "الكم"؟، هذا من باب التوسّع الدلالي، وهي ظاهرة قديمة حديثة، فكم من مدلول توسّع وآخر ضاق لظروف خاصّة.

كونساز	-	-	-	-	-
دوا (4 مرات)	ب + ال / كاين	1؟	استفهام	دواء	يوجد
هرمون (5 مرات)	ب + ال + ات	-	-	-	-
سين (2 مرات)	مع / اليأس	سسس	لفت الانتباه	سنّ / سنّ	اليأس
مرا (2 مرة)	-	راهي	كلمة عامية	امراة	إنها
مرّات (2 مرة)	"و"	-	-	-	-
طبيب	-	ااا	ارتباك	طبيبه	يا أو أ النداء
دكتور	طيب	آه	استحضار الفكرة	دكتور	"ة"
"ال"	-	-	-	-	-
اسم حدث					
عمليّا (3 مرات)	عادي	ا	وقف لهجي	عملية	عادية
عاديا	عمليّا	ا	//	عادية	عملية
جراحيا (2 مرّات)	عمليا	ا/؟	استفهام / وقف	جراحية	عملية
عادي	-	-	لهجي	-	-
تحليل	-	-	-	-	-
تأثير (2 مرّة)	ب	-	-	تحليل	ب
تعريف	الهرمونات	-	-	تأثير	الهرمونات
تشخيص	المرأ	ا	وقف لهجي	تعريف	المرأة
تقريبًا	"ال"	-	-	تشخيص	"ال"
منظم	-	ااا	-	-	-
ضرورا	ولاً	-	ارتباك	-	أو
إزالة	هناك	ا	وقف لهجي	ضرورة	هناك
عبار	-	ااا	استحضار	إزالة	-

¹ - علامة الاستفهام جعلت بديلا عن النغمة الصوتية التي تتنازل فجأة عند النطق بالمستفهم منه، ولا سبيل لاستدراك مثل هذه النغمات إلا كونها ذات نغمة خاصّة تجعل في السياق دالة على معنى إنشائي، وإنما جعلناها من الخوالب نسبة إلى ما أقره "تمام حسن" من علامات أخرى كالتعجب واسم الصوت، واسم الفعل، وجعلها وفق علاماتها الصوتية.

سؤال	-	-	-	عبارة	-
نقص	ثاني	-	-	سؤال	ال + الثاني
فعل	الهرمونات	-	-	نقص	الهرمونات
يأس (2 مرّات)	ب + نقص	-	-	فعل	ب + نقص
منطق	سن + "ال"	سسس	استحضار	يأس	سن + "ال"
كاين	من + هاد + ال	-	-	منطق	من + هذا + ال
	"أَو"	وو	استحضار	كائن/	أن + هـ
				يوجد	
الميمات					
محل	"في"	وو	أداء لهجي	محل	في + هـ

(جدول 01)

التعليق:

1- عدد الأسماء المتحصّل عليها في هذا الخطاب العلمي العفوي هو: ثلاثة وتسعون (93) اسماً، موزّعة على النحو الآتي: في المرتبة الأولى: أسماء الجنس بعدد ثلاثة وثلاثين (33) اسماً، ثم تليها أسماء الأحداث أو المصادر أربعة وعشرون (24) حدثاً، وبعدها الأسماء المعيّنة بعدد ثلاثة وعشرين (23)، وفي المرتبة الرابعة تحتلّها الأسماء المبهمة بعدد اثنتي عشرة (12) مبهماً، وفي المرتبة الأخيرة تحضر كلمة واحدة (01) لتمثّل باب المشتقات، وهو المكان. ومن هذه الإحصائيات نتبيّن حضور "أسماء الجنس" بنسبة أعلى مقدرةً بـ 35.48%، وهذا يحوّلنا إلى الحقيقة التي أنرناها سابقاً، من أنّ كثرتها تُنبئ عن مدى اتّساع الخطاب العلمي للأنواع والفئات والأشياء الكثيرة وحصّرها على لفظ يجمع لباها، وجاءت هذه المرّة في المرتبة الأولى على عكس الخطاب بالفصحى، وفيه احتلّت المرتبة الثانية، ولعلّ هذا التّفاوت النسبي راجع إلى العاميّة التي خالطت الخطاب، وفيه خاصيّة انفرد بها على غرار الفصحى، وهي اللّغة الأجنبيّة، فلا نكاد نمرّ على خطاب علمي بالعاميّة إلّا نجد متكلّميه يستعملون مزيجاً من الكلمات الأجنبيّة، مع اللّهجة المحليّة، وبعض العربيّة الفصيحة، وبذلك يصير الخطاب العفوي أكثر جرأة في التحرر من قيود العربيّة الفصحى وقواعدها الثّابتة، ولذا بعد التّتبّع للأشرطة العلميّة التي تتسم خطاباتها بالعفويّة نصنّف جميعها ضمن ما

أطلق عليه "أيوب السبعان" بالقريبة من الفصحى "وعرّفها على أنّها تكون: "بلغة عربية مبسّطة بها كم هائل من ألفاظ اللهجة المحليّة"¹.

والمقياس الذي أخذنا به هذا التصنيف هو حكم الأغلب، فقد نجد الفرنسية بكثرة واللهجة المحليّة كذلك، والعربيّة الفصيحة، وبالتالي يصعب الفصل بين مستويات اللّغة الثلاثة، وإنّما الفصل قدرناه على الأغلب، كما أنّ الملاحظ من الكلمات التي جاءت بالعربيّة أغلبها خضع لأداء لهجي، فنجد الكلمات مثل: (دوا، عمرو، مرا..) عربية فصحي ولكن امتزاجها بالنطق المحلي جعلها تنزل عن الفصحى إلى شبيبتها، وإنّما الشّبه في أصل دلالة الألفاظ وبنيتها، والفارق بينهما هو طريقة أدائها.

وسبب عدم إيرادنا للأوزان ودلالاتها راجع إلى:

• الخطاب لا يندرج ضمن الفصحى؛ لأنّ الميزان الصّرفي دليل على العربيّة الفصحى من حيث إثبات الكلمات على صيغة محدّدة، لا على اللهجات المحليّة.

• اللّغة الفرنسية ليست ضمن الكلمات التي توزن، فالخطاب تحضر فيه الألفاظ باللّغة الثّانية كثيرا، وإذا صحّ أن وزن الكلمات نأخذها وفق المعيار الصّوّابي لا على المستوى الاستعمالي، فنقول مثلا: (تحليل، تأثير، تعريف، تشخيص) على وزن "تفعيل" ودلالته التّكرار والتّكثيف في الحدث، والعمل باستمرار على ذكر التعريف والتحليل والتّشخيص والتّأثير في الخطاب العلميّ.

2- وفي المرتبة الثّانية يحلّ اسم الحدث (المصادر)، الذي قلنا عنه أنّه دليل على حضور الخطاب العلميّ بدرجة عالية، فما تأخّر هنا إلّا لكثرة ألفاظ اللّغة الفرنسية التي حلّت بديلا عن المصادر، وإلّا كان في المرتبة الأولى كسابقه في الخطاب المعدّ مسبقا، كما أنّ الألفاظ العربيّة الفصيحة امتزجت باللهجة الجزائريّة، وهكذا أغلب ألفاظها عربيّة، ولكنّها مزجاة بالأداء المحليّ، وهذا يعكس جانبا من الأحاديث العفويّة.

3- وتأتي في المرتبة الثّالثة الأسماء المعيّنة، رغم عددها الكبير إلّا أنّه ليس تكرارا متنوّعا فنجد كلمة "فيبروم" تكرّرت كثيرا، ممّا جعلها تزيد عن حدّ الخطاب العلميّ، فلو أخذنا العدد دون تكرار نجده ثلاثة فقط، (فيبروم، الأستروجان، البروجستول) وهذا منطقي، أما التّكرار المستمر لها فهو يوحي على عدم انتظام الأفكار، واضطراب

¹ - ليلي خلف أيوب السبعان، قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 38. (المرجع السّابق)

المعلومات بقرينة الخوالب التي نجدها بعد كل كلمة وهو عبارة عن صوت زائد له معنى انفعالياً معيناً، مرّة يكون دالاً على الارتباك، وتارة يعبر عن الاستحضار، ولا يمكن لتلك الأصوات أن تكون عبثية، بل لها إحياء دلاليّ معين، وهو ما ذكرناه، كما أنّ الكلمات أصلها غير عربيّ ولكن يمكن اعتبارها من العربية وفق آلية التعريب، مع أن "فيبروم" تُرجم إلى "الورم اللّيفي"، إلّا أن انسياها على اللسان، وقبولها لمعايير العربية صوتاً جعلها قريبة من العربية، أمّا "الاستروجان" و"البروجيسترو" فهما ليستا من العربية، ونشعر بثقلهما أثناء النطق رغم قبولها لـ"لام التعريف"، عموماً فهذه الأسماء المعينة جعلت الخطاب معلوماً، ومحسوراً في جزئية واحدة وهي الحديث عن حقيقة الورم اللّيفي (الفيبروم).

4- وتحلّ في المرتبة الرابعة الأسماء المبهمة، التي تعمل على رسم معالم الإخفاء والغموض لدفع القارئ إلى مزيد من الفضول، وسرعان ما يزول بالإضافة أو التعريف، بتقديم معلومات عن العدد أو النوع أو الكمّ أو الاتجاه وما إلى ذلك ممّا يزيل وصف الإبهام، مثل الكلمات التي وردت (فوق، تحت، عند، ثلاثين، ربعين...) وكأّن المتلقّي يعيش نوعاً من التساؤل عندما تأتي مثل هذه الكلمات مستثيرة عقله، ماذا فوق وتحت وعند...؟، فيعمل على البحث في طيات الخطاب على المعلومات التي تقيدها، وهذا قد يصل بنا إلى مفهوم التّكرة والمعرفة في الخطاب اللّسانيّ؛ إذ تحديد الاسم المبهم لا يكون إلّا بضميمة تُفْرَج عن مضمونه، ليجد القارئ نفسه أمام فكرة جديدة قد توجّه سلوكه أو تعطيه إرادة ما، فعندما نبحت عنها في الجدول في خانة الزيادات، يتّضح شيئاً ما علاقة الزيادة بالعنصر المبهم، فقولنا: فوق ماذا؟، تأتي الزيادة لترفع الاستفهام وهي لفظة "الرّبعين"، فنحصل على جملة (فوق الربعين)، فالضميمة العددية قيّدت "الفوقية" في اتجاه محدّد وهو العمر، وهكذا بقيّة المبهمات.

أما الخوالب التي أبانت عن موقف انفعاليّ معين مثل (كَيْفَ كَيْفَ، ديالو، ااا) فهي داخلية في إطار الدّارجة الجزائرية والمغاربية بصفّة عامّة، "كَيْفَ كَيْفَ" تكشف عن انفعال صاحبها بأنّه لا فرق بين هذا وذاك، وتأتي بسرعة وكأنّه يردّ على من التبس عليه شيء أو أنكره، وخالفة "ديالو" فهي من أصل "دي له" و"دي" أصابها الحذف في أولها "هاء" التّنبية، وأصلها "هذي له"، كلمتان هما ضمير الإشارة المنفصل والجار والمجرور، ليجتمعا في الأخير على النّحت اللّهجي "ديالو" وهي تعبير على الاختصار، أمّا "ااا" فهو صوتٌ انفعاليّ يُظهر الارتباك كما قد يُظهر الاستحضار، وهي أصوات ناتجة عن العادّة غالباً.

5- وأخيراً يأتي اسم المكان "محل" ليصنع تعييناً خطابياً خاصاً يُفهم منه أمراً قد يكون له أهمية ما، وعند تتبّع العبارة وهي: (التّشخيص لمكانش في محلّو)، وأصلها بالفصحى (التّشخيص الذي لم يكن في محلّه)، حيث "الهاء"

تحيل إلى معلومة سابقة توضّح الضّمير، وهو "التّشخيص"، وكأنّ كلّ الخطاب دائر على حقيقة "التّشخيص" من حيث المحلّ؛ أي إذا كان في محلّه نجا المريض، وإذا لم يكن في محلّه فشل العلاج، أما الخالفة "ووو" فهي صوت زائد بسبب الأداء اللّهجي مع الارتباك النّفسي الذي حصل بزيادة زمن الصّوت.

2- الفعل ومحدّداته:

معيار صوائي		مستوى استعمال		فعل	
زيادات	صيغة	تعليل	خوالف	زيادات	أقسام
الماضي					
"ث"	حدث	ارتباك في الانتقال إلى	ااا	"ث"	صّر
/	/	المعلومة).	ليااا	/	/
"لو" أو "إذا"	كان	-	-	ل	كان
ث + ن + ي	رأ	-	-	ث + ن + ي	شاف
"لما" + "نا"	قم	استحضار	ااا	"كي" + "نا"	قم
"نا" + "ه"	وجّد	-	-	نا + ه	لقّي
-	-	-	-	"نا" + "ه"	أخذ
"لما"	كان	توكيد + تشتت الفكرة	ش + آا	"لما"	كان
"لك"	قُلْتُ	-	-	"ك"	قُتِل
س المستقبل	-	-	-	راح (2 مرة)	-
ُ	يجبُ	-	-	ُ	حاب
نا / ث	أجرى	أجنبية باللهجة الجزائرية operation أصلها	-	ي + نا / ات	أويّر
المضارع					
ما	يؤول	ارتباك	ااا	ما	يولي (4 مرّات)
"ن" + "ي"	تعرفُ	استحضار المعلومة	آه	"ن" + "ي"	تعرفُ
"متى" / "ه"	يجبُ	تبديل لأصل الهاء	"و"	"متى" / "أنو"	يجب (2 مرّات)
"لا"	يستدعي	تمثّل توكيد لهجي	ش	"ما"	يستدعي

نقل	كي + ك/كم	-	-	أقول	لما + لك/ لكم
يطرُح	ل + "هولي"	هاه	الإقرار بالكلام	يطرُح	الذي + ون
/	/	/	/	/	هُ + لي
يُدوب (4 مرة)	-	-	-	يُدوب	-
يقُل	"لي"		استحضار	يقول	"لي"
يقي	"إما"	-	-	-	-
يكبر (3 مرات)	"ما" / "و"	ش	تمثّل توكيد لهجي	يكبر	لا
يَتَنَحَّى	و + إمّا	-	-	يَتَنَحَّى	و + إمّا
يُقول	-	-	-	يُقول	-
يجي	"و"	-	-	يجيء	"و"
يتغدّى (2 مرة)	"و" / "لما"	-	للتوكيد	-	-
نلحق	"لما"	ووو	زيادة صوتية لهجية	نلحق	لما
يروح (2 مرّة)	"راح"	//	//	يروح (يَخْتَف)	"س" + "ون"
يتكمش	//	//	//	يتكمش	"س" + "ون"

(جدول 02)

تعليق:

يعرض الجدول طريقة التحليل الصرّي للعاميّة الجزائرية نراها جديدة من نوعها لما تتميز به من استثمار لأدوات متنوعة كما سبقنا لذلك، وهذه أهمّ النقاط تعليقاً وشرحاً:

1- يتقدّم الخطاب العامّي العلميّ الفعل المضارع بعدد سبعة وعشرين (27) كلمة، منها أفعال مكرّرة وهي: (يُولّي، يُدوب) أربع مرّات لكلّ منهما، وهذا يدلّ على التّركيز الكبير الذي يوليه المتكلّم للموضوع، فالتّكرار جاء بقصد تثبيت الفكرة بالزّوائد التي وردت معها، فلفظ "يُولّي" معها "ما" النافية، وتكرّرت، للتّأكيد على أنّ المعلومة المقدّمة لا يمكن أن تحصل، وهي (عدم تحوّل الفيبروم إلى سرطان)، وفي المعيار الصّوابي أخذنا نفس الكلمة بتغيير صيغتها في بعض جزئياتها لتصبح "يؤول" ونلاحظ أنّ التّغيير أصاب الهمزة، وحذفت الحركة الطويلة للضمّة، مع تشديد اللّام وزيادة "الياء"، وهذا حصل بقانون التّخفيف والاقتصاد في الجهد، فنرى أنّ الكلمة بُدئت بساكن وهذا

حال أغلب الكلمات في الدَّارِجَةِ الجَزَائِرِيَّةِ، كما حُقِّقَتِ الهمزة فصارت "واوا" "يُو"، وكأنَّ الحركة المتوسّطة الَّتِي حذفت عَوِّضَتْ فِي اللَّامِ بِالشَّدَّةِ، فانتقلت من مقطع متوسّط مفتوح إلى متوسّط مقفل بصامت، استبدال "وُو" بـ "وُل"، والمبَرَّرُ الوحيد هو الاقتصاد في الجهد بدل المفتوح يحلّ المقفل، أمّا الفعل "يُذُوب" لم يحدث فيه التّغييرُ إلّا في تَسْكِينِ الأوَّلِ، وهذه الظَّاهِرَةُ تحدّثنا عنها في المستوى الصَّوْتِي.

والفعل "يَكْبِرُ" تَكَرَّرَ ثلاث مرّات بزوائد خاصّة في كلّ مرة، جاءت في الأولى بزائدين "ما" النافية، و"ش" للتوكيد، وعند التطرُّق لتصويب الكلمة نجدها نفسها، يحذف منها حرف "الشّين" فقط، ويضبط أوّلها من مقطع قصير مجرور إلى آخر مفتوح، وكذلك المقطع القصير "بُ" بدل جرّه يُضَمُّ، وربّما سبب جرّه، وتسكين الأخير هو حضور "الشّين" للتوكيد في الاستعمال، كما يمكن تبرير ظاهرة حرف "الشّين" بأنّها اختصار لكلمة "شيء" مع كثرة الاستعمال صارت "شي" ثم "ش"، بدل قولنا: يكبر شيئا، إشارة إلى أي شيء قابل للتكميم أي القياس، ثم نُحِتَتْ مع الكلمة الَّتِي قبلها في سائر الكلمات، وهي لهجة قديمة من لهجات العرب، وتعديل حرف النفي "ما" تصويبا بـ "لا" النّافية حتّى تكون أفصح في المدلول، ولذا اعتبرت "الشّين" زائدة لا تؤثر على المعنى غير التّأكيد أو اختصار كلمة "شيء".

والفعل "يروح" تَكَرَّرَ مرتين، فهو فصيح دالّ على الرواح، وأُشْبِعَ زمن "الحاء" فصارت "خُو" واستغرق أجزاء من الثّانية، مثّلنا لها بعدّة "واوات"، دلالة على الاستحضار أو استرجاع فكرة ما، وهي ظاهرة تكثر في العاميّة الجَزَائِرِيَّةِ، وزائدة "راخ" لها مقاصد وظيفيّة من باب التعدد الوظيفيّ في الدَّارِجَةِ، راخ يروح؛ بمعنى سيروح أو سوف يروح، فلا يمكن أن نقول "راح" هنا بمعنى الفعل؛ إذ لا يجتمع فعلاَن مع بعضهما لزمانين مختلفين، وعليه "راح" تمثلها في المعيار الصّوابي "السّين" و"سوف".

وبقية الأفعال فهي قريبة من الفصحى تماما، يعترّيها التّسكين في البداية، وبعض الحذف الَّذِي يصيبها في مقاطعها الصّوْتِيَّةِ، كقولنا "نُقْلِلُكَ" وأصلها "أقولُ لَكَ"، فحدث حذف في المقطع المتوسّط المفتوح "أقولُ لَكَ" فصار مقفلا "نُقْلُ لَكَ"، وأُدْجِجَتِ "لام" "لك" في "اللام" الَّتِي قبلها فصارت مشدّدة، وهذا ما يُعرف بـ "الإدغام"، ولكن الَّذِي يجب أن نفهمه هو لماذا قلب "الهمزة" في بداية الفعل الدّالة على المفرد المتكلم إلى "نون" الَّتِي تأتي للجمع المتكلم، والعربيّة الفصحى تفرّق بين هذا وذاك، ولكنّ العامية لا تفرّق بينهما، إذا أردتَ المخاطبة بمفردك تقول:

(نُفْلِّكُ حَاجَا)، بدل (أقول لك)، وعندما يوجّه جماعة الخطاب يقولون: (نُفْلُولُكَ حَاجَا)، إذا فالعاميّة لا تفرّق بينهما.

الحاصل: جميع الأفعال قريبة من الفصحى (شبه الفصحى)، إلا أنّها عرفت بعض التغيّرات التي تسببت في ظواهر صوتية خاصّة كتسكين الأوّل، واستبدال المقطع المتوسط المفتوح بآخر مقفل للحصول على الإدغام، وتبديل بعضها لتستغرق وقتاً أقصر، كلّ هذا من باب الاقتصاد في الجهد، وحضور عددها الكبير يعمل على ربط الخطاب المباشر بالمتلقّي ليعدّل سلوكاً، أو يوجّه مسلوفاً، أو يوقع فعلاً مسبوفاً.

2- أما الأفعال الماضية فهي عشرة (10) أفعال، وإلا فهي تسعة (09) إذا استُثِنَت الكلمة الأخيرة التي في الجدول بسبب قبولها للزيادات، أول ملاحظة يمكن رؤيتها هي عدم تكرّر الأفعال الماضية، وهذا يدلّ على أنّها معلومات ماضية في سياق الخطاب التوجيهي الحاضر، ليزيد قوة في خطابه الحاضر، لذا الأفعال الماضية يُؤتى بها للإخبار عن حدث أو خبر له ارتباط ببنية العالم الخارجي، خاصّة إذا كانت موثقة أو لها شاهد في حضورها تصبح حجة في الخطاب المسند إلى التّغيير، وأعتقد أن السّرد إذا أُضيف له مصدراً أو مرجعاً أو شاهداً صار حججاً يُعتمد في الوصف النّصيّ للنّماذج الخطابيّة.

نجد الفعل "صُرْتُ" في الماضي قريبة من "صارَتْ" في الفصحى، إلّا أنّ المعنيين مختلفان، فالأوّل بمعنى "الوقوع والحدوث"، والثّانية بمعنى "الانتقال" ولكن الكلمتين قريبتان من بعضهما؛ إذ الانتقال هو حدث يكون من شيء إلى شيء آخر، وطراً عليها الحذف في المقطع الأوّل فصار مقطوعاً قصيراً "ص"، أما الفعل الأخير "أوبرنا" هي أصلها أجنبي، بمعنى عملية، ولكن دخول زائدة "نا" الدّالة على جمع المتكلم جعلنا ندخلها ضمن الفصحى من باب الشّبه لا من باب الحقيقة، وهذه من مميزات فصحي العصر، فكم من كلمة أجنبية جعلها المجمع اللّغويّ العربيّ بالقاهرة ضمن الكلمات العربيّة مثل: "فيس بوك" جعلوا منها أفعالاً قابلة للتّصرف، هو يفسبك، هي تفسبك، هما يفسبكان... وهلمّ جرّاً.

3- أما الخوالب الدّالة على الحالة الانفعاليّة المعرّبة عن نفسيّة المتكلم فهي بين الارتباك، والاستحضار، والتّشتت، والانبساط، فليس لها محلاً خاصّاً، فقد تحضّر على مستوى الخطاب كلّ أو جزئه، أو بعضه، حسب أداء المتحدّث، ودرجة تمكّنه من إدارة الحوار، وهذا يعكس قدرته اللّغويّة والمعرفيّة، إذا فكلّ صوت زائد في الخطاب يحتمل دلالة محدّدة، ولا يمكن تصنيفه إلى اسم، أو فعل، أو حرف جاء لمعنى، ولكن جاز إلحاقه بالخوالب.

الحاصل

حضور الأفعال المضارعة بكثرة دليل على التفاعل المباشر بين بنية الخطاب وملتقيه، وهنا لا بدّ من التمييز بين أمرين هما: الفعل في أصل اللغة كونه حدثاً بزمان مضارع مستقلّ عن حدث الكلام، والفعل في حدث الكلام كونه حدثاً متّصلاً بواقع المتكلّم حينئذ يصير الحدث واقعا وترتبط به قرائن الاستعمال، من حال وظروف خارجيّة وما إلى ذلك من القرائن، وعليه حين يصير الفعل مصحوباً بقرائن الاستعمال يخرج إلى معالجة الوقائع وعقد توصيف للعالم الخارجي بقصد التفاعل.

3- الصِّفَات وَالضَّمَائِر إِلَى الْعَدَم:

من الصَّعب تحديد الصِّفَات المتعلّقة بالخطاب العاميّ (اللهجة الجزائرية)، لانعدام التمثيل الصّرفي، ولا يمكن للكلمات في هذا الخطاب أن تخضع لميزان صرفي دقيق، لذا يمكن الاستغناء عن هذه الجزئية في التحليل، ورغم ذلك إذا أردنا أن ننظر للخطاب من منظور المعيار الصّوّاي سنجد كلمة واحدة وهي كلمة (حميد على وزن فعيل)، وهي من صيغ المبالغة كما يمكن أن تكون ضمن الصِّفة المشبهة، للتقارب الوظيفي بينهما.

أما عن الضّمائر (أسماء الإشارة والموصولة) وسائر الضّمائر المشهورة الدّالة على الحضور والغياب كما سبق الكلام عنها، فهي قليلة الحضور في هذا الخطاب، وأغلبها ضمائر مستترة تحيل إلى الموضوع الأساس وهو "الفيبروم"، وبما أنّنا عرفنا الطريقة التي يمكن من خلالها تحليل الضّمائر بأنواعها فإنّه يكفي الإشارة إليها بنظرة عابرة؛ إذ القصد من وراء هذه الضّمائر هو تعيين المبهم بإحالة قبلية أو بعدية، أي تقييد المطلق وحمله على المقيّد حتى تتضح معالم الخطاب، فإذا قلنا: (يولّي سرطان) على تقدير محذوف "هو" تحيل إلى شيء غائب يظهر بقرينة السّياق، وأيضا عبارة (هاد الحالا) "هاد" أصلها "هذه" تدل على الحضور وهي الحالة، ويقصد المتكلّم بالحالة التي ذكرها في سياق الخطاب، وهكذا مع بقيّة الضّمائر يغنينا الخطاب الفصيح السّابق وفق المادّة التي سبق إخراجها عن هذه المادّة التي ظهر فيها من العجلة والفوات لكثير من الجزئيات اللّغويّة، وإنّ كان الخطاب يحمل قيمة معرفيّة أدّى ما عليه من التّفصيل والمعلومات حول الموضوع، وهو التعريف بالورم اللّيفي وحققيقته.

الحاصل

ترك العمل على الصِّفَات لعدم وجودها في الخطاب إلا مرّة واحدة هو ما يدلّ على أنّ المادّة العفوية تفتقر إلى لغة جذّابة تجعل من الموضوع ذا قيمة علميّة أكثر، فخلو الخطاب من أنواع الصِّفَات ربما يجعله جامدا غير مؤثّر،



فاستخدام الصّفات مثل التّفصيل يجعل النّفس تتطوق إلى معرفة الأفضل ودونه، والمبالغة تعطي مكانة خاصّة للشّيء المبالغ فيه، كما أن الصّفة المشبّهة والمفعول والفاعل تُظهر جانباً من التّواصل الفعلي لحقيقة الموصوف وتجعل التّفاعل أكثر انسجاماً مع طبيعة الخطاب العلميّ.

فَصْلٌ ثَانٍ

الْخَصَائِصُ الصَّوْتِيَّةُ وَاللُّزَكِيَّةُ

لِبْنِيَةِ الْخَطَابِ الْعِلْمِيِّ عَيْنَاتُ

مِنَ الشُّرُوقِ "أُونْ لَايْن"

مطلب ثالث: الدرس النحوي في إطار نظرية القرائن

وَحَدَّثِ الْمَوَاضِعَ

مطلب ثالث: الدرس النحوي في إطار نظرية القرائن وحدث المواضيع

يعتبر المستوى النحوي من أهم مستويات التحليل اللغوي، من حيث أصلاته ومكانته التاريخية، ومعلوم عند كل باحث أن النحو عند العرب أعظم العلوم وأشرفها منزلة، حيث كان يدرس بنية تحسين اللسان من كل طارئ أو دخيل لا يستقيم مع عُرْبِ اللسان العربي، ثم تحوّلت هذه النية التعليمية إلى البحث عن قضايا اللغة بمختلف جزئياتها التفصيلية، والتعامل مع المسائل تعاملًا منطقيًا وفق أصول رياضية كما صنع "الخليل"، ومن ثمة التعمق في التفاصيل بلغة الأصوليين واللغويين كالذي جاء به "سيبويه"، وهذان العلمان يعتبران الأصل في كل مبحث لغوي، وما جاء بعدهما فهو اجتهاد شرح وتعليق، أو اختصار متن وتحقيق، أو تعريض كلام وتلفيق، وإن خرج بعضهم بتفصيلات يدعون فيها إلى إنكار ما استقرّ عليه الأولون بالنقد والتجريح والتعديل، فسييل علم النحو عرف الكثير من التوجّهات؛ بسبب ما لحق العلم من فلسفة وكلام فقدّ به أصلاته التي كان عليها، وجعلت المختصين في هذا الزمان بين الطّارف والتّليد، يستبق إحدى الحسنيين بين مجتهد مقترح للبدل مع محافظته على المفاهيم الرئيسة، وبين مستثمر للقديم بقراءة نموذجية جديدة وفق متطلبات الحداثة، وهذا ما جعلهم يتباينون على المستوى الفكري، وصار الباحث المحلل ينظر بروية في كلتا الفكرتين، ويجمع بالأدلة التي وسّع إدراكها، أن يعمل بها في تحليله للنماذج الخطائية التي يأخذها في التطبيق، ويحاول التوفيق بينها حتى يُنصف البحث العلمي زمانا ومكانا.

رغم المجهودات المبذولة والعطاءات الممنوحة في باب النحو إلا أنّه ظلّ من العسير الحسم والقطع في تجاوز عتبة الماضي، بما أنّ أهل العربية الناطقين بها وضعوا لها قيودا وحدودا تمنع البعيد عن كسرهما (اللغة في وضعها الأول)، فإنّ ذلك صعب على غير العرب الأولين أن يجدوا البديل عنها بتجاوزات لغوية، وأداءات لهجية خاصة، (اللغة في الاستعمال)، ولكن في مقابل ذلك يحاولون إيجاد تفسيرات علمية تُقارب الوجهة الأصلية، ومثل ذلك ما فعله الدكتور "تمام حسّان" في أغلب أحيانه، حيث يمنح لكلام ظاهره قد يكون ملتبسا الكثر من الأعذار، ويحاول تطويعه لخدمة العربية المعاصرة وفق آلية التّخريج العلمي.

فأعظم المسائل التي بُني عليها النحو قديما هي نظرية العامل في الإعراب، وحتى نختصر ونوجز في هذه الجزئية، لن نتحدّث عن أصلها وفرعها وأقوال الدارسين فيها، نذكر بأنّ السّواد الأغلب في هذه القضية ينتصر ويميل كلّ الميل إلى نظرية العامل، ويعتبرها هي كلّ النحو، وهم أغلب المتقدّمين والمتأخّرين كـ "الحاج صالح" في كتاب (البنى النحوية)، وقليل من يُنكر هذا من المتقدّمين كـ "ابن مضاء" (ت 592 هـ) في كتاب (الردّ على النّحاة)، ومن المتأخّرين مثل "تمام

حَسَّان" في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)، حيث حكم على الموضوع أنه خرافة، وأتى بالبديل وهو مصطلح "التعليق" فقال: "وإنَّ فَهْمَ التَّعليقِ على وجهه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل النَّحوي والعوامل النَّحويَّة"¹. إذاً قد يبدو كلامه قاسياً في إطلاق هذا الحكم الَّذي أُلِّفت حوله العشرات من الكتب، والمئات من المقالات العلميَّة، وعُقدت حوله آلاف الملتقيات والندوات الوطنيَّة والدَّوليَّة، ولكنَّ المنصف والباحث الحقيقيُّ هو من يجتهد في إيجاد المشكلات وحلولها، ومن هنا تتحوَّل كلَّ إجابة إلى إشكاليَّة فرعيَّة قد تؤسِّس لأطروحة جديدة، وهذا ما حدث بالفعل مع نظرية العامل، عند النَّظر في التَّعريفات البسيطة الَّتِي درسناها مثلاً في متن الأجروميَّة أو الَّتِي تُدرَّس في الألفيات، سنجد اهتمامهم الوحيد الأوحِد بموضوع "العامل" الَّذي يكون سبباً في تغيير أواخر حروف الكَلِم أو هو "تغيير أواخر الكلم؛ لاختلاف العوامل الدَّاخلة عليها لفظاً، أو تقديرًا"².

وعند التأمُّل في التَّعريف سنجد أشكالاً معرفية كبيرة من قبيل: كيف سنعرف تغيُّر أواخر الكلم في الإعراب التقديري؟، بل الإعراب المحلِّي للمبنيات والجمَل كذلك؟ هل يستطيع العامل أن يُظهر لنا حركات كل منها؟ وإن كان يمكن ذلك فكيف سأطبق موضوع العامل على جملة (نادى موسى عيسى)؟، أين العامل والمعمول في ظل اختفاء الحركات للتعذر؟.

رغم أنَّني لا أقول بخرافة العامل النَّحوي كما استبق إلى هذا الحكم "تمام حسَّان"، لكنِّي اعتبره واحداً من القرائن الدَّالة على الإعراب، وليس هو أصل الإعراب كلِّه، وهذه الإشكالات تجعل الحليم حيراناً، لماذا كان الباحثون طول هذه الفترة يعتمدون على من سبقهم في ترديد "نظرية العامل"، ربما لسببين نراهما الأنسب لهذا البعد المعرفي وهما: الخوف من الاستدراك على القدامى والاعتقاد فيهم أنَّهم المعصومون في هذا، أو لعدم إدراكهم لحقيقة باب النَّحو على تفصيلات القدامى، رغم وجود من أنكر بشدة على هذا الموضوع، ولكن خير الأمور أن تُؤخذ بالجمع بين الأفكار ومحاولة التماس الأعذار، ولذا يُعتبر "تمام حسَّان" أول من اقترح البديل أو التَّفصيل المناسب للإجابة عن الإشكاليَّة السَّابقة، وذلك من خلال نظرية "تضافر القرائن" ويقصد بها القرائن المعنويَّة واللفظية مجتمعة مع بعضها مكوِّنة إطاراً

¹ - تمام حسَّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 189. (المرجع السَّابق)

² - أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصَّنْهَاجِي (ابن الأجرَم)، متن الأجرُوميَّة، تح: حايك النَّبْهان، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ، 2010م، ص 45.

شاملا للتحو، وهذه القرائن المتضافرة أتت تحت باب التعليق، فهو الإطار الشامل للتحليل التحوي، ثم فصلها وأعطى تفسيراً واضحاً في كلّ قرينة، أمّا المعنوية فحصرها في أربع قرائن (الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية).

فالإسناد هو العلاقة القائمة بين المسند والمسند إليه، ك(المبتدأ والخبر، أو الفعل وفاعله) وهذا في حال إذا كان معرباً؛ أي علامة الجزأين أو العنصرين ظاهرتان، ولكن قد يلتبس الأمر إذا كانا دون علامة ظاهرة أو أحدهما، ولذا يحتاج إلى قرائن أخرى تزيد الإسناد إظهاراً كافياً، كما يتصل بهذه القرينة المعنوية قرائن أخرى لفظية تشاركها في الحكم على العنصر اللغوي، فالإسناد كعلاقة معنوية لا يمكن له أن يكشف عن صيغة أحد العنصرين (اسماً، أو صفة، أو فعلاً)، هذا من حيث نوع الكلمة تقسيماً، كما يحتاج إلى قرينة لفظية أخرى تُبيّن هذه العلاقة؛ وهي **مطابقة** العنصرين أو عدمها؛ أي توفر لكلّ من الجزأين ملامح شكلية تجعلهما مترابطين، وهي الجنس أو الشخص (ذكرًا أو أنثى) مثل: الطالبان المجتهدان يعملان بجِدٍّ، فنلاحظ التطابق في الجنس، ولم نقل مثلاً: الطالبان المجتهدان (مذكر) تعملان بجِدٍّ (مؤنث)، وكذلك من حيث العدد: فنقول: العالمان الفقيهان يجتهدان، بدل العالمان (مثنى) الفقيه (المفرد)، يجتهدون (الجمع)، بالإضافة إلى التعيين (معرفة أو نكرة) يمكن أن يُحدد لنا مضمون الخطاب على عكس المراد فنقول مثلاً: الولدان الجميلان (صفة) يلعبان، بدل الولدان جميلان (خبر) يلعبان (خبر جملة)، وكذلك من حيث علامات الإعراب نجد عبارة: (اللاعبان الجميلان يسددان الكرة)، فلو قلنا: (اللاعبان الجميلان يسددان الكرة)، لوقع اختلال في الإعراب فلا يمكن للصفة أن تنفرد بالحركة عن موصوفها، ولذا نرى بأنّ الإسناد يحتاج إلى هذه الضوابط في الصيغة لبيان نوع الكلمة، والمطابقة لبيان نوع التصريف فكلاهما يحتاج إلى الآخر في ثنائية دائمة.

كما أنّ **العلامة الإعرابية** إذا كانت ظاهرة تعتبر من القرائن الدالة وتساعد على الحكم، وكذلك **الرتبة** هذه من المواضيع المهمة في تثبيت العنصر اللغوي، ويحتاج إليه من أجل الحفاظ على المعنى، أو لعدم الوقوع في اللبس، فدائماً يتقدّم اسم الموصول على الصلّة، والموصوف على الصّفة، والفعل على الفاعل، والمبدل منه على البدل، وتقدّم سائر الأدوات عن اسمها أو فعلها، وهكذا دواليك، فالرتبة محفوظة، ولا يمكن أن يتقدّم عنصر على عنصر، إلّا في بعض الظواهر التي تدخل تحت باب بلاغي اسمه "التقديم والتأخير" وهذا يُعنى بأسلوب الجملة من حيث العرض لا الجملة ذاتها؛ أي لا يخصّ التركيب بل أسلوبه، حتّى يُعطي إضافة بلاغية خاصّة كالحصر والقصر، وإن كان الأصل على ما هو عليه، وقد لا تنضبط الرتبة في أبواب معينة لهذا السبب، ولسبب آخر وهو: توجيه المعنيين قصداً، مثال: في تحية السّلام نقول: السّلام عليكم، وعند الردّ ينعكس الجزآن فنقول: وعليكم السّلام، فهذه المناسبة تدخل في تحديد مناط

المعنيين، بالإضافة إلى العامل الذي يكون سببا من الأسباب في ظهور الحركات على الكلمات يلزم موضعه الأول يقول الحاج صالح: "أما فيما يخص العامل التركيبي فكل ما يقع في موضعه من العوامل وهو موضع واحد فله الرتبة الأولى ، وتدخل فيه عناصر معينة بما في ذلك خلوه"¹.

يقصد "الحاج" بـ"العامل التركيبي"؛ كل عامل يخص ويدخل على الجملة لا اللفظة، (سبق التكلم عن اللفظة في المستوى الصّرفي)، وحدد موضعه رتبةً، على أنّه يأتي في البداية، ومنه عامل الابتداء كعامل معنويّ، وعبر عن العامل المعنويّ بلفظ "خلوه"؛ أي لا يشترط أن يكون في بداية التركيب عاملا ظاهرا مثل النّواسخ، ثم تفتنّ "الحاج" إلى أمر مهمّ قد يدعوننا إلى إعادة تصحيح ما كان سائدا عند النّحاة المتأخّرين بأنّ العامل يكون سببا في ظهور الحركات فحسب، فقال: "ويجب أن نفهم جيدا أن العامل التركيبي لا ينحصر دوره في إحداث الإعراب فيكون بذلك مجرد سبب لوجود الإعراب"².

فإذا كان دور العامل لا يقتصر على وجود الإعراب، فما هي أدواره الأخرى إذا؟، فمن أدواره أنّه يعمل على تحريك العناصر الأخرى في التركيب، وكلّ ما دخل موضع الفعل والابتداء، إمّا وفق قانون التّكافؤ (حمل الشّيء على التّظير)، أو قانون التّغاير (شيء عوض شيء آخر)، كان مؤثرا في بقية الألفاظ الآتية؛ ومنه تكون العناصر المتأثّرة بالعامل تابعة له، ولا يمكن أن يتقدّم المعمول على عامله في عرف العربيّة وضعا لذا يقول ابن جني: "فليس في الدّنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه"³.

مثال الحمل على التّظير فقولنا: (أرأيت محمدا؟)، و(هل رأيت محمدا؟)، الفرق بين الجملة الأولى والثّانية، تظهر في صيغة طرح السؤال بـ"الهمزة" و"هل"، فموضع الابتداء دخله في كلّ مرة صيغة مختلفة عن الأخرى في الاستفهام، فالهمزة الّتي تدخل على الفعل متّصلة لتعطي معنى السؤال هي نظير لـ"هل" الّتي تدلّ على السؤال دون اتّصالها بالفعل، وأمّا المقصود بقانون التّغاير هو مغايرة الموضع بما يشاركه في أصله، مثل دخول جميع النّواسخ، فهي تشارك الجملة في دخولها موضع الابتداء وتمنح للجملة الاسميّة حدثا تتفاعل داخله، كما لا يمكن تأخير الصّيغة أبدا بعد المعمول، ولهذا كانت قرينة العلامة الإعرابيّة والرّتبة متلازمتان وفق نظرية حدث الموضع؛ إذا فهما بمنزلة واحدة تُجمعان

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، البنى النّحوية، ص 127. (المرجع السّابق)

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ابن جني، الخصائص، ج2، ص 385. (المرجع السّابق)

على اصطلاح آخر أراه مناسباً وهو من اقترحي "التناسب الإعرابي"؛ فلفظة تناسب على صيغة "تفاعل" التي تدل على المشاركة، وهذا يحيلنا إلى تناسب العامل والمعمول لظهور الحركة الإعرابية.

أما القرينة المعنوية الثانية فهي **التخصيص** وتندرج تحتها فروع كثيرة، وجمعها "تمام حسن" في تسع قرائن معنوية فرعية¹، منها: 1- التعدية ومدلولها المفعول به، 2- الغائية ومنها المفعول لأجله، 3- المعية يدل عليها المفعول معه والمضارع المنصوب بعد الواو، 4- والطرفية وتشمل المفعول فيه 5- والتحديد والتوكيد يشفع لهما المفعول المطلق، 6- والملابسة للحال، 7- والتفسير للتمييز، 8- والآخارج للاستثناء، 9- والمخالفة للاختصاص.

فإن هذه القرينة تخضع لحدث الموضوع كذلك بما تتميز به من خصائص الوضع المناسبة، فالحال موضعه دائماً يكون متأخراً عن المقصود، واعتبر "الحاج صالح" كل زيادة عن أصل الجملة المتكوّنة من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل ومفعول به، تدخل في باب التخصيص، وذلك في نص كلامه ما يدل على هذا، حيث يقول: "تدخل زوائد من الكلم على نواة الكلام... ودورها في الدلالة هو التخصيص"².

ومثال ذلك فإذا قلنا: (شرح الأستاذ الدرس)، و(شرح الأستاذ والتلميذ الدرس)، و(شرح الأستاذ الدرس شرحاً)، فالأول أبانت عن معنى التعدية ودلالته المفعول به "الدرس"، والثانية دلت على معنى المعية "والتلميذ" بقرينة لفظية "الواو" واسمها المنصوب، وفي الثالثة جاء التوكيد والتحديد بالمفعول المطلق ليؤكد حدث الشرح، وهكذا مع البقية فكل واحد من الفروع التسعة إلا تحمل تخصيصاً مناسباً للإسناد، وتعتبر من الزوائد الداخلة على نواة الكلام³، ومما تتميز به في عمومها؛ أي هذه الزوائد قدرتها على الدخول والخروج، وعدم ملازمتها لموضع واحد، ويمكنها أن تحلّ موضع الأفعال والأسماء.

وحدّ الجملة الاسمية التي تحصل به الإفادة هو المبتدأ والخبر، وما زاد عليهما يكون في حكم الزوائد، ومما تتصف به هذه الزوائد كذلك أنها تكون منصوبة، وغالباً تكون نكرة، إلا ما كان قبلها حرف معنى مثل "واو" المعية، وحرف الاستثناء، وكذلك بالنسبة لحدّ الجملة الفعلية، فكل الاختصاصات التسعة التي تدخل في حكم الزوائد هي خارجة عن نواة الكلام، وإن كان موضوع المفعول به، والتمييز عند "الحاج صالح" فيه ما يُقال، فقد يلتبس المفعول به مع

¹ - تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 194. (المرجع السابق)

² - عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية، ص 163. (المرجع السابق)

³ - يُنظر: المرجع نفسه، 173 وما بعدها.

الصِّفَات الَّتِي أُطْلِقَتْ عَلَى الزَّوَائِد مِنْ كَوْنِهَا مَنْصُوبَةٌ وَنَكْرَةٌ، وَلَكِنْ الْحَقِيقَةُ أَنَّ كُلَّ الْقَوَاعِدِ وَالْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ وَاللُّغَةِ مِنْهَا لَهَا حَكْمُ الْإِسْتِثْنَاءِ الْمَخْرُجِ بِدَلِيلِهِ، فَلَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُ الْمَفْعُولِ بِهِ زَائِدًا مِنَ الزَّوَائِدِ رَغْمَ اشْتِرَاكِهِ فِي خَاصِيَّةٍ أَوْ قَرِينَةٍ الْإِخْتِصَاصِ، فَيَعْمَلُ عَلَى تَخْصِصِ الْحَدَثِ؛ وَالسَّبَبُ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّ "الْمَفْعُولَ بِهِ" يُؤْتَى بِهِ لِإِتْمَامِ مَعْنَى الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّ نَعْقِدَ كَلَامًا فِيهِ فَعْلًا مُتَعَدٍّ مِثْلَ: (حَدَّدَ مُحَمَّدٌ) وَنَسَكْتُ!، فَلَا مَعْنَى لِحَدَثِ التَّحْدِيدِ مَا لَمْ يُخَصَّصْ بِقَرِينَةِ الْإِخْتِصَاصِ، وَهِيَ "الْمَفْعُولَ بِهِ"، كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعْرَفًا مِثْلَ: (حَدَّدَ مُحَمَّدٌ الْمَوْعِدَ)، وَكَذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَظْهَرَ الْمَفْعُولُ بِهِ فِي هَيْئَةٍ أُخْرَى، وَيَكُونُ حِينَئِذٍ نَائِبًا فَاعِلًا لِفَعْلٍ مُجْهُولٍ، وَيَتَحَوَّلُ فِي حَالِ التَّعْيِينِ مِنَ النِّكْرَةِ إِلَى التَّعْرِيفِ، مِثَالُهُ: (حَدَّدَ مُحَمَّدٌ مَوْعِدًا)، تَصِيرُ (حَدَّدَ الْمَوْعِدَ)، وَهَذَا تَظْهَرُ حَقِيقَةُ نَظَرِيَّةِ حَدَثِ الْمَوْضِعِ، وَقَدْ تُغَالَطُ حَقِيقَةُ الْقَرِينَةِ اللَّفْظِيَّةِ مَا تُعْرَفُ بِ"الرُّتْبَةِ"، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَرِينَةُ تَحْتَاجُ إِلَى مَسَاعِدَاتٍ مِنْ قَرَائِنٍ لَفْظِيَّةٍ أُخْرَى.

كَمَا أَنَّهُ مِمَّا يُتَعَجَّبُ لَهُ فِي أَمْرِ الْعَرَبِيَّةِ مِمَّا يَزِيدُهَا حَرَكِيَّةً، وَيَمْنَحُهَا رُوحًا حَيَّةً -إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ-، هُوَ قُدْرَتُهَا عَلَى تَغْيِيرِ مَوَارِدِهَا بِحَيْثُ تَتَحَوَّلُ لَفْظًا، مِنْ طَرَفٍ زَائِدٍ إِلَى طَرَفٍ ثَابِتٍ، لَا يُمْكِنُ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ فِي الْجُمْلَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا قَدْ يُظَنُّ فِي "الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ" مِنْ أَنَّهُ زَائِدٌ عَنْ أَصْلِ نَوَاةِ الْكَلَامِ، فَرُبَّمَا يَصْبِحُ جُزْءًا مِنَ الْكَلَامِ، مِثْلَ: (عَلَّمَ الْأُسْتَاذُ الطَّالِبَ تَعْلِيمًا مَتِينًا)، "تَعْلِيمًا" هِيَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ نَكْرَةٌ جَاءَ لِلتَّخْصِصِ، يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ مَوْضِعُهُ فَيَصِيرُ "فَاعِلًا" كَمَا فِي: (عَلَّمَ تَعْلِيمًا مَتِينًا)، وَكَذَلِكَ فِي الظَّرْفِ، نَحْوُ (قَامَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ يَوْمَانِ) تَصِيرُ (قِيمَ عَلَيْهِ يَوْمًا)... وَهَكَذَا مَا كَانَ فِي الْأَصْلِ زَائِدًا قَدْ يَتَحَوَّلُ بِمَقْصَدِ خُطَابِيٍّ مَعَيَّنٍ إِلَى شَيْءٍ ثَابِتٍ غَيْرِ زَائِدٍ وَهَذَا وَفْقَ قَانُونِ الْإِسْتِعْمَالِ.

إِذَا بَعْدَ إِخْرَاجِ الْمَفْعُولِ بِهِ مِنْ دَائِرِ الزِّيَادَاتِ كَوْنَهُ مِنْ أَصْلِ نَوَاةِ الْكَلَامِ، وَإِخْرَاجِ الْمَخَالَفَةِ لِلْإِخْتِصَاصِ، بِاعْتِبَارِهَا تَقَعُ فِي نِطَاقِ مَنْطِقِ الْكَلَامِ؛ أَيْ تُعْنَى بِالْجَانِبِ الْمَنْطِقِيِّ لِلُّغَةِ لَا لِعُنَاصِرِ الْبَنِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ، كَأَنَّ نَقُولَ الشَّيْءِ وَضَدَهُ مِنْ بَابِ الْقِيَمِ الْخِلَافِيَّةِ كَمَا اصْطَلَحَ عَلَيْهَا "تَمَامُ حَسَانٍ"، وَبَعْدَ إِزَاحَةِ هَذَيْنِ الْعُنَاصِرَيْنِ مِنْ دَائِرَةِ الزَّوَائِدِ تَصِيرُ سَبْعَةً وَهُوَ مَا حَصَرَهُ "الْحَاجُّ صَالِحٌ"¹.

وَالْقَرِينَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الثَّلَاثَةُ فَهِيَ النَّسْبَةُ، فَإِذَا كَانَ التَّخْصِصُ هُوَ حَصْرُ الْمَعَانِي وَتَضْيِيقُ دَائِرَةِ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي التَّرْكِيبِ اللَّغَوِيِّ؛ فَإِنَّ النَّسْبَةَ هِيَ الْخَاقُ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَى مَقْصُودِ الْأِسْمِ أَوْ الْفِعْلِ، وَمِثْلُ حُرُوفِ الْجَرِّ بِأَنْوَاعِهَا تَدْخُلُ عَلَى الْأَسْمَاءِ فَقَطْ لِتُعْطِيَ مَعْنَى الْخَاقِي فِي إِطَارِ الْجُمْلَةِ، وَكَانَتْ تَسْمَى بِ"أَدَوَاتِ التَّعْلِيلِ" عِنْدَ الثُّنَاةِ الْقَدَمَاءِ بِعِبَارَةٍ مَشْهُورَةٍ عِنْدَ الْإِعْرَابِ يَقُولُونَ: (الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِكَذَا)، فَإِذَا قُلْنَا: (خَرَجَ زَيْدٌ مِنَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ)؛ فَإِنَّ مَعْنَى

¹ - يُنْظَرُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحَاجُّ صَالِحٌ، الْبَنَى النَّحْوِيَّةُ، ص 167. (الْمَرْجِعُ السَّابِقُ)

ابتداء حدث الخروج حصل بـ"المدرسة"، ومعنى انتهاء حدث الخروج حصل بـ"المنزل"، وعليه فهو إلحاق الحدث بالاسم، أو هو حسب تعبير الأشموني أن "تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء وتنسبها إليها"¹.

ومن النسبة كذلك موضوع الإضافة، وهو اعتبار المتضايين كلفظة واحدة كما سبق تفصيل هذا في المطلب السابق (المستوى الصّرفي)، ويدخلان في علاقة إسنادية نسبية، وبالتالي تكون العلاقة القائمة بين المسند والمسند إليه قائمة على الإضافة، حيث كان هذا المصطلح قديماً يطلق على كل لفظ وآخر كأن نقول الخبر يضاف إلى المبتدأ، أو الفعل يضاف إلى فاعله، ثم استقلّ المصطلح دلالة ليعني ما نحن عليه اليوم من المضاف والمضاف إليه.

والقرينة الرابعة الأخيرة هي التَّبعية؛ وتعني التّوابع (الصّفة، والتوكيد، والبدل) التي تتصل بمتبوعاتها وفق قرائن لفظية سبق الحديث عنها في ظاهرة الإسناد، وهي بذلك تكون وفق قرينة العلامة الإعرابية، حيث الصّفة تتبع الموصوف في الحركة، وقرينة المطابقة في (الجنس، والعدد، والتعيين)، ووفق قرينة الرتبة فلا يمكن أن تتقدم الصّفة عن الموصوف، وكذلك التوكيد عن المؤكد، والبدل عن المبدل منه، كما أن العطف يتميز بحرف "الواو" وهي قرينة لفظية كذلك تدخل تحت قرينة الأداة، وحسب نظرية الموضوع فقد اعتبرها "الحاج" من الرّوائد الدّاخلية على نواة الكلام المفيد، وذكرنا مميزاتها، ويمكن أن نجمع هذه الثّلاثة (التّخصيص، والنّسبة، والتّبعية)، تحت اصطلاح عام من اقتراحنا وهو: "المعمولات الإضافية"؛ ونقصد بذلك أن كل الفروع المتعلّقة بالاختصاص، وما تضيفه معاني حروف الجر، والمضاف إليه، هي معمولات تضيف للجملة معاني وصفية لتتمين الحدث وهو العامل.

أما القرائن اللفظية فقد سبق الكلام عن العلامة الإعرابية، والمطابقة، وأرى بأن هذه الأخيرة تضم العلامة الإعرابية، كما أن العلامة تستقل عن المطابقة عندما تنتفي قرينة التّبعية، فبينهما خصوص وعموم، فكلّ مطابقة يلزم منها وجود علامة إعرابية مع غيرها، ولا يلزم من وجود العلامة الإعرابية حضور قرينة المطابقة، ثم تكلمنا عن قرينة الرتبة واشترطنا أن تكون حافظة للكلمات في أماكنها فلا تتقدم كلمة على أخرى على اعتبار الأصل، وإن حصل تقدّم كلمة على أخرى فهذا يعني خروجها عن مفهوم الرتبة التي تعتبر من مصطلحات علم النّحو إلى علم البلاغة الذي يقترح مصطلحا آخر وهو الترتيب باعتبار وضع "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471هـ)، ومنه باب التّقديم والتّأخير، وقرينة الصّيغة فيعني بأقسام الكلام (اسم، أو صفة، أو فعل)، وقرينة الأداة فمنها ما يخصّ الكلمة، فتدخل وتتقدم عليها، مثل حروف العطف والجر والجزم والنّصب والاستثناء والمعيّة وغيرها مما يُلاحظ دخولها على الكلمة

¹ - الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: محي الدين عبد الحميد، ص 228

وبالتالي تتعلق بحدود المستوى الصَّرْفِي في باب حد اللَّفْظَة، ومنها الَّتِي تدخل على الجملة وتحتل مرتبة الصِّدَارَة، كحروف الاستفهام والشرط والقسم والتمني والنهي، والنَّوَاسِخ جميعا (كان وأخواتها، وإنَّ وأخواتها)، وفائدة هذه القرينة أنها تميّز وتضبط القرينة المعنويّة السَّابِقَة وهي الاختصاص في فروعها مثلا (حدد الرجل موعدا) دلالة التعدية، و(حدد الرجل في الموعد) الظَّرْفِيَّة، و(حدد الرجل والموعد حضر) دلالة المعية، فنلاحظ دخول الأداة على الجملتين الأخيرتين غيّر معنى الجملة، إذا فقرينة الأداة مهمّة في التمييز بين معاني قرينة الاختصاص.

ولا يقتصر موضوع الإحالة على الضمائر فحسب، بل يتخذ أشكالا أخرى ك(أدوات التعريف والتنكير)، وطريقة عمل هذه الأخيرة تعتمد على معرفة القارئ بمعطيات النصّ، "إذ يفترض أن تحيل أدوات التعريف على

معلومات سابقة في النَّصِّ أو معلومات يعرفها منتج النَّصِّ ومتلقيه على السواء، وأن تحيل أدوات التنكير على نظام اللغة المشترك بين المتكلم والسامع¹.

فذكر لفظة "أن تحيل" ولفظة "معلومات" وهما عماد الإحالة بنوعيهما، فالهدف من الأدوات هو ربط المعلومات بطريقة تستوعب كلا من المتكلم والمخاطب، وقد تمتد من دراسة الجملة إلى دراسة سلاسل من الجمل، أو ما يُعرف في عرف اللسانيين بالنَّصِّ، "ذلك أن للإحالة أكثر من تصنيف، يتميز بعضها عن بعض من خلال معيار محدد للتقسيم كطبيعة المرجع المحال إليه، أو موضع المرجع بالنسبة للنص، أو موضعه بالنسبة للعنصر المحيل، أو بالنظر إلى طبيعة العنصر المحيل وهو المعيار المطلوب"².

محصل القول أنه تحدث لنا عن تصنيف الإحالة حسب ما يعود إليه، وذكر لفظ "الموضع"، فقد يكون المحال إليه في رتبة متقدمة أو متأخرة، فموضع الضمائر بأنواعها والظروف تكون حرة في التحرك ضمن إطار النَّصِّ ما بين سلاسل الجمل.

الحاصل: نظرية تضافر القرائن تجتمع معا لترصد لنا علاقات العناصر بعضها ببعض في إطار نظرية حدث المواضع، حيث أبانت الأخيرة على ما يكون من أصل الكلام المفيد، وما يمكن أن يدخل عليها من زوائد، فالقرائن تجتمع في إطار الموضع الخاص بكل قرينة، وإن كان الفصل بينها يشبهه على القارئ، فلا يكاد يميز بينها لتداخلها، ولكن المتخصص اللغوي يحتاج إليها مفصلة حتى يستوعب بهذه الأدوات الإجرائية الخطابات المعروضة للمناقشة والتحليل اللغوي العلمي، وهذا ما سنعمل على سؤقه في هذه المناسبة.

أولاً: تراكيبُ فُصْحَى العَصْرِ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الْجَاهِزِ "حِصَّةُ رِيُورَتَا جُ أُمُودَجَا":

بعد عرض التأسيس العلمي لموضوع النحو، نحتاج إلى معانية التراكيب اللغوية التي وردت في الخطابات العلمية في مجال الطب المتعلقة بالمادة الجاهزة؛ أي التي سبق إعدادها وإخراجها، وذلك وفق البناء النظري الذي طرحناه، واعتقادنا في نظريتي تضافر القرائن، وحدث الموضع هما الأساستان في البناء النحوي، ولا يمكن لأي نظرية أخرى أن تحل محلها، أو أن تستبق إلى الجديد، إلا بإذن القرائن المعنوية واللفظية وفق حدث الموضع الذي يعتبر مؤسساً لموضوع

¹ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ص 110. (المرجع السابق)

² - المرجع نفسه، ص 109.

القرائن، وستعرّف على الطريقة المثلى في تحليل الخطابات العلميّة وفق النظريّتين لعلّها تكون مجدية في الكشف عن آليات عمل الخطاب العلميّ المعاصر.

أ- عنوان الخطاب: غير الملقحين أكثر الفئات عرضة للإصابة بمتحور أوميكرون

ب- قائل الخطاب: تقديم عرض [روبورتاج] بقراءة سرديّة دون ظهور السارد (غير معروف).

ج- تاريخ الخطاب: نُشر بتاريخ 2021/12/25م.

د- وقت الخطاب: دقيقة واحدة وأربعة وخمسون ثانية (1د، 54ث)، وعند قص المقطع الذي ظهر فيه المتحدث بالدّارجة نحصل على دقيقة واحدة (1د) من الكلام الفصيح، والذي يناسب دورياً المادّة المعدّة مسبقاً.

هـ- تفريغ محتوى الخطاب: "أمام المنحى التصاعدي للإصابات بفيروس كورونا، وتسأل متحوّز أوميكرو إلى الجزائر، أطباءً ومختصّون يحذّرون من موجةٍ شرسةٍ وقاسيةٍ من الوباء، في ظلّ وتيرة التلقيح التي تبقى ثرواحٍ مكانها، إذ على الرّغم من أنّ الدّراسات أثبتت أنّ أعراض المتحوّز الجديد ليست خطيرة، إلا أنّ ذات الخبراء يوضّحون أنّها لن تكون كذلك، في الدول التي لم تبلغ نسبٍ عاليٍ من التلقيح، [دارجة لأحد المستضّافين]، موجةٌ صعبةٌ يتوقّعها أهل الاختصاص، خاصّةً بالنسبة لغير الملقّحين، الذين يشكلون نسبةً تسعين بالمئى من المتواجدين بالمستشفيات، ما يجعل إجباريّة الدفتر الصحي ضروريّةً حتمي، حسب ذات المختصين، [دارجة لأحد المستضّافين]، تفادي موجةٍ أكثر وطأة من سابقاتها، تبقى أهمّ توصيات خبراء الصّحّا، بمواصلة التقيّد بالإجراءات الوقائي، والتلقيح كفيل بالتقليل من المضاعفات الخطيرة، لمتحوّرات كوفيد تسعة عشر"¹.

و- طريقة العمل: يمكن أن نعتمد الجداول في التّحليل التّحوي، ونحاول أن نجتمع بين نظريتي تضافر القرائن وحدث الموضوع، حتّى تظهر ثمرة النظريّتين، باعتماد الأدوات التي حدّدناها سلفاً في الحديث عن النظريّتين، وسنرجى الكلام عن شرح ما جاء في المعيار الصّوّابي إلى التّعليق بعد عرض نتائج التّحليل، وهذا من باب التّنوع المعرفي، الذي يساهم في بناء خطاب متوازن.

1- القرائن المعنويّة في الخطاب العلميّ (العلاقات السّياقيّة):

جمل	نواة الكلام المفيد	زوائد داخلية	حدث الموضوع

¹ - <https://2u.pw/TgVKfF8M>, It was viewed on: 04/02/2023 at: 12:19

كلمات	إسناد	نسبة	اختصاص	تبعية	اختصاص	تعليل وفق المعيار الصوائي
أمام المنحى التصاعدي للإصابات بفيروس كورونا	-	المنحى (مضاف.إ.) لإصابات ، بفيروس (جار ومحور) كورونا (مضاف.إ.)		التصاعدي (صفة محرورة)	أمام (ظرفية)	جاءت "أمام" في موضع الابتداء، ولكن تعتبر زائدة حسب القاعدة، وإنما تقديم الظرف جاء وفق قواعد الاستعمال، وهذا راجع إلى أسلوب التركيب، لا إلى التركيب ذاته، وشرحنا الفرق سابقا.
وتسلل متحوّر أوميكرو إلى الجزائر	تسلل (مسند) متحوّر (مسند إليه)	أوميكرو (مضاف.إ.) إلى الجزائر (جار ومحور)		-		الفعل جاء في موضع الابتداء، والوقف على الساكن مخالف لأصل الفصحى، جاءت على قاعدة "سكن تسلّم"، بينما فسادها سابقا في المستوى الصوتي.
أطبّاء ومختصّون يحدّرون من موجة شرسة وقاسية من الوباء	أطبّاء ومختصّون (مسند إليه) يحدّرون (مسند)	من موجة، من الوباء (جار محور)		شرسة قاسية (صفة محرورة)		اسم ساكن في موضع الابتداء، مخالف لأصل الفصحى، جاءت على قاعدة "سكن تسلّم"، والأنسب للموضع هو اسم مرفوع "أطبّاء".
في ظلّ وتيرة التلقيح التي	وتيرة التلقيح (مسند إليه) تبقى ترواح مكاتها	في ظلّ (جار ومحور) وتيرة،	مكان (م. به)	التي (في محل صفة محرورة)		شبه الجملة جاءت في موضع الابتداء، والاستغناء على الجار والجرور أولى من الناحية التركيبية، لتصبح الجملة سليمة

تبقي ثُرَواخُ مكأنها	(مسند)	التلقيح (مضاف.إ.) "ها" ضمير (مضاف.إ.)			على هذا الوضع "وتيرة" التلقيح....".
إذْ على الرُّغمِ منْ أنَّ الدِّراسات أُثبتتْ أنَّ أعراضَ المتحوِّزِ الجديدِ ليستْ خطيرَ	الدِّراسات (مسند إليه) أُثبتت (مسند) أعراض المتحوِّز الجديد (مسند إليه) ليستْ خطيرَ (مسند)	على الرغم (جار ومجور) المتحوِّزِ (مضاف.إ.)	الجديدِ (صفة مجرورة)		جاء التعليل بـ"إذْ" في موضع الابتداء معللة حقيقة الدِّراسات، وكان الأنسب وضعا ترك عبارة "على الرغم منْ أنَّ"، فقد أفسدت المعنى وجعلت التَّركيب ضعيفا، ثم تمَّ تسكين لفظ "الدِّراسات" رغم النَّسخ قبلها "أنَّ" والصواب: "إذْ الدِّراسات أُثبتتْ....".
إلا أنَّ ذاتَ الخبراءِ يوضِّحونَ أنَّها لن تكونَ كذلكَ	ذات الخبراء (مسند إليه) يوضِّحون (مسند) "ها" يعود على المتحوِّز (مسند إليه) لن تكونَ كذلكَ (مسند)	الخبراءِ (مضاف.إ.)	-	إلا أنَّ ذاتَ الخبراءِ (الاستثناء)	بدأت الجملة بـ"إلا" للدلالة على معنى الإخراج؛ أي إخراج موضوع عن موضوع من باب الاختصاص، وموضع الاستثناء الأولى به أن يكون بعد العلاقة الإسنادية، والتَّركيب المتين يستوجب ذلك، مثال: "الخبراءُ يوضِّحون...."، وكأنَّ الاستثناء زاد المعنى غموضا.
في الدولِ الَّتِي لم تبلغْ	-	في الدول، من التلقيح	نسبَ (مفعول)	عالي (صفة)	شبه جملة تتقدم الجملة ابتداءً، وتكثر في هذا الخطاب، وقد

نسب عالي من التلقيح	(جار ومجرور)	(به)	منصوبة	تُفسد الوضع العربي الأصل للتركيب السليم.
موجة صعبة يتوقعها أهل الاختصاص	الاختصاص (مضاف.إ) أهل الاختصاص (مسند إليه)	"ها" ضمير (م. به)	صعبة (صفة مرفوعة)	تتداخل الجملة في علاقتها الإسنادية، جاء في موضع الابتداء اسم مرفوع، (مبتدأ)، وخبرها جاء جملة فعلية "يتوقعها"، ثم جاء هذا الخبر في موضع جامع بين "موجة" المبتدأ، وأهل "الفاعل".
خاصة بالنسبة لغير الملقحين	بالنسبة، لغير (جار ومجرور الملقحين (مضاف.إ)	-	خاصة (حال)	تقدم الحال موضع الابتداء، ليرصد هيئة "غير الملقحين"، ويحمل دلالة الملابس؛ أي ملابس حقيقة أنهم خاصة، على غرار غيرهم العامة.
الذين يشكلون نسبة تسعين بالمائة من المتواجدين بالمستشفيات	الذين (مسند إليه) يشكلون نسبة تسعين بالمائة من المتواجدين بالمستشفيات (مسند)	نسبة (م. به)	-	ابتدأت الجملة باسم صلة موصول "الذين" التي تعود على "غير الملقحين" وموضعها جاء في محل جر نعت، كما يمكن أن تكون في محل رفع مبتدأ، باعتبار سياقها الاستثنائي، والعود فيها إلى المتواجدين بالمستشفيات.
ما يجعل إجبارية الدفتر	"ما" تعود على النسبة الكبيرة لغير	إجبارية، ضرورية (م. به)	الصحي (صفة منصوبة)	تقدمت الجملة باسم صلة موصول "ما" بمعنى "الذي"، وموضعها يدعو إلى تبين

الصحي ضروريةً حتمياً	الملقحين (مسند إليه) يجعلُ (مسند)				العائد، وهو "غير الملقحين"، والموضع أبان عن نوعية القرائن المتخذة في هذا الخطاب، من الضمائر.
حسب ذاتِ المختصينِ	-	ذاتِ، المختصينِ (مضاف.إ.)	-		الموضع المتخذ في هذه الجملة مشهور في اللغة المعاصرة، حيث نوع الظرف يخصص الفكرة.
تفادي موجةٍ أكثرَ وطأةٍ من سابقتها	تفادي موجة (مسند إليه)	موجةٍ، وطأةٍ (مضاف.إ.) من سابقاتِ (جار ومجرور) "ها" ضمير للاسم (مضاف.إ.)	أكثرَ (صفة مجرورة)		جاء موضع الابتداء موقفاً لطبيعة الوضع العام للتركيب اللغوي، ثم دخلها الوصف، فاحتملت معاني تفصيلية، وتأخر حصول الخبر إلى الجملة الَّتِي تليها، وهذا قد يُفضي إلى تلاشي الخبر، وليس من تمام البلاغة التركيبية السليمة.
تبقى أهمُّ توصياتِ خبراءِ الصِّحَا	تبقى (مسند) أهم توصياتِ خبراءِ الصِّحَا (مسند إليه)	توصياتِ، خبراءِ، الصِّحَا (مضاف.إ.)	-		جاء الفعل في موضع الابتداء ولكنه ليس مبتدأً، فالسِّيَاق يحدد وظيفة الكلمة على أنه خبر لمبتدأ، ثم هو عامل فيما بعده "أهم...".
بمواصلةِ التقيُّدِ بالإجراءاتِ	-	بمواصلةِ، بالإجراءاتِ (جار)	الوقائي (صفة مجرورة)		شبه جملة تتقدم الجملة ابتداءً، وتكثر كما أشرنا سابقاً، وقد تُفسد الوضع العربي الأصل

الوقائِي		وَمَجْرُورِ) التَّقْيِيدِ (مُضَافٌ.إِ)			لِلتَّرْكِيبِ السَّلِيمِ، خَاصَّةً إِذَا كَثُرَتْ فِي السِّيَاقِ اللَّغَوِيّ.
التَّلْقِيحُ كَفِيلٌ بِالتَّقْلِيلِ مِنْ المُضَاعَفَاتِ الْخَطِيرِ	التَّلْقِيحُ (مُسْنَدٌ إِلَيْهِ) كَفِيلُ (مُسْنَدُ)	بِالتَّقْلِيلِ، مِنْ المُضَاعَفَاتِ (جَارِ وَمَجْرُورِ)	الْخَطِيرُ (صِفَةُ مَجْرُورَةٍ)		اسْمُ سَاكِنٍ فِي مَوْضِعِ الْإِبْتِدَاءِ، مُخَالَفٌ لِأَصْلِ الْفَصْحَى، ثُمَّ الْخَبَرُ مِثْلُهُ جَاءَتْ عَلَى قَاعِدَةِ "سَكَّنَ" تَسْلَمَ"، وَالْأَنْسَبُ لِلْمَوْضِعِ هُوَ اسْمُ مَرْفُوعٍ "التَّلْقِيحُ".
لِمُتَحَوِّرَاتٍ كَوْفِيدُ تِسْعَةٍ عَشَرَ	-	لِمُتَحَوِّرَاتٍ (جَارِ وَمَجْرُورِ) كَوْفِيدُ (مُضَافٌ.إِ)	تِسْعَةُ عَشَرَ عَدَدُ مَرْكَبٍ فِي مَحَلِّ جَرٍ نَعْتِ مَبْنِي عَلَى فَتْحٍ الْجُزْأَيْنِ.		شَبَهَ جُمْلَةً تَتَقَدَّمُ الْجُمْلَةُ ابْتِدَاءً، وَتَكْثُرُ كَمَا أَشْرْنَا سَابِقًا، وَقَدْ تُقْسَدُ الْمَوْضِعُ الْعَرَبِيُّ الْأَصِيلُ لِلتَّرْكِيبِ السَّلِيمِ، خَاصَّةً إِذَا كَثُرَتْ فِي السِّيَاقِ اللَّغَوِيّ، وَهُوَ مَا حَدَثَ لِلْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ، فِي خُطَابٍ قَصِيرٍ.

(جدول 01)

تعليق

بعد الانتهاء من عملية التحليل النحوي بطريقة تُعتبر جديدة في المجال التطبيقي، حيث جمعت بين دراستين هامتين، الأولى لـ"تمام حسّان" وهي ما تُعرف بنظرية تضافر القرائن، ونظرية الموضع لـ"الحاج صالح"، واستدركت في بعض المناسبات عليهما تحقيقاً للوحدة والتكامل المعرفي، وجعلت الدراستين خادمتين للتحليل، واستثمرت الأدوات التي استعنا بها في الشرح، ويمكن تلخيص التعليق على الجدول في النقاط التالية:

1- الإسناد: عدد الجمل إجمالاً سبعة عشر (17) جملة، فيها إحدى عشرة (11) جملة تتوفر فيها شروط

الإسناد، بعد إخراج الجمل التي خلا موضع الابتداء فيها من الاسم المرفوع أو الفعل؛ بسبب وجود جمل تموضع فيها

الجار والمجرور بكثرة، ومعلوم أن تقديمه لا يقرُّه القانون النحوي، لأنَّه يتجاوزُه إلى الإطار البلاغيّ كإفادَة الحصر والقصر، أو أهمية ذكر الموضوع، ولكن الذي يُعاب في الخطاب استخدامها بكثرة، حتّى في الجمل التي استقامت على القانون النحوي رغم قصر الخطاب الزماني، ممّا أفسد على المتذوّق والمتعلّم حاجته في المعرفة، ورغم ذلك فبساطته تدعو كلّ شخص إلى استعابه، وهذا هو المطلوب في مقام الإعلام؛ لأنّ الخطاب المتعسّر لفظه قد يُساء فهمه، أو يساوم على طرح فاسد، فمقام الإعلام غير مقام الجامعة أو دور العلم وهكذا، ومع ذلك لا يجب أن يتساهل المعدّ والمخرج للخطاب إلى درجة إسقاط الحركات الواضحة، مثل الاسم في بداية الجملة أو الفعل، فدائما في موضع الابتداء يكون الرفع حقيقة الاسم، وحقيقة كل فعل مضارع ما لم يدخل عليه شيء (عامل نحوي خارجي)، والفتحة حقيقة كل فعل ماضٍ ما لم يتصل به شيء.

أما من حيث امتداد "الجملة طولا"¹؛ فهي أصل هذا الخطاب، فلا نكاد نجد فيه جملا قصيرة أبدا، فقد نجد جملتين من نوع آخر يُصطلح عليها "الجملة المتعددة" وذلك في المثالين: (أنّ الدّراسات أثبتت أنّ أعراض المنحور الجديد ليست خطيرة، إلا أنّ ذات الخبراء يوضحون أنّ ها لن تكون كذلك)، ووجدت جملة واحدة جاز أن أُصطلح عليها بالجملة المشتركة، رغم عدم وجود التسمية عند المتأخرين، فالنوع الأوّل الطويلة، والثانية المتعددة، ونوع آخر الجملة المركبة وهذا لم نجده في هذا الخطاب، بل وجدنا نوعا آخر وهو مبتدأ في طرف جملة، وخبر في طرف جملة أخرى، وهو عبارة عن فعل، ثم هذا الفعل نفسه بُني على فاعل بعده، فارتأيت تسميته بالجملة المشتركة لاشتراك عنصر واحد في تقرير حكم على جملتين، وذلك في قول المتكلّم: (تفادي موجة أكثر وطأة من سابقاتها، تبقى أهمّ توصيات خبراء الصحّا).

الجملة الفعلية "تبقى" هي خبر للجملة الماضية، وهي فعل مضارع للفاعل "أهمّ..."، فعندما نستثني هاته الجمل الثلاثة من إحدى عشرة نحصل على ثمانية جمل طويلة، وهذا يدلّ على شيء مهم وهو أن الخطاب العلميّ هو خطاب تفصيلي، لا يكتفي بعرض الأفكار العامّة فحسب، بل يقوم بشرحها وتبسيطها للرأي العام حتى تنفذ إلى

¹ - وتعرف الجملة الطويلة على أنّها: "الجملة المكونة من مركب إنشادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما.. وللجملة الطويلة أو الممتدة وسائل منها: ما يتعلق بالفعل من مفعول به أو ما يدل على زمانه أو مكانه أو نوعه، أو علته أو هيئته.. ومن الوسائل أيضا ما يتعلق باسم سواء أكان الاسم طرفا في الإسناد أم لا، أو يذكر نعت أو توكيد أو بدل أو غيرها من الفضلة" (ليلي خلف أيوب السبعان، قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، ص 128)، (المرجع السابق)

العقول، وإن وُجد فيها بعض التساهل الذي حصل بالجملة المشتركة وتعدد الإسناد في الجملة الواحدة، قد يعصف بذهن المستمع إلى التشتت رغم بساطتها.

2- **النسبة:** أما الوسيلة النحويّة الثّانية فهي متكافئة تقريبا بين نسبة الاسم إلى الجر، أو نسبته إلى المضاف، وهذان الفرعان الأساسيّان من فروع النّسبة؛ أي نسبة معاني حروف الجر إلى المقصود في الجملة، وهي كثيرة ذكرناها سابقا، وكذلك نسبة معنى التّخصيص المتعلّق بالمضاف إليه، وردت في الخطاب إجمالا إحدى وأربعين (41) مرّة، منها إحدى وعشرون (21) مرّة للجار والمجرور، وعشرون (20) مرّة للمتضايّفين، وهي متكافئة جدا، وتعيننا هذه القرينة على تلمس مواضع الحصر وتحديد المعنى، فكلما وجدنا اسما قبله حرف جر عملنا على تعيين معناه للقرب من محتوى الجملة بطريقة أعمق، فلو أخذنا جملة من الخطاب سنجد مثل هذا القصد نحو: (أطبّاءٌ ومختصّونٌ يحذّرون من موجةٍ شرسةٍ)، فالحرف أعطى في الجملة أو علّق عليها معنى التّخصيص؛ إذ من معاني "من" التّخصيص، وهو تخصّيص حدث التحذير على شيء يهدد كيان المتلقّي، وهذا الشيء هو الموجة الشرسة، الّتي تُفهم في إطار سياق النّص.

إذا قرينة النّسبة تساهم بشكل واضح على حصر المعاني وتحديدّها وتعلّيق بعضها ببعض، وهذا الحصر يساعد المتلقّي على فهم ما يدور من أحداث ضمن سياق النّص، فكلما كثر تعيين الحدث سهل إلتفاف به، وإذا تعيّن حصل الإدراك، وحصول الإدراك يدعو إلى العمل، وهنا مسألة هامة وهي أن القرينة تدخل في حدود اللفظة، لا في حدود الكلام، لذا جاز سحبها من القرائن النّحويّة وإسنادها إلى القرائن الصّرفيّة، ولكن بما أن الصّرف يحيل إلى النّحو فهي جزء منه، فالقرينة يمكن أن تكون مشتركة فهي صرفية تتعلق بحدود اللفظة، ونحوية تتعلق بحدود الكلام المفيد، رغم كون الإفادة المركزيّة لا تحصل بالجار والمجرور بقدر ما هي زيادة إفادة إلى درجة الإقناع.

3- **التّبعية:** هذه الوسيلة تزيد العناصر اللّغويّة الّتي وردت قبلها توضيحا، وما ورد من التّوابع في هذا الخطاب هو الصّفة اثنا عشرة (12) مرّة فقط، ولم نر التّوكيد ولا البدل، ولذا الصّفة وصف بالحدث على وجه الثّبوت كما ألحنا إلى هذا في المستوى الصّرفي، والصّفة تدخل في حدود اللفظة، كون الصّفة كلمة مستقلة عن الموصوف؛ أي الموصوف كلمة، والصّفة كلمة، إلا أنّهما يشكّلان معا مصطلح اللفظة الّتي ذكرناها، رغم استقلال الصّفة إلا أنّها تابعة للموصوف، وحضوره بهذا العدد المتوسط يدعو إلى الجزم بأن الموضوعات العلميّة دائما تعتمد على وسيلة التّبعية لتقرير الأحداث والإبانة عنها حتى تناسب السيّاق العام للخطاب، وتعتبر الصّفة كفرع من فروع المتبوعات وسيلة تتعلق باللفظة لا بالكلام المفيد رغم أنّها جزء منه.

4- الاختصاص: تعتبر وسيلة الاختصاص من الوسائل التوضيحية التي تعطي للجملة معاني خاصة، كالتفسير بالنسبة للتمييز، والملابسة بالنسبة للحال، والظرفية للظروف، وشرحنا هذا سابقا، وهنا في الخطاب يوجد من الاختصاص ما يتعلّق بأصل الكلام المفيد؛ أي لا يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به، الذي ورد ست (06) مرّات، لأنه من العناصر الأساسية للجملة الفعلية، فلا يتم توضيح الحدث الذي يحتاج إلى فاعل ومفعول إلا به، وله معنى التعدية، والأفعال المتعدية تحدّد مقصود الخطاب، أما الاختصاصات الأخرى كالحال الذي ورد مرّة واحدة يمكن الاستغناء عنه، فهو يزيد وضوحا للهيئة المقصودة بالحدث، كما أنها لا تدخل في حدود اللفظة، بل لها علاقة بالكلام المفيد، الذي يمكن الاستغناء عنه، لأن الإفادة إفادتان، إحداها تتعلق بنواة الكلام، والأخرى شأنها شأن الزيادة في توضيح الإفادة، فهي وسيلة نحوية بامتياز.

أما عن نظرية حدث المواضع فقد علّقنا على كلّ لفظة بما يناسبها في الموضع، فيغني ما علّلنا به في الجدول.

الحاصل:

بعد عرض التطبيق المفصّل على لغة الخطاب تبين أنّ وسلقيّ الإسناد والاختصاص تتعلّقان بحدود الكلام المفيد، والتبعية تنحصر في الصفة وما لها من أثر وظيفي في التركيب، أما النسبة التي تُعنى وظيفيا بإلحاق معاني حروف الجرّ إلى مجروراتها فهي متكافئة مع مفهوم التبعية في انتمائها إلى حدود اللفظ، فهي صرفية على مستوى اللفظ، وعرفنا أنّ الخطاب إلى حدّ ما سليم من حيث العرض، رغم ما تنقصه من دقّة في تأدية المعاني الوظيفية، وما يكتنفه من غموض بسبب التداخل والتشعب في استعمال التراكيب .

2- القرّائُن اللَّفْظِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الْجَاهِزِ

جمل	نواة الكلام المفيد				زوائد الدّاخلة	حكم
تفصيل	ع. إ	مطابقة+ صيغة	ربط	أداة	ع. إ	رتبة وتعليل
أمام	/	/	/	/	ـ	الظرف متقدم عن أصل
المنحى	ـ	مذكران+ مفردان+	"ال"1	ـ	/	رتبته؛ لأنها غير محفوظة،

¹ - يعتبر حرف التعريف "ال" من أهم ما ركّزت عليه الدراسات اللسانية الغربية كثيرا، وقامت على إثره النظريات، مثل الأبحاث التي قدّمها "هارالد فاينريش" (Harald Weinrich) (1927م، 2022م)، حيث اعتبرها ضمن قضية الإحالة، وعالجها في ضوء دراسته لأدوات التعريف والتشكيك في اللغتين الألمانية والفرنسية، ومن خلال فكرة الأداة ودورها النصي قدّم بحثا حول "توجيه الأتصال" عام 1969م، وعمل على بحث آخر وهو "نظرية الأداة"

التصاعدي	-	التعريف (تطابق)	"ال"	-	/	وخرج عن الإطار النَّحو إلى
للإصابات	ـ	اسم جمع (صيغة)	-	لام الجرّ	/	إطار أوسع وهو الإطار
بفيروس	ـ	اسم مفرد (صيغة)	-	باء الجرّ	/	البلاغي (علم المعاني).
كورونا	-	اسم مفرد (صيغة)	-	-	/	
وتسلّل	ـ	فعل مفرد (صيغة)	-	-	/	رتبة الفعل محفوظة، وكذلك
متحوّز	ـ	صفة مفردة (صيغة)	-	-	/	الفاعل، وبه حصل التّركيب
أوميكرو	-	اسم مفرد (صيغة)	-	-	/	النّحوي دون إخلال في
إلى الجزائر	ـ	اسم مفرد (صيغة)	-	إلى الجرّ	/	الترتيب رغم تسكين الكلم.
أطبّاء	ـ	التذكير + الجمع +	-	-	/	رتبة الاسم محفوظة، جاء في
ومختصّون	الواو	التنكير (تطابق)	-	العطف	/	محل الابتداء (عامل
يحذّرون	الثبوت	مذكر + جمع + ع.إ.	-	-	/	معنوي)، وكذلك جاء الخبر
من موجة	ـ	كلمات مؤنثة +	-	من الجرّ	/	جملة فعلية رتبته محفوظة في
شرسة وقاسية	ـ / ـ	مفردة + نكرة	-	العطف	/	التّركيب، فهي جملة اسمية
من الوباء	ـ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	من الجرّ	/	سليمة من حيث التّركيب
						غير محقّقة للعلامات
						الإعرائية المناسبة.

سنة 1973م، فالأول يُعنى بالأدوات من حيث توجيهها في النص، والثاني يسعى إلى ربط المتلقي/المستمع من خلال الإحالة القبليّة والبعديّة. (يُنظر: رزيق بوزغاية، وركات في لسانيات النص، ص 103 وما بعدها)، (المرجع السّابق).

فالدكتور "تمّام حسان" اعتبر أداة التعريف "ال" ضمن قرينة المطابقة تحديدا في عنصر التعيين، ولم يذكرها ضمن الروابط أو الأدوات، وهذه نظرتة حول الفكرة، وتخريجه في ذلك هو أن الروابط عبارة عن ضمائر مبنية وأحرف رابطة بين جملتين كالشرطية والقسم، وأما الأدوات فقد لخصها في فكرتين إحداها تتعلق بالأدوات الداخلة على الكلمة، والأخرى داخلة على الجملة وهي في محلّ الصدارة، وتعمل في الفعل أو الاسم عملها، في حين "ال" لا تعمل غير اختبار قرينة التعيين، ولكن هذا التعيين قد يحيل إلى معلومات سابقة أو لاحقة وهي بمثابة الرابط بين المعلومات.

في ظلّ	ـَ	التأنيث + الإفراد +	ـ	في الجرّ	/	رتبة الجار والمجرور غير
وتيرة	ـَ	التنكير (تطابق)	ـ	العطف	/	محفوظة؛ حيث تقدمت
التلقيح	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	ـ	/	الجملة بداعٍ بلاغي، خرج
التي تبقى	ـ	فعلان + التأنيث +	التي	ـ	/	عن الإطار النحوي إلى ما
ثرواح	ـُ	الإفراد (تطابق)	ـ	ـ	/	بعده لخصوصية أسلوبية،
مكان	ـَ	اسم (صيغة)	ـ	ـ	/	محققة للعلامة الإعرابية
ها	ـ	ضمير (صيغة)	ضمير	ـ	/	المناسبة، وهو الجرّ حقيقة.
إذْ على الرُّغمِ	ـَ	حرفان + اسم	ـ	التعليل	/	تقدم حرف التعليل "إذ"
منْ	/	حرف (صيغة)	ـ	من الجرّ	/	صدارة الجملة؛ لأن رتبة
أَنَّ الدِّراسات	ـُ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	أَنَّ	/	الأدوات المتعلّقة بالجملة
أُثبِتَ	ـَ	فعل مفرد (صيغة)	ـ	ـ	/	محفوظة، كالشرط والقسم،
تْ	ـُ	ضمير (صيغة)	ضمير	ـ	/	والاستفهام، وهذا منطق
أَنَّ أعراضَ	ـَ	اسم جمع (صيغة)	ـ	أَنَّ	/	النحو في اللغة العربية،
المتحوّز	ـُ	التذكير + الإفراد +	"ال"	ـ	/	حيث تتقدّم أداة التعليل
الجديدُ ليسَتْ	ـُ	التّعريف (تطابق)	"ال"	ليستْ	/	قبل التعليل نفسه.
خطيرَ	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	ـ	ـ	/	

إلا أنَّ ذات	/	/	/	أَنَّ	ـَ	تَقَدُّمُ حرف الاستثناء "إلا"
الخبراء	ـِ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	-	/	صدارة الجملة؛ فلا يمكن
يوضِّحون	الواو	فعل جمع (صيغة)	-	-	/	تأخيرُه عن المستثنى منه،
أَنَّها	-	حرف + ضمير	ضمير	أَنَّ	/	ترتبة الأدوات المتعلِّقة
لن	-	حرف (صيغة)	-	لن	/	بالجملة والكلمة محفوظة،
تكونَ	ـَ	فعل مفرد (صيغة)	-	تكون	/	كالعطف، والتَّواسخ.
كذلك	ـُ	حرف + ضمير	ضمير	كاف	/	
			إشارة	الجَرِّ		
في الدول	ـِ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	في الجَرِّ	/	رتبة الجار والمجرور غير
الَّتِي لم تبلغ	ـُ	فعل مفرد (صيغة)	-	لم الجزم	/	محفوظة تقدمت الجملة
نسب عالي	ـَ / ـِ	التأنيث + الإفراد + التنكير (تطابق)	-	-	/	بداءٍ بلاغي، خرج عن
من التلقيح	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	من الجَرِّ	/	الإطار النَّحوي إلى ما بعده
						لخصوصية الاستعمال.
موجَّهة صعبة	ـُ / ـِ	التأنيث + الإفراد +	-	-	/	رتبة الاسم محفوظة، جاء في
يتوقَّع	ـُ	التنكير (تطابق)	-	-	/	الابتداء، وكذلك الخبر جملة
ها	-	ضمير (صيغة)	ضمير	-	/	فعلية رتبته محفوظة.
أهل	ـُ	اسم جمع (صيغة)	-	-	/	
الاختصاص	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	-	/	
خاصَّة بالنِّسبة	/	/	/	/	ـُ	اسم منصوب في موضع
لغير الملقَّحين	ـِ / ـِ	حرفان + اسمان	"ال"	باء، لام	/	الابتداء رتبة غير محفوظة،
	الياء	اسم جمع (صيغة)	"ال"	-	/	أسلوب تخصيص مقبَد.

الَّذِينَ	ـَ	ضمير (صيغة)	الَّذِينَ	ـ	/	رتبة الاسم محفوظة من
يشكلون نسبةً	الواو	فعل جمع (صيغة)	ـ	ـ	/	المبنيات، الضمير الموصول
تسعينَ	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	ـ	ـ	/	"الَّذِينَ"، حيث جاء في
بالميمًا	الياء	اسم (صيغة)	ـ	ـ	/	موضع الابتداء، باعتبارها
منَ المتواجدينَ	ـ	حرف + اسم	ـ	باء الجرِّ	/	جملة استئنافية، أما إن
بالمستشفيات	الياء	اسم جمع (صيغة)	"ال"	من الجرِّ	/	أخذنا منطق السِّياق فإنها
	ـُ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	باء الجرِّ	/	في محل صفة وتبقى
						محفوظة، على اعتبار
						الموصوف قبلها.
ما يجعلُ	ـُ	فعل مفرد (صيغة)	ـ	ـ		رتبة الاسم محفوظة من
إجباريةً الدفترِ	ـَ	اسم (صيغة)	ـ	ـ		المبنيات وهو الضمير
الصحي	ـِ	التذكير + الإفراد +	"ال"	ـ		الموصول "ما" جاء في
ضروريةً	ـ	التَّعريف (تطابق)	"ال"	ـ		موضع الابتداء، باعتبارها
حتميًا	ـُ	التأنيث + الإفراد +	ـ	ـ		جملة استئنافية، أما في
	/	التنكير (تطابق)	/	/		السِّياق الكامل فإنها في
						محل صفة، وتبقى محفوظة،
						على اعتبار الموصوف.
حسبَ	/	/	/	/	ـَ	الرُّتبة غير محفوظة، واحتمال
ذاتِ	ـِ	اسم (صيغة)	ـ	ـ	/	لفظ "حسب" في السِّياق
المختصينَ	الياء	اسم جمع (صيغة)	"ال"	ـ	/	تدعو للتداخل الوظيفي.

تفادي	-	اسم (صيغة)	-	-	/	رتبة الاسم محفوظة مع كثرة
موجة	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	-	-	/	الأوصاف وتعددتها يجعل
أكثر	ـُ	اسم (صيغة)	-	-	/	الكلام لا ينفذ إلى الخبر
وطأة	ـِ	اسم (صيغة)	-	-	/	مباشرة، إلا في الجملة التي
من سابقات	ـِ	اسم جمع (صيغة)	-	من الجرّ	/	بعدها، وهذا قد يجعل
ها	-	ضمير (صيغة)	ضمير	-	/	التّركيب ضعيفا، إلى درجة قد يُتجاهل فيه الخبر.
تبقى	-	فعل مفرد (صيغة)	-	-	/	رتبة الفعل محفوظة، وقد
أهمُّ	ـُ	اسم (صيغة)	-	-	/	جمعت بين كونها خبرا لما في
توصيات	ـِ	اسم جمع (صيغة)	-	-	/	الجملة الماضية "تفادي"
خبراء	ـِ	اسم جمع (صيغة)	-	-	/	وبين كونه فعلا مسندا
الصِّحاحا	-	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	-	/	للفاعل "أهمُّ".
بمواصلة	ـِ	اسم (صيغة)	-	باء الجرّ	/	رتبة "الجار والمجرور" غير
التقييد	ـِ	اسم (صيغة)	-	-	/	محفوظة تقدمت الجملة
بالإجراءات	ـِ	التأنيث + الجمع +	"ال"	باء الجرّ	/	ولكنها في إطار نحوي
الوقائيا	-	التّعريف (تطابق)	"ال"	-	/	سليم؛ لأنها تنتمي للجملة السّابقة، فالوقف الذي قام به المذيع غير مناسب.
التلقيح	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	-	/	رتبة الاسم محفوظة،
كفيل	ـُ	اسم (صيغة)	-	-	/	"التلقيح" جاء في موضع
بالتقليل	ـِ	اسم (صيغة)	"ال"	باء الجرّ	/	الابتداء، وكذلك الخبر
من	/	حرف (صيغة)	"ال"	من الجرّ	/	"كفيل" رتبته محفوظة في
المضاعفات	ـِ	التأنيث + الجمع +	"ال"	-	/	التّركيب، وبالتالي علاقة

الخطير	-	التعريف (تطابق)	"ال"	-	إسنادية كاملة وموقّعة.
لمتحوّرات	ـ	اسم جمع (صيغة)	-	لام الجرّ	رتبة "الجار والمجرور" غير
كوفيد	ـ	اسم مفرد معرب	-	-	محفوظة تقدمت الجملة،
تسعة عشر	ـ / ـ	اسمان مركبان	-	-	ولكنها في إطار نحوي
					سليم؛ إذا راعينا السياق
					اللغوي؛ لأنها تنتمي للجملة
					السابقة، فالوقف الذي قام
					به المذيع غير مناسب.

(جدول 02)

تعليق:

بعد استقراء جدول القرائن المعنويّة والعلاقات التي تحكم سير الخطاب وهو الأصل في التّواصل البشري، فما كان استخدامنا للغة إلا لحمل الأفكار التي نريد تبليغها، كما أنّه لا يمكن حمل هذه الأفكار إلا بلغة لها سمات شكلية خاصّة، وتظاهرات ثابتة يستطيع من خلالها المتكلّم تأدية قصده بخلق معانيه فيها، ولذا من خلال الجدول يمكن أن نتحقّق من هذا الشّكل التّركيبي وفق القرائن اللفظيّة ونعرضها في النقاط التّالية:

1- العلامة الإعرابيّة: بما أنّها ليست كافية في تحديد الباب النّحوي الذي تنتمي إليه العناصر اللّغويّة، وليست الوحيدة القادرة على إبراز المعاني، فإنّنا لو استعينا عن الحركات الإعرابيّة كما في بعض العناصر التي وردت في الخطاب لن يفسد المعنى، ولكن ينقصه الضّبط، وضابط عدم فساد المعنى هو حصول التّواصل بين الأفراد، ألم تر أنّنا نتكلّم الدّارجة التي لا حركات إعرابية ظاهرة فيها ومع ذلك يتم التّواصل وفهم المقصود؟، بلى، لذلك لا تعتبر العلامة وحدها كافية في تقرير مصير التّركيب، ومثل ما ورد في الخطاب كلمات ساكنة الآخر ولم يضر ذلك في المعنى، مثل (أنّ الدّراسات أثبتت أنّ أعراض المتحوّز الجديد ليست خطير [0.])، سكون لفظ "دراسات" مع دخول "أنّ" النّاسخة مخالف للقاعدة النّحويّة المعروفة، ومع ذلك لم يفسد المعنى، ومثله في لفظ "المتحوّز" الذي يُنسب إلى السياق وإلى قرينة قبله وهي لفظ "أعراض" التي جاءت غير معرفة صيغةً، مما يستوجب تعريفها بـ"ال" أو الإضافة، وبالتالي الثّانية أقرب شكلاً، فتكون لفظة "المتحوّز" في موضع المضاف إليه وهكذا يحصل تحديد الإعراب والكشف عن نوع

الباب عن طريق النسبة التي مرت معنا، وهو نفسه في لفظة "الجديد" بقرينة التبعية استطعنا الكشف عن الباب الذي تنتمي إليه لغلبة شروط الصفة من كونها تتبع الموصوف في (التعيين، والعدد، والشخص) مع عدم وجود العلامة الإعرابية، والحكم للأغلب، وكذلك (أطباء ومختصون يحدون...)، سكون لفظة "أطباء" في موضع الابتداء، ومع ذلك لم يختل المعنى؛ لأن حدث الموضع حدّد الباب النحوي، ويعتبر قرينة من القرائن المعنوية تتداخله قرائن أخرى من قبيل الصيغة، والرتبة.

2- المطابقة+ الصيغة: هاتان الوسيلتان تعتبران معاً كقرينة واحد مشتركة، على اعتبار أن الصيغة هي من جزئيات قرينة المطابقة، وكلاهما يبحثان في النوع والعدد، وتنفرد المطابقة عنها بالتعيين، والعلامة الإعرابية، وتعمل في حضور عنصرين لغويين فأكثر، أما الصيغة يكفي أن تنظر في عنصر واحد وتحدد بنيتها الشكلية، ولا يمكن الوصول للمطابقة ما لم نتزود بقرينة الصيغة، ومثاله في الخطاب (المنحى التصاعدي) أو (الدفتر الصحي)...، فنلاحظ في العبارة الأولى لفظة "المنحى" من حيث الصيغة هي اسم ومفرد، تطابق لفظة "التصاعدي" كونها اسماً ومفرداً، وتزيد على الصيغة قرينة أخرى وهي الأداة تتمثل في "ال" التعريف، ولم يجعلها "تمام حسن" ضمن الأدوات بل اكتفى بوضعها كفرع من فروع المطابقة تحت اصطلاح "التعيين" وبيّنا لماذا أحقناها ضمن الأدوات، على اعتبار الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، ومنها تعلّقت بموضوع الإحالة كما سيأتي، وفي المثال لا توجد فيه العلامة الإعرابية حتى نبي المطابقة بفروعها الأربعة، ومع ذلك توفر ما يمكن من خلاله أن نحكم به على اللفظتين، وقرينة المطابقة تساند فرعا من فروع التبعية وهي الصيغة، هذا الذي يظهر، وكأنها جعلت للكشف عن صيغة مخصوصة وهي الصيغة، في حين تستقل الصيغة عنها بكونها عامّة على جميع العناصر اللغوية تكتفي بتحديد القسم الذي تنتمي إلى الكلمة، لسهولة الكشف عن حقيقتها بقرائن أخرى.

3- الربط: بما أن الربط قرينة لفظية تتمثل في الكشف عن علاقة الجمل بعضها ببعض أو جعل بعضها من بعض وتتم عن طريق الضمائر أو فاء جواب الشرط، أو لام جواب القسم، أو التكرار ولا يوجد هذا الأخير ضمن الخطاب المعروض أو "ال" التعريف، وفي مقابل ذلك نجد الضمائر الموصولة (سبق شرح لماذا جعلناها ضمن الضمائر بدل الأسماء)، وضمير الشخص، و"ال" التعيين، أما النوع الأول فنراه في العبارات التالية: (في ظلّ وتيرة التلقيح التي تبقى تُروّح مكأها) إحالة قبلية تعود على "وتيرة التلقيح"، وفي عبارة (الذين يشكلون نسبة تسعين بالمائة من المتواجدين بالمستشفيات) مرجع الضمير الموصول إلى الجملة الماضية تحديداً في معلومة "غير الملحقين"، وفي عبارة (إلا

أَنَّ ذات الخبراء يوضِّحون أنَّها لن تكونَ كذلك (إحالة إلى الجملة السَّابقة في معلومة "المتحور الجديد"، إذا يظهر أن الضمير الموصول الدَّال على الغياب قد أحوال على معلومات سابقة، وربط الجمل بعضها على بعض.

أما النَّوع الثَّاني فنستقرُّه في الجمل الآتية: (في ظلِّ وتيرة التلقيح التي تبقى تُروَّح مكانَها)، "الهاء" ضمير متصل وظيفتها تحيل إلى معلومة سابقة في الخطاب وهي (وتيرة التلقيح)، وجملة (إلا أنَّ ذات الخبراء يوضِّحون أنَّها لن تكونَ كذلك)، تحيل إلى معلومة في الجملة التي قبلها وهي "المتحور الجديد"، وجملة (موجةٌ صعبةٌ يتوقَّعُها أهل الاختصاص)، تحيل إلى معلومة بعدها وهي "أهل الاختصاص"، وجملة (تفادي موجةٍ أكثرَ وطأةٍ من سابقاتها)، تعود إلى معلومة سابقة "موجة"، إذا نلاحظ أنه ضمير الشخص الغائب حضر أربع مرَّات وفي ثلاث مرات يحيل إلى معلومة سابقة، للدلالة على أن الخطاب معلوم الأحداث، والضمير موقعه المتأخر يربط ذهن القارئ بشيء فات، حتى يكون دائما حاضر الذهن غير متخلِّف لما سيأتي عليه من المعلومات، كما يدل على ترابط الجمل ترابطا وظيفيا كاملا.

أما النَّوع الثالث "ال" التعريف فهي كثيرة ذُكرت ستّ وعشرون (26) مرّة، وفي كل مرّة تحيل إلى معرفة مشتركة بين صاحب الخطاب والمتلقِّي مثل (التلقيح، المختصين، الإجراءات...)؛ إذ يرجح أن المتلقِّي على اتصال مباشر بهذه المعطيات، فهو على علم بما يجري في الواقع من انتشار المتحور الجديد، وأنه عليه أن يقوم بما يجب عليه، فغاية الإحالة هنا هو ربط المتلقِّي بالنصّ وهو ما يسمى بتوجيه الاتصال (سبق شرح الفكرة)، بتغيير سلوك معيّن.

فهذه القرينة لها اتصال مباشر بالجانب النَّحوي، وتساعد على توسيع نطاقه ولا تجعله ينحصر في إطار الجملة فقط، بل تنفذ إلى النصّ بربط الجمل بعضها مع بعض، وتحاول أن تجعل المتلقِّي على تواصل مع هذا النصّ.

4- الأداة: فهذه القرينة فصلنا فيها وقلنا إما أن تكون الأداة داخلة على الكلمة وبالتالي تتصل بالجانب الصَّرفي في مستواه اللَّفْظي، وإما تحلّ في الصدارة وتكون على علاقة مباشرة بحدود الجملة، فالأوّل يتمثل في حروف الجرِّ بأنواعها، كما وردت في الخطاب إحدى وعشرين (21) مرّة، وهي قرينة لفظية تلحق بالقرينة المعنويّة (النسبة)، وتحدثنا عن هذا، ومثلها الأدوات الأخرى "لم، لن" فهي كذلك تتعلق بحدود اللَّفْظة، أما النَّوع الثَّاني من الأدوات التي تدخل على الجملة فهي: "تكون" مرة واحدة، و"ليست" مرة واحدة، و"أَنَّ" أربع مرات، وهي من النَّواسخ كلها بمجموعها ستّ مرات، وهذا مقبول في خطاب قصير مدته تقريبا دقيقتين، يبحث صاحبه من خلال النَّواسخ على تأكيد المعاني إثباتا ونفيا.

ثانيا- تراكيب فصحي العصر في الخطاب العلمي العفوي غير الجاهز "حصّة allo دكتور دكتور أمودجا"

معينة التراكيب اللغوية التي وردت في الخطابات العلمية المتعلقة بالمادة العفوية؛ أي التي لم يسبق إعدادها وإخراجها من قبل، تختلف عن المادة الجاهزة، وهذا الاختلاف يكون على مستوى ضبط الكلمات صوتا، وصيغة كما لاحظنا ذلك سلفا، وعلى مستوى الجمل أداء وإعرابا أيضا، فقد تكون الجملة كلاما مفيدا، أو غير مفيد، وأنواعها معروفة في عرف النحاة، ولذلك سنرى أين مواطن الاختلاف في هذه العينة، مع إبراز خصائصها التركيبية، حتى يتسنى اقتراح الحلول المناسبة للوضع الذي آلت إليه فصحي العصر.

أ- عنوان الحصّة: allo دكتور، تتكون من ثمانية عشر (18) حصّة، يستضيف فيها المذيع في كل مرة دكتورا في تخصص معيّن، ويحاول بدوره أن يشرح أو يعلّق أو يطرح سؤالا على الضيف.

ب- عنوان الخطاب: الغدة الدرقية .. دورها وأهميتها في جسم الإنسان

ج- قائل الخطاب: الدكتور رشيد حميدي

د- تاريخ الخطاب: نُشرت بتاريخ 2023/02/24م،

هـ- توقيت الخطاب: دقيقة واحدة واثنان وخمسون ثانية (1د، 52ثا).

و- تفريغ محتوى الخطاب: "مشاهدين الأفاضل في كل مكان سلام الله عليكم وأهلا بكم رفقتنا في عدد جديد، من برنامج ألو دكتور، نواصل دائما حسب المواضيع المنتشرة، حسب الأمراض المنتشرة لتطلّب ألقاينا، حتى يكون العلاج بالطريق الصحيح، والمتابعا الصحيح، ودائما كل المواقع الاجتماعية التابعة للشروق وللبرنامج مفتوحا لكم، لطرح الأسئلة، ومتابعة مختلف البرامج الصحية الخاصة بالشروق، يسرنا أن نستضيف اليوم معنا الدكتور خلّاف أمين، وهي أستاذة مساعدا مختصا في أمراض الغدد، وكذلك السكري بمستشفى بني مسوس، أهلا وسهلا مرحبا بك دكتورا [شكرا، نشكركم على الدعوا والاستضافا]، شكرا إذ آآآ، كثيرة هي الأسئلة التي وصلتنا، والتي تخصّ الغدا آآ الدرقية، هذه الغدا المهمة في جسم الإنسان والمسؤولا عن [...] في جسم الإنسان، ولها دور فعّال في الكثير من الأشياء في حياتنا، إفرازاتها مهما جدّا، والمتابعا لما تُصاب ببعض الاضطرابات، لا بدّ أن تكون المتابعا بطريقا صحيحا سواء عند النساء عند الرجال وكذلك المراهقين والأطفال، دكتورا خلّاف، أنتم في مستشفى جامعي، ممكن تكلميلنا عن أو تعريفنا هذه الغدا ببساطا؟"¹.

¹ - <https://2u.pw/5VnaD6qh>, It was viewed on: 02/12/2023 at: 13:04

ز - طريقة العمل: بنفس الطريقة التي أخذنا بها المادة الأولى نستصحب معنا في المادة الثانية نفس الوسائل النحويّة، التي تعتبر الإطار القانوني للنحو فما خرج عنها يعتبر خروجاً عن سَمَتِ العرب، وعن القواعد الضابطة لمنطق الكلام الأصيل، وسنرى إلى أيّ مدى تحقق شرط التّوافق في المادة العنوية تحديداً في المجال العلميّ.

1- القرائن المَعنويّة في الخطّاب العلميّ غير الجاهز:

الجملة	نواة الكلام المفيد				زوائد داخلية	حدث الموضوع
الكلمات	إِسْنَاد	نسبة	اختصاص	تبعيّة	اختصاص	تعليل وفق المعيار الصّوّاي
مشاهدينّا الأفاضل في كلّ مكان سلام الله عليكم وأهلاً بكم رفقتنا في عددٍ جديّد.	سلام الله (مسند) عليكم (مسند إليه) أهلاً (مسند) بكم (مسند إليه)	في كلّ، في عددٍ (جار ومجرور) مكان، الله، نا (مضاف إليه)	/	الأفاضل، جديّد (صفة)	رَفَقَتْ (حال)	تماثلت لفظة "مشاهدينّا" في موضع الابتداء، غير أنّ حقيقة التناسب الموضوعي ليس لفظ "مشاهدينّا"، إنّما هو حرف النداء "يا" وحينها يصير المبتدأ هو "المنادي"، وما قام به المتكلّم له شواهدة التي تبرر حذف أداة النداء.
من برنامج ألو دكتار.	-	من برنامج (جار ومجرور) دكتار (مضاف.إ.)	/	-	/	شبه الجملة جاءت في موضع الابتداء، وتأخيرها أولى من النّاحية التركيبية، لتصبح الجملة سليمة، والأصل "ألو دكتور برنامج بعدد جديد"
نواصل دائماً حسب المواضيع المنتشرة.	نواصل (مسند) والضمير المستتر "نحن" (مسند إليه)	المواضيع (مضاف.إ.)	/	المنتشرة (صفة)	دائماً (ظرف زمان)	جاء الفعل السّاكن في موضع الابتداء، يخالف للأصل، والسليم هو الرفع "نواصل دائماً..."، وعلّقنا على القاعد المخالفة للفصحى.
حسب	تطلّب	الأمراض	الوقايا	المنتشرة	/	لفظة "حسب" تُعتبر من

الأعراض المنتشرة لتطلب ألقايات.	(مسند) "هي" ضمير مستتر (مسند إليه)	(مضاف) إليه "ها" ضمير مضاف إليه	(مفعول به)	(صفة)	الاسماء المبهمة التي تحدث عنها " تمام حسان" كما أسلفنا، وجاء في موضع الابتداء وهذا مشهور جدا في لغة العصر.
حتى يكون العلاج بالطريقا الصحيحًا.	يكون (مسند) العلاج (مسند إليه)	بالطريقا (جار ومجرور)		الصحيحا (صفة)	"حتى" في موضع الابتداء كحرف غاية يهدف إلى تحقيق النتيجة، وهي العلاج، ولكنه ليس موضع ابتداء صريحا، وإنما هو فصل وقطع للجملة السابقة.
والمتابعا الصحيحًا.	-	-		الصحيحا (صفة)	يصح أن يكون موضع الابتداء إذا اعتبرنا "الواو" أداة استئناف، حينها يتحقق حدث الموضع.
ودائما كل المواقع الاجتماعية التابعة للشروق وللبرنامج مفتوحا لكم.	كل المواقع (مسند إليه) مفتوحا (مسند)	المواقع (مضاف.إ) للشروق، للبرنامج (جار ومجرور)		الاجتماعيا ، المتابعا (صفة)	جاء الظرف في موضع الابتداء مخالفا للتركيب الأصلي قصد تحقيق بلاغة الخطاب، والأولى تحقيق سلامة التركيب بتأخير، وتقديم "كل المواقع..."، لتكون "دائما" مؤكدة للحدث.
ل طرح الأسئلة.	-	ل طرح (جار ومجرور)			شبه الجملة جاءت في موضع الابتداء، لتتقدم فائدة الموضع بعامل لفظي وهو حرف الجر

				الأسئلا (مضاف.إ.)		
ومتابعةً مختلف البرامج الصحيّا الخاصّة بالشُّروق.	–	بالشُّروق (جار ومحور) مختلف، البرامج (مضاف.إ.)	الصحيّا، الخاصّة (صفة)	خاصّة (حال)	جاء الاسم السّاكن في موضع الابتداء، مخالفاً من حيث العلامة الإعرائيّة للمنطق اللّغويّ السليم وأصلها "ومتابعةً...".	"اللام".
يسرُّنا أن نستضيف اليوم معنا الدكتور خلّاف أمينا.	يسرُّنا، نستضيف (مسند) "نحن" ضمير مستتر (مسند إليه)	–	–	اليوم (ظ. زمان) مع (ظ. مكان) خلّاف (بدل)	الفعل المضارع بزوائده يدخل موضع الابتداء ليكون المحرك الرئيس لحدث الموضع، وعاملاً في العناصر اللّغويّة الآتية.	
وهي أستاذًا مساعدًا مختصًا في أمراض الغدد.	هي (مسند إليه) أستاذًا (مسند)	في أمراض (جار ومحور) الغدد (مضاف.إ.)	مساعدًا، مختصًا (صفة)		جاء الضمير متصداً الموضع الأساسيّ للتركيب السليم، موافقا للقاعدة النّحويّة العامّة من أن الضّمائر المنفصلة محل المبتدأ.	
وكذلك السكري بمستشفى بني مسوس.	السكري (مسند إليه) بمستشفى بني مسوس (مسند)	بمستشفى (جار ومحور) بني، مسوس (مضاف.إ.)	–		شبه الجملة جاءت في موضع الابتداء، لتتقدم فائدة الموضع بعامل لفظي وهو حرف الجر "الكاف"، وكان يمكن الاستغناء عنه وتكون العبارة أسلم تركيباً من حيث ربطها بالجملة الماضية.	

جاء المفعول المطلق متصدا الجملة عادما بذلك الموضوع الأساسيِّ بعامل لفظي، وكان الأولى تقديم الفعل الذي بعده لتحصل السلامة اللغوية فيها.	شكرا (مفعول مطلق)	-	/	على الدعوا (جار ومجرور)	نشكركم (مسند) "نحن" ضمير مستتر (مسند إليه)	[شكرا، نشكركم على الدعوا والاستضافا]
جملة استئنافية جاءت تعقبيا على شكر الضيف، غير مظهرة لحدث الموضوع.	شكرا (مفعول مطلق)	-	/	-	-	شكراً إذ.
تموقع الاسم المرفوع في بداية الجملة أعطى للموضوع حدثا كاملا وواسعا في بناء الفضاء اللغوي الممنوح.	الأسئلا (بدل)	التي (في محل صفة)	"نا" ضمير متصل في محل (م. به)	-	كثيرة (مسند) هي (مسند إليه)	كثيرة هي الأسئلا التي وصلتنا.
جاء الضمير الموصول "التي" واصفا نوع الأسئلة التي وصلت المذيع، ولا حدث للموضوع غير وصل الكلام بما قبله.	/	الدرقيّا (صفة)	الغدا (مفعول به)	-	تخص (مسند) "هي" ضمير مستتر (مسند إليه)	والتي تخص الغدا الدريقيّا.
جاء الضمير متصدا الموضوع الأساسي للتركيب السليم، موافقا للقاعدة التحوّية العامة من أن الضمائر المنفصلة في محل المبتدأ.	/	المهمّا (صفة)	/	في جسم، عن [...] في جسم (جار ومجرور) الإنسان، الإنسان (مضاف.إ)	هذه (مسند إليه)	هذه العُدا المهمّا في جسم الإنسان والمسؤولا عن [...] في جسم الإنسان.

ولها دورٌ فَعَّالٌ في الكثير من الأشياء في حياتنا،	ها (مسند إليه) دورٌ (مسند)	في الكثير، من الأشياء، في حياتٍ (جار ومجرور) "نا" (مضاف.إِ)	فَعَّالٌ (صفة)		الجملة تكملة لما قبلها في إطار الوصل لا الفصل، إذ لا معنى للفصل إذا قلنا "لها..." فلا بدّ من عائد ترجع له في الكلام، ولا معنى لحدث الموضع إذا اعتبرنا "لها" في محلها.
إفرازاتها مهمًّا جداً.	إفرازاتها (مسند إليه) مهمًّا (مسند)	-			محل الاسم المرفوع في بداية الجملة أعطى للموضع حدثاً واسعاً في بناء الفضاء اللغويّ في النظام العام.
والمتابعاً لَمَّا تُصابُ ببعض الاضطرابات	المتابعاً (مسند إليه) تصابُ (مسند)	ببعض (جار ومجرور) الاضطرابات ت (مضاف.إِ)	-		محل الاسم المرفوع في بداية الجملة منح للموضع حدثاً موازيًا للجمال السابقة في بناء الفضاء اللغويّ للنظام العام.
لا بدّ أن تكون المتابعاً بطريقاً صحيحاً سواءً عند النساء عند الرجال...	المتابعة (مسند) "هي" ضمير مستتر (مسند إليه)	بطريقاً (جار ومجرور) صحيحاً، النساء، الرجال، (مضاف.إِ)	-	عند، عندَ (ظرف مكان) سواءً (ظرف)	"لا" النافية غطت على الموضع، فلا حدث إذا جاء الحرف العامل في تأسيس الجملة؛ إذ معنى الجملة متعلق به، وعليه قرينة الأداة صنعت الحدث بدل الابتداء.
دكتوراً	دكتوراً	في	جامعي	خلاف	جاء الاسم السّاكن في موضع

خلاف أنتم في مستشفى جامعي.	(مسند إليه) أنتم (مسند)	مستشفى (جار ومجرور)		(صفة)	(بدل)	الابتداء، مخالفا من حيث العلامة الإعرابية، حيث سقطت التاء من "دكتورة..".
ممكن تتكلمينا عن أو تعرفينا هذه الغدا ببساطة؟.	تتكلمي تعرفي (مسند) "أنت" ضمير مستتر (مسند إليه)	ببساطة (جار ومجرور)	هذه (م. به)	-	الغدا (بدل)	وجود لفظ "ممکن" الدالة على الاحتمالية ليس من الكلام الفصيح، ولو كان على قصد إلتباس، فلو كان هذا على وجه السؤال بـ"هل" كان الأولى والأصح لخدمة الموضوع واشتغاله بالأداة.

(جدول 01)

تعليق:

بعد الاطلاع على نتائج التحليل العينة وما تميّزت به من الدارجة المحلية تبين ما يلي:

1- الإسناد: عدد الجمل إجمالاً؛ ثلاثة وعشرون (23) جملة، منها ثمانية عشرة (18) جملة، تحققت فيها قرينة

الإسناد، فموضع الابتداء لم يأت فيه الاسم المرفوع أو الفعل (كما سبق)؛ والذي يُعاب في هذا الخطاب كثرة الوقف في غير موضعه، مما أدى إلى فساد معنى التركيب، لولا السياق العام الذي يحمي المعنى لالتبس على المتلقي مقصدية الخطاب، ينضاف إلى ذلك تسكين الكلمات في الجملة الواحدة، مما أدى إلى إسقاط حرف بأكمله مثل تاء التأنيث المربوطة، نادراً ما نجد ضبطاً للكلمة مع اللحن الواضح فيها، فإسقاط الحركات الواضحة، مثل الاسماء المجرورة بحروف الجرّ، يعتبر منقصة كبيرة للخطاب العربي، ومع هذا تحقق الإسناد بقرائن أخرى غير قرينة العلامة الإعرابية،

نلاحظ من المثالين: (وهي أستاذ مساعد مختصاً في أمراض الغدد) و(كثيرة هي الأسئل التي وصلتنا)، لم تظهر الحركات فـ"هي" ضمير منفصل مبني، ليس معرباً، وكذلك "أستاذاً" أصل "الألف" هي "تاء" مربوطة، وأصل الحركة المدرومة هي ضمتان للدلالة على الخبر، ورغم انعدام العلامة إلا أن هذا لم يحل بينها وبين إسنادها إلى المبتدأ، وذلك بقرينتين لفظيتين، وهما الصيغة حيث حددنا نوع الكلمتين اسماً أو فعلاً أو ضميراً...، والترتبة حيث جعلنا الأصل في

الجملة الاسميّة أن يكون المبتدأ أولاً كونه معرّفاً، والخبر ثانياً كونه نكرةً، والتّعريف والتنكير هما من فروع المطابقة كما تقدّم، غير أننا جعلناها من فروع الرّبط بالتعليل الذي ألحقناه في هامش الصفحة.

وفي الجملة الثّانية، نلاحظ ضبطاً للكلمة وهي من حيث الصّيغة اسماً، وهذا الاسم جاء غير معرّف ربطاً، وحلّ في موضع الابتداء فلا يصلح إلا أن يكون خبراً مقدّماً، و"هي" كون الضّمائر تنسب إلى التعيين، فهي معرفة، ثم جاءت في رتبة متأخرة دليل على أنها مبتدأ متأخر.

فالخطاب هيمنت عليه الجمل الاسميّة بطريقة واضحة، وهو يدل على ثبات الأفكار التي يريد المخاطب أن يثبتها للجمهور، وتميزت بالجمل القصيرة والطويلة والمركبة، وهذا التنوع ليس له ضابطاً علمياً محدداً بقدر ما سببه الوقف العشوائي، فالإسناد تحقق بالصّيغة والرّتبة وأداة التعريف التي تربط الاتّصال بين المتكلّم والمتلقّي، وكلها قرائن لفظية تحت قرينة معنوية.

2- التّسبة: يظهر أنها متكافئة تقريباً، حيث وردت في الخطاب إجمالاً؛ ثلاثة وأربعون (43) مرّة، منها إحدى وعشرون (21) مرّة للجار والمجرور، واثنان وعشرون (22) مرّة للمتضايفين، رغم سكون الكلمات إلا أن تحديد الأسماء المجرورة يكون بفضل الحروف المبنية الثّابتة، وأما المتضايغان فيتم معرفتهما بقرينة العلامة الإعرابيّة أو قرينة الصّيغة، مثل ما ورد في الخطاب (سلام الله)، فالصيغة تُظهر الاسميّة فيهما معاً، مع وجود العلامة الإعرابيّة الضمة في الأولى، والكسرة في الثّانية، وأداة التعيين في الثّانية دون الأولى، وبتعليق الاسم المجرور الثّاني بالاسم المرفوع الأوّل يحدث بما يُعرف بالإضافة

فإذا أخذنا مثلاً آخر مُسكّن الكلمات ولتكن العبارة التالية: (كلّ المواقع الاجتماعيّة التابعة للشّرق)، نحاول النّظر فيها دون قرينة العلامة الإعرابيّة، ونستصحب قرينة الصّيغة، فكلامهما اسماً، مع ظهور أداة التعريف في الاسم الثّاني، وبقريّة الرّتبة المحفوظة، ستكون النّتيجة أن الاسم الأوّل في موضع الابتداء يكون مبتدأً، ولا يمكن للمبتدأ أن يكون نكرةً حسب القاعدة الثّابتة سماعاً، وعليه يكون الاسم الثّاني منسوباً للأول من باب الإضافة، وقد يقول مستدرك لماذا اعتبرنا الثّاني منسوباً للأول وليس مستقلاً، فقد يكون مبتدأً مؤخراً، و"كلّ" خبر مقدم، نقول بأن الذوق السليم لا يقبل ذلك، فإذا أرجعنا الجملة على النّحو الآتي: (المواقع كل...)، يفسد التّركيب، وإن أردنا سلامته لا بدّ من إضافة "هاء" كضمير متصل مع "كلّ" فتصبح (المواقع كلها..)، وبذلك تكون خالفت العبارة الأولى شكلاً ومضموناً، لذا يكفي للحكم على حضور التّسبة بقرائن ثلاثة لفظية هي الصّيغة، والرّبط، والرّتبة.

وسبق القول أن القرينة تدخل في حدود اللفظة، لا في حدود الكلام، ولكن بما أن الصِّرف بمستواه اللفظي يحيل إلى النَّحو فهو جزء منه بالضرورة، والقرينة تعمل على تقريب الأحداث وحصرها ليسهل على المتلقي قبولها والعمل بها، غير أن الدَّارجة في الخطاب جعلت الأمر يحتاج إلى تمعن في ضبط الألفاظ لحصر المعاني.

3- التَّبعية: ما ورد من التَّوابع في هذا الخطاب يعطي بُعداً وصفياً أكثر دقّة، حيث سجّلت الصِّفة حضورها بعدد سبعة عشرة (17) مرّة، مما يبعث على إثبات الحدث للموصوف دلالة على الأهميّة التي يتّصف بها، وجاءت الصِّفات دون حركات إعرابية أغلبها، وتمّ إثباتها بقرائن أخرى، من قبيل المطابقة والصّيغة والرّتبة، وقد مرّ معنا تفصيل ذلك في العينة الأولى .

كما سجل البدل حضوره هذه المرة عكس الخطاب الأوّل، وذلك بعدد ست (06) مرّات، مما يوحي على وجود تداخل بين الأفكار، واستخدامها بهذا العدد يعكس قوة الخطاب وقدرة المتكلّم على التحكم في وضعه اللّغويّ، فاستخدام البدل يمنح الاختيار للمتلقّي بين عنصرين لغويين، إما الأوّل "المبدل منه" على اعتبار اللقب، أو الكنية، أو ضمير الإشارة، فلا يهم المتلقّي غير هذا العام، وإما الثّاني "البدل" ومنه التّفصيل ما كان عاماً حتى يزداد المتلقّي معرفة بما ساد من الألقاب والصّمائر العامّة، والحكم على البدل يكفي حضور قرينة الصّيغة لتحديد نوع الكلمة، وفرع التعيين من قرينة المطابقة، أو من قرينة الرّبط، والرّتبة، ومثاله: (كثيرة هي الأسئلة [أسئلة])، لفظة "الأسئلة" جاءت دون حركة إعرابية لسقوط الحرف نطقاً، لتخضع إلى اختبار القرائن الأخرى، فالصّيغة تمنحها الاسميّة، والمطابقة أو الرّبط يمنحها التعيين بـ"ال"، والرّتبة تمنحها بعد الضمير، النّتيجة هي بدل للضمير لتفصيله.

4- الاختصاص: وهي قرينة توضيحية تمنح العبارة جهداً معنوياً خاصّاً، فجاء في الخطاب معنى الملازمة بالنّسبة للحال كما في "رفقتنا" و"خاصّة"، والطّرفيّة كما في "عند" و"دائماً" و"اليوم"، هذا فيما يخص بما زاد عن أصل الكلام المفيد؛ أي الّذي يمكن الاستغناء عنه أو استبداله؛ وهكذا يعطي المتلقّي إمكانية التعرف على تفاصيل الأحداث بدقّة، بدل الاكتفاء بالمجمل الّذي قد يساوره الشّك معه، وأما الاختصاص الوحيد الّذي لا يمكن الاستغناء عنه هو المفعول به، الّذي ورد ست (06) مرّات، بنفس العدد الّذي في الخطاب الأوّل، وأغلب حضوره كان ضميراً إما متصلاً أو منفصلاً (اسم إشارة)، وقد وضّحنا حقيقته سابقاً، وهو ضروري للمتلقّي حتى يتحدد موقفه من الكلام بين القبول والرفض، ويُعرف الاختصاص بقرائن لفظية كغيره، الصّيغة، والرّتبة، والأداة، والرّبط.

2- القرائن اللفظيّة في الخطاب العلمي غير الجاهز

جمل	نواة الكلام المفيد				زوائد داخلية	حدث الموضوع
تفصيل	ع. إ.	مطابقة + صيغة	ربط	أداة	ع. إ.	رتبة وتعليل
مشاهدينَا	-	اسم جمع (صيغة)	التكلم	-	/	الاسم المتقدم هو علامة
الأفاضلُ	ـَ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	-	/	دالة على موضع الابتداء،
في كلِّ مكانٍ	/ـَ	اسم مفرد (صيغة)	-	في الجرّ	/	ثم أتبع على مثله باسم
سلامٌ	ـِ	اسم مفرد (صيغة)	-	-	/	معرف آخر ليفيد
اللهِ	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	-	-	/	الوصف، ورتبته محفوظة
عليكمْ	ـِ	حروف (صيغة)	-	على الجرّ	/	إذا احتيج إليه مع إمكانية
وأهلاً	-	مصدر (صيغة)	العطف	-	/	الاستغناء عنه؛ لأنه ليس
بكم	ـُ	حروف (صيغة)	للخطاب	باء الجرّ	/	من أصل الكلام المفيد،
رفقتَ	-	اسم مفرد (صيغة)	-	-	ـَ	فقد حصلت الإفادة
نا	/	حرف جمع صيغةً	التكلم	-	/	بوجود المبتدأ والخبر، رغم
في عددٌ	-	مذكران +	-	في الجرّ	/	تأخر هذا الأخير.
جديداً.	ـِ	مفردان + نكرتان (تطابق)	-	-	/	
من برنامجٍ	ـِ	اسم مفرد (صيغة)	-	من الجرّ	/	رتبة الجار والمجرور غير
ألو	-	خالفة صوتية	-	-	/	محفوظة تقدمت الجملة
دكتَار.	-	اسم مفرد (معرب)	-	-	/	لإبراز الجانب البلاغي، خرج عن الإطار النحوي.

نواصل	ـَ	فعل جمع (صيغة)	-	-	/	رتبة الفعل محفوظة رغم تسكينه، معرفتنا له كان عن طريق الصيغة.
دائما	ـِ	اسم (صيغة)	-	-	/	
حسب	/	اسم (صيغة)	-	-	ـَ	
المواضيع	ـَ	التأنيث + الجمع +	"ال"	-	/	
المنتشرا.	ـَ	التعريف (تطابق)	"ال"	-	/	
حسب	/	اسم (صيغة)	-	-	ـَ	رتبة "حسب" مشهورة في الكلام العربي المعاصر،
الأمراض	ـَ	التأنيث + الجمع +	"ال"	-	/	على أنه يتقدم الجملة،
المنتشرا	-	التعريف (تطابق)	"ال"	-	/	وهو مقبول إذا جاء لغرض تعليق شيء عليه.
لتطلب	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	-	لام الجرّ	/	
ألقاها.	-	اسم مفرد (صيغة)	"أل"	-	/	
حتى يكون	ـَ	حرف + فعل	-	حتى	/	رتبة الفعل "يكون"
العلاج	ـَ	فعل مفرد (صيغة)	-	-	/	جاءت بعد حرف "حتى"
بالطريقا	-	التأنيث + الإفراد +	"ال"	باء الجرّ	/	وهي محفوظة باعتبار
الصحيحا.	-	التعريف (تطابق)	-	-		الحرف العامل في معموله.
والممتابعا	-	التأنيث + الإفراد +	"ال"	العطف	ـَ	رتبة الاسم محفوظة،
الصحيحا.	-	التعريف (تطابق)	"ال"	-	/	جاءت في موضع الابتداء.

ودائماً كلّ	ـُ	اسمان (صيغة)	-	العطف	ـُ	رتبة "دائماً" غير محفوظة،
المواقع	ـُ	التأنيث + الجمع +	-	-	/	وتأخر الاسم جاء في
الاجتماعياً	-	التّعريف (تطابق)	-	-	/	الرّتبة الثّانية، وسببه كما
التابعاً	-	// (تطابق)	-	-	/	سبق هو بلاغي، وهذه
للشروق	-	اسم جمع (صيغة)	"ال"	لام الجرّ	/	البلاغة تجعل التّركيب
وللبرنامج	-	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	العطف + لام	/	الموضوع على قانون نحوي
مفتوحاً	-	اسم مفرد (صيغة)	-	الجرّ	/	خاص يخرج عن عرفه إلى
لكم.	-	حروف (صيغة)	"كم"	لام الجرّ	/	عرف آخر أوسع منه.
لطح	ـُ	اسم مصدر	-	لام الجرّ	/	رتبة الجار والمجرور غير
الأستلا.	-	اسم جمع (صيغة)	"ال"	-	/	محافظة تقدمت الجملة لإظهار الجانب البلاغي.
ومتابعة	ـُ	اسم مفرد (صيغة)	-	العطف	ـُ	الاسم المتقدم في موضع
مختلف	ـُ	اسم (صيغة)	"ال"	-	/	الابتداء دال على المبتدأ
البرامج	ـُ	التأنيث + الجمع +	"ال"	-	/	رغم كونه ساكناً، لولا
الصحيّاً	-	التّعريف (التطابق)	"ال"	-		إلابانة عنه بقرينة الموضع،
الخاصّة	ـِ	//	"ال"	-		والصّيغة لظل التّركيب
بالشّروق.	ـُ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	باء الجرّ		غامضاً.

يسرُّنا	-	فعل جمع (صيغة)	-	-	/	الكلمة حسب قرينة
أن	ـَ	فعل جمع (صيغة)	-	"أن" النَّاسخة	/	الصَّيْغة فعلاً، وبما أنها في
نستضيفُ	ـَ	اسم (صيغة)	-	-	/	موضوع الابتداء وعارية
اليومُ	-	حروف (صيغة)	-	-	/	عن العوامل اللَّفْظية؛ فإنه
معنا	-	اسم مفرد (معرب)	"ال"	-	/	فعل مضارع مرفوع.
الدكتور	/	اسم علم (صيغة)	-	-	ـَ	
خَلَافُ	-	اسم علم (صيغة)	-	-	/	
أمينًا.						
وهي أستاذًا	-	التأنيث + الأفراد +	الشخص	العطف		رتبة الضمير محفوظة على
مساعدًا	-	التنكير (التطابق)	-	-		أصل القاعدة، وخبره
مختصًا	-	//	-	-		محفوظا بالتعليق على ما
في أمراضُ	ـَ	اسم جمع (صيغة)	-	في الجرّ		قبله، استنادا إلى قرائن
الغدد.	ـَ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	-		أخرى غير قرينة العلامة. إ
وكذلكَ	ـَ	حروف (صيغة)	ضمير	العطف +	ـَ	رتبة الجار والمجرور غير
السكري	-	اسم مفرد (صيغة)	الإشارة	كاف الجر	/	محفوظة تقدمت الجملة
بمستشفى	-	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	-	/	للمعنى البلاغي.
بني مسوس.	ـَ	-	-	باء الجرّ		
[شكرا،	ـَ	اسم (صيغة)	-	-	/	الرُّتبة غير محفوظة
نشكركم	ـَ	فعل جمع (صيغة)	-	-	/	لابتدائها باسم منصوب له
على الدعوا	-	اسم مفرد (صيغة)	-	على الجرّ	/	دلالة المفعول المطلق لفعل
والاستضافا]	-	اسم مفرد (صيغة)	-	العطف	/	محذوف.

شكرًا إذ.	ـَ / ـِ	فعل مفرد (صيغة)	ـ	ـ	/	الرُّتبة غير محفوظة.
كثيرةٌ هي	ـَ / ـِ	اسم + ضمير	الشخص	ـ	/	الرُّتبة غير محفوظة، حيث
الأسئلة	/	اسم جمع (صيغة)	"ال"	ـ	ـ	تقدّم اسم نكرة الجملة من
الَّتِي	ـ	اسم مفرد (صيغة)	الموصول	ـ	/	خلال قرينة الصَّيْغة فهو
وصلتُنا.	ـ	فعل مفرد (صيغة)	التكلم	ـ	/	خبر مقدّم.
والَّتِي تخصّ	ـ / ـِ	فعل مفرد (صيغة)	الموصول	العطف	/	الضمير الموصول متصل بما
الغدا	ـَ	التأنيث + الإفراد +	"ال"	ـ	/	قبله والجملة واحدة من
الدرقيا.	ـ	التعريف (تطابق)	"ال"	ـ	/	حيث السِّياق اللَّغويّ،
	ـ					والقطع حصل بسبب
						المذيع.
هذه	ـ	اسم مفرد (صيغة)	الإشارة	ـ	/	الرُّتبة محفوظة في الجملة،
الغدا	ـ	التأنيث + الإفراد +	ـ	ـ	ـ	وسليمة البناء، وفيها
المهمّا	ـ	التعريف (تطابق)	ـ	ـ	/	أوصاف متعددة، وشبه
في جسم	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	ـ	في الجرّ	/	الجملة متكررة.
الإنسان	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	ـ	/	والخبر رتبته غير محفوظة،
والمسؤولا	ـ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	العطف	/	حيث جاء بعد جملتين
عن [...]	ـ	حرف (صيغة)	ـ	عن الجرّ	/	لأغراض بلاغية.
في جسم	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	ـ	في الجرّ	/	
الإنسان.	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	ـ	/	

ولها دور	/ -	التذكير + الإفراد +	-	العطف	/	تقدّم رتبة "الجار والمجرور"،
فَعَالٌ	ـَ	التنكير (تطابق)	-	-	/	غير محفوظة لغرض
في الكثير	ـَ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	في الجرّ	/	بلاغي.
من الأشياء	ـَ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	من الجر	/	
في حياتنا،	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	-	في الجر	/	
	- / -					
إفرازاتها	ـُ / -	اسم جمع (صيغة)	-	-	/	رتبة الاسم محفوظة جاء
مُهِمًا	-	اسم مفرد (صيغة)	-	-	/	معرفًا بقرينة النسبة، والخبر
جدًّا	ـَ	اسم (صيغة)	-	-	/	جاء نكرة من غير علامة إعرابية بحكم الصيغة.
والمتابعًا	-	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	العطف	/	الاسم محفوظ الرتبة، في
لَمَّا تُصَابُ	ـَ	فعل مفرد (صيغة)	-	لَمَّا الجازمة	/	موضع الابتداء، أما بقية
ببعض	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	-	باء الجرّ	/	العناصر غير محفوظة،
الاضطرابات	ـَ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	-	/	تقدّمت الخبر الذي في الجملة التي تليها.

لا بدَّ	/-	حروف (صيغة)	-	-	جاء التأكيد بـ "لا بدَّ" في
أن	ـَ	حرف (صيغة)	-	"أن" النَّاسخة	الجملة قبل الفعل
تكون	ـُ	فعل مفرد (صيغة)	-	+ تكون	"تكون"، وقد نعتبر
المتابعا	ـَ	اسم مفرد (صيغة)	"ال"	-	التوكيد مناسباً للجملة
بطريقاً	-	التأنيث + الإفراد +	-	باء الجرّ	محفوظ الرتبة استناداً
صحيحاً	-	التنكير (تطابق)	-	-	لحروف التوكيد المشهورة
سواءً	-	اسم (صيغة)	-	-	التي تحتلّ صدارة الجمل،
عند النساء	/	اسم جمع (صيغة)	-	-	والفعل "تكون" محفوظ
عند الرجال	/	اسم جمع (صيغة)	-	-	الرتبة بصيغة الفعل
وكذلك	/	اسم حروف	الإشارة	العطف +	المضارع، ويعمل فيما
المراهقين	ـَ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	كاف الجرّ	بعدها عمل التّواسخ.
والأطفال.	الياء ـُ	اسم جمع (صيغة)	"ال"	العطف	/
دكتوراً	-	اسم (معرب)	-	-	جاء الاسم منسوباً إلى
خلاف	ـُ	اسم علم (صيغة)	ضمير	-	المضاف إليه في موضع
أنتم	ـُ	ضمير (صيغة)	الخطاب	-	الابتداء، ولكنه ليس
في مستشفى	-	اسم مفرد (صيغة)	-	في الجرّ	مبتدأ، رغم توقّر شروطه،
جامعي.	-	اسم مفرد (صيغة)	-	-	وإنّما هو منادى، وهذا من
					الأساليب البلاغية
					المشهورة عند العرب.

ممكن	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	"ممكن" يُؤتى بها
تتكلميلنا	ـ	فعل مفرد (صيغة)	ـ	ـ	/	للاحتمال، وقد تكون
عن	ـ	حرف (صيغة)	ـ	عن الجرّ	/	محفوظة الرتبة باعتبارها في
أو تعرفيلنا	ـ	فعل مفرد (صيغة)	ـ	أو التخيير	/	سياق السؤال، ثم يأتي
هذه الغدّا	ـ	اسمان (صيغة)	الإشارة	ـ	/	الفعل في رتبة متأخرة مع
ببساطاً؟"	ـ	اسم (صيغة)	ـ	باء الجرّ	/	بقية العناصر.

(جدول 02)

تعليق

- 1- العلامة الإعرابية: جاءت الكلمات في الخطاب العفوي أغلبها ساكنة الآخر، ولكن ذلك لم يفسد المعنى، باعتبار تدخل قرائن أخرى، كما أسلفنا الذكر، فحتى الألفاظ المسبوقه بحروف الجر ساكنة إلا في موضع واحد جاءت منصوبة كما في "في جسم الإنسان"، لم يكتف بالتسكين فقط، بل زاد عليه اللحن والتحريف، رغم أن المعنى واضح لم يصبه التبدل، وإن وجدنا بعض الكلمات التي وافق فيها القواعد النحويّة العامّة مثل "سلام الله" و"دائمًا" و"حسب" و"عند"، ولذا تُعتبر ظاهرة حذف الحروف الأخيرة، والوقف على السواكن، واعتماد قاعدة "سكن تسلم" جعل الخطاب العفوي ينزل إلى مستوى شبه الفصحى التي عرفناها سابقا على أنها اللغة المحلية التي تكثر فيها ألفاظ العامّة.
- 2- المطابقة+ الصيغة: عرفنا أن المطابقة تتصل اتصالا مباشرا بقرينة التبعيّة، تحديدا بفرع الصّفة، وهو كثير في الخطاب ذكرنا شيئا من التفصيل في قرينة التبعيّة، والصيغة قرينة تتداخل معها للكشف عن النوع، والعدد.
- 3- الرّبط+ الأداة: نجد الضّمائر الموصولة في العبارات التالية: (كثيرةً هي الأسئلة التي وصلتنا، والتي تخصّ الغدّا الدرقيا)¹ ورد الضمير مرتان في جملتين منفصلتين يُحيلان إلى معلومة سابقة، وهي "الأسئلة"، وجاءت "ال" التعيين في هذه اللفظة، لتحيل إلى معلومة لاحقة وهي "الغدّا الدرقيا"، وهذا ما يزيد النّصّ ترابطا، وفق البناء الوظيفي الذي يساعد على توسيع نطاق الجملة، ويجعل المتلقّي متواصلا مع النّصّ بأكمله بدل الجملة، وحتى لا نجعل المعطيات تتكرر فقد أخذنا الطريقة التي نعالج بها النّصوص في الكشف عن عمل قرينة الرّبط وفق ظاهرة الإحالة.

¹ - نلاحظ أخطاءً في الكلمات فهي منطوقة هكذا في الشريط لذا لم أقم بتعديلها للأمانة العلمية مثل: (الأسئلة بدل الأسئلة، الغدا بدل الغدة، الدرقيا بدل الدرقية)...

والَّذي يمكن استدراكه هنا هو إمكانية الجمع بين قرينتي الرِّبط والأداة؛ إذ الأدوات الَّتِي تدخل على الألفاظ أو الجمل هي تربط بين جمل النَّصِّ لغرض مقصدي ما، أو تربط بين النَّصِّ وعالمه الخارجي المؤسس له، أو بينه وبين المتلقِّي، رغم ما تقيدت به قرينة الرِّبط من حروف كـ"لام جواب القسم، أو "ف" جواب الشَّرط، وما تقيدت به قرينة الأداة من دخول النَّواسخ على الجمل... وهلم جرًّا، ودخول أخرى على الكلمات كحروف العطف والنفي والجزم... إلخ، إلا أنَّهما يجتمعان معاً في موضوع الإحالة، وجاز استبدالهما بقرينة الإحالة على أنَّها عمدة الدِّراسات اللِّسانية الغربيَّة، ومثال ذلك حتى نستنير به في عبارة (ولها دورُ فعَّالٍ في الـ كثيرٍ من الأشياء في حياتنا)، عندنا الأدوات الدَّاخلة على الكلمة وهي: "الواو" و"في" و"من"؛ فإذا أخرجنا "في" و"من" كونهما لا تحيلان إلى شيء؛ لأنَّهما يرتبطان بقرينة النَّسبة، أما "الواو" فهي أداة تعكس موضوع الإحالة بامتياز، وتساهم في ترابط النَّصِّ وتماسكه.

فثُمَّ أدوات يمكن اعتبارها رابطة للجمل، وأخرى رابطة للنصوص بالمتلقِّي، تحت موضوع الإحالة بنوعيتها المقالية (قبلية وبعديَّة)، والمقاميَّة (سياقات خارجيَّة)، أما الأدوات الواضحة في ربطها فهي من قبيل الضَّمائر بكافة أنواعها، أو حتى مورفيمات الزمن الَّتِي تحيل إلى قرينة صيغة الكلمة.

الحاصل من الخطابين الجاهز وغير الجاهز (مقارنة): لم نر في الخطاب (الجاهز) حضور الرِّوائد الدَّاخلة على الكلام المفيد إلا في ثلاث جمل تحديداً في لفظة "أمام" الظَّرْفِيَّة، و"خاصَّة" الحاليَّة، و"إلا ذات الخبراء" الإخراج في الاستثناء، لذا لم يظهر على جدول القرائن اللَّفظية غير العلامة الإعرابيَّة، وفي الخطاب الثَّاني (غير الجاهز) نجد الرِّوائد على الكلام المفيد حضرت حضوراً معتبراً بعدد ثلاثة عشرة (13) مرَّة، مما يدلُّ على أنَّ الخطاب العفوي أكثر جرأة وتحرراً من الخطاب الجاهز، الَّذي يراعي تجنب كثرة الرِّوائد، والاقتصار على المفيد، في حين الثَّاني تكثر الرِّوائد الَّتِي تُعتبر حشواً للكلام غالباً ويسميه البعض بالفضلة في الكلام، وهذا الحشو أمر طبيعي في الخطابات العفوية؛ لأنَّه على طبيعته، فلا يتكلَّف في السرد، ولا يتصنَّع في الجرَّد، كما أنَّ الخطاب الأوَّل يتميز بضبط أواخر الكلمات لظهور قرينة العلامة الإعرابيَّة، بيد أنَّ الثَّاني لا تظهر على عناصره اللَّغويَّة العلامة الصحيحة إلا نادراً، بالإضافة إلى عدم القدرة على التحكم باللُّغة والأفكار، وهذا قد يكون بسبب الحالة النَّفسية الَّتِي يعيشها المتكلِّم حالت بينه وبين تشكيل جمل مفيدة، وقرينة ذلك الصَّوت المكرَّر [آآآآ] بكثرة بعد كل كلمة، وهذا أثر على لغته ومعلوماته.

ومجموع القرائن بعضها يكون قيدياً لبعض فقرينة المطابقة تكون قيدياً لقرينة التَّبعية، وقرينة الأداة في شقها اللَّفْظي يكون قيدياً لقرينة النَّسبة، وبعضها ينفرد لوحده مثل قرينة الرِّبط الَّتِي توسع نطاق الجملة، والصِّيغة الَّتِي قد تكون جزءاً

من قرينة المطابقة ولكنها تنفرد من حيث الأصل، أما العلامة الإعرابية فهي جزء من قرينة الإسناد مع الرتبة، ولذا لا بدّ من حضورها مجتمعة حتى تصنع خطابا مكتملا وظيفيا؛ إذ أساس التّحو البحث عن التعالق الوظيفي بين الكلمات والجمل، وإن غابت قرينة العلامة الإعرابية في الخطاب الثّاني، فإن ذلك لا يمنع من نفاذ المعنى عبر قرائن أخرى، كما لاحظنا ذلك، فالمهم أن تكون القرائن الأساس حاضرة، علما أن تحليل الجملة لا يتم إلا من النّاحية الدراسية فقط، أما إذا أردنا التكلّم فلا نراعي مثل هذه القرائن، فهي من أجل الدّراسة العلميّة لا غير.

خلاصة الفصل:

بعد هذه الجولة الطّويلة الّتي أخذناها في عالم اللّغة تحليلا ومناقشة، يعتبر هذا الفصل من أطول فصول الدّراسة؛ لأنّه الأصل في تأسيس حقيقة الكلام، فكلّ درس من الدّروس الثّلاثة أمّدنا بجزيئات علميّة دقيقة كانت سببا في معرفة الخصائص البنيويّة للخطابات العلميّة في مجال الطبّ، ابتداءً من الدّرس الصّوّي الّذي كشف لنا عن نوعين من الموادّ المسموعة المرئيّة ورأينا المستوى اللّغويّ الّذي تميّزتا به، وكان غالبا التّفصيل للعينة الأولى كونها تقترب من الفصحى أداءً، رغم التّقائص الكثيرة الّتي ذكرناها، وحاولنا ردها إلى المعيار الصّوّي، أمّا الدّرس الصّرفي فقد اعتمدنا فيه على مستويين الكلّمي والّذي يبحث فيه عن المثال الصّرفي (الميزان)، ودلالته الوظيفيّة، واللفظي الّذي اقترحه "الحاج صالح" والّذي يُراعي الرّوائد الدّاخلية ودلالاتها الوظيفيّة، ثمّ الدّرس النّحويّ الّذي ناقش موضوع الكلام المفيد، وما زاد عنه وفق القرائن اللّغويّة الّتي اقترح بعضها "تمام حسّان" وأضفنا إليها قرينة حدث الموضع، الّذي كان بديلا عن بعض القرائن الّتي لا تخدم فكرة التّعليق اللّغويّ خدمة كافية، كما عبر عنه "عبد القاهر الجرجاني".

فصل ثالث

النماذج الدلالية في تحليل الخطاب الديني عينات من الشُّروِق "أون لاين"

مطلب أول: نموذج تشاكل الخطاب وقانون قيد

الاختيار

مطلب ثانٍ: نموذج البنية الكبرى وقانون تفاعل القضايا

الجزئية

مطلب ثالث: نموذج الربط بين القضايا وقانون الترابط

السببي

فصلٌ ثالثٌ: النماذج الدلالية في تحليل الخطاب الديني عَيِّنَاتٍ مِنَ الشُّرُوقِ "أُونُ لَإِين"

يعتبر الدرس الدلالي أحد الدروس الضرورية في التحليل اللغوي، ولا يمكن أن يكتمل التركيب دون أن يكون له قصداً محدداً اتجه لتمثيل التصورات الذهنية أو العالم الخارجي، فقد استثمر الدرس العديد من الآليات من الفلسفة في مهادها الأول، ثم اتصل بمختلف العلوم ليُبين عن أفكارها ويحدّد ملامحها، وما لبث زماناً طويلاً حتى صار درسا مستقلاً بأدواته الإجرائية، وأصبح على علاقة مباشرة بعلم اللغة الحديث، أو كما يُسمّى باللسانيات، واستقرّ متصلاً بمستوياتها؛ إذ يبحث في حقيقة الوصول إلى المعنى بقوانين خاصّة، استلهمت من شتى النظريات، ابتداءً من البنيوية التي اعتبرت العلامة هي محصلة الدال والمدلول، وبما أنّ موضوع الدلالة يخصّ وظيفة اللفظ الناقل للمعنى، أو اللغة الحاملة للفكر، فإنّ هذا الحمل لا بدّ له من قيود معرفيّة حتّى يصير المعنى ثابتاً في اللفظ، رغم ما تعرّضت له فكرة التمييز بين الدلالة والمعنى من نقد، بخصوصيّة هذا الأخير، وأنّه قسم من أقسام البلاغة إلّا أنّ اللسانيات دفعت هذا الخلاف، وجعله تابعا لوصف البنى التركيبيّة، ومستوى من مستوياته، ف"علم الدلالة إذن جزء من اللسانيات أي الدراسة العلميّة للغة"¹. خاصّة بعد وضع "سوسور" لعلم العلامات داخل كتاب (محاضرات في اللسانيات العامّة)²، حيث عرف علم المعاني من خلاله دراسة جديدة غير التي كان عليها من دراسة الأساليب التركيبيّة.

فعلم العلامات أو كما يعرف بالسيمياثيات أو السيميولوجيا، جعل الدرس الدلالي يدخل مغامرة جديدة لم يكن على عهد بها، "واصطبغ هذا العلم بالإثارة والتشويق على ما فيه من تعقيد وغموض وتأرجح في الآراء والنظريات"³.

فقد وُصف علم الدلالة بالغموض بسبب كثرة النظريات اللسانية التي جعلته متأرجحاً بين أقوال كثيرة، وهو ما جعله يخضع لتصوّرات فلسفيّة ما تزال لصيقة به، فظهرت اتجاهات كثيرة تتغذى بهذا الدرس اللساني الحديث، وتأخذ منه مدداً متواصلاً، منها الاتجاه السيميائيّ البنيويّ، والذي تبنّاه "غريماص" (Algirdas Julien Greimas) (1923م/1991م)، رائد السيميائيات السردية صاحب كتاب (علم الدلالة البنيويّ) "Sémantique

¹ - أ.ف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، 1985م، ص 01.

² - يُنظر: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، دار الياس المصرية، القاهرة، 1986م، ص 149.

³ - أ.ف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، ص 08. (المرجع السابق)

"structurale" حيث أصَّل فيه لنظريته "المربع السيميائي" التي اختزل فيها حقيقة تجلّي المعنى قائلا: "إنّ المعنى مرادف لإجراء موجّه، مفترض، وهو كلّ إجراء سيميائي"¹.

والافتراض عنده هو الارتقاء إلى مفهوم "النمذجة"؛ أي جعل كلّ الأحداث الخارجية مجرد إجراء سيميائي يوجهه نموذج عام مختزل في الذهن؛ أي كلّ تفاصيل الحياة التي نعيشها بمختلف وقائعها زمانا ومكانا وحالا هي واحدة عند جميع البشر، وإنّما الاختلاف في تصوير مشاهد هذه التفاصيل، ومن هنا تأتي فكرة السردية التي ضبطها بقوانين دلالية سنأتي عليها في المطلب الأول.

ومن المشكلات التي تطرّق إليها اللسانيون في الدرس الدلالي هي "أنّ المعاني لا تبدو مستقرة بل إنّها تعتمد على المتكلمين والسامعين والسياق... بالإمكان إجراء التمييز بين النظام اللغوي واستعمال هذا النظام من قبل المتكلمين والسامعين"².

فإذا حصل هذا التفريق بين حقيقة اللغة كنظام من العلامات مستقلّ عن الذات، وبين استعمال هذا النظام متّصل بالذات (منجز فرديّ) أو ما يُعرف بالكلام على التعبير السوسيري، فإنّه سيحيلنا حتما إلى حقيقة الاستعمال الذي تأتي من خلاله النظرية التداولية (البراغماتية)، وليس هذا ما نريد شرحه، إنّما جرّنا إلى هذا الكلام فكرة "المعاني المتغيرة" التي تكون سببا في توجيه المتلقّي إلى أمر لم يكن الخطاب يقصده، ومن هنا جاءت بعض النماذج الدلالية لتصنع قوانين تتحكّم في مسار التركيب من حيث القصد.

وقد يقول قائل لماذا اخترت في هذا الفصل التكلّم عن النماذج الدلالية بدل الحديث عن القضايا الدلالية مثل نظرية السياق أو التطور الدلالي أو أنواع الدلالات...؟
الجواب له عدّة مبررات أكتفي بذكر ثلاثة منها:

- تحليلات المعنى في العيّنات التي اخترناها وآثرناها في التحليل لا تتطلب الحديث عن المولد والدخيل؛ إذ الكلام عن هذه المسائل تتعلق باللفظ قبل المعنى، وهذا قد يلحق بالفصل السابق، ويدخل ضمن الخصائص التركيبية بعرض الألفاظ الدخيلة ومناقشتها ثم مناقشة دلالتها وقد مرّ معنا ذلك، وبهذا قد يحصل اضطراب في تحديد الفصول والمطالب، بينما الأصل أن نأتي على شيء جديد مستقلّ فصلا، ويتفصّل مطلبا،

¹ - A. J. Greimas; Sémantique structurale, éd, Larousse, Paris, 1966, p 15.

² - آف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، ص 10. (المرجع السابق)

وإطلاق لفظ النموذج يعطي للموضوع صبغة جديدة، وبعدها آخر، وبما أنَّ الخطاب الديني يتميز بالأصالة، حيث ينطلق من القرآن، والحديث، والآثار، وغيرها من الشواهد العربية القديمة، وإن استخدمت الدارجة فهي لا تبتعد عن منطق الدين من أجل تبسيط الفكرة، فإنَّ ذلك يجعلنا نفكر في مباحث أخرى تقترب من الخطاب تحليلاً وتعليقاً.

● الكلام عن قضايا الدرس الدلالي أفاض فيه غير واحد، وأصبح معلوماً لدى أغلب الباحثين، فلا سبيل لإعادة ما تفضلوا به، فعلى الباحث أن ينظر في الجوانب التي تحتاج إدراكاً أعمق لتساير ركب الحداثة بشروطها، ولذا من المناسب إقحام بعض النماذج الدلالية الحديثة، وربطها أو مقارنتها مع بعض ما يشبهها أو يتقاطع معها في الدرس العربي القديم كما سنرى، والتي تخص المعاني وترتيبها وتنظيمها من أجل انسجام الخطاب، فإن كان الصَّوت والصَّرف والنحو مستويات تحقق اتِّساق الخطاب بالوسائل التي مرَّت معنا، فإنَّ لهذا البناء المتسق وسائل ومظاهر تُحكم ضبط المعاني وتجعلها منسجمة، ولعلَّ باب الاتِّساق بات معلوماً لدى كلِّ دارس، ومع ذلك الإحاطة بباب الاتِّساق ظلَّ معقداً، ولم يَتَّبِعُوا على شيء واحد يجعل وسائله ثابتة، وربما لذلك سبباً وجيهاً، وهو اعتبارهم أنَّ اللَّفظ معلوم؛ فهو نظام علامات مادية واضحة لها قوانينها الثابتة، بينما المعاني جوهرها ذهني أو نفسي لا يمكن حدّه بوحدة قياس ثابتة، ولذا اضطرَّ اللسانيون النبيويون إلى عزل الذات المتكلمة عن ماهية اللغة، ولم يولوا اهتماماً بقضايا المعنى، إلَّا من انفرَد بموقفه مضيفاً قوانين للمعنى حتَّى يكون له انسجاماً مقبولاً.

● الدرس الدلالي من الدروس التي عرفت الكثير من النظريات والآراء مما جعل محددات الدرس غير واضحة وضوحاً يدعو إلى ملامسة الحدث اللغوي بمقاربة تحليلية جادة، نظراً لطبيعة التأثيرات التي اكتنفت الدرس، خاصة التأثير الفلسفي الذي شحَن قضاياها بمدِّ عازم على طرح المشكلات في كلِّ حلٍّ مؤقت، ولذا تعيَّن عليَّ أن أختار من جنس الشيء ما يقوم بسدِّ العازم، فالدلالة بما فيها من مباحث فلسفية ستقترب من بُنيَّتها عن طريق مورد فكري ملازم للتركيب اللغوي في الخطاب، وأقرُّها مبحث النماذج الدلالية التي تجعل من المعنى نموذجياً أو مثالياً مؤدياً للغرض بأبسط الطرق، لأنَّه دون وضع النماذج التي تضبطها قوانين خاصة بالمعنى سيظلَّ التركيب غامضاً ومحتماً، خاصة الخطابات المجازية، والزبقيَّة، لكن بفضل القوانين المنافسة لها ستحظى الخطابات بمركزيَّة ثابتة قابلة للتعميم.

بعد ذكر المبررات التي جعلتنا نخصّص فصلا عن النماذج الدلالية ، نأتي إلى المبررات الأخرى التي تخصّ العينة المختارة، ولماذا كان المجال الديني من قناة الشُّرُوق "أون لاين" حاضرا معنا ليمثّل هذه النماذج؟ في الحقيقة قد يكون الخطاب البشري بصفة عامّة هو خطاب مبني على الاجتهاد الذي يبذله المتكلّم، كل واحد حسب قدرته اللغوية، وأدائه الفردي، مما يجعل سائر الخطابات تركز إلى الضعف، ولو كان يسيرا، إلّا الخطاب الديني الذي يعتبر أغلبه خطابا ثابتا في ألفاظه، ومعانيه نظرا لوجود الشواهد الكثيرة فيه من الأدلة القرآنية والنبوية والآثار السمعية، فإذا جئنا بخطاب ديني ولمسنا جوانب الضعف فيه تركيبا وأسلوبا حقّ أن يُعلم الضعف فيه حتّى يُصحّح، وذلك وفق آليات محدّدة منها التركيبية والدلالية، وحتّى التداولية، ولذا كان الاعتناء به من الواجبات الشرعية التي يختصّ بها اللساني في أيّ زمان ومكان، فيُنظر في حقيقة الخطاب هل استطاع أن يُحقّق الكفاءة اللازمة في معانيه خاصّة؟ وهل انضبط بقوانين محدّدة تجعله منسجما في ذاته؟.

هذا ما ستحاول المطالب الثلاثة الآتية تليّيته، والنظر فيه عن طريق أخذ عيّنات من خطابات الشُّرُوق "أون لاين" الجزائرية المعروضة عبر الوسائل الإلكترونية، وتحديدنا نخصّ من الوسائل دائما "اليوتيوب" وما يتّصل بها. وأوّل هذه النماذج التي تتقدّم المطالب نموذج "غريماس" (Greimas) ويقوم على فكرة "تشاكل الخطاب"، تتحدّد بقانون هام جدّا حتى يصل به إلى تحقيق الانسجام في الخطابات البشرية، وهذا ما سنؤسّس له لاحقا، ثم نتبع بقية المطالب بنماذج دلالية أخرى "كنموذج البنية الكبرى لـ"تون فان ديك" (Dijk Teun A. van) الذي يفرّع من الموضوع العام للخطاب الأفكار الجزئية التابعة له، ونموذج جان ميشال آدم (Jean Michel Adam) الذي يشرح كيفية تفاعل القضايا تفاعلا خطيّا لبناء الفكرة العامة¹.

ثم نختم الفصل بنموذج ترابط القضايا بذكر أهمّ وسائله، وأدواته، وأشكاله التي يمكن أن تُحقّق المطلوب من الوصف التّسقي للخطاب الديني.

¹ - رزيق بوزغاية، وراقات في لسانيات النصّ، ص 123. (المرجع السابق)

فَصْلٌ ثَانٍ

النَّمَاذِجُ الدَّلَالِيَّةُ فِي تَحْلِيلِ
الْحِطَابِ الدِّيَنِيِّ عَيْنَاتٍ مِنْ
الشُّرُوقِ "أُونْ لَآيْن"

مطلب أول: مُنَوِّجُ تَشَاكُلِ الْحِطَابِ وَقَانُونِ قَيْدِ الْاِخْتِيَارِ

مطلب أول: نموذج تشاكل الخطاب وقانون قيد الاختيار

من أهم النماذج الدلالية التي اقترحت قوانين خاصة لضبط المعاني هو نموذج "الجيردا جوليان غريماص" (Greimas)، وكان نموذجاً يخضع لتصورات البنيوية "السوسيرية"، وارتبط بـ "المرجع السيميائي" وشرحنا بعض قوله في هذا الشأن، فهو نموذج دلالي بنيوي يحكمه قانون خاص، من خلال فكرة "تشاكل الخطاب" وهدفها "أن تبحث في قوانين الربط بين الوحدات اللغوية بطريقة معقولة تجعل منها أشكالاً لسانية دالة"¹.

فهذه الأشكال اللسانية الدالة يمثلها البناء الشكلي للفكرة، أو هي مجموعة دوال ترتكب مع بعضها وفق قوانين يحددها عُرْف النظرية، ومن خلالها يتحدد المعنى بمنطقية مقصودة، وهذه تمثل إشكالية ضاربة منذ أن اتصل الدرس الدلالي باللغة، والبحث فيها يوجب "العثور على قوانين المعنى"².

وقد كان أستاذه "لويس هيلمزليف" (Louis Hjelmslev) (1899م/ 1965م)، يرى بأن البنيوية لا تُعنى بإقصاء الظواهر المتصلة بها، أو عزل البناء عن ظروفه المحيطة به، بل هي عبارة عن "شبكة علاقات بين المكونات النصية تجعلها وحدة تواصلية"³.

أراد "لويس هيلمزليف" (Louis Hjelmslev) وتلميذه "غريماص" (Greimas) أن يركزا عن العناصر أو الوحدات اللغوية⁴، وعلاقتها ببعضها هذا من ناحية الماهية، حيث ذكر الأول عبارة "الربط بين الوحدات" وذكر

¹ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ص 123. (المرجع السابق)

² - Lyons, J., Ling. Générale, Larousse, Paris, 1970, p 307

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - وقعت إشكالية في تحديد مصطلح الوحدات، قد يكون سببه رجعا إلى تحديد المضاف إليه، فإذا كان المقصود بالوحدات "اللغوية" فقد يلتبس مع مفهوم الوحدات الدلالية، فإن الأول يقصد به النظام اللغوي ككل يتضمن المبنى والمعنى معا وهذا معلوم، حيث يصير المعنى جزءا من النظام، بينما الثاني هو محل كلام عريض، وقبل حصر الإشكال الأساس، الذي هو حقيقة الوحدات الدلالية، ينبغي معرفة المقصود من الدلالة، والحديث عن المقصود قد يستغرق منا صفحات كثيرة لتحقيق المصطلح، ولكن على الأقل يمكن اعتباره وظيفة يؤديها اللفظ لنقل المعنى، بما أنّ الدلالة منعقدة على الدال والمدلول اعتبارا، فإنّ الدال شيء يحيل إلى معنى قائم في النفس، أو في العالم الخارجي إلى النفس، ثم يتجسد لفظا وكتابة، ويصبح بهذا مصطلح الدلالة قريب من مصطلح اللغة، وقلت قريبا نظرا لتباعد ماهية العلمين، فاللغة أصوات تعبيرية غرضها تبليغ الحاجة، أما الدلالة فهي تحقيق الغرض لسانا قصد التوجيه أو التغيير، وإن شئنا قلنا بأن اللغة تواضع واصطلاح، والدلالة كذلك تواضع واصطلاح تنشأ عن حالات التخاطب، وبعد هذا التفصيل الوجيز يعود بنا الأمر إلى الفكرة الأولى (الوحدات)، فالذي يظهر أنّ الوحدات اللغوية أو الدلالية نفسها، فما هي الوحدات اللغوية أو الدلالية إذا؟، الإجابة نجدها عند "عمر مختار" قد جمعها في كتابه قائلا: "وتختلف وجهات النظر اللغوية حول تعريف الوحدة الدلالية أو اللغوية، فمنهم من قال إنها: الوحدة الصغرى للمعنى، ومنهم من قال: تجمع من

الثاني "علاقات بين المكونات النصية" فحاصله أن الربط يكون علاقات منطقية، وهو قيد مهم أشار إليه "غريماص" (Greimas) في نصه، وهذا ينفي العلاقة غير المنطقية بين العناصر اللغوية، فإذا كان اللفظ يصيبه التغيير فيكون بذلك كلاما ملحونا غير مستقيم، فإنَّ "المعنى أيضا [يصيبه] شيء كثير من التغيير؛ لأنَّ المعنى لا يوجد منعزلا عن المعاني الأخرى فهو يدخل في نظام من العلاقات العقلية"¹.

وهذا التغيير بسبب عدم منطقية الجمع بين المعاني عقلا، كأن تدخل المجازات أثناء التعبير عن المعاني الذهنية أو ما حصل في العالم الخارجي، وهو سَمَاء سيبويه بـ "المستقيم الكذب" وضرب لذلك مثالا وهو: "حملت الجبل وشربت ماء البحر"².

والمجاز عنده هو الكذب، في حال عدم وجود مبرر يجمع بين المعاني المتعارضة، ولم يُعرف عنده لفظ المجاز في كتابه، وربما في الكتب التي اهتمت بعلوم العربية كلها، إلا ما جاء صريحا عند بعضهم بلفظ المجاز، مثل ما جاء في عناوين بعض الكتب قديما، كـ "مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت 199هـ)، وهو معاصر لسيبويه، والمجاز عند سيبويه أطلق عليه لفظ "سعة الكلام"؛ أي أنَّ الكلام واسع يجري على طرق كثيرة، وربما كان المجاز قديما غير المجاز الذي صار إليه حديثا، كما يمكن أن يكون التغيير في المعنى بسبب استحالة الجمع بين المعاني وسَمَاء سيبويه بـ "المحال" وعرفه بقوله: "أن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس"³.

وهذه الحالة الثانية لا يمكن الجمع فيها بين معنيين متضادين، ولذا كان الأمر محالا؛ أي أُحيل أو صُرف المعنى عن وجهه الواجب، ويوجد أيضا ضمن تغير المعنى القبيح الذي يُحمل على سوء العبارة، رغم تحقق القصد بها إلا أنَّ القبح جعل المعنى مشوها -إنَّ صحَّ التعبير-؛ أي زال منه البيان مع تحقق المنال، وعرفه ومثّل له سيبويه بقوله: "أن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، ولي زيدا يأتيك وأشباه هذا"⁴.

الملامح التمييزية، ومنهم من قال إنها: أي امتداد من الكلام يعكس تباينا دلاليا... ويقول بعضهم الوحدة الدلالية هي النص (علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة 5، 1998م، ص 31).

¹ - الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب 3، (د.ط)، (د.ت)، ص 111.

² - سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 08. (المرجع السابق)

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فهذه ثلاث حالات يكون فيها الجمع بين المعاني غير منطقي، ولذا "أكثر ما يثير اهتمام الباحثين في هذا المجال الروابط الدلالية أو المنطقية بين القضايا المشكّلة للنسق، وليس النحو في هذا المجال إلا إطاراً لتلك الروابط"¹.

أما من الناحية الوظيفية فينشأ التركيب قصد تحقيق التواصل حسب "يلمسليف" في القول السابق، ولكي يحصل هذا الأخير ينبغي أن يتحقق في التركيب مجموعة شروط منها القوانين الخاصة التي تحكم شرعية الربط المنطقي بين القضايا، حتى تتم الوظيفة على الوجه المناسب، وهذه القوانين تكون تحت إرادة النموذج الدلالي الذي يُحقق الشرعية الضرورية للخطاب ليضمن له انسجاماً طبيعياً.

وبما أنّ "الدلالة تفترض وجود علاقة: فظهور العلاقة بين المفردات هو الشرط اللازم للدلالة"². فإنّ خير ما يمثل هذا الافتراض هو قانون "قيد الاختيار" وهدفه البحث عن "وجود انسجام منطقي بين الدلالات المفردة للكلمات المكوّنة لتركيب لغوي حتى يحظى هذا التركيب بمقبولية لدى المتلقّي"³.

وهذا شبيه بتأصيل "سيبويه" السابق، يقضي بوجود منطق في التركيب دلاليّاً، رغم اعتبار الدارسين كلامه يندرج ضمن إطار نحويّ فقط، إلا أنّ الحقيقة ليست هذه، فوصف الكلام بالمحال والكذب والقيح، ليس وصفاً شكليّاً، بل هي إطلاقات يُراد بها المعنى، فمن المحال اجتماع زمن الماضي والمستقبل في تركيب واحد، فهو يخرم معنى الزمنية، ويحدث اضطراباً في الأحداث، وهكذا بالنسبة للكذب فهو معنى غير مطابق للواقع، ولا نقول اللفظ غير مطابق للواقع، فقد يكون اللفظ مستقيماً مع غيره، وهو يتعلّق بذات النظام اللغويّ، على العكس من المعاني التي تعكس ما في العالم الخارجي من صدق أو كذب.

كما يوجد من الباحثين من استعمل مصطلح "الترابط" وقصد به "الجملة وعلاقة معناها بمعنى الكلمة"⁴. ثم واصل "بالم" كلامه عن فكرة "الترابط" مفصّلاً لها نقلاً عن "بيروش" (biroche) (1970/م/....) قائلاً: "على نظرية الدلالة أن تشرح جملاً مثل:

1- كان لآلته الطابعة قصد سيئ.

¹ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النصّ، ص 122. (المرجع السابق)

² - A. J. Greimas; Sémantique structural, p 19.

³ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النصّ، ص 124. (المرجع السابق)

⁴ - آف. آر. بالم، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، ص 38. (المرجع السابق)

2- أختي غير المتزوجة متزوجة من أعزب.

3- [تحدث الرجل عن حب القائد].

4- أ- الإبرة أقصر مما يجب.

ب- الإبرة ليست طويلة بما يكفي.

5- أ- كان كثير من الطلبة غير قادرين على الإجابة عن سؤالك.

ب- استطاع قليل من الطلبة فقط الإجابة عن سؤالك.

6- أ- كم يوماً بقي أرشيبالد في مونت كارلو.

ب- لبث أرشيبالد في مونت كارلو لبعض الوقت.

الجملة الأولى (1) مثال لجملة شاذة [لأنَّ القصد للعاقل وأنَّ الآلة الطابعة شيء غير عاقل].

الجملة الثانية (2) مثال للتعارض وليس للتناقض؛ إذ الأول يكون بين القضايا في ذاتها، وهذا التعارض يمكن

دفعه بحصول القرائن الدلالية من جمع أو نسخ للكلام السابق أو ترجيح، وقد استعمل علماء أصول الفقه هذه

القاعدة المنطقية لرفع اللبس عن القضايا المتعارضة، وهو مثله في الكلام البشري العادي، فقله: "أختي غير المتزوجة"

هذه قضية تخبر عن الحالة الاجتماعية للأخت، ثم عارضها بقضية أخرى وهي: "متزوجة من أعزب" وهذا مثال لنسخ

الكلام، بينما لو حصل التناقض على مستوى اللفظ يستحيل معه الجمع كقولك: "سأنظر في الأمر أمسا" هنا حصل

التناقض بين حرف "السين" التي تدخل على الفعل فتجعل دلالة زمنه في المستقبل، ولفظ "أمسا" الدالة على الماضي،

وهذا التفصيل نُرجئه إلى محله في مطلب الحجاج.

المثال الثالث (3) جملة غامضة تحتاج إلى تفسير المحبة [حبَّ القائد للشعب أو حبَّ الشعب للقائد]،

المثال الرابع (4) يمثل تفسير الجملة الأخرى أو جملتين مترادفتين.

المثال الخامس (5) "نتج جملة من جملة أخرى، في حين أنَّ الجملة الأولى في المثال (6) تتضمن أو تفترض

الجملة الثانية في المثال (5)"¹.

¹ - آف. آر. بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، ص 38، 39. (المرجع السابق)

إذا الحكم على الجملة الأولى بالشذوذ في معناها يلحق بالكذب أو المجاز (على اختلاف بين القدامى في استخدام المصطلح)؛ لأن الطابعة ليس لها قصد كما في المثال وهو من باب الاستعارة، والحكم على الثانية بالتعارض، يلحق بالقيح تجوّزا، فقد يكون كلاما مستقيما؛ إذ الأخت غير المتزوجة متزوجة من أعزب، حصل بذلك شيء من الفائدة في الخبر وهو أنّ الأخت لم يسبق لها الزواج فخرج عن كونها مطلّقة أو أرملة، وكذلك زواجها من أعزب خرج عن كونه تزوج من قبل وطلّق أو متزوج ويريدها الثانية، وبالتالي أرى أن الجملة لا تناقض فيها، فاللتناقض هو حصول الحال في المعنى كأن تقول: "أيتك غدا" فهذا تناقض على مستوى معنى الحدث في زمانهما، وهو داخل في ضرب الحال، وفي الحكم على الجملة الثالثة بالغموض، فقد يحدث مثل هذا الغموض في تأدية المعنى المقصود، ولكنه يكون كلاما حسنا من حيث المعنى، وإن لم يرتق درجة الكمال؛ لأنه من تمام الكلام في تأدية المعاني يوصف بالبلاغة، ولذا الجملة كونها تحتمل الكلام عن حب الشعب للقائد أو العكس لا يُخرجها عن المعنى الحسن، فالغموض يسقط بتتبّع القضية إلى نهايتها، وهنا تأتي فكرة "تشاكل الخطاب"؛ أي ربط القضايا على معاني محرّكة لمعطيات التركيب.

أما الحكم الرابع في المثالين (أ) و(ب) بأن الثانية جاءت مفسّرة للأولى فهذا يمثل النموذج في حدّ ذاته وهو "تشاكل الخطاب" "فإذا كان الدارسون يدعون قانون التناغم الدلاليّ بين مكونات الجملة الواحدة قيد الاختيار، فإنّ تعميم هذا القانون على البنية النصّية، كما اعتمده "غريماص" (Greimas) والدارسون من بعده، سمي تناظرا أو تشاكلا"¹.

وحى يتمكّن "غريماص" (Greimas) ومن بعده من هذا النموذج لا بدّ من تأسيس بعض المصطلحات التي يتوقف عليها بناءه، وحتى يستطيع هو وغيره من اعتمادها في التحليل الدلاليّ وتطبيقها على كل الخطابات، وتعتبر كأدوات للوصف الدلاليّ اقترح في نصه ما يلي: "البحث عن الوحدات الدالة الأولى على مستوى البنى، لا على مستوى العناصر. هذه الأخيرة التي نسميها علامات، أي الوحدات المكونة أو المونيمات، ليست إلا ثانوية في إطار البحث عن الدلالة. ليست اللغة نظام علامات، ولكنها تجميع اقتصادي لبنى الدلالة"².

فرق "غريماص" (Greimas) بين الوحدة الدالة في البنى، والوحدة المكونة للبنى، واعتبر هذه الأخيرة بمجموعها هي مخزنة للأولى، ووضع ضابطا مهما قد يستلهم منه الباحث فكرة تجاوز حدود الشّكل إلى المضمون، فاللغة هي

¹ - أ رزيق بوزغاية، وراقات في لسانيات النصّ، ص 124. (المرجع السابق)

² - A. J. Greimas; Sémantique structural, p 19.

علامات تحتفظ بالفكرة؛ أي حاملة له في تجميع اقتصادي كما وصفه، ووضع مصطلحا يمثل أصغر بنية دلالية وهو "Sème" وهو عبارة عن مفصل أساسي يجمع بين بنية وأخرى في معنى يجمعها معا، وإن شئنا قلنا عنه بأنه أصغر مكون دلالي يتموضع بين دلالات الألفاظ، مثال: فإذا قلنا "طائرة" و"طائر" فكلاهما يجتمع على حدث الطير، أو "رجل" و"امرأة" يجتمعان على معنى "الجنس".

فإذا تقيّدنا بقانون قيد الاختيار بغية استصحابه إلى فكرة النموذج فيجب على المتلقّي "أن يعمل ضمنا على الاختيار من بين الواسمات المكونة لوحدة دلالية لمنتجات حقيقية بالنظر إلى السّياق"¹. وهذا من أجل تحقيق كلام مستقيم حسن، والابتعاد عن المحال (التناقض)، والكذب (الشذوذ)، والقيح (الغموض) من المعاني.

فقانون قيد الاختيار هو أصل فكرة "تشاكل الخطاب" الذي يعمل على ربط القضايا ربطا مناسباً، وفق مقترح "السّم" أو "الواسمات" التي تعمل على تحقيق مفهوم الكلام "المستقيم الحسن"، وتعميم ذلك على الخطاب كلّ، بشرط المنطقية التي تحدّثنا عنها، من أجل انسجامه وتقريبه للمتلقّي في أحسن صورة، فإنّ الرّبط بين القضايا يتطلّب اللغة والمنطق لضمان التماسك الدلالي.

ثم جاء من عدل وطور وأضاف مصطلحات تخدم المعنى من أجل ردّ اعتباره بعد أن كان اللّسانيون منغمسين في البحث عن الوحدات اللّغوية بدل الوحدات الدلالية التي تُعتبر الأساس في التّجميع اللّغوي، فافترضوا "وجود سيمات "Sèmes"، أي المكوّنات النهائية للدلالة.

فهناك نوعان من السيمات: السيمات النّووية المنتمية إلى المستوى السيميولوجي للغة (التّضمين) والتي تظهر في رحم الوحدات المعجمية (الأكسيمات)، والكلاسيمات "Classèmes"، المنتمية إلى المستوى الدلالي للكلام، والتي تظهر في الوحدات التركيبيّة الأكثر اتّساعاً والمكوّنة من لكسيمين على الأقل. المعنم "Sémème" أي معنى وحدة في الخطاب، هو التّضافر المتجلّي للسيمات النّووية والكلاسيمات. بتعبير آخر يتأتّى معنى وحدة من سيماتها الخاصّة وسيمات سياقها الخطابي"².

¹ - رزيق بوزغاية، وركات في لسانيات النّص، ص 124. (المرجع السّابق)

² - Pierre Frath; Sémantique, référence et acquisition automatique de connaissances a partir de textes. These présentée a l'université des sciences humaines de Strasbourg pour obtenir le titre de

الشاهد من القول هو ذكر مصطلحين تابعين للمصطلح الذي اقترحه "غريماس" (Greimas) وهو "الواسم/السيمات" نجعلهما في تحليلنا الدلالي للخطاب الديني، وهما:

اللكسيم¹، الكلاسيم²، ويعبران من أهم ما يوجد في هذا النموذج الدلالي الحديث.

رغم أنّ "الواسم" الذي ورد في المثال "المكانية" إلا أنّه يمثل واسما أساسا للفظ "المسرح" على صيغة "مفعّل" وهو مثال صرفي يدلّ على المكان، وإنّما الجمع بين "ذاهب" و"المسرح" بسبب قرينة التعليق، وتحدثنا عن هذا في الفصل السابق؛ إذ القرينة تجعل العناصر تتعالق وفق قانون قيد الاختيار الذي شرحناه، فمفاد هذا التعالق النحوي أن تكون العناصر اللغوية مختارة بدقة، وبطريقة منظّمة، وتحدّد الدقّة والتنظيم بالعنصر الدلالي الذي تتضمنه العلامات، ولذا يعتبر المعنى أسبق من العلامة من حيث الوجود، فالمعنى يؤسّس للبنية السطحية، وفق مقترح الأداء.

مع أنّ صاحب المثال تفتّن لجزئية هامة وهي قوله "لكلّ كلمة منها واسمات متضمّنة أخرى"، فالكلمة لها مركز يتحدّد بالمستوى المعجمي، وهو "اللاكسيم"، إلا أنّ حقيقة القانون يظهر أثناء تعالق لكسيمين فما فوق، ومنه توسيعه ليشمل النصّ عن طريق تعالق القضايا بدل المعنى الأصغر "واسم" الذي يكون في الجملة البسيطة بدل سلسلة جمل (النصّ)، ومن القضايا المتعاقبة تُجسّد حقيقة "تناظر/ تشاكل الخطاب" ومن الوسائل التي تترابط فيها القضايا الجمل التفسيرية التي يرتبط فيها السبب بالمسبّب، مثاله سبق معنا، ومثال آخر قدّمه الدكتور "بوزغاية رزيق" وهو

Docteur, Spécialité Sciences du langage. Sous la direction de Francois Rousselot. France, Novembre 1997. P 100.

¹ - يظهر من اللفظة أنّها مكوّنة من شطرين "اللاكس" بمعنى المركز، و"سيم" بمعنى العلامة، غير أنّ "السين" أو "S" وردت مرة واحدة بسبب الإدغام، وعند جمع المعاني نحصل على نفس المقصود الذي جاء في النصّ وهو مركز العلامة، أو العنصر الدلالي، فالمعنى نحصل عليه من عموم علم العلامات أو السيميولوجيا كما جاء في النصّ، ومعاني هذه العلامات نجدها في المعاجم، وبالتالي هذا جانب هامّ من الشرح، وهو طرف المسألة حتى تجتمع المدلولات أو المعاني على تركيب يتسم بالمقبولية النصية.

² - وهو حاصل لكسيمين أو حاصل علامتين أو أكثر، أو هو اجتماع علامتين أو أكثر على معنى يجمع بينهما السياق، مثال: (أكل زيد التفاحة)، فهنا ثلاث علامات، وتتضمن حدث الأكل وفاعله، ومفعوله، والمعنى المشترك بينهما هو "الطعمية"، وكأننا نبحث عن علّة تجمع بين العلامات الثلاثة في واسم مشترك، فإذا قلنا الواسم هو "الطعمية" يتبادر إلى الذهن طعاما يؤكل من فاعل معيّن، ومثال آخر أعطاه "كورتيس" "Courtés"، قائلا: "لنعد إلى ملفوظنا: "هو ذاهب إلى المسرح". هنا نرى أنّه من خلال التوالي بين "الكلمتين "ذاهب" و"المسرح" نجد لهما واسما مشتركا هو /المكانية/ حتّى وإن كان لكلّ كلمة منها واسمات متضمّنة أخرى" (ينظر:

(Joseph Courtés: La sémiotique du langage. Armand Colin, paris 2007, p 103).

تطبيق على آية من سورة البقرة رقم 1259¹، رغم كثرة التفاصيل في الآية وهذا من باب سرد الأحداث، إلا أنّ القضيتين الأساسيتين اللتين تكشف عنهما الآية هي: الأولى الإمامة، حيث يظهر ذلك في حوار عزيز - عليه السلام - لنفسه أو في حوار الله قائلاً له: ﴿كَمْ لَبِثْتُ﴾ واستمر الحوار، والقضية الثّانية هي الإحياء، جاء في شكل حوار مباشر استند إلى آية الوصف في إثبات حجة البعث بقرائن لفظية (الطعام، والشراب) وقال عنهما ﴿لَمْ يَسْنَنْ﴾؛ أي لم تتأثر بطول السنوات التي مرّت بهما، وذكر (الحمار، والعظام) كلّها قرائن لفظية تحيل إلى الواسم الأساسي، والمكوّن الدلاليّ الرئيس في الخطاب وهو "الإحياء"، والحدثان وردا في سياق السرد، وهذا شكل من أشكال التناظر.

إذاً نلاحظ أن الخطابات عموماً تحتوي على قيود لفظية كآتي مرّت معنا في الفصل الأوّل، وأخرى معنوية، أمّا هذه الأخيرة تحتاج إلى تفصيل حتّى نحصل على معرفة منظّمة ودقيقة؛ إذ هناك معنى يتعلّق بالوظيفة، وهذا تمّ تفصيله في الفصل السّابق، ومعنى يتعلّق باللفظ من ناحية العُرف، كأن نضع لتصوّر ما في العالم الخارجي لفظاً دالاً عليه، وهذا المعنى الذي يحصل مفرداً دون مقام ينتمي إلى المستوى المعجمي، وحين يقع في مقام ما من أجل إبراز قيمته التّواصلية يتعيّن اختيار المعنى المناسب في المقام المناسب، فإذا كان في مقام الدّين نختار المعاني الدّينية التي تنتمي إلى حقله، ومنه تأتي الألفاظ كبنية سطحية لتُفصح عن مدلولات مركّبة في الخطاب المحدّد، وهذه المعاني تخضع للقانون الذي افترضناه ليُنشئ العلاقات المناسبة بين المعاني، وعند تضافر هذه المعاني يتشكّل الخطاب، ويحدث التناظر بين القضايا المحوريّة فيه، كما يمكن جمع العديد من الواسمات الفرعية تحت واسم رئيس واحد، ويحصل ذلك مثله في الجمع بين القضايا تحت حقل دلالي واحد؛ إذ "ليس شرطاً أن يحتزل الواسم في وحدة معجميّة متداولة لأنّ وسائل الوصف اللّغويّ للروابط الدلاليّة قاصرة، ولا تملك تمثيل كل التّحليلات الدلاليّة المقصودة، ولكن المعرفة اللّغويّة حول نظريتي الحقول الدلاليّة والتّحليل التكويني تزودنا بمفتاح القضية"².

¹ - قال الله سبحانه: ﴿أَوَ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَئِنِّي لَمُجِيبٌ لَّهُدِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَّا اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ ۖ قَالَ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ۖ لَمْ يَسْنَنْ ۖ وَانْظُرْ إِلَى جَمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى عِظَامِكَ كَيْفَ نَشَرُهَا ۖ ثُمَّ كَتَبُوهَا كِتَابًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة، الآية 259].

² - رزق بوزغاية، وركات في لسانيات النصّ، ص 141. (المرجع السّابق)

الشاهد من القول هو حديثه عن مفتاح كل قضية يظهر من خلال جمعها تحت حقل دلالي واحد، فلو أخذنا قضيتي الإمامة والإحياء اللتين وردتا في الشرح السابق لانهصر حقلهما في باب واحد وهو المصير، وهذا الجمع يحصل به تكثيف المعنى وجمعه إلى درجة انصهار الأجزاء في الكل، فلو قيل: ما مصير الإنسان؟، لكان الجواب يدور بين الموت والحياة، فقارئ الآية السابقة سيختزل كل المعاني التفصيلية في موضوع المصير.

بعد العرض المفصل للقانون والنموذج المحتكم إليه سيكون العمل في هذا المطلب على تطبيقه للوصول إلى فكرة "تشاكل الخطاب" الذي يُعين على انسجام الخطاب، ونرى مدى مطابقة الخطاب الديني للنموذج، فتحقيقه على الوجه الأكمل يكشف عن فاعلية كبيرة له، وأنه قادر على التأثير في المتلقي سلباً أو إيجاباً.

كما يمكن اقتراح الطريقة التي تناسب المطلب، حيث تكون في شكل جدول يضم أهم الأفكار التي مرت معنا، وسنحاول من خلاله أن نحلل الخطاب الديني المعروض عبر وسيط "اليوتيوب"؛ لنكشف عن المدلولات المركزية، ومن خلاله يمكن استخلاص الواقع اللغوي في الخطابات الدينية، ولا نكتفي بالوصف فقط، بل سنجهد في الشرح والتعليق على الجدول أسفله لتكتمل فائدة الوصف.

أولاً: تشاكل الخطاب وقانون قيد الاختيار في الخطاب الديني "حصة فاسألوا أهل الذكر أمودجاً":

بما أننا عرفنا المقصود من مصطلح "الواسم" وعلاقته في التأسيس للقضايا الخطابية الصغرى والكبرى نشرع في التعرف على كيفية التحليل الدلالي وفق النموذج السابق، لثلاث عينات من حصة "فاسألوا أهل الذكر" التي يحضر فيها الشيخ رفقة مقدّم البرنامج حتى يوجّه المقدّم الأسئلة التي تُعرض على الهاتف مباشرة، وتتكوّن السلسلة حسب ما يوجد في قناتها على "اليوتيوب" من خمسة أسئلة، وجزاز أن نصف جميعها بأنها خطابات عفوية ما دامت الأسئلة المعروضة على الشيخ لم يُحددها هو، أو ينظر فيها قبل الحصة، وقرائن العفوية كثيرة منها أن المتصل يقوم بالحوار مباشرة مع المذيع والشيخ، وكذلك كثرة تسكين الكلمات، والفصل والوصل في غير المحل المرتضى، وكثرة تكرار بعض الأحرف والكلمات، والجمل، مع الخوالب الصوتية التي يقوم بها للدلالة على الاستحضار سأضعها بين قوسين، مما يضفي طابع العفوية على الخطاب الحوارى غالباً، وبما أن هذا الفصل يُعنى بالتحليل الدلالي فإننا لن نتحدث عن الخصائص التركيبية لبنية الخطاب الديني، وإنما سيكون الكلام عن تحديد المعاني المكوّنة للوحدة الخطابية.

أ- عنوان الخطابات:

شريط 1- هل يجوز الجمع بين زوجين في عقد مدني وعقد شرعي؟.

شريط2- نسيت قداه من ركعة صليت كفاه ندير؟

شريط3- ما هو حكم الصّلاة في وقت الأذان إذا كان الإنسان مسرعاً لظرف خاص؟

ب- قائل الخطابات: المقدم حسين رضوان، والشيخ محمد العربي الشايشي من مواليد 1974م.

ج- مكان الخطابات: نُشرت الحصة سنة 2021م.

د- توقيت الخطابات:

شريط1- دقيقتان وثلاث ثواني (2، 3ثا).

شريط2- دقيقة واحدة وسبع عشرة ثانية (1د، 17ثا).

شريط3- دقيقة واحدة وثمان وثلاثون ثانية (1د، 38ثا).

وفيها يظهر الشيخ مجيباً عن السؤال آخذاً الوقت أغلبه، وكان حضور المقدم حضورياً توافقياً، أي مكرراً لبعض ما قاله الشيخ لتثبيت الفكرة أو طارحاً للسؤال.

هـ- تفريغ محتوى الخطابات:

يمكن تجزئة الأشرطة الثلاثة إلى جمل متتالية حتى يسهل استنباط الواسمات الدّلائية :

الشريط الأول:

ج1: "لا تُنصَح بذلك، لأنّ العقد الأول الذي أجرته مع الزوج الأول بالوثائق فقط يمكن أن يكون عقداً شرعياً".

ج2: "هي عقدت في فرنسا هكذا، حسب سؤالها، يمكن عقدت في البلدية هناك، يمكن أن يكون هذا العقد هو عقد شرعي".

ج3: "إذا توفرت الأركان والشروط، قد يكونوا عقداً شرعياً".

ج4: "بعض العلماء يرى حتى لو لم تكن صيغاً، لو كان فقط مجرد كتاباً وتوقيع، يعدّه عقد شرعي".

ج5: "إنّما عليها أن تفك العصماً رسمياً مع الأول، ثم تقدم على الزواج بالثاني".

ج6: "المشكلة لو أنّها مثلاً حملت من الثاني، حملت منه وطلّقها أو توفي، فذلك المولود على من يسجل؟!".

ج7: "هنا اختلاط الأنساب، وبالتالي هذه القضية، فيها أمورٌ متشابهة"¹.

الشَّرِيطُ الثَّانِي:

ج1: "لا حرج في ذلك، إذا تأكدت من دخول الوقت وكان المؤذن (آآآ) يضبط الأوقات، و(آآ) لا يقدم

الصَّلَاة، لا يقدم الأذان، عن وقته، فلتصلي ولا حرج في ذلك".

ج2: "ومادام هي مستعجلاً وعندها ظرف خاص تريد أن تغادر، فهذا أمر جائز ولا حرج في ذلك".

ج3: "والإنسان لو كان ليس مستعجلاً فالأفضل أن يبقى حتى يكمل الأذان لكي يردد ألفاظ الأذان".

ج4: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول كما في حديث أبي سعيد الخدري".

ج5: "وينال الإنسان أجر ترداد ألفاظ الأذان، وينال أجر الصَّلَاة عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان،

ويسأل الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم".

ج6: "يعني ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا

ذلك العبد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم".

ج7: "الأفضل لو أنها أخرت، لكن ما دام هي مستعجلاً فلا حرج".

ج8: "لهذا عليها أن تضبط الوقت جيداً ولا حرج"².

الشَّرِيطُ الثَّالِث:

ج1: "[أيضاً سائل يسأل يقول (آآآ) أعاني من مشكلة النسيان فكثيراً ما أنسى كم ركعاً صلّيت، في كلِّ

فريضاً، فماذا عليّ أن أفعل؟]".

ج2: "الواجب في هذه الحالة، لأن هناك من عنده كثرة الشك، وهناك من عنده كثرة السهو".

ج3: "المهم الواجب أن الإنسان، يبني على الكمال، دائماً يعني (آآآ) الإنسان يجعل نفسه كأنه فعل ذلك

الشيء الذي شك فيه".

ج4: "بمعنى الإنسان تردد هل صلى ثلاثاً أم أربعاً، اجعلها أربعاً".

¹ - <https://2u.pw/zoWoleuO>, It was viewed on: 08/09/2023 at: 15:15

² - <https://2u.pw/1Q2796B9>, It was viewed on: 09/09/2023 at: 16:21

ج5: "الإنسان تردد هل تشهّد التشهد الأوسط أم لا، اجعل نفسك أنك تشهّد تشهّد الأوسط".

ج6: "الإنسان تردّد هل ركعت أم لم أركع، اجعلها أنك ركعت".

ج7: "دائما ابن على الكمال، بمعنى دائما يعتقد الإنسان أنه فعل ذلك الشيء الذي شكّ فيه".

ج8: "هذا الإنسان الذي يكثر عنده الشك كثيرا، وبالتالي هنا الواجب، (أنّ لكل) أنه دائما يجعل نفسه كأنه

فعل ذلك الشيء".

ج9: "يني على الكمال، لا ييني على الأقل، ولا ييني على النقصان، ييني على الكمال".

ج10: "ترددت هل ثلاثاً أم أربعاً اجعلها أربعاً، حدثتك فيها نفسك هل ركعت أم لم أركع، اجعلها اجعل

نفسك كأنك ركعت، هل سجدت سجدتين أم سجداً واحداً اجعلها كأنك سجدت سجدتين وهكذا"¹.

و- طريقة العمل: يعتمد تحليلنا للعينات الثلاثة على الجدول لما تتسم به فكرة الجداول من التنظيم والتعيين، مع محاولة عقد مقارنة تجمع بين قانون قيد الاختيار وما وصفوه به، وفكرة تشاكل الخطاب وفق خاصية التناظر، والتي تتحقق غالباً تحت مفهوم الحقول الدلالية، حتى نرى مدى تحقق ذلك في الخطاب الديني، ثم ننبع الجدول بتعليق وشرح أهم الأفكار باستثمار كلام "سيبويه" و"بيروش" في الحكم على المعاني التي تُعين على فهم الرسالة كما عبّر عن ذلك "كورتيس"².

ثانياً: الواسمات المركّبة والقضايا التناظرية في الخطاب الديني:

تشاكل الخطاب		قانون قيد الاختيار	
الواسمات	الألفاظ الدالة	قضايا	التناظر
ج1: الشرعية/ القانونية	"عقد شرعي" و "العقد الأول" / "أجرته بالوثائق" و "عقد"	العقد المدني قد يكون شرعياً.	العقد المدني / العقد الشرعي
ج2: المكانية/ الاحتمالية/ الشرعية	"فرنسا" و "البلدية" / "يمكن" / "عقد شرعي"	إمكانية وجود بلديات في فرنسا فيها العقد الكامل.	العقد المدني / العقد الشرعي
ج3: الشروعية/ إذا" و "توفرت"	العقد الشرعي يساوي توفر	الأركان/ الشروط	

¹ - <https://2u.pw/pd2dSEP9>, It was viewed on: 10/09/2023 at: 14:23

² - Joseph Courtés: La sémiotique du langage, p 103.

الشرعية.	"الأركان" و"عقد شرعي"	الأركان والشروط.	
ج4: البلدية/ الاجتهادية	"كتاباً" و"توقيع" "بعض العلماء يرى"	الكتابة والتوقيع بدل الإيجاب والقبول.	الكتابة (مدني)/ اللفظة (شرعي)
ج5: الانفصالية/ الزمنية	"نفك العصما" و"رسمياً" "ثم تقدم"	فسخ العقد الأوّل يجعلها قادرة على إنشاء الثاني.	العقد الأوّل / العقد الثاني
ج6: التبعية/ التعقيد	"المولود" و"على من يسجل" "المشكل" و"حملت"	اشتباه نسبة الولد في حال حملها من الثاني.	الولد للأول / الولد لثاني
ج7: التداخل	"اختلاط" و"متشابكة"	التشابك في القضايا المتعلقة بالزواج.	الاختلاط / التشابك
الشريط الثاني			
ج1: الوقتية/ // الحلية	"دخول الوقت" و"يضبط الأوقات"، "يقدم الأذان" و"وقته" "لا حرج"	جواز الصلاة أثناء الأذان إذا تأكد دخول الوقت.	دخول الوقت / عدم دخول الوقت
ج2: العذر/ الحلية	"مستعجلاً" و"ظرف خاص" "أمر جائز" و"لا حرج"	جواز الصلاة أثناء الأذان في حال الاستعجال	الصلاة / الأذان
ج3: الأفضلية/ الشعائرية	"الأفضل" و"يكمل" و"يردد" "يكمل الأذان" و"يردد ألفاظ الأذان"	الأفضلية في انتظار انتهاء الأذان عند عدم الاستعجال.	الانتظار / الاستعجال
ج4: الاقتداء	"قولوا مثلما يقول" و"حديث"	فضائل ترديد الأذان، وسؤال الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم.	الأذان / الوسيلة
ج5: السنية	"ينال أجر" و"ترداد ألفاظ" و"الصلاة" عن النبي -صلّى الله عليه وسلم- "الصلاة عن النبي" و"يسأل الوسيلة"	فضائل ترديد الأذان، وسؤال الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم.	الأذان / الوسيلة
ج6: الطلبيّة	"سلوا الله" و"أرجو". "الوسيلة" و"منزلة في الجنة"	فضائل ترديد الأذان، وسؤال الوسيلة للنبي صلى	الأذان / الوسيلة

	الله عليه وسلم.		
ج7: الأفضليّة الحليّة الظرفيّة	"الأفضل" "فلا حرج" "أخرت" و"مستعجلاً"	أفضلية التّأخير لنيل الأجر كاملاً.	التّأخير/ التّقديم
ج8: البشريّة الوقتيّة	"سامحهم الله" و"سهوا" و"تفريطاً" "ضبط المواقيت"، "دقيقة"، "دقيقتين"	بعض المؤذنين قد يقدمون الأذان قبل دخول الوقت.	التّقديم/ الدخول
ج9: الوقت	"تضبط الوقت" و"جيداً"	يقدمون الأذان قبل دخول الوقت.	التّقديم/ الدخول
الشّريط الثالث			
ج1: البشريّة/ الشّعائريّة	"مشكلة النسيان"، "أنسى" "كم ركعاً صلّيت" و "في كل فريضة"	النسيان كعائق في أداء الصّلاة، وأثر الشكّ في العبادة.	النسيان/ الشكّ
ج2: البشريّة/ الأوّلويّة	"كثرة الشكّ"، "كثرة السهو" "الواجب في هذه الحال"	التمييز بين كثرة الشكّ وكثرة السهو كحالّي اضطراب.	الشكّ/ السهو
ج3: الكماليّة/ // البشريّة	"يبنى على الكمال"، "يجعل نفسه كأنه فعل ذلك الشيء" "الشيء الذي شك فيه"	ق1: البناء على الكمال كمنهج لتجاوز الشكّ.	اليقين/ الشكّ
ج4: العددية/ البشريّة	"اجعلها أربعاً" "تردد"	ق1: تبني العدد الأعلى في حال الشكّ (الرجحان الشّرعي).	اليقين/ الشكّ
ج5: الشّعائريّة/ الكماليّة	"التشهد الأوسط"، "أنك تشهدت" "اجعل نفسك أنك تشهدت"	البناء على الكمال، دائماً لهدم الشكّ.	اليقين/ الشكّ
ج6: الشّعائريّة/ الكماليّة	"هل ركعت أم لم أركع" "اجعلها أنك ركعت"	البناء على الكمال، دائماً لهدم الشكّ.	اليقين/ الشكّ

ج7: الكمالية/ // البشرية	"ابن على الكمال" و"أنه فعل ذلك الشيء". "الشيء الذي شك فيه"	البناء على الكمال، دائما لهدم الشك.	اليقين/ الشك
ج8: البشرية/ الكمالية	"الذي يكثر عنده الشك" "يجعل نفسه كأنه فعل ذلك الشيء"	البناء على الكمال، دائما لهدم الشك.	اليقين/ الشك
ج9: الكمالية	"يبنى على الكمال" "لا يبنى على النقصان"	البناء على الكمال، دائما لهدم الشك.	اليقين/ الشك
ج10: الشعائرية/ الكمالية.	"ثلاثاً أم أربعاً" و"ركعت أم لم أركع" و"سجدت سجدتين" "اجعلها أربعاً" و"اجعل نفسك كأنك ركعت" و"اجعلها كأنك سجدت سجدتين"	تغليب الكمال لتحقيق اليقين الشرعي.	اليقين/ الشك

(جدول 01)

التعليق:

بعد معاينة الجدول وإدراج المعلومات المناسبة للتحليل الدلالي وفق نموذج تشاكل الخطاب، على ضوء قانون قيد الاختيار للواسمات المتعلقة دلاليًا يمكن إيجاز التعليق في النقاط التالية:

1- الواسمات المتفاعلة في الخطاب الأول متداخلة ويخدم بعضها بعضًا، ومتنوعة، علما بأن واسما واحدا قد يكون كافيا لضبط العلاقة القائمة بين القضايا، لأنه من شروط وجود المدلولية اشتراك "القضايا المتتابعة في النصّ في واسم دلاليّ على الأقل، والذي يسمّى في هذه الحال واسما سياقيا "كلاسيما"¹ (وقد تحدثنا عن هذا سابقا).
وبتعبير بسيط جدا يمكن أن يكون هو نفسه عنوان النصّ، عقد الزواج، إلّا أنّ هذا الواسم المشترك لا يمكن أن يُحقق مقبولة شرعية كافية للنصّ؛ إذ الواسم الذي يحضر في الرّبط بين القضايا جاء مجملا، مما تحتاج كل قضية إلى واسم مستقلّ حتّى يكون للنصّ كفاية دلالية مناسبة لنصّ السؤال الذي جاء في الشّريط، ونلاحظ أنّ كلّ واسم له محدّدات لفظيّة مختارة حسب المعنى الموجود في القضية، وتكون على صيغة المصدر الصناعي، لاختزال الحدث وحصر

¹ - رزيق بوزغاوية، وركات في لسانيات النصّ، ص 127. (المرجع السابق)

2- قانون قيد الاختيار يتعلّق بمركزيّة الدلالة باستصحاب المعاني الكامنة المختارة في النفس وإعطائها مكانة لغويّة لفظاً، وهذا أيضاً من قيد الاختيار، فاختيار المعاني المناسبة يؤدّي بالضرورة إلى اختيار الألفاظ المناسبة لتأدية الوظيفة التّواصلية المقصودة، فكلّ ما في الجدول يثبت فاعلية القانون في الرّبط بين الوحدات الدلاليّة، فإذا نظرنا في الأشرطة الثلاثة لنعاين المسألة سنجد:

في الشّريط واسم "الشّرعية" يدل عليه من الخطاب عبارتي: "عقد شرعي" و"العقد الأوّل"، وكلّ منهما يمثل عبارة دالة للواسم المكوّن لهما، فقد تجتمع عدّة عبارات تحت واسم مشترك، وهذا يؤدّي إلى حصول التّناظر بين القضايا التّفصيليّة، وفي الشّريط الثّاني عندنا عبارتي: "دخول الوقت" و"يضبط الأوقات" يشتركان في واسم دلالي "الوقتيّة"، واختيارنا لهذا الواسم قيّداً، على حساب لفظ "الزّمنيّة" له ما يبرّره، فالأخير إذا ذُكر في الغالب سيحيلنا إلى فكرة الظّرفيّة الزّمنيّة، وإن لم يحصل هذا الالتباس جاز إطلاقه كواسم بديل، فهذا يدخل تحت قانون البدائل الدلاليّة من أجل تحقيق دقّة القيد الدلاليّ، فعند نطق واسم "الوقتيّة" يتبادر إلى الذّهن فكرة "الوقت" وما قد يلحقه من لوازم مقيدة وهي في العبارتين "دخول، ويضبط"، وفي الشّريط الثالث عبارات كثيرة يدلّ عليها واسم دلالي مشترك وهو "الكماليّة" في العبارات: "اجعل نفسك أنك تشهدت"، و"اجعلها أنك ركعت"، و"ابن على الكمال"، و"يني على الكمال"، و"يجعل نفسه كأنه فعل ذلك الشيء"، و"اجعلها أربعاً"، و"يني على الكمال"، و"اجعلها أربعاً"، و"اجعل نفسك كأنك ركعت"، و"اجعلها كأنك سجدت سجدتين"، فكلّها تعالقت مع بعضها، حيث حقّق الواسم المشترك، ربطاً دلالياً بينها قد يستفاد منه أنه ملخص للعبارات الطويلة التي مفهومها واحد، وإنما جاء التّفصيل لغرض توجيه السائل إلى مراده، ويحتاج إلى كثرة الكلام حتّى يُفهم الشّيخ جميع المستمعين الذي تتفاوت مراتبهم العلميّة.

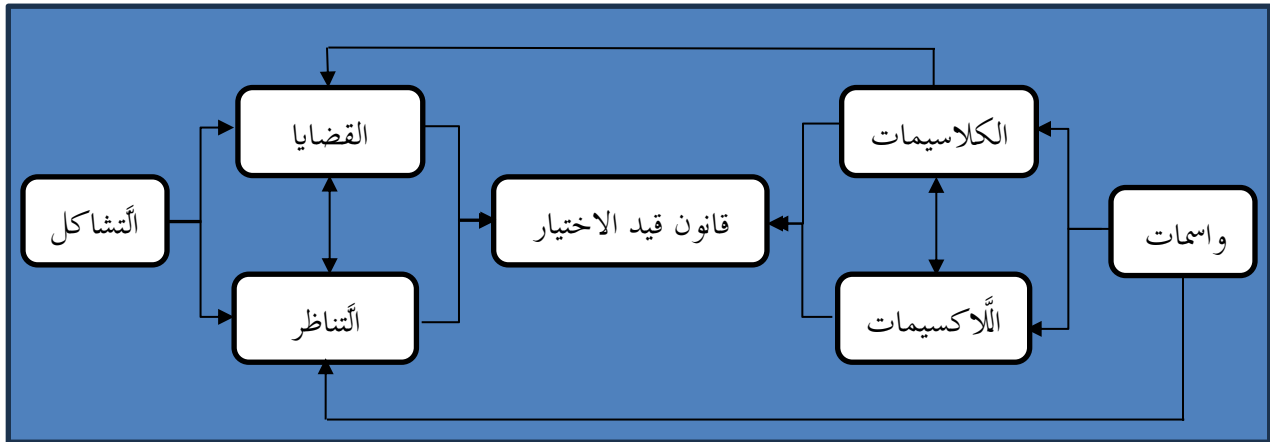
3- الهدف من القانون الوصول إلى فكرة التّناظر، فنلاحظ في لفظي (العقد المدني/ العقد الشّرعّي) المتكرّرة مرتين في الجدول أنّهما حقّقتا التّناظر، مما ساهمتا في ربط القضايا وجمعها مع بعضها، ونستطيع القول بأن موضوع التّناظر هو المؤدّي إلى تشاكل القضايا وهو وسيلة إليه، فالّتناظر أداة تُثبت انسجام الخطاب وتعالق قضاياها، وكذلك في لفظي (الكتابة/ اللفظة) و(الأركان/ الشّروط)، فهي تدلّ على التّناظر، وبما أنّ الخطاب يُثبت انسجامه عن طريق التّناظر بين المعاني، فإنّ الكتابة، واللفظة، والأركان، والشّروط ليست مقصودة لذاتها، بل للمحتوى الذي جاءت من أجله وهو عقد الزواج، باعتباره واسماً مشتركاً تتضمّن مجموعة من الواسمات الفرعيّة كما هو مبين في الجدول أعلاه.

وهو نفسه في الشريط الثاني الذي يحضر فيه التناظر كما في (الوسيلة/ الآذان) المتكررة، و(التقديم/ الدخول) المتكررة، (الانتظار/ الاستعجال) فكلها واسمات متناظرة مؤداها إلى المعاني المتعاقبة، فالوسيلة ليست هي الأداة بالمفهوم العرفي، وإنما هي درجة في الجنة، حصولها يكون بالآذان، فالموضوع يتحدد فقها من خلال لفظة "الآذان"، وما يتشاكل معها مثل لفظة "الوسيلة"، وكذلك (التقديم/ التأخير)، واسمان متناظران من حيث المعنى الذي يحدده السياق، وهو ما أُصطلح عليه باسم "الكلاسيم" السياقي.

وفي الشريط الثالث نقابل التناظر في أغلبه بين (اليقين والشك)، وهنا تحضرنا القاعدة الفقهية "اليقين لا يزول بالشك"، ولذلك من المقرر في نص الجواب هو اعتماد الكمال في حال التسيان أو السهو، فهما مكونان متضادان يساهمان في توفير بيئة مناسبة للتناظر الدلالي، باعتبار المتضادات من العناصر المعجمية في الحقل الدلالي؛ إذ الحقل الجامع بينهما هو الفقه، وبهذا يكون الانسجام، وبما أن التناظر آلية تضمّ واسمات متضادة، فإنّ التضاد إذاً هو أداة فرعية تساهم في ضبط الآلية نحو تحقيق الانسجام الطبيعي للخطاب.

4- ففكرة النموذج قد تحققت في هذه الخطابات الثلاثة، وظهر فيها من تناظر الواسمات ما يدعو إلى هذا الحكم، رغم تكرار العبارات؛ لتثبيت وترسيخ فكرة الجواب للسائل، إلا أنّ التكرار لم يُخل بنظام العناصر الدلالية، ويمكن تمثيل النموذج العام في الخطاطة التالية:

شكل 01:



خطاطة تجمع فكرة نموذج تشاكل الخطاب

استقراء الخطاطة باختصار:

الواسمات هي المكونات الدلالية الرئيسة، وتتكون من "لاكسيمات" وتظهر من خلال الوحدات المعجمية، بالإضافة إلى "كلاسيمات" وتظهر في التركيب العام وهو السياق الخطابي، ف"معنى وحدة في الخطاب هو التضايف المتجلي للسيمات النووية والكلاسيمات، وتعبير آخر يتأتى معنى وحدة من سيمات الخاصة وسيمات سياقها الخطابي"¹.

وعند حصول التضايف للسيمات النووية والكلاسيمات يظهر قانون قيد الاختيار ليُجعل العلاقة بين الواسمات منطقية، فلو قلنا في الشُّرُوط الأولى: (بعض الفلاسفة يرون حتى لو لم تكن صيغاً)، لاختلَّ انسجام الخطاب؛ بسبب استبدال لفظ "العلماء" بـ"الفلاسفة"؛ لأن عرف الدِّين لا يُعمل مثل هذه الألفاظ؛ إذ الدِّين متوقف على ألفاظه الثَّابتة في الكتاب والسنة الصحيحة، فلا نجد في القرآن لفظ الفلاسفة ولا في السنة، في حين نجد لفظ "العلماء" كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 156]. فاختيار الدلالة المناسبة يقتضي البحث عن العلاقة المنطقية بين العناصر اللغوية، وحسب التحليل المأخوذ من الجدول يظهر أن كل الخطابات الثلاثة تحقق فيها هذا الشرط، فالمنطقية بين العناصر الدلالية شرط أساس في بناء خطاب متماسك، وهذه المنطقية تستدعي حضور قانون قيد الاختيار الذي يعمل على اختيار اللاكسيمات المناسبة لتحديد الواسمات المشتركة في إطار السياق أو ما يُعرف في عُرف النموذج بالكلاسيم.

والواسمات هي طريق تحقق مبدأ التناظر بين القضايا في الخطاب، كما في الخطاطة السابقة، ويظهر أن المفهوم الأساسي للتشاكل يجب أن يفهم كمجموعة متكررة من المقولات الدلالية "كلاسيمية" تجعل قراءة موحدة للحكاية ممكنة"². ولذلك يمكن الجمع بين عدة قضايا تحت واسم مشترك، ويتحقق التشاكل إذا كانت هذه القضايا متناظرة تناظراً منطقياً، "إذا أردنا أن نوسع دائرة قيود الاختيار على نص يتكوّن من عدد أكبر من القضايا، فإنه لا بدّ من قياس درجة صلاحية اختيارنا للقضايا بالنسبة إلى قضية محورية في الخطاب"³.

¹ - Pierre Frath, Sémantique, p 100.

² - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات دار الاختلاف، بيروت، ط1، 2007م، ص 81.

³ - رزيق بوزغاية، ورفات في لسانيات النصّ، ص 127. (المرجع السابق)

فالقضية المحورية مثلا في الشريط الثاني هي التعجل في أداء الصلاة قبل الأذان بسبب عذر معين، فجميع القضايا التي تأتي بعدها يجب أن تكون في علاقة مباشرة بالأولى، وهذه هي المنطقية في الخطاب، فلا يمكن أن نقول مثلا: (وما دام هي مريضة وليس عندها ظرف خاص، يجوز أن تصلي) فاستبدلنا موضوع "التعجل" بـ "المرض"، ونفينا حصول "الظرف"، فهذا غير منطقي؛ وحكم على الجملة بالمحال على تعبير "سيبويه" أو "التناقض" على تعبير "بيروش"، ووجه المحال أو التناقض الدلالي هو وجود المرض مع غياب الظرف؛ إذ المرض هو ظرف معتبر شرعا، وأغلب الأحكام الدينية من شروطها الصحة، وعلى ذلك فقس، ولذا لا نجد في نص الجواب مثل هذه المخالفات، أو التجاوزات الدلالية، وهو ما ينم على انسجام مضمون الخطاب، وهذا يساعد على الفهم وتحقق مراد السائل، لاسيما إذا كان السؤال محددا، ولا يشتهه بدلالات أخرى ضمنية.

الحاصل:

تطرق هذا المطلب إلى فكرة تشاكل الخطاب وفق قانون قيد الاختيار، وتم العمل به في تحليل الأشرطة الثلاثة من حصة "فاسألوا أهل الذكر"، محاولين من خلالها أن نظهر مدى تحقق شرط المنطقية في الخطاب الديني، بسبب ما نراه من عشوائية في اختيار القيود المعنوية، واللفظية المناسبة في الخطابات الدينية المعاصرة، مما وصل الأمر إلى درجة من التأويل أدى إلى نقض الدلالة المركزية للمسائل الشرعية، وتوصلنا إلى أن باب الفقه عند الشيخ "محمد العربي الشايشي" يتميز بالدقة في الطرح رغم تكرر العبارات؛ لظرف ترسيخ الجواب في نفس السائل، ولهذا يُعد التأويل في القضايا الفقهية المتعلقة بأحكام الدين غير مقبول؛ لأنه يُعده عن الحكم الثابت؛ إذ الله ثابت؛ ولا يمكن لشيء ثابت أن يضع حكما نسبيا، ولذلك البحث عن الحكم الديني بواسطة القضايا المنطقية يزيد النص ثباتا؛ فالقول بتعددية القراءة ليس سوى ذريعة لترك التحليل، أما اعتبار النص مصدرا لكثرة الدلالات، فمعنى ذلك أن الذات التي أنتجته إما وحش كاسر، وإما كائن يفتقر إلى الوحدة في ذاته¹.

وإن كان القول على إطلاقه يحتاج إلى مراجعة، إلا أن صدقه يثبت في الأحكام الدينية الثابتة التي لا يمكن معها تعدد في المعنى، فقانون قيد الاختيار يفرض على القضايا الدينية أن تكون منسجمة على أفق دلالي واحد، لا

¹ - A. J. Greimas; Maupassant, La sémiotique du texte, éd Seuil, paris, 1976, p 9.

يمكن معه أن يحتل الكذب أو التناقض أو الغموض، وإلا صار كذلك إذا أخذت آلية التأويل دورها في العمل تلاشت "فكرانية"¹ الخطاب المحمية بقصد قائلها.

والحكم على سلامة الخطابات الثلاثة من الناحية الدلالية كان بعد عرض النموذج وقانونه الذي قرب واقع اللغة المستعملة من قائلها، ورغم أحقيته الغريبة في تأسيسه واقتراحه، إلا أنه يعود بالنفع إذا استخدم في التحليل الدلالي على نصوص اللغة العربية، رغم وجود مثل هذه المقترحات في التراث العربي، غير أنه ظلّ غامضاً غير ظاهر لعامة البعثة، ممّا صيرّ الحيرة في نفوس الشارحين له بسبب كثرة الشُّروحات والتعليقات، كما رأينا من خلال عرض المقارنة بين كلام "سيبويه" و"بيروش" في الحكم على منطقيّة الدلالة، ويعتبر قانون قيد الاختيار شرطاً مناسباً في تحقّق المنطقيّة بفضل إبراز الواسمات المشتركة، ويمكن أن نكتفي بفكرة "السياق" العربية التي تعمل على توفير العنصر اللغوي المناسب للقضيّة المطروحة شكلاً ومضموناً.

¹ - مصطلح فكرانية هو بديل عن مصطلح إيديولوجية، وهذا من اختيارات "طه عبد الرحمن" في كتابه: (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام). وكان تبريره في ذلك أن "إيديولوجية" من أصل مصدر (د، ل، ج)، ومعناه السير في الليل، ولا تعبر عن قصدية الخطاب.

فصل ثالث

النماذج الدلالية في تحليل
الخطاب الديني عينات من
الشُّروق "أون لاين"

مطلب ثان: نموذج البنية الكبرى وقانون تفاعل القضايا

الجزئية

مطلب ثانٍ: نموذجُ البنيةِ الكبرى وقانونُ تفاعلِ القضايا الجزئية

تواصل النماذج الدلالية اقتراحاتها التطبيقية لتبلغ بذلك حدًا من الكمال النظريّ المقبول، ومن بين النماذج التي تحظى بمكانة علمية سامية "نموذج البنية الكبرى والصغرى"، لصاحبها "تون فان ديك" (Teun A. van Dijk)، يسعى من خلالها إلى عرض أهم الأفكار الرئيسة التي تتواجد في إطار النصّ، حيث يُلغى (يحذف) الأفكار الثانوية كالأوصاف والدواخل الزائدة، فهذا الاقتراح الذي زعمه "فان ديك" (Dijk Teun A. van) لم يحظ بالرضا المطلق عند كثير ممن جاء بعده، واقترح بعضهم تعديلا لهذا النموذج، والبعض الآخر اكتفى بها على ما هي عليه، وطرف ثالث رماها ولم يول لها أهمية، ذلك أن هو نفسه صرّح بنسبية هذه الفكرة قائلا: "فإن الملاحظات والأوصاف المتعلقة بخواص البنىات الكبرى العامة لاتزال كلّها غامضة مما لا يصحّ معها أن تسوغ تعميما نظريا"¹.

وهنا كان أمينا من حيث الحكم على فكرته التي اقترحها، ووصفها بالغموض ولا يمكن لشيء بهذا الوصف أن يصير نظرية مستقلة ما لم تُختبر عدّة مرّات على مختلف الخطابات البشرية، فإن كان علم الصّوتيات، والصّرف، والنحو قد اكتملت معاملته، واختبرت كفاءة أدواتها وآلياتها على أغلب الخطابات بما في ذلك الخطاب العلمي كما صنعنا في الفصل السّابق، فإنّ هذا النموذج المقترح لم يلق ذلك الاختبار اللازم للحكم عليه، خاصّة أنه يتعلّق بالمستوى الدلاليّ الذي لم تعرف موضوعاته وقضاياها اهتماما كبيرا بسبب أصله الذي كان ينتمي إليه وهو المجال الفلسفي، المعروف بكثرة التّأويلات، وتعدد القراءات، وبما أن الدّلالة وتحديد "المدلول" لا يمكن اعطاؤه سمة ثابتة كحال "الدّال" الذي يثبت لفظا أو رسما، فإنّ هذا التّغير والتبدل للمدلول جعله فكرة غير واضحة أو غير مستقرّة، لذا نجد اهتمام الباحثين بمظهر الانسجام النصّي قليل جدّا مقارنة بمظهر الاتّساق المشهور والذي يُعنى خاصّة بموضوع الإحالة كما عرفنا سابقا، بل نجد من خلال عناوين الكتب الكثيرة اعتناؤهم بالتّائي على حساب الأوّل.

ثم ذكر عبارة "خواص البنىات الكبرى العامة" وقصد بالبنىات الكبرى الدلالات الكلية الشّاملة، والمتبّع لفصله الخامس من الكتاب سيجد التّفريق بين التّراكيب الكبرى والبنىات الكبرى، قائلا: "وجب أن نتساءل ما إذا كان

¹ - تون فان دايك، النصّ والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م، ص

يجب أن توجد مقولات مخصوصة لتمييز البنيات الكبرى الشاملة بوجه عام عن التراكيب الكبرى الشاملة لنماذج محددة من الخطاب¹.

خلاصة القول هو البحث عن إمكانية إيجاد مقولات نظرية أو مفاهيم مخصصة تساعدنا في التمييز بين شيئين هما أساسا بناء النموذج الدلالي الحالي:

أولاً: البنيات الكبرى الشاملة: وهي تلك البنيات الفونولوجية والتركيبية التي تُعبر عن موضوع ما بطريقة واسعة، ويترك التفصيل فيها للبنيات الصغرى التي تؤسس للكبرى وجودها الموضوعي، كما أن البنيات الكبرى بدورها تصير صغرى إذا دخلت في إطار أوسع مما كانت عليه، وقد تساءل "فان دايك" (Dijk Teun A. van) عن إمكانية وضع قانون أو نظرية أو مقترح يساعد على تفسير الخطابات في أي مجال؛ أي البحث عن القواعد السيمانطيقية التي يمكنها أن تعين المحلل على وضع جملة معبرة عن الخطاب كله، علماً أننا سنجد الكثير من الجمل في الخطاب التي يمكن أن تكون معبرة عنه، ويمكنها أن تؤدي وظيفة الموضوع، وموقعها موقع العنوان من النص، ولكن لا يمكن التسليم بهذه الفكرة؛ لأن الموضوع لا يمكن البحث عنه ضمن سياق الجملة الواحدة، فقد لا تجتمع كل المعاني الرئيسة في الجملة الواحدة، مما يضطرنا للعمل على متواليات من الجمل حتى نكشف عن حقيقة الموضوع، وبهذا يكون كل الخطاب أولى بالأخذ إذا تعلّق الأمر بالجملة، وإثماً الحقيقة خلاف ذلك؛ إذ البحث يكون "في العلاقة بين معانيها وبين دلالة جمل أخرى تخصص هذه الدلالة"².

فأول قاعدة وجب التنبيه لها وهي أخذ المعاني الدلالية المركزية الشاملة بجمع الدلالات الجزئية المخصصة لبعضها البعض تحت دلالة كلية وإجمالها في تركيب شامل، وبه يحصل جمع الموضوع في جملة واحدة، فتصبح الجملة تلك معبرة عن الموضوع كله، فالفكرة التي كان يسعى لإنارتها بسيطة؛ فثمة مستويات مختلفة للبنى التي تشكل النص تنطلق من أدنى المستويات وهو مستوى القضايا البسيطة وتتجمع في بنى صغرى حتى تصل إلى البنية الكلية³.

ولكن رغم قصده المتوجه نحو البحث عن العلاقة بين المعاني إلا أن فكرته تبدو غامضة ومتناقضة، فكيف يمكن إنشاء هذه العلاقة بين القضايا وهو يسعى في الوقت نفسه إلى دمج واختزال القضايا الجزئية في قضية كلية؟!،

¹ - تون فان دايك، النص والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، ص 184. (المرجع السابق)

² - المرجع نفسه، ص 187.

³ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ص 134. (المرجع السابق)

حيث قال: "إن المعلومات في هذه الإجراءات لم يتم اختزالها وحذفها وإنما أدمجت وسبكت أعني أن عددا من القضايا أمكن أن يعوض بواسطة قضية واحدة (كبرى)"¹.

فالدَّمَج والسَّبْك يحصل به نموذج الفكرة العامة على الأغلب، لا البنية الكبرى، وإنما هذه الأخيرة تحصل بما وصفناه بقانون تفاعل القضايا الجزئية، إذ البنية "لا تختزل العلاقات في سبيل قضية مركزة، وإنما تكمن حياتها في المحافظة على نسق العلاقات كما هي من دون تجاوز أو تضمين للتفاصيل"².

إذا فلا سبيل لاختزال ودمج البنى الصغرى للحصول على بنية كبرى، فليس هذا هو موضوعها الأساس، فوظيفتها الأساسية هي الكشف عن العلاقات القائمة بين القضايا الجزئية المترابطة والممثلة في البنى الفرعية، ولذا يُعتبر النموذج الذي عرضه "فان دايك" (Dijk Teun A. van) يحتاج إلى مثل هذه المراجعة الدقيقة حتى يكون التنظير سليما ومنطقيا، حتى أن بعضهم اتهمه بعدم تفريقه وقدرته على فهم فكرته التي تبناها³.

فتحديد العلاقة ينفي فكرة الدَّمَج والاختزال التي تفتح المجال لمفاهيم أخرى كالاستلزام الحوارى الذي ذكره في فصل كتابه علما أنه مفهوم تداولي بامتياز، وإنما يُثبت مقابل ذلك خاصية الترابط الدلالي، وفق قواعد خاصة، فيأخذ المعنى العام من النصّ مثل العنوان، ثم يضع مجموعة من القضايا الجزئية، ثم من هذه القضايا الجزئية تنفرع عنها قضايا أخرى أصغر منها حتى الوصول إلى أصغر قضية بين لفظتين، وهنا يدخل موضوع الواسم الدلالي، كما أنه يصعب التفريق بين هذا النموذج والنموذج السابق لـ "غريماس" (Greimas) مع فكرته (تشاكل الخطاب)، فهما متقاربان إلى حدّ يتمتع فيه الفصل لولا الصبغة المنهجية والمصطلحية التي اكتسها كل منهما.

ثانيا: التراكيب الكبرى الشاملة لنماذج محدّدة: ثم ذكر الأساس الثاني على أنه من المفاهيم الخاصة التي ترتبط بنظام لغة ما، وهي الأدوات التركيبية التي تُساهم في بناء البنية الكبرى وترتبط بين عناصر النصّ، ويمكن القول هي الجانب الشكلي للخطاب تتضمن المستوى الصوّتي والصّرفي والتّحوي، متفاعلة مع بعضها مكونة نسقا من القضايا المتوالية بآليات محدّدة، وهذا ما صرّح به "فان دايك" (Dijk Teun A. van) قائلا: "موضوعات الجمل تحدّد

¹ - تون فان دايك، النصّ والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، ص 199. (المرجع السابق)

² - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النصّ، ص 136. (المرجع السابق)

³ - يُنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

توزيع المعلومات على طول انتظام متواليّة الجمل بينما يبدو أن موضوعات الخطاب ترد المعلومات السيمانطيقية وتنظمها وترتبها تراكيب متوالية ككلّ شامل¹.

فالشاهد من القول إنّ ترتيب وتنظيم المعلومات يكون بفضل القواعد الكلّية وهي بمثابة مقولات مخصوصة تجعل من النصّ مكونات تركيبية مُحكمة تتجلى من خلالها المدلولات المنطقية، ويمكن القول أنّ التراكيب الكبرى هي مفاهيم خاصّة تضبط الجملة ومتوالياتها، على هيئة تجعل من الدلالة مستقرة نسبياً، وجاز أن نقول أن البنيات الكبرى تخصّ القضية من حيث شمولها قابلة للتفريع إلى بنيات صغرى، والتراكيب الكبرى تخصّ القضية من حيث التعبير عنها بالأدوات اللغوية اللازمة كحروف العطف، والتّواسخ، والظروف... الخ.

ويبقى حقيقة تصور هذا النموذج حسب "دايك" دائر على إبراز نموذج "الفكرة العامة"؛ لأنه يركّز على قواعد كبرى مخصوصة وهي: "الحذف، والاختيار، والتّعميم، والتّركيب أو الادماج. ومن الناحية الشّكلية فإنّ كلتا القاعدتين الأوليين هما للإلغاء (الحذف) وكلتا القاعدتين الأخيرتين للإحلال (الاستبدال) على النحو التالي:

1. (أ، ب، ي) ← ب.

2. (أ، ب، ي) ← س.

... يعني ذلك أن كل بنية كبرى نصل إليها من خلال قواعد كبرى يجب أن تكون متضمنة دلاليا في جملتها داخل سلسلة القضايا التي تطبق عليها القاعدة. وهكذا فالبنية الكبرى تتبع من ناحية المضمون البنية الصغرى².

يشرح "صلاح فضل" (1938م/ 2022م) رؤية النموذج بكل وضوح ولخص ما ورد في فصل كتاب "دايك" بإبداع، حيث جمعها "فان دايك" (Dijk Teun A. van) على أربع قواعد كبرى وهي الحذف والاختيار، ويدل عليهما موضوع الاختزال؛ الذي سمّاه "صلاح" بـ "الإلغاء"، والتّعميم والتّركيب؛ ويدل عليهما موضوع الدّمج؛ الذي اصطلح عليه "صلاح" بـ "الاستبدال"، ففي الاختزال أو الإلغاء، يحذف الأوصاف الكثيرة التي قد تؤرّق موضوع الخطاب، والمعلومات الثانوية التي توسع منه، ويعمل على اختيار وصف جامع لتلك التّفصيلات، أو يُبقي على المعلومات الجوهرية في الموضوع، ليحقق بذلك الاختزال، وإن كان الاقتصار على الاختيار يكفي لمواصلة عملية الاختزال، لأنّ هذا الاختيار سيؤدّي بالضرورة إلى حذف عناصر لغوية ثانوية، كما أن التّعميم يقتضي من خلاله

¹ - تون فان دايك، النصّ والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، ص 185. (المرجع السابق)

² - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان القاهرة، ط1، 1996م، ص 75، 76.

حذف العناصر الجوهرية وتعويضها بمعلومة جامعة تكون عوض تلك العناصر مثال: (أرض مخضرة جميلة، والأنهار تجري بمياه عذبة، والجبال تُطلُّ عليها)، فهذه القضايا المتوالية يمكن تعميم لفظة جامعة لتلك المواضع الواردة في الجمل، فنقول: (الطبيعة الجميلة)، والقاعدة الأخيرة هي التركيب؛ أي إعادة بناء القضايا الماضية بتركيب جديد يحمل القضية الكبرى، وهذا ما يُعرف بالدمج بين القضايا، وإن كان "صلاح" فضَّل مصطلح الاستبدال، وله تبريره في ذلك، إلا أن تفضيلنا لعمليتي الاختزال والدمج له ما يبرره من كتاب "فان دايك" (Dijk Teun A. van).

رغم ما قدّمه "فان دايك" (Dijk Teun A. van) من تفصيلات حول العمليات التي تتم من خلالها تحقق مفهوم البنية الكبرى إلا أن الحقيقة تحتاج إلى توضيح بالغ الدقة ذلك أن الانتقال من البنية الكبرى إلى الصغرى يُبنى على علاقة التضمّن ولا يعنى هذا إلغاء العناصر واستبدالها؛ فالهدف هو الكشف عن العلاقات الموجودة بين المكونات الدلالية، وقد اجتهد "ميشال آدم" (Jean Michel Adam) (1947م/....) بتقديم تصور خاص يرى فيه أن حقيقة البنية هي عبارة عن متوالية تقوم على:

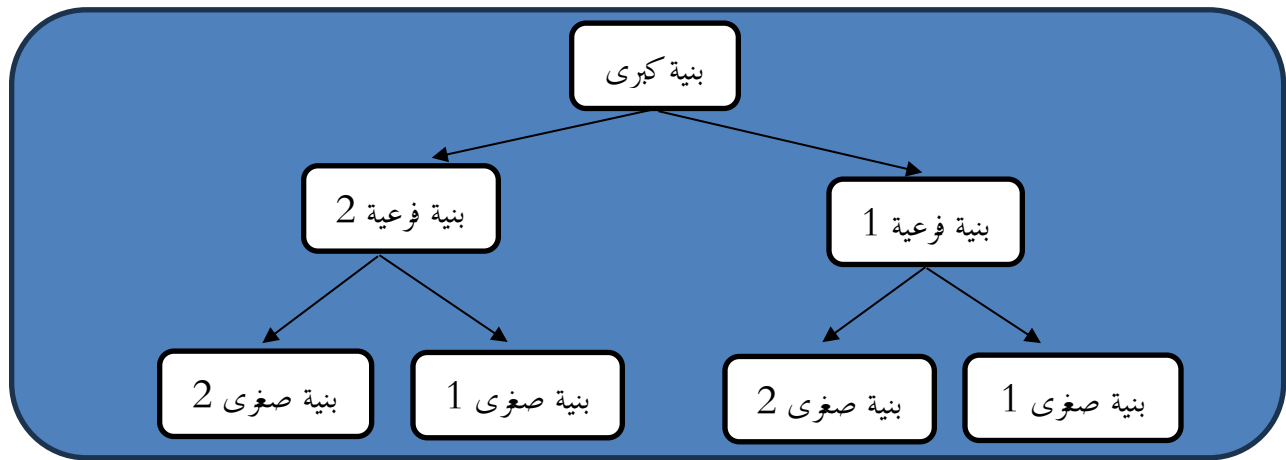
"شبكة علاقات هرمية: كل قابل للتجزئ إلى أجزاء مترابطة فيما بينها ومع الكل الذي تُولفه.

كلٌّ مستقل نسبياً، مزود بتنظيم داخلي خاص به، ويدخل في علاقة اتصال/ انفصال مع المجموع الأشمل الذي ينتمي إليه"¹.

ذكر "ميشال آدم" (Jean Michel Adam) لفظة "أجزاء مترابطة" تحيلنا إلى مفهوم البنية الصغرى التي ذكرها "فان دايك" (Dijk Teun A. van) فهي تتقاطع معها في الفكرة، وإن اختلف الإطلاق الاصطلاحي، فمفهوم البنية كمتوالية من القضايا عند "ميشال"، على اعتبار أن الخطاب هو مجموعة من القضايا تجتمع تحت مفهوم الجملة، ويحيل إلى مفهوم تنظيم المعلومات داخل النصّ الأدبيّ وتحديدًا في الرواية، والقصة، والمقامة، وغيرها من الأجناس الأدبية، رغم قدرتها على تحقيق الكفاءة التواصلية في جميع النصوص اللغوية، فهي آلية فعّالة لو استثمرت في كل الخطابات الأدبية والعلمية، ومضمون عمل الآلية يمكن إيجازها في هذه الخطاطة من أجل العمل بها، وتطبيقها على الخطابات الدينية بما أننا حدّدنا مجال العيّنات من مدوّنة الشُّرُوق -أَوْنَ لَايْن-:

¹ - Jean Michel Adam; Les Textes Types et prototypes, Armand Colin, Paris, 2^e edition 2001, p 28.

شكل 1:



تمثيل البنية الكبرى للخطاب عند "ميشال آدم" (Jean Michel Adam)

في هذه الخطاطة أجمعنا ما أراده "ميشال" في تصوره لمفهوم البنية الكبرى، حيث يرى أنها تتفرع إلى متواليات قضوية تعتبر فرعية، وهذه الفرعية تتحدّد وفق بنيتين صغيرتين، قد تكون هاتان البنيتان حاملتين لعدّة قضايا، ويمكن تصويرها في هذه المعادلة الرمزية:

لدينا:

ب. ف 1

ب. ص 1 = ق 1 + ق 2

ب. ص 2 = ق 3 + ق 4

ومنه:

ق 3 + ب. ص 1 = ب. ف 1

رغم وجود القضية الثالثة في البنية الصغرى الثانية إلا أن جمعها مع البنية الصغرى الأولى نتج عنها بنية فرعية أولى، وبالتالي وفق خاصية التعدي يصير لدينا:

ب. ف 1 = ق 1 + ق 2 + ق 3 + ق 4

فقد يمكن الاستغناء عن مفهوم البنية الصغرى وتجاوزها إلى البنية الفرعية، ولكن هذا قد يقلل من عملية التحليل؛ إذ من ضرورات التحليل اعتماد التفصيل الممكن في الكشف عن العلاقات القائمة بين المتواليات، وفي هذا

ترجمة لقانون تفاعل القضايا الجزئية بمراعاة التناغم بين الدلالات، كما يقلل التفاصيل أثناء تفكيك الدلالات، مما قد يُذهب الدقّة في المعنى، ويعطي مساحة غير مرغوبة في ظهور آلية التأويل، فيتعطل قصد المخاطب حينئذ، ويحيد عن مطلبه الذي أنشأ من أجله الخطاب.

إذاً مثل هذه النماذج الدلالية والقوانين الإجرائية تساعد على إدراك وفهم الخطاب، ومعرفة حيثياته، وتفصيله، كما تصنع محلاً بارعاً في التعامل مع النصوص اللغوية في أي مجال كان، فكلما وفرنا الأدوات اللازمة في عملية التحليل الدلالي قلّت السيرورات التأويلية، وذهبت الإمكانيات التقديرية، وأصبحنا تحت سلطان القواعد الصارمة، ولذا لا يضل من امتلك الأدوات الدلالية اللازمة في الكشف عن الممكنات الثابتة، خاصة إذا تعلّق الأمر بالعيّنات الدينية؛ إذ ما أهلك الشرائع السابقة إلا التأويلات المقدّرة، فوحدة النصّ وانسجامه تكمل في القدرة التحليلية التي تتوفر لدى القارئ.

سنجمع فيما يلي بين فكري "فان دايك" (Dijk Teun A. van) و"آدم ميشال"، ونجعل الثانية مقدّمة على الأولى، فنحدد البنى الصغرى وقضاياها الممكنة، ثم نأتي بالقواعد الكبرى التي وضعها "فان دايك" (Teun Dijk A. van) لنحدّد بها الفكرة العامّة لمضمون الخطاب، حيث يكون جمعا منطقيا، فلم نعمل عمل الأول ولا الثاني، إنّما أخذناهما معا لإبراز ممكنات ومكامن الخطاب الدينيّ الثابت في أحكامه الشرعية، وعملا بالقاعدة الأصولية القائلة: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، فهذه التّصورات الممكنة تصنع حكما ثابتا، وليست كل الخطابات بهذا الوصف، فهي متباينة من حيث المصدر، فإذا كان الخطاب في غير مجال الدين يمكن أن يبقى الغموض مكتنفا ومخيما على القضايا المتعلّقة، اللهم إذا توقّرت الجمل التفسيرية الكثيرة حينها تكون واضحة الدلالة؛ لأن التفسير يزيل كلّ غموض ويجعل من المتتاليات ذات قصد مشترك.

أولاً: البنية الكبرى والفكرة العامّة في الخطاب الدينيّ "حصة نساء الصحابة أمّودجا"

بعد التعرّف على النموذج وتفصيل جزئياته يتبدّى ظاهراً أنه حاضر وقادر على أن يُحقّق الكفاءة التواصلية بوصف نسق العلاقات الموجودة بين القضايا المتفاعلة، وبلورتها في فكرة عامّة وفق القواعد الكبرى التي تجمع شتات موضوع الخطاب بأن يقيد بعضها بعضاً، ويكون بعضها معلقاً ببعض، وسيختبر النموذج على الخطاب الدينيّ لمعرفة قدرته على ذلك، لضمان مكانته بين النماذج الدلالية المقترحة.

أما عن فكرة الخطاب فهي تدور حول مسائل نساء الصَّحابة، كيف كانوا يتعاملون ويتصرفون في حياتهم اليومية من أجل الاقتداء بهن، ليكنّ بذلك مثالا لمن بعدهن، لما هنّ من ميزة لا تتميز بها بقية نساء المؤمنين، والشيخ في هذا يعرض مقتطفات من حسن تصرف نساء الصَّحابة على وجه الإيجاز، وقد فرغنا الأشرطة الثلاثة بما في ذلك الوقف في غير موضعه، وإشارات من خوالف صوتية كما سبق بيان مثل هذا، والحصّة تحتوي على تسعة وستين (69) شريطا جاءت كلّها موجزة لأهمّ الأحداث.

أ- عنوان الخطابات:

شريط 1- الصدقة تكون لوجه الله وبلا مقابل.

شريط 2- تدعوا زوجها عمر الى الإسلام من حبها له.

شريط 3- في هذه الأحداث المتسارعة توفيت رقية رضي الله عنها فحزن عليها كل المسلمين.

ب- قائل الخطابات: الشيخ عمر ناجمي

ج- تاريخ الخطابات: نُشرت الحصّة سنة 2021م.

د- توقيت الخطابات:

شريط 1- دقيقتان وثانية واحدة (2، 1ثا).

شريط 2- دقيقة واحدة وإحدى عشرة ثانية (1، 11ثا).

شريط 3- دقيقة واحدة واثنان وأربعون ثانية (1، 42ثا).

هـ- تفريغ محتوى الخطابات:

الشريط الأوّل:

ج1: "هذه هي الرسالة التي واقعين فيها اليوم في المجتمع يا إخواني وأخواتي".

ج2: "أنا الإنسان لما يتصدق، يقلّك شوف شوف والله ما فيه الخير، أنت علاه تنتظر منو الخير؟"

ج3: "أنت تصدقت لوجه الله، وما نُقِصت صدقة من مال، وأنت تبغني وجه الله -عز وجل-، خلي

إخلاصك لله -عز وجل-".

ج4: "مش الأصل أني، نتصدق ونقعد ننتظر المعروف، ونقعد نتكلم في المجتمع على فلان على فلان وفلان أني درت فيه الخير في يوم الأيام عَظِيتو ولا سلفتو ولا كذا".

ج5: "ف فأسماء -رضي الله تعالى عنها- كانت تُوصي بناتها، تصدقوا، ما تنتظروش المعروف".

ج6: "هاذي وصي غالي من وصايا أسماء، نوصوا بيها بناتنا ونوصوا بها أخواتنا، تصدقي ما تنتظريش المعروف يا أختي".

ج7: "ماشي يوم من الأيام، تبعي صادقك بالملأ والأذى، تمّي على فلان وفلان، ولّ لما يكبر والله -عز وجل- يفتح عليه تتآآآ، تبقى تقوليلهم فلان، كان هذاك فلان لراكم تشوفو فيه ولّ فلان أنا اللي كنت نعطيولو، أنا اللي كنت نصدق عليه".

ج8: "ك كل شي راحلك هباءً منثوراً، فاحتسب الأجر عند الله -عز وجل-، واسأل الله -عز وجل- أنو يتقبّل منك".

ج9: "سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، وهو بيني في بيت الرحمن، قال: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، يقولو أهل العلم، هو بيني في بيت الرحمن، وأمر من الرحمن، وهو خليل الرحمن، وخاف ألا يتقبّل منه الرحمن، فقال رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".

ج10: "أسأل الله -عز وجل- أنو يتقبّل منّا، هذي النصيح، أول موقف ناخذه من مواقف أسماء، أول وصي جميل غالي، لما نتصدقوا، متبعوهاش بالمعروف، ومنتظروش من من الناس هؤلاء الخير أو المعروف".¹

الشريط الثاني:

ج1: "خرج أبو العاص مسافراً للتجارة، ولما رجع إلى مكّ، وسمع مشركي مكّ، يتكلمون بأمر الدين الجديد، الذي جاء به محمد بن عبد الله".

ج2: "دخل على زوجته زينب، وقصّ لها ما سمع من أهل مكّ، فردت عرع فردت عليه زينب ردت عليه، وقاتلو يا أبو العاص، أنا أسلمت بهذا الدين".

تم مشاهدته في: 2023/09/14، على الساعة: 11:15 - <https://2u.pw/FEqNbytL> -¹

- ج3: "قالها ما سمعتيش أهل مكَّ ماذا يقولون عن محمد، يعني من الافتراءات الذين كانوا يفترون على النبي - صلى الله عليه وسلم-، سماؤه الكذاب وسماؤه الشاعر، أذاؤه أشدَّ الأذى النبي -عليه الصَّلاة والسَّلام-".
- ج4: "فقلت له زينب، لا يعني ما يقول أهل مكَّ، وما كان أبي كذاب".
- ج5: "نعم، حديثنا اليوم، وسيدة مجلسنا اليوم، هي زينب بنتُ رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم، اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد¹".

الشَّريط الثالث:

- ج1: "ففوَّضْتُ أمرها إلى الله، فتزوَّجت بعثمان، ورزقت، بولد ثم توفي الولد، وفي عمره ست سنوات، -رضي الله تعالى عنها وأرضاهـ-"
- ج2: "ثم مرضت مرضاً شديداً -رضي الله تعالى عنها-، فجاءت غزوة بدر، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أمر عثمان أن يجلس، مع زُوجَتِهِ رقية، فجلس معها عثمان يخدمها -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-".
- ج3: "ففي عودة المسلمين، وفرحهم ونصرهم، سمعوا بالخبر، الخبر الذي أحزن الأنصار والمهاجرين، توفيت بنتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكُسِرَ قلب عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-".
- ج4: "توفيت وفي عمرها 22 سن، فحزن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وجلست فاطمة عند قبرها وهي تبكي، وبكى وبكتها نساء المدين من الأنصار والمهاجرين".
- ج5: "رضي الله تعالى عن بنت رسول الله -رضي الله تعالى عن رقية، فتعلَّموا اليوم، فتعلَّموا عن رقي كيف صبرت واحتسبت لله رب العالمين".

- ج6: "سبحان ربك ربَّ العزة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين"².

و- طريقة العمل: كما تعودنا سابقاً؛ نجمع نتائج التحليل في جدول شامل، نذكر فيه نموذج البنى الكبرى كما صاغها "آدم ميشال" (Jean Michel Adam)، ونموذج الفكرة العامة كما وصفها "فان دايك" (Teun A. Dijk van) على أنها هي البنية الكبرى، وبالتحديدات التي ذكرها سيحظى النموذجان بمحاولة تقديم تحليل شامل للخطابات الثلاثة التي عرضناها، على أن يتم الكشف عن الكفاءة التواصلية التي وصل إليها النموذج العام، ثم نردف

¹ - <https://2u.pw/mf6cYO87>, It was viewed on: 14/09/2023 at: 11:26

² - <https://2u.pw/iTqwPFq0>, It was viewed on: 15/09/2023 at: 12:11

الجدول بتعليق نذكر فيه تفصيل النماذج وفق التحليل الذي قمنا به، من أجل تقويم النموذج المقترح، وإعادة صياغته في الشكل النهائي له، مع رصد واقع الدلالة في لغة الإعلام الإلكتروني.

ثانيا: البنية الكبرى والفكرة العامة في الخطاب الديني:

البنية الفرعية		الفكرة العامة	
الجملة	القضايا المتوالية	بعد الإلغاء (حذف + اختيار)	الاستبدال (تعميم + تركيب)
ج1:	الجملة العامة عن الواقع المجتمعي	الرسالة اللي واقعين فيها اليوم	الخطاب الذي يحكي واقعنا
ج2:	إبطال الصدقة بالمن والأذى	الإنسان لما يتصدق، يقلق شوف شوف والله ما فيه الخير	المسلم إذا أعطى زكاة ماله يُتهم ويشيرون عليه بالشر
ج3:	الهدف من الصدقة	أنت تصدقت لوجه الله، وما نُقِصَتْ صدقة من مال	أيها المزكي ابتغاء مرضاة ربك، ما ضاع رزقك إذا زكَّيته
ج4:	خطأ انتظار المعروف من الناس	مش نتصدق ونتنظر المعروف، ونتكلم على فلان درت فيه خير	الزكاة لا تعني المقابل، وتعيرُ الناس المحتاجين بها
ج5:	وصية أسماء - رضي الله عنها -	فأسماء كانت تُوصي بناتها، تصدقوا، ما تنتظروا المعروف	الصحابية تنصح أولادها بالزكاة، وعدم انتظار الجميل
ج6:	توجيه النصيحة إلى الأخوات	نوصوا بيها بناتنا وأخواتنا، تصدقي ما تنتظريش المعروف	ننصح أولادنا وعائلتنا زكوا ولا تنتظروا الجميل
ج7:	خطأ اتباع الصدقة بالمن والأذى	ماشي تبغي صادقتك بالمن والأذى، ول لما يكبر تقوليلهم فلان تشوفو فيه كنت نعطيلا.	لا تبطل زكاتك بمديثك عن شخص كان فقيرا ورزقه ربه.
ج8:	تبعات المن والأذى على العمل	كل شيء راحلك، فاحتسب الأجر عند الله واسأل الله أنو يتقبل منك.	لأنه يضيع منك كل خير، وانتظر الحسنات من الله وادعه بالقبول
ج9:	موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام	إبراهيم، بيني في بيت الرحمن، قال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، يقولوا أهل	خليل الرحمان وهو يصنع مكة قال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ذكر العلماء:

		الْعِلْمُ، خَافَ أَلَّا يَتَقَبَّلَ مِنْهُ	خَافَ أَلَّا يَتَقَبَّلَ مِنْهُ
ج10	النَّصِيحَةُ الْمُسْتَخْلَصَةُ مِنَ الْقِصَّةِ	أَسْأَلَ اللَّهُ أُنُو يَتَقَبَّلُ مِنَّا، النَّصِيحَ، أَوَّلُ وَصِيٍّ لَمَّا نَتَصَدَّقُوا، مَنْتَبِعُهَاشَ بِالْمَعْرُوفِ	نَدْعُو رَبَّنَا الْقَبُولَ فِي الْخِطَابِ، وَأَنْ لَا تُبْطِلَ زَكَاةَ أَمْوَالِنَا بِالْشَّرِّ
الشَّرِيْطَةُ الثَّانِيَّةُ			
ج1:	بَدَأَ الْقِصَّةَ	خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ مَسَافِرًا لِلتَّجَارَةِ، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَلِكٍ، وَسَمِعَ مُشْرِكِي مَلِكٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِأَمْرِ الدِّينِ	سَافِرُ الصَّحَابِيِّ، وَأَثْنَاءَ رَجُوعِهِ سَمِعَ الْمُشْرِكِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ
ج2:	حَدِيثَهُ مَعَ زَيْنَبَ	دَخَلَ عَلَى زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ، وَقَصَّ مَا سَمِعَ، فَرَدَّتْ، وَقَاتَلُوا أَنَا أَسْلَمْتُ	دَخَلَ عَلَى زَوْجَتِهِ، فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: "أَنَا أَسْلَمْتُ"
ج3:	رَدَّ أَبُو الْعَاصِ وَاسْتَنْكَارَهُ	قَالَهَا مَا سَمِعْتِشِ أَهْلَ مَلِكٍ مَاذَا يَقُولُونَ عَنْ مُحَمَّدٍ، سَمَاوَهُ الْكَذَّابِ وَالشَّاعِرِ	أَلَمْ تَسْمَعِي الْمُشْرِكِينَ مَا يَقُولُونَهُ عَنِ النَّبِيِّ، مِنَ الْإِتِّهَامِ.
ج4:	رَدَّ زَيْنَبَ بِثِقَةٍ وَإِيمَانٍ	فَقَالَتْ زَيْنَبُ، لَا يَعْنِينِي	قَالَتْ الصَّحَابِيَّةُ، لَا يَعْنِينِي
ج5:	التَّقْدِيمُ لِشَخْصِيَّةِ زَيْنَبَ	نَعَمْ، حَدِيثُنَا الْيَوْمَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -	نَعَمْ، حَدِيثُنَا الْيَوْمَ عَنْ صَحَابِيَّةٍ مِّنْ بَنَاتِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
الشَّرِيْطَةُ الثَّالِثَةُ			
ج1:	زَوَاجُهَا وَأَمْرُهَا لِلَّهِ	تَزَوَّجَتْ بَعَثْمَانَ، وَرَزَقَتْ، بَوْلَدَ ثُمَّ تَوَفِّيَ، وَفِي عَمْرِهِ سِتُّ سِنَوَاتٍ	تَزَوَّجَتْ بِصَحَابِيٍّ وَرَزَقَتْ بَوْلَدَ فَتَوَفِّيَ عَنْ عَمْرٍِ صَغِيرٍ.
ج2:	مَرَضُ رَقِيَّةَ وَأَمْرُ النَّبِيِّ لِعِثْمَانَ	ثُمَّ مَرَضَتْ، فَجَاءَتْ غَزْوَةٌ بِدَرٍّ، فَالنَّبِيُّ أَمَرَ عِثْمَانَ أَنْ يَجْلِسَ، مَعَ زَوْجَتِهِ رَقِيَّةَ، فَجَلَسَ يَخْدُمُهَا	ثُمَّ مَرَضَتْ فَجَاءَتْ الْغَزْوَةُ، أَمْرُ النَّبِيِّ زَوْجِ ابْنَتِهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهَا يَخْدُمُهَا
ج3:	وَفَاتُهَا وَحُزْنُ الْمُسْلِمِينَ	فَفِي عَوْدَةِ الْمُسْلِمِينَ، سَمِعُوا بِالْخَبَرِ، تَوَفِّيَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	أَثْنَاءَ عَوْدَةِ الصَّحَابَةِ سَمِعُوا بِخَبَرِ وَفَاةِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ.
ج4:	تَفَاصِيلُ الْوَفَاةِ	تَوَفِّيَتْ وَفِي عَمْرِهَا 22 سَنًا،	تَوَفِّيَتْ فِي عَمْرِهَا اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ

		فحزن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وجلست فاطمة عند قبرها تبكي، وبكى وبكتها نساء المدين	سنة، حزن النبي -عليه السلام-، وبكت فاطمة وسائر نساء المدينة.
ج5:	دعوة للتعلم والصبر	فتعلموا عن رقي كيف صبرت واحتسبت لله	فتعلموا عن بنت النبي -عليه السلام- حقيقة الصبر
ج6:	ختام بالتسبيح والدعاء	سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين	سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(جدول 01)

التعليق:

بعد عرض معطيات تحليل الأشرطة الثلاثة تبين الفرق بين النموذجين الدلاليين، نوجزها في النقاط التالية:

1- في كل الأشرطة الجملة الواحدة تحتوي على مجموعة من القضايا الجزئية أجمعناها في قضية مركزية واحدة يجمع بينها المعنى المشترك، مثال الجملة الثالثة من الشريط الأول: "أنت تصدقت لوجه الله، وما نُقِصَتْ صدقة من مال، وأنت تبتغي وجه الله -عز وجل-، خلّي إخلاصك لله -عز وجل-"، كل هذه الجملة بطولها لها معنى واضح يدل عليها الواسم المشترك "الصدقة"، وبما أن الواسم وحده لا يكفي لمعرفة العلاقة التفصيلية لمعنى الجملة، لا بدّ من مجموعة من الواسمات التي تترابط فيما بينها من أجل تحقيق الانسجام الطبيعي للخطاب، وهذه الواسمات هي: "الصدقة" و"النية" وعند جمعها نتحصل على البنية الفرعية التالية: "الهدف من الصدقة" أو "حال المتصدق في واقعنا" أو "نية المتصدق"، وغيرها مما يشاركها في التصور التفصيلي لمعنى الصدقة وهدفها، هذا إذا تعلّق التحليل بالبنية الفرعية للبنية الكبرى، وإن كان الكشف عن موضوع البنية لا يحقق مفهومها الحقيقي؛ إذ البنية لا يمكن اختزالها بذكر مضمونها؛ لأن تصور مضمون البنية الأصلي يحيل إلى حذف العناصر اللغوية التي تتضمن التفاصيل، والدلالات الزائدة، فالبنية "تكمن حياتها في المحافظة على نسق العلاقات كما هي من دون تجاوز أو تضمين للتفاصيل"¹.

¹ - رزق بوزغاية، وراقات في لسانيات النصّ، ص 136. (المرجع السابق)

2- كما يمكن أن يمثلها "نموذج الفكرة العامة" في عملية الإلغاء المتضمنة للحذف والاختيار؛ لأن الحذف والاختيار يُقَي على نفس المعلومات الرئيسة للجملة مع إلغاء بعض الزوائد كالأوصاف أو الكلمات التي لا تضيف للجملة معنى جديداً، من دون إكمال العملية الثانية المتمثلة في الاستبدال القائمة على التعميم والتكوين؛ فالتعميم يتطلب الاستغناء عن المعلومات الأساسية التي ذُكرت في الجملة وتعويضها بمعنى عام كما فصلنا في الجانب النظري. وعليه أفضل ما يمثل نموذج البنية الكبرى بمفهومها الحاسم والراجع من بين تعدد المفاهيم هو الاكتفاء بعملية الإلغاء، بحذف بعض العناصر اللغوية واختيار الأنسب للمعنى الفرعي للبنية الكبرى، أما عن عملية الاستبدال فهي تمثل "نموذج الفكرة العامة" بعد المرور على "نموذج البنية"، وكأن الترتيب في اختصاره يدل على الآتي:

البنية الكبرى + عملية الإلغاء = وصف نسق العلاقات (دون التطرق للتفاصيل).

الفكرة العامة + عملية الاستبدال = مضمون الخطاب (القضايا الجزئية).

3- في الجملة الرابعة من الشريط الأول جاء فيها: "مش الأصل أني، نتصدق ونقعد ننتظر المعروف، ونقعد نتكلم في المجتمع على فلان على فلان وفلان أني درت فيه الخير في يوم الأيام عطيتو ولا سلفتو ولا كذا"، بعد تطبيق عملية الإلغاء صارت: "مش نتصدق وننتظر المعروف، ونتكلم على فلان درت فيه خير"، من أصل ثمانية وعشرين (28) كلمة أصبحت عشر (10) كلمات، الفارق بينهما كبير جداً، مع أن الجملة إذا قرأناها بعد العملية أفادت كما لو لم نحذف شيئاً من العناصر اللغوية، وهنا تكمل أهمية البنية الكبرى في تحليل النصوص دلالياً، فتطبيق هذه العملية مع المحافظة على البنية دون أي استبدال لعناصرها يُثبت كفاءة النموذج، وقدرته على وصف النسق وصفاً مثالياً، ويساعد على وصف تماسك الخطاب، ولتأخذ مثلاً آخر من الشريط الثاني، جاء في الجملة الثالثة: "قالها ما سمعتيش أهل مكّ ماذا يقولون عن محمد، يعني من الافتراءات الذين كانوا يفترون على النبي -صلى الله عليه وسلم-، سماؤه الكذاب وسماؤه الشاعر، أذاؤه أشدّ الأذى النبي عليه الصّلاة والسّلام"، تحتوي على اثنتين وثلاثين (32) كلمة، وبعد عملية الحذف للتفاصيل صارت الجملة: "قالها ما سمعتيش أهل مكّ ماذا يقولون عن محمد، سماؤه الكذاب والشاعر"؛ أي بعدد اثنتي عشرة (12) كلمة فقط، الفارق هو عشرون (20) كلمة، مع أن المضمون واحد في الجملتين، وكذلك لو نظرنا في الشريط الثالث في الجملة الثالثة وبنيتها الكاملة هي: "ففي عودة المسلمين، وفرحهم ونصرهم، سمعوا بالخبر، الخبر الذي أحزن الأنصار والمهاجرين، توفيت بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكُسِر قلب عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-"، فيها ثمانية وعشرون (28) كلمة، وبعد العملية نتحصل على الجملة

التالية: "ففي عودة المسلمين، سمعوا بالخبر، توفيت بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم"، عدد كلماتها ثلاثة عشر (13) كلمة.

إذا بعد عرض النتائج المتحصّل عليه أمكن الحكم على النموذج بأنه استطاع أن يُحقّق غايته في وصف العلاقات القائمة بين القضايا الجزئية، ولكن بعد وضع التعديل الذي اقترحناه في النموذج من اعتماد عملية واحدة وهي الإلغاء حتى نضمن بقاء البنية دون تغيير أو استبدال، وهذه العملية تساعد في تقنية تقليص النصوص، أما النموذج المعدل الآخر المتمثل في "الفكرة العامة" فهو يستحق أن يمثل تقنية التلخيص أحسن تمثيل، وذلك باستبدال العناصر الرئيسة بأخرى تشملها بحيث إذا قلنا كما في الأشرطة: "زينب أو رقية" استبدلناها بلفظ عام تمثل قاعدة التعميم وهو لفظ "صحابية أو بنت أو زوجة"، وهكذا دواليك، وخير ما يمثل هذه الفكرة نموذج الحقول الدلالية، وليس هنا محل تفصيلها على الوجه اللازم.

يمكن أن أضع جدولاً يُبين أصل عدد كلمات كل جملة قبل عملية الحذف وبعدها، حتى ندرك الفرق، مع العلم أن القضية لم يصبها أي تغيير أو نقص، بل بقيت كما هي ثابتة المضمون، وهذا الجدول:

الجملة	عدد الكلمات قبل عملية الإلغاء	عدد الكلمات بعد عملية الإلغاء	الفارق
ج1:	13	05	08
ج2:	16	10	06
ج3:	20	09	11
ج4:	28	10	18
ج5:	13	08	05
ج6:	18	08	10
ج7:	41	14	27
ج8:	19	12	07
ج9:	44	20	24
ج10:	31	12	19
الشريط الثاني			
ج1:	23	15	08

ج2:	26	11	15
ج3:	32	12	20
ج4:	13	04	09
ج5:	24	12	12
الشَّريط الثالث			
ج1:	20	10	10
ج2:	32	15	17
ج3:	28	13	15
ج4:	24	20	04
ج5:	23	07	16
ج6:	13	13	00

(جدول 02)

ملاحظة:

الذي يُلاحظ من خلال الجدول أن الحذف والاختيار لم يطال كل العناصر اللغوية، بل اكتفى بالمعلومات الثانوية مع الاحتفاظ بالبنية اللغوية الأساسية كما هي، والجدول يُبرز عدد الكلمات قبل عملية الإلغاء وبعدها، مما يظهر الفارق في الشَّريط الأول، ويعتبر فارقا كبيرا، خاصَّة في الجملة الرابعة والسابعة والتاسعة والعاشرة (18، 27، 24، 19) على الترتيب، ورغم هذا فالقضية الأساسية لم تتبدل، وبقي الخطاب متماسكا كما لو لم تطبق العملية، ولكن فائدة العملية هو وصف نسق العلاقات كما أثبتنا ذلك سابقا، وتقليص العناصر اللغوية من ناحية اللَّفظ مع الاحتفاظ بالبنية المركزية، وكذلك في الشَّريط الثاني نجد الجملة الثانية والثالثة (15، 20) على الترتيب، وفي الشَّريط الثالث نجد الجملة الثانية والثالثة والخامسة (17، 15، 16) على الترتيب، وهذا ما يُعطي للنموذج أحقيته في اعتماده كآلية من آليات التحليل الدلالي وفق النموذج البنية الكبرى المعدل؛ إذ يساعد بشكل كبير على حصر القضايا الرئيسية، وحذف المعلومات التي لا تضيف للقضية الرئيسة إلا الوصف أو التعليق أو التحليل غير المناسب في كثير من الأحيان.

وفي مقابل ذلك لا يمكن تطبيق هذا النموذج إذا تعلّق الأمر بالآيات؛ لأن لفظها ومعناها من عند الله، أو الأحاديث، وإن كان في هذا الأخير كلام عند المحدثين في قضية رواية الحديث بالمعنى دون اللفظ، وبهذا الاعتبار نكتفي بعدم تطبيق النموذج المعدّل على القرآن، مع إمكانية تطبيق النموذج الذي اقترحه "فان دايك" (Teun A. Dijk van) كما هو دون تعديل في استقراء الآيات من باب الشرح والتفسير والتعليل للقضايا الجزئية للنصوص القرآنية، أما اعتماد النموذج المعدل فلا يصح بسبب ما ذكرنا من قدسية كلام الله، ولذا نرى في الشريط الثالث الجملة الأخيرة المتعلقة بختام المجلس، ختمها بآية من سورة الصافات، فكان الفارق صفراً، وعدد كلمات الآية هو ثلاثة عشر (13) كلمة، وكذلك في الجملة الرابعة كان الفارق هو أربع كلمات فحسب بسبب عنوان القضية وهي "ذكر تفاصيل الوفاة"، فليزِم من التفصيل عدم الحذف إلا يسيراً مما لا يُخلُّ بالوصف أو يزيد عنه بالتكرار أو التضمن.

الحاصل

بعد تطبيق معطيات النموذج ومقترحاته، ورغم ما يكتنفه من "غموض" كما صادق على هذا اللفظ صاحب المشروع، رأينا أن النموذج يحتاج إلى تعديل جزئي بسيط حتى يخوّل له الدخول إلى عالم الآليات الإجرائية المعتمدة في الوصف والتحليل الدلالي، مما يعطيه مساحة كبيرة للدخول إلى مجال الفن الأدبي من باب الواسع، لاعتماده كوسيلة من وسائل تقنية التقليل، فهي تساعد على فهم الموضوع، بالإضافة إلى تحقيق التماسك النصّي، دون حذف المعلومات الأساسية، أو تعويضها واستبدالها بأخرى شبيهة لها، أو حاملة لمعناها؛ إذ المنطلق الذي تأسس عليه النموذج هو مصطلح "البنية" وبالتالي سيحافظ على العبارة دون تغيير لمجريات المصطلح أو أحداث المفهوم. كما تبين من خلال هذا النموذج المعدّل أن كفاءته التحليلية قادرة على إبراز مضمون الخطاب، والحكم عليه، ولذا يُعتبر وسيلة هامة في تحقيق الوصف التفصيلي لبنية القضايا الكبرى والصغرى معا دون أيّ تكلف.

فَصْلٌ ثَالِثٌ

النَّمَاذِجُ الدَّلَالِيَّةُ فِي تَحْلِيلِ
الْخِطَابِ الدِّيْنِيِّ عَيْنَاتٌ مِنْ
الشُّرُوقِ "أُونْ لَإِيْن"

مطلب ثالث: نمودج الربط بين القضايا وقانون الترابط

السَّبِي

مطلب ثالث: نموذج الرِّبط بينَ القَضَايَا وقَانُونِ الرِّابِطِ السَّبَبِيِّ

بما أن الدرس الدلالي بمختلف قضاياها يسعى لإبراز الانسجام بين القضايا عن طريق مجموعة من النماذج من أجل تحقيق التماسك، إلا أن هذه النماذج لم يتفق اللسانيون على حصرها، بل حتى على العمل بها، ورغم كونها متنوعة، وبعضها يخدم بعضاً، إلا أنها لم تُعن بالاهتمام اللازم، وهدفها في الأخير هو الكشف عن القرائن التي يوفرها الخطاب داخله حتى يكون منسجماً؛ إذ غاية الخطاب هو الإقناع، ولا يحصل إلا بتحقيق المنطقية التي تتأتى من صلب النماذج الدلالية .

ومن بين أهم النماذج التي أفاض فيها بعض المتأخرين أمثال "تون فان دايك" (Dijk Teun A. van) في كتابه (علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات)، ومن العرب "رزق بوزغاية" في كتابه (ورقات في لسانيات النصّ)، نموذج الرِّبط بين القضايا، وبما أن مصطلح "قضية" مستعار من علم المنطق، إلا أنه يمثل المحتوى الدلالي للنص أو الخطاب، على اعتبار الخطاب هو متواليات من الجمل موضوعة على هيئة مخصوصة نحو، "ويعدّ الرِّبط بين القضايا أهم وسيلة لتحقيق التماسك الدلالي؛ لأن الرِّبط اللفظي بين الجمل ليس كافياً لبناء نص مقبول"¹.

في نص الكلام المعروض نوعان من الرِّبط أحدهما لفظي، وآخر معنوي يتعلّق بمحتوى الجملة، فالأوّل ليس كافياً لبناء النصّ المحكم، وما دام أنه غير كافٍ كما وصفه "رزق بوزغاية"؛ فإنه يحتاج إلى نوع ثانٍ نأخذه من مضمون كلامه، وقد ذكر الباحثون أن الرِّبط بين القضايا يحصل بالعلاقة التجميعية للجملة إما عطفاً، أو استدراكاً، وما يكون في خطّهما عموماً، كما يتخذ شكلاً آخر وهو العلاقة السببية، وفي هذا قد فصلّ "فان دايك" (Teun A. van Dijk) كلامه قائلاً: "ترتبط واقعتان "أ" بعضهما ببعض ارتباطاً سببياً حين يكون "أ" سبباً أو تعليلاً لـ"ب"، ولذا تكون "ب" نتيجة لـ"أ". وتشكل تلك العلاقة بين الوقائع أساساً لاستخدام أدوات ربط سببية مثل الروابط: لأن، إذا، وهكذا، وأن... الخ"².

أبان "فان دايك" (Dijk Teun A. van) عن الطريقة التي تترابط بها القضايا عندما يكون الموضوع يتوفّر على سبب ونتيجة، وهذان يستدعيان وجود روابط شكلية تجمع بينهما، ولذا كل قضية تجتمع مع أخرى فالرابط بينهما أدوات أو حروف لها معنى وظيفي تضيفه للقضيتين، فقط تكون العلاقة المؤسسة للقضيتين علاقة سببية أو

¹ - رزق بوزغاية، ورقات في لسانيات النصّ، ص 77. (المرجع السابق)

² - تون فان دايك، علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة، ط2، 2005م، ص 55.

علاقات أخرى مثل علاقة التضمن، وعلاقة الترادف، وعلاقة التخالف، وعلاقة المتضادات وغيرها مما ذكره غير واحد من الغربيين¹، وإن وجدنا عند العرب القدامى مثل هذه المسائل مطروحةً إلا أنها تفتقر للتنظيم والمعالجة المنطقية، فقد وردت متداخلة ضمن قضايا علم المعاني متفرقة في شواهد عامة، ومع طرح فكرة المنهج جعلها تنتظم في أبواب خاصة، وتُعالج معالجة فلسفية خاصة؛ إذ علم الدلالة من أصل الفلسفة كما أشرنا سابقاً، وعليه كل أبوابها ومباحثها تُبنى على شرط المنطقية أو ما يقرها، وإن البحث في العلاقات الترابطية بين القضايا يلزم منها حضور الرّموز للتعبير عن القضايا المجردة، ولكن لما كانت لغة الرّموز معقدة وعصية على أغلب الباحثين، عمدنا إلى ترجمتها في صورة مبسطة باقتراح تعبير يشمّل محمولات الدلالة.

فجميع تلك العلاقات الترابطية التي ذكرناها قد تمثل المفردات، أو ما يُعرف بعلم الدلالة الإفرادي، ولكنها تُظهر جانباً من الترابط؛ لأن لفظ الترابط لا يكون إلا بين شيئين يجمعهما المنطق، فقد تظهر في الجملة قضيتان مترادفتان، أو متضادتان، فتكون القضية الثانية استدراكاً عن الأولى، أو تفسيراً لها، أو تقريراً لشيء ثابت، فقولنا: (السماء زرقاء في النهار لكنها سوداء في الليل)، فالظاهر أنها علاقة تضاد، ينتمي إلى حقل الألوان لموضوع السماء، ولكن الحكم يُحمل على الاستدراك بقرينة "لكن"، رغم هذا التعارض إلا أن الترابط واضح بين القضيتين، ويمكن الإشارة إلى القضية الأولى بـ"أ" وهي: (السماء زرقاء في النهار)، والقضية الثانية بـ"ب" وهي: (السماء سوداء في الليل)، قضيتان متعارضتان الجامع بينهما حرف "لكن"، وعلى ذلك قياس جميع العلاقات الترابطية، ويمكن تعميمها وإخراجها من دائرة علم الدلالة الإفرادي إلى علم الدلالة التركيبي وبصير موضوعها العلاقات الترابطية بين القضايا.

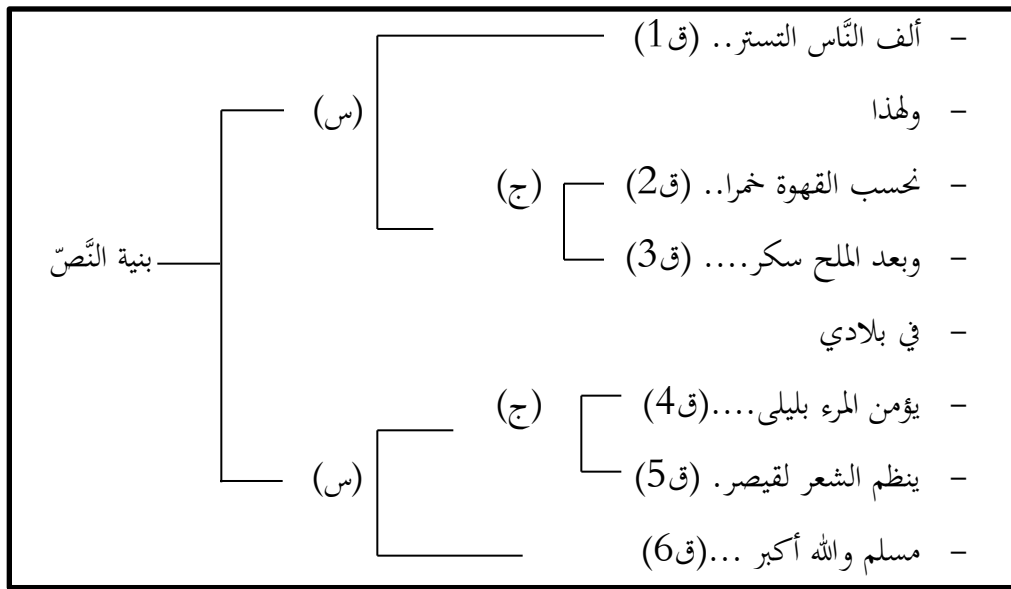
وما يمكن الإيغال فيه هو المذكور في نص "فان دايك" (Dijk Teun A. van) السابق، وهو العلاقة السببية؛ إذ أغلب القضايا يتم إدراكها عن طريق تقديم الأسباب والنتائج، وهذا ما عنّته "نيكول ديلباك" (Nicole Delbeque) (1952م/...) بقولها: "سواء كنا نقرأ النصّ أو نسمعه، لا يمكننا فهمه إلا بإدراك علاقات التماسك بين مختلف جملة. مثل علاقات سبب/ نتيجة، أو تضاد، البديهية... الخ، تؤسس علاقات التماسك الدلالي بعداً تأويلياً يضاف إلى عملية تأويل الجمل في النصّ كل على حدة"².

¹ - يُنظر: آف. آر. بالمر، علم الدلالة، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، من الصفحة 99 إلى 116. (المرجع السابق)

² - Nicole Delbeque; Linguistique cognitive Les, Comprendre comment fonctionne le langage de boeck bruxelles, Belgique, 2^e édition 2006, p 237.

ولذلك كان دور القارئ مهما في عملية تأويل العلاقات القائمة بين العناصر الدلالية في الخطاب، فكلما كان الخطاب منظماً استطاع القارئ فهمه بسهولة، ولذلك يُقاس الانسجام الخطابي بمدى قدرة المتلقي على استيعاب النصّ، وذلك في إطار ما يُعرف بنظرية القراءة، فالرّبط بين حقيقة التماسك الخطابي وعمل القارئ مرهون بكفاءة الخطاب لغوياً؛ أي حضور قواعد اللغة حضوراً منتظماً.

ولنا في المثال الذي قدّمه "عمار مرياش" (1964م/...) عن العلاقات التجمعية والسببية ما يقرب الفكرة أكثر، ويوضحها بطريقة أفضل مما لو كانت كلاماً عادياً، إليك المقطوعة الشعرية التالية¹:



نلاحظ تعدد حرف (ق) إشارة إلى لفظ القضية، وهي هنا ست قضايا متتالية، وحرف (ج) يشير إلى العلاقة التجميعية وهي الجمع بين قضيتين، حيث انفردت القضية الأولى لعدم وجود رابط لفظي ولا منطقي يجمع بينها وبين القضيتين الأخيرتين، بينما القضيتان الأخيرتان لهما رابط لفظي ومنطقي فجمعتهما مع بعضهما، فكانت القضية الأولى سببا (س) للقضيتين الأخيرتين، وهي نتيجة لحب التستر، وهكذا بالنسبة للمقطع الثاني.

ولما كانت العلاقة السببية بهذه الأهمية كما ذكرت "ديلباك"، وكما وضّحنا بالمثل، صارت القضايا الجزئية المتفاعلة (المطلب السابق) مهمة جداً في تحديد وتوجيه القارئ، ولذلك يمكن اعتبار الترابط السببي قانوناً فعلياً، وليس مجرد قرينة تحضر في محتوى الجملة، وغاية هذا النموذج هو استثمار أشكال العلاقة السببية في التحليل الدلالي

¹ - عمار مرياش، بلاد العجائب (مجلة الضاد)، معهد الآداب واللغة العربية جامعة قسنطينة، دار الشهاب باتنة، الجزائر، العددان 10 و11، ص 131.

للخطابات، وقد بيّن "بوزغاية" هذه الأشكال وحصرها على النحو التالي: "تندرج ضمن العلاقة السببية أشكال مختلفة من الروابط منها: السبب...، المبرر...، القصد...، الوسيلة...، التتابع...، الشرط"¹.

هذه الأشكال أو ما أسميه بـ"القرائن الخطابية الداخلية" يمكنها أن تُثبت من وجه قريب الترابط بين القضايا في شكلها المثالي، وتساعد على فهم وإدراك الخطاب بسهولة دون اللجوء إلى عالم القارئ وتأويلاته المتكررة، فالسبب (Cause)، كشكل من أجل العلاقة السببية هو الأشياء الخارجة عن إطار الفعل المقصود تستعمل لتحقيق نتيجة ما؛ بمعنى أقرب حوادث خارجية لا إرادة فيها يستعملها الإنسان للوصول إلى نتيجة، ولذا يُقال: "إذا عُرف السبب بطل العجب"، لأن السبب لا يمكن أن يُدرك ما لم تكن هناك حاجة إليه، والحاجة هي النتيجة، ولذا أمرنا الشارع الحكيم باتخاذ الأسباب من أجل الوصول إلى الحاجة، مثال: في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: 84]. فمغرب الشمس سبب خارج عن إرادة ذي القرنين، فكانت النتيجة ﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: 84]. فالفعل "وجد" هي النتيجة، فماذا وجد؟، غروبها في عين حمئة، والقوم، تعيّنان لحدث واحد.

أما المبرر (Justification)؛ فهو مرتبط بذات المتكلم ليعبر عن مرحلة يعيشها؛ بتقديم تفسير محدد يأتي كرد فعل للموقف الذي هو فيه، أو هو تفسير المتكلم للموقف الذي حلّ عليه، عبارة عن تعليل للنتيجة -إن صحّ التوصيف- ومثاله لو قال الأستاذ للطالب، لماذا تغيّبت بالأمس؟، سيوجب الطالب مبرراً سبب الغياب قائلاً: "كنت مريضاً"، فالمرض مبرر لعدم الحضور.

يمكن أن نعقد مقارنة بين مفهوم "السبب" و"المبرر" حتى نوضح الفوارق التي قد تشبه على المحلل، بسبب الاستخدام العام لهما، فكثيراً ما نستخدمهما بمفهوم واحد فنقول في المثال: ما سبب تغيبك عن الحضور؟ فيجب بسبب المرض، فالمرض يعتبر سبباً، باعتباره حدثاً طارئاً، بينما لو قلنا لماذا تغيبت عن الحضور؟ فيجب: لأنني كنت مريضاً، فتعدّ حضوره، وعلل النتيجة التي حدثت، وأصبحت جزءاً من ذات المتكلم، فالسبب يكون إجابة عن الشيء الحادث، والمبرر يكون إجابة عن الفعل المباشر، ويمكن حصر المفارقة في الجدول التالي:

الوجه	السبب (Cause)	المبرر (Justification)

¹ - رزق بوزغاية، وراقات في لسانيات النصّ، ص 78. (المرجع السابق)

طبيعة العلاقة	السبب والنتيجة علاقة مباشرة	تبرير النتيجة علاقة غير سببية مباشرة
التأثير على النتيجة	السبب يؤدي إلى نتيجة مباشرة	يوضح الغاية أو النية
المجال	يتعلق بالأحداث أو الظواهر الطبيعية	يتعلق بالقرارات أو التصرفات الإنسانية
مثال	تأخرت السيارة بسبب عطل ميكانيكي	تغييت لأنني كنت مشغولاً

(جدول 01)

وعندنا أيضا قرينة خطابية أخرى وهي "القصد" (Intent)، وهي الغرض الذي يبحث عنه المتكلم أو السامع بعد تحقيق مقدمات مناسبة، وهي عبارة عن نتيجة أيضا إلا أن الفرق بين نتيجة السبب، ونتيجة الغرض يكمل في عنصر الإرادة، فالسبب خارج عن الإرادة، والغرض متصل بالإرادة، ومثاله: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الحج: 52]. النتيجة كانت ﴿فَيَوْمُونَا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 52]. القضية المقدمة لذلك الغرض هي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: 50].

ومن القرائن الخطابية نجد "الوسيلة" (Means)؛ ويقصد بها الأداة التي يحصل بها الغرض، وتكون في المقدمة كما رأينا في الآية السابقة أن الوسيلة التي تحقق إيمان أهل العلم هي نسخ الله ما ألقاه الشيطان في الوحي، ومنه حفظ الذكر من التحريف والتبديل، فالوسيلة باختصار هي "النسخ".

ومن الأشكال التي تتفصل من العلاقة السببية نجد "الشروط" (Condition)؛ وهو معروف في الخطاب عبارة عن تعلق النتيجة أو مجموعة نتائج بمقدمة واحدة بأداة تدل عليها "إذا، لئن، من..." كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 03/02]. فتحقيق نتيجة المخرج في الحياة والرزق يتوقف على مقدمة واحدة وهي التقوى.

وأخيرا من الأشكال عندنا التتابع (Sequence)؛ بمعنى ترابط الأحداث وتواليها من غير اشتراط المنطق في التوالي والجامع بينهما زمن محدد، وهذا ما يعرف أيضا بالعلاقة الزمانية¹، ومثاله في الآية قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: 77].

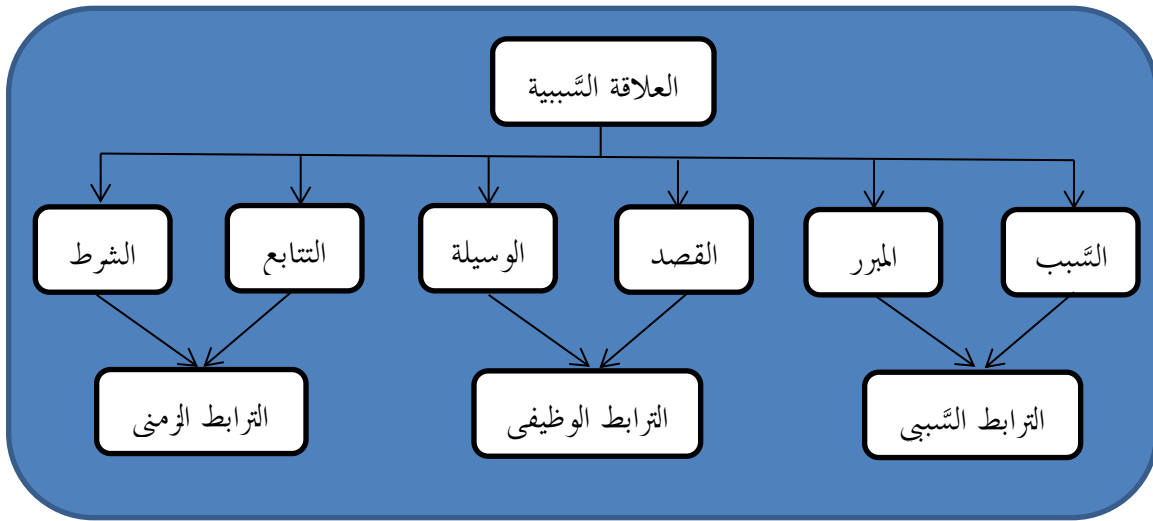
¹ - "Speech and Language Processing" by Daniel Jurafsky and James H. Martin, Cambridge, MA, 1e édition 2009, p 12

فجمع بين حدثين هما "الأفول" و"القول" في الزمن الماضي من دون ترتيب منطقي، وإن كان في ظاهر الآية ترتيب منطقي بعد "الأفول" يأتي بعده وهو التعقيب بالقول، إلا أنه ليس شرطا، أو هو تسلسل زمني منطقي أو غير منطقي بين حدثين، يفترض وجود علاقة سببية، أو يكون مجرد ترتيب زمني دون دلالة سببية واضحة.

فنلاحظ أن القضايا مترابطات بكيفيات وأشكال كثيرة، وتختلف الإطلاقات المصطلحية والمنطلقات الإستمولوجية في تحديد نوع الترابط بين القضايا، إلا أن منطلق اللسانيين أوضح من منطلق الفلاسفة؛ حيث تجتمع الآليات الفلسفية لدى المحلل اللساني وتكون أقرب إلى ذهن القارئ المتخصص وغير المتخصص، فإذا قلنا لفظ السبب سيكون أقرب من لفظ العلة والمعلول، حتى على مستوى الحدود والفوارق المفاهيمية، وكذلك لفظ المبرر أدق من مصطلح التعليل، والوسيلة أشمل من الأداة، والتتابع أولى من العلاقة الزمانية، والشرط أفضل من القيد المشروط، وهكذا تصطبغ القضايا الفلسفية بصبغة لغوية لتحقيق التماسك الخطابى الذي يسعى إلى إبراز نقاط القوة المحتملة لدى القارئ، ولتضييق الهوة بينه وبين التصورات اللامنتظية.

وتشكل مع بعضها ما يُعرف بالعلاقة السببية، ويمكن إجمالها وبيان تفاعلها مع بعضها في الخطاطة التالية:

الشكل 01:



أشكال العلاقة السببية وقانون الترابط النوعي

جمعنا أشكال العلاقة السببية كل ثنائية على حدة تحت ترابط نوعي حددناه انطلاقاً من التصور العام لكل شكل، فالسبب والمبرر يجمع بينهما الترابط السببي باعتبار أن السبب يؤدي إلى نتيجة والنتيجة قد تتطلب مبرراً،

والمرر هو توجيه السبب نحو إرادة الفاعل؛ إذ بعد معرفة النتيجة يلجأ إلى تبريرها فتدخل إراداته في توجيه الحدث الخارجي بعد أن كان مستقلاً عن الذات.

أما عن القصد والوسيلة فيجمع بينهما الترابط الوظيفي باعتبار أن الوسيلة تكون في المقدمة من أجل بلوغ قصد معين، فوظيفة الوسيلة تحقيق القصد، فتتربط القضايا على إثر ذلك، فكل غرض ارتبط بوسيلة ما تحقق العمل ضرورة، وكأنه بمثابة الشرط، فإذا تحقق شرط الوسيلة تحقق المشروط من القصد.

بينما قرينة التتابع والشرط الجامع بينهما هو الزمن، ويشترط وجود فعلين في زمن واحد، فقد يكون الشرط تتابعا في الأحداث زمنا، مثل: إذا سافرت وصلت في الوقت المناسب، فنلاحظ تتابعا في الحدثين "السفر" و"الوصول" في زمن الماضي معا، وحصل التتابع في الشرط، ولا يلزم العكس فقد يحضر التتابع دون حضور الشرط كأن تقول: زيد حضر قال لي كيف حالك؟، حدثان متتابعان "الحضور" و"القول" دون ملازمتها لأدوات الشرط، وإن كان الشرط تدل عليه الحروف بعكس القرائن السابقة التي تُحمل على المعنى مباشرة.

فكلما توفرت هذه الأشكال في العلاقة السببية كان الخطاب أكثر تماسكا، وأدعى إلى تصديق الخطاب، وقبوله كما هو دون تأويل، ولا أعلم خطابا بشريا يتسم بهذه المميزات على الإطلاق، وإن وجد في الخطاب الإسلامي ما يميزه عن غيره، ورغم هذا نجد كثرة المذاهب واختلاف الآراء حول المسائل الدينية، ويبقى المرجع في الأخير إلى القارئ الذي يقترح من أشكال التحليل الدلالي في ترابط القضايا ما يُعزّي مرجعيته التي ينتمي إليها، ولذلك "فإن الفجوة الفاصلة بين قارئ يأتي إلى النصّ محملا بأحكام وتصنيفات ثقافية متنوّعة، وبين نصّ يحتوي على الضمني والاستعاري والموحى به هو ما يعكس الآليات الأساسية لسيرورات التأويل تثيرها القراءات المتعددة، ولو لم يكن الأمر كذلك لما اقتتل الناس في كل ربوع العالم بسبب تأويلات النصوص: الكاتوليك والبروتستانت عندهم، والسنة والشيعة عندنا"¹.

إذا يدعو "سعيد بنكراد" إلى ضرورة التمييز بين قارئ مثقف وبين نص مشقّر بالمجازات، فإن الأخير سيكون عرضة لثقافة القارئ المتنوّعة مما تتعدد في قراءات النصّ، وهو ما حصل في النصوص الدينية، بما أننا نحلل النماذج الدينية في هذا الفصل، سيكون التركيز على استثمار هذا النموذج الدلالي في بيان مدى قرب الخطاب الديني من

¹ - سعيد بنكراد، سيميائيات النصّ مراتب المعنى، دار الأمان، الرباط، ط1، 2018م، ص 119، 120.

الوضوح والدقّة والبعد عن التّأويل والقراءات المختلفة التي تكون سببا في التّفريق والتشتّت، وهو ما يكشف عن واقع اللغة العربيّة من زاوية الدّرس الدّلاليّ، وتحديدًا نماذجه المتعددة.

إن الغرض الأسمى الذي يتطلع إليه نموذج التّرابط بين القضايا هو "بيان ما يسمّى بنية الخطاب، وهي نسق علاقات متداخلة قوامها الدّلالات الجزئية للقضايا، ولا بدّ أن يعرف الملاحظ أن غرض التّحليل الدّلاليّ ليس بيان خصوصيّة الخطاب من النّاحية الجماليّة، بقدر ما هو سعي إلى إبراز جانب من قوانينه اللّغويّة الدّلاليّة"¹.

وهذه القوانين الدّلاليّة كثيرة جدًّا، ولكن يمكن حصر بعضها كما سبق، فكلّما تضافرت واجتمعت في الخطاب، أو البنية النّصيّة، كان إدراك المتلقّي لها سهلا، وهذا ما سنتعرف عليه في الخطابات الدّينيّة التي انتخبناها من الشُّرُوق أون لاين عبر الوسيط الإلكترونيّ "اليوتيوب".

أولا: أشكال العلاقة السببيّة في الخطاب الدينيّ "حصّة وقفة مع آية أنموذجا"

بما أن العلاقة السببيّة بأشكالها التي عرضناها تستطيع أن تثبت وصفا دقيقا، وتحليلا سديدا للخطابات البشرية بكافة أنواعها، فإن هذا يجعل الباحث ينظر في قدرته على تحقيق ذلك من خلال الأشرطة الدّينيّة التي تتميز بكثرة التّأويلات والقراءات، خاصّة إذا لم يكن للباحث أدوات يتعامل بها لإدراك مثل هذه القضايا، وسنختبر هذا النموذج بما فيه من اقتراحات على العيّنات التي سلطنا الضوء عليها في هذا المطلب، وهي حصّة "وقفة مع آية"، حيث يعرض فيها المتكلّم خطابات متنوّعة في مجال الدّين، من أجل تقريب النّاس إلى حقيقة القضية المعروضة، هذا ما سيحاول النموذج أن يثبته، وبه نصف واقع اللغة العربيّة دلاليا.

أ- عنوان الخطابات:

شريط 1- وقفة مع آية: الصدق.

شريط 2- وقفة مع آية: التفاؤل.

شريط 3- وقفة مع آية: الإسراف.

ب- قائل الخطابات: صلاح بن سالم با عثمان.

ج- مكان الخطابات: نُشرت الحصّة سنة 2019م.

¹ - رزق بوزغاية، وراقات في لسانيات النّص، ص 78. (المرجع السّابق)

د- توقيت الخطابات:

- شريط1- ثلاث دقائق وثلاثون ثانية (3د، 30ثا) من أصل: أربع دقائق وأربع وثلاثون ثانية (4د، 34ثا).
 شريط2- ثلاث دقائق وأربعون ثانية (3د، 40ثا) من أصل: أربع دقائق وخمس ثوانٍ (4د، 5ثا).
 شريط3- أربع دقائق وخمس عشرة ثانية (4د، 15ثا) من أصل: أربع دقائق وإحدى وخمسون ثانية (4د، 51ثا).

وذلك بعد حذف مقدمة البرنامج ونهايته (دعاء الختم، والتحية)؛ بسبب تكررها في كلّ الأشرطة.

هـ- تفريغ محتوى الخطابات:

الشريط الأول:

من الأصول الاعتقادية في الشريعة الإسلامية، أن عمل القلب متّصل بعمل الجوارح، وأن ما يظهر على الجوارح دليل عمى على ما في القلب، فالصدق هو مطابقة القول لما في القلب والواقع، ولهذا لم يرخّص النبي صلى الله عليه وسلم في الكذب إلا في أمور ثلاث، في الحرب، وقول الرجل لزوجته، وقول الزوجة لزوجها، مما يديم الألفة والمودة بينهما، وفي الإصلاح بين الناس، ولذلك لما في هذه الأمور من المصلحة الراجحة، التي تعود على البيت المسلم أولاً وعلى المجتمع، أيها المشاهد الكريم أيها الأحباب الكرام، إن الله سبحانه وتعالى ربّ صلاح العمل، وغفران الذنوب على سداد القول واستقامته فقال الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: 70 / 71]، نعم، ليس الصدق في اللسان فقط، بل في الأفعال، والأعمال، والمدخل والمخرج، فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوه بهذا الدعاء، وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً، أيها الأحباب، إن الكذب علامة من علامات النفاق، أعادنا الله منه، كما في الحديث: (آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)، الكذب أحد علامات النفاق، والناظر في الحديث، يظهر له جلياً اقتران الكذب، بالخيانة وإخلاف الوعد، ما أقبح الكذب المذموم صاحبهُ، وأحسن الصدق عند الله والناس، فالكذاب خائف ليس له أمانة، مخلفٌ للمواعيد، ظاهره مخالفٌ لباطنه، تحون في عينيه القبايح، ذو وجهين أو ذا وجهين، أما الصادق، فهو ذو مروءة وعفةٍ يهابه أعداؤه، ويذكرون صدقه، حتى في مواضع الكيد والحرب، وتأكيدها لهذا الكلام، في حديث أبي سفيان عن النبي صلى الله عليه

وسلم، عندما سأهم هرقل، وسأل سفيان بالذات عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال أَوَكُنْتُمْ تتهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان لا، فقال هرقل، فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله، وقول المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم ما جرّنا عليك إلا صدقا، أيها الأحباب الكرام، إذا تمكن الصدق من القلب، سطى عليه نوره، وظهرت على الصادق آثاره في عقيدته، وعبادته، وأخلاقه وسلوكياته¹.

الشَّرِيطُ الثَّانِي:

في دراسة حديثة حول القرآن الكريم، أثبتت هذه الدراس، أنه لا يوجد كتاب على وجه الأرض، يمنح المؤمنين به التفاؤل والأمل والفرح والسرور، مثل القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي يكفي أن تقرأ فيه فيمنحك الرّاح، والفرح، والأمل، والسرور، أرايت للذي ضاقت عليه الأمور، وضغطته الدنيا، حين يقرأ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾ [الشّرح: 6/5]، فتسكن نفسه، ويهدأ فؤاده، أيها الأحباب الكرام، تعلمنا من القرآن، أنّ الرحمة غلبت الغضب، وأن العفو سبق العقوبة، وأن النعمة تقدمت المحن، فاعلم، أنه ليس من شدة إلا وبعدها رخاء، يؤكد على ذلك قول الحبيب صلى الله عليه وسلم، وأنّ النَّصْرَ مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرى، يقول أهل التفسير، جاء العسر في الآيتين معرّفًا، والقاعدة العربيّة تقول، إنّ المعرفة إذا كرّرت، فإنها تدل على شيء واحد، وأما اليسر فقد جاء في الآيتين نكرًا، والقاعدة العربيّة تقول، إذا كرّرت النكرة، فإن النكرة الثانية، تكون غير النكرة الأولى، وفي هذا دلالة على أنّ العسر، المكرر واحد، واليسر المكرر يسرين، ولذلك جاء في الأثر، لن يغلب عسر يسرين، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-، والذي نفسي بيده، لو كان العسر في حجر، لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، لقد وقع يونس بئ منّي، عليه الصلّاة والسّلام في البحر، فابتلعه الحوت، واجتمعت عليه، ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، فضاقت صدره، وعظم كربته، ففزع إلى ربّه، فنادى في الظلمات، لا إله إلا أنت سبحانك، إنّني كنت من الظالمين، فبدّل الله عسره يسرا، وضيقه فرجا، وغمّه سرورا، فاستجبنا له، ونجّيناه من الغم، وكذلك ننجي المؤمنين، ومس أيوب عليه الصلّاة والسّلام الضر، فنادى ربّه، أي مسني الضر، وأنت أرحم الراحمين، فكشف الله ضره، وأعطاه من فضله، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، رَحْمَةً مِنَّا، وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84]، فيا من أملت به الشدائد أيقن، بأن نفحات اليسر تحوتك، وأن ربك

¹ - <https://2u.pw/3NUGzHm>, It was viewed on: 17/09/2023 at: 14:29

قريب منك، بلطفه وكرمه سبحانه وتعالى، إذا اشتملت على اليأس القلوب، وضاق بما به الصدر الرحيب، وأوطنت المكاره واطمأنت، وأرست في مضامنها الخطوب، أذاك على قنوط منك غوث، يمنُّ به اللطيف المستجيب، وكل الحادثات إذا تناهت، فمقروناً بها الفرج القريب¹.

الشريط الثالث:

وصف الله عز وجل الأمة الإسلامية، بوصفٍ مميز لها، وصفٌ مميِّز عن غيرها، ألا وهو الوسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] أي عدلاً، عدلاً في كل شيء، في العقائد، فلا تأليه للبشر، ولا، تبخيس لحقوق الناس، ولا رمي الأنبياء بالبهتان، عدلاً في الأفعال، لا غلو، ولا ابتداء، ولا تفريط، ولا تضييع للحدود، عدلاً في الأقوال، لا افتراء، لا كتم للبينات، لا تحريف للآيات، أيها الأحاب الكرام، إن الحياة لا تستقيم على وجه واحد، فلا سراء دائمة ولا ضرء باقية، ولا غنى مستقر، ولا فقر ثابت، بل يومٌ لنا، ويوم علينا، ويوم نُسَاء فيه، ويوم نُسر، والإسراف أيها الأحاب الكرام، هو تجاوز الحد، في كل الأفعال التي يفعلها الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق فهو أشهر، لذلك أمرنا الله عز وجل بالوسطية في الإنفاق، فقال سبحانه، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وقال سبحانه، ﴿وَاتِذَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) ﴿[الإسراء: 26/27]، أيها الأحاب الكرام، إن السرف والإسراف، يبعثه الله سبحانه وتعالى، ويضر بدن الإنسان ومعيشته حتى إنه ربما أدت به الحال، إلى أتعجز عما يجب عليه من التفقات، قال صلى الله عليه وسلم (إن الله كره لكم ثلاثاً، قيل، وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، "دخل على ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما، فرأى عنده لحماً، فقال ما هذا اللحم؟، قال أشتهيه، قال وكل ما اشتيت شيئاً أكلته، كفى بالمرء، سرفاً، أياكل كل ما اشتيت"، لماذا أيها الأحاب؟، لأن النفس، ليس لها حد، إذا صار هم الإنسان بطنه، واستمر دائماً على السعي في تحصيل، كل ما يشتهي، أتعب نفسه، ومعدته، وتجاوز به ذلك إلى السرف، ولا بد من ذلك، وقد ناع الله على أناس انهماكهم في الشهوات، فقال سبحانه، ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: 20]، فمن أذهب طيباته في حياة الدنيا أيها الأحاب الكرام، واستمتع

¹ - <https://2u.pw/yej8yoow> It was viewed on: 02/10/2023 at: 13:13

بها، نُقِصَتْ درجته في الآخرة، أيها المسلمون، أيها إلاحباب الكرام، إِنَّ التَّوَجِيهَ الرباني، وإنْ كان خاصاً بالإنفاق، لأنه هو الغالب، على فعل البشر، لكن وراء تقويم هذا الخلق في الإنفاق، تقويم آخر، هو تقويم لنفس الإنسان في كل الأخلاق، وفي كل الأفعال، فإذا هَدَّب الإنسان نفسه، وحجزها عن فعل السَّفَه، استقامت أموره كلها، واتَّصفت بالسَّداد، فتراه في الخصومات، لا يميل إلى الشرع في الحكم، أو نصر أحد على أحد، تراه في بيته لا غليظاً قاسياً يهرب أهله، ولا متساهلاً مفرطاً يرضى بالقباع على أهله، ليس جزوعاً عند المصائب، ولا مُنَوَّعاً إن أصابته أو أصابه الخبز، عليك بأوساط الأمور فإنها، نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعباً¹.

و- طريقة العمل:

كما جرت العادة نجمع في الجدول فكرة النموذج، ونجتهد في تحليل الخطابات تحليلاً يتماشى مع المنهج اللساني المتفق عليه بين الباحثين، مع إلحاق الجدول بتعليق يوضح ويشرح دلالياً واقع اللغة في وسائل الإعلام الإلكترونية.

ثانياً: مظاهر العلاقات السببية في الخطاب الديني:

ع. س	السبب	المبرر	الوسيلة	القصد	الشرط	التابع
ع. س 01: شريط		"لم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الكذب إلا في أمور ثلاث، في الحرب، وقول الرجل لزوجته، وقول الزوجة لزوجها، مما يديم الألفة والمودة بينهما، وفي الإصلاح بين	"الصدق هو مطابقة القول لما في القلب والواقع". ﴿قُولُوا﴾ قَوْلًا سَدِيدًا﴿	"﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾". ".	"إذا تمكن الصدق من القلب، سطى عليه نوره، وظهرت على الصادق آثاره في عقيدته، وعبادته، وأخلاقه وسلوكياته". "إن الله سبحانه وتعالى رتب صلاح العمل، وغفران الذنوب على سداد القول واستقامته".	"(...إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)".

¹ - <https://2u.pw/5I0xUdgl>, It was viewed on: 03/10/2023 at: 12:18

				النَّاسَ، ولذلك لما في هذه الأُمُور من المصلحة الراجعة".		
شريط 02:	"ضاقت عليه الأُمُور وضغطته الدنيا". "وقع يونس بن متى عليه الصَّلَاة والسَّلَام في البحر فابتلعه الحوت".	"أنه لا يوجد كتاب على وجه الأرض يمنح المؤمنين به التفاؤل والأمل مثل القرآن الكريم". "تعلمنا من القرآن أن الرحمة غلبت الغضب، وأن العفو سبق العقوبة".	"حين يقرأ فإن مع العسر يسرى". "فنادى في الظلمات لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".	"فبدل الله عسره يسراً وضيقه فرجاً وغمه سروراً". "أن تقرأ فيه فيمنحك الراح، والفرح، والأمل، والسرور".	"لو كان العسر في جحر، لطلبه اليسر حتى يدخل عليه". "إذا اشتملت على اليأس القلوب، وضاق بما به الصدر الرحيب... أتاك على قنوط منك غوث". "كرب، ففزع إلى ربه، فنادى في الظلمات: إلا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، فبدل الله عسره يسراً، وضيقه فرجاً، وغمه سروراً".	"وقع يونس ...، فابتلعه الحوت، واجتمعت عليه، ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، فضاق صدره، وعظم كربه، ففزع إلى ربه، فنادى في الظلمات: إلا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، فبدل الله عسره يسراً، وضيقه فرجاً، وغمه سروراً".
شريط 03:	"إن السرف والإسراف يغضبه الله سبحانه	"لأن النَّفس ليس لها حد". بالوسطية في الإنفاق	"التَّوجِيه الرباني بالوسطية في الإنفاق	"أمرنا الله عز وجل بالوسطية في كلها، واتصفت	"إن هذب الإنسان نفسه وحجزها عن فعل السفه، استقامت أموره كلها، واتصفت	"إذا تجاوز الإنسان الحد في الإنفاق، وقع في الإسراف، ثم عجز عن

وتعالى ويضر بدن الإنسان ومعيشته". "تجاوز الحد في كل الأفعال التي يفعلها الإنسان يؤدي إلى الإسراف".	يؤدي إلى تقويم أخلاق الإنسان".	الإنفاق" "عليك بأوساط الأمر فإنها نجاه".	بالسداد". "إن صار هم الإنسان بطنه واستمر دائماً على السعي في تحصيل كل ما يشتهي، أتعب نفسه ومعدته". "إذا هذب الإنسان نفسه وحجزها عن فعل السفه، استقامت أموره كلها". "إذا تجاوز الإنسان الحد في الإنفاق، وقع في الإسراف، ثم عجز عن النفقات الواجبة".	النفقات الواجبة".

(جدول 02)

تعليق

1- إذا افترضنا أن السبب هو ما خرج عن إرادة الإنسان مع توقع النتيجة، فإن الشرط الأول لم يتحقق فيه هذا المفهوم؛ إذ كل شيء في الخطاب يدل على أنه مبرر وله شروطه التي تجعله موافقا لإرادة الإنسان، بيد أن الشرط الثاني تحقق فيه هذا الافتراض كما هو مبين على الجدول، حيث الأحداث التي ذكرت في الخطاب تدل على عدم قدرة الإنسان وهي: (ضاقت، وضغطت)؛ إذ الدنيا بطروفها وملماها تُضَيِّق وتضغط عموم البشر فهو أمر خارج عن إرادته، وكذلك ما حدث ليونس -عليه السلام- من أحداث خارجة عن إرادته وهي: (وقع، وابتلع، واجتمع)، كلها أسباب جعلت النتيجة أنه "ضاق صدره، وعظم كربه"، فإذا سألنا ما سبب ضيق صدر يونس -عليه السلام-؟ كان الجواب بسبب ما اجتمع عليه من الأحداث الخارجة عن إرادته، وكذلك في الشرط الثالث يعتبر حدث الإسراف في ذاته موضوع مستقل عن إرادة المسرف، ولذا كانت نتائجه سلبية من احتمال الضرر النفسي والبدني والمالي.

2- وبما أنَّ المبرّر هو تعليل لنتيجة أو طلب معيّن كما مرّ معنا، فإنّ الشّريط الأوّل فيه ما يطابق التعريف أو يقاربه من حيث التصور الشّمولي، وذلك في تبرير الكذب بالحديث النبوي، وذكر مواضعه الجائزة، في (الحرب، والإصلاح بين الزوجين، والإصلاح بين النَّاس)، وقد توفر في القضية تبرير من نصّ نبويّ لنتيجة محدّدة، وفي الشّريط الثّاني نجد مبرّر تعلق المؤمنين بالقرآن، كما يمكن اعتبار هذا المبرّر جمعا بين الوسيلة والقصد، يُعتبر القرآن وسيلة لتحقيق قصد الفرح والتفاؤل؛ إذ الوسيلة كما عرّفناها سابقا هي شيء تضمنته المقدمة لتحقيق القصد، أو هي علامة مؤدية إلى غاية ما، مثل ما جاء في الخطاب "أنه لا يوجد كتاب على وجه الأرض يمنح المؤمنين به التفاؤل والأمل مثل القرآن الكريم"، فقدم القصد وجعله معلقا بالوسيلة من باب التّقديم والتّأخير، والحرص كأساليب بلاغية، فلا يمكن أبدا أن تنفرد الوسيلة عن تحقيق القصد أو العكس، وهما معا يشكّلان فكرة "تعليل النتيجة"؛ أي المبرّر، وهذا التداخل بين الأشكال هو ما يثبت الصلة الوثيقة بينها وبين مفهوم العلاقة السببية، كما يمكن أن يُفهم من خلال الملمح الضمني مفهوم "الشرط" بعقد الكلام عن الأداة التقليدية "حروف الشرط"، فتصير القضية: "إذا قرأ المؤمنون القرآن منحهم التفاؤل والأمل"، فمن شرط تحقق القصد هو توفر الوسيلة، بينما في الشّريط الثالث تبرير للنتيجة بطريقة مباشرة، وهو عبارة عن إجابة لسؤال ورد في نص الخطاب، "أَيَأْكُلُ كُلٌّ مِمَّا اشْتَهَى، لِمَاذَا أُيُّهَا الْأَحْبَابُ؟"، فتأتي الإجابة مبررة لطبيعة النَّفس "لأن النَّفس، ليس لها حدّ"، وهذا التبرير جاء في موضع بيان حقيقة ثابتة.

3- و"الوسيلة" في الشّريط الأوّل هي "الصدق" و"القول السديد"، لفظتان تحيلان إلى قضية جوهرية وهي موضوع الخطاب، فإذا توفرتا في عبد مؤمن كانت النتيجة أو القصد هو صلاح الأعمال وغفران الذنوب، وفي الشّريط الثّاني لفظتان أيضا هما "القراءة" و"النداء" تحقق القصد بهما النجاة من الغم، وفي الشّريط الثالث لفظة "الوسطية" هي الوسيلة المؤدية إلى قصد صاحبها وهي "تقويم أخلاق الإنسان"، إذن لا يمكن الفصل بين الشّكلين (الوسيلة والقصد) إلا على سبيل التّحليل، وإلا فالأصل عدم الفصل بينهما.

4- أما "الشرط" فيعرف بحروفه، ولا سبيل لإدراك معنى القضية إلا بالحرف، وإن وُجدت بعض القضية تتضمن للشرط بطريقة غير صريحة، كما في الشّريط الأوّل: "إن الله سبحانه وتعالى ربّ صلاح العمل، وغفران الذنوب على سداد القول واستقامته"؛ أي سداد القول شرط في صلاح الأعمال وغفران الذنوب، وهذا الاستلزام إمّا أخذ بالتضمن لا بالتصريح، وهو ما يقبله المنطق؛ إذ الدّرس الدلاليّ يعتمد على أسس علم المنطق بالدرجة الأولى، وفي الشّريط الثّاني أيضا عندنا جملة: "أن تقرأ فيه فيمنحكُ الرَّاحَ، والفرحَ، والأملَ، والسُرورَ"، فيه معنى الشّريط لا حقيقته،

فلكي ترتاح ويأتينك الأمل وتشعر بالسُّرور لا بدَّ من قراءة القرآن، وهو استلزام لا يبعد عن بؤرة الخطاب، أما بقية العبارات فهي واضحة في شرطها بسبب الحروف "إذا" و"لو"، ومثلها ما ورد في الشَّرِيط الثالث مع ورود حرف "إن" الشرطية في سياقين متقاربين كما هو موضَّح في الجدول.

5- وأخيرا "التَّابع" عبارة عن سرد الأحداث في زمن محدد بطريقة متتابعة دون قيد الترتيب، وهو ما نشهده صريحا في الشَّرِيط الأوَّل في الحديث المعروض "إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمَن خاَن"، حدثان في كل جملة، "حدَّث" زمنه مضى، معه حدث آخر "كذب" زمنه مضى، وهكذا بقية الجمل، فالقضايا تكشف ترابطها بشكل منطقي جدا، وفي الشَّرِيط الثَّاني أيضا، أحداث متتالية (وقع، ابتلع، اجتمع، نادى، نُجى)، وفي الشَّرِيط الثالث أحداث تدل على موضوع الإسراف (تجاوز، وقع، عجز)، وردت في سياق الشرط، كما يمكن اعتبار هذا التَّابع هو آلة تحرك الأحداث في زمن ما، فالعقل عندما يبدأ بإدراك هذه الأحداث سيكون سلسلة مترابطة من الصور في شكل قضايا جزئية، ليصل إلى الواقعة كما لو حضرها؛ وهذه التقنية تُستخدم في السينما لإدارة الأفلام والمسلسلات الدِّينية مثلا، وهذا هو الحال في التمثيل.

6- فالبحت عن العلاقة السَّببية هو أصل العمل التحليلي في مجال الدَّلالة، وهو الَّذي يعطي للخطاب تماسكه وانسجامه الطبيعي، فمن خلال تلك العلاقة تجتمع القضايا الجزئية، ويكتمل الوصف الكلي بالرجوع إلى نظام اللغة والمقام، دون اللجوء إلى تأويلات المتلقين الَّتِي قد تُضعف بنية الخطاب الدِّيني، فتتابع الأحداث يمكن أن يحصل بالشرط، ومثاله: "إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمَن خاَن" توقَّر في هذا الحديث الَّذي استدَلَّ به الشَّيخ عنصر الشرط بحرف "إذا"، وأحال إلى تتابع القضايا، كما يمكن للشرط أن يضم الوسيلة والقصد معا دون حضور التَّابع مثل: "إذا تمكَّن الصدق من القلب، سطى عليه نوره، وظهرت على الصادق آثاره في عقيدته، وعبادته، وأخلاقه وسلوكياته"، فالوسيلة هي الصدق، والقصد هو ظهور آثاره، ويعتبر مبرِّرا لحقيقة الصدق، فيكون بذلك الشرط إطارا عاما يجمع تارة أداة "التَّابع" في الأحداث، وتارة أخرى أداة "الوسيلة" و"القصد"، كما يكون "التَّابع" حاملا للشرط منفردا، أو الوسيلة والقصد معا، وهذا التباين كما مثلنا له هو ما جعل العلاقة السَّببية تتفرَّع إلى هذه الأشكال، وإن كانت كلها تصب في مفهوم العلاقة السَّببية، نوجز الفكرة في المعادلة التالية:

$$\text{الشرط} = \text{الوسيلة} + \text{القصد} / \text{الشرط} = \text{التَّابع}$$

$$\text{التَّابع} = \text{الوسيلة} + \text{القصد} / \text{التَّابع} = \text{الشرط}$$

الحاصل:

فالنموذج يُثبت قوته ومكانته بين النماذج الدلالية عن طريق كفاءة العلاقة السببية وأشكالها الفرعية؛ حيث تُعِينُ المحلل اللساني على معالجة الخطاب الديني معالجة منطقية، ومن خلال وصف نسقه العام يُدرك ماهيته، ويجعل الحكم عليه بالضعف أو القوة حكماً مؤسساً على معطيات هذا النموذج، أما العلاقة السببية فأشكالها تعتبر أشكالاً تنظيمية تسعى إلى تنظيم الأدوات الإجرائية التي تساعد على التحليل الدلالي، فالعقل حين يقرأ مثل تلك الخطابات المعروضة سابقاً سيميز السبب من الوسيلة والقصد والشرط والتتابع، فهي أشكال مجردة يعمل عليها ذهن المتلقي آلياً دون الحاجة إلى نمذجتها على شكل أفكار تجريبية، ورغم ذلك لا يمكن إنكارها أو التخلي عنها؛ لأن المحلل المعاصر يفتقر إلى مثل هذه الأدوات البحثية في منهجيته الأكاديمية، مما يضطرُّ للرجوع إليها في كل مناسبة قصد التحليل، على عكس المحلل العربي القديم فهو يستحضر التكامل في الخطاب دون الحاجة إليها، وإن كان المحلل المعاصر رغم توفر هذه الأشكال والنماذج الدلالية سيتعثّر في إجادة التحليل السليم للخطاب الديني المتناسك.

خلاصة الفصل:

وفي نهاية هذا الفصل يمكن أن نستخلص من خلاله أنه ليس الغرض من عرض الخطابات التسعة الكشف عن عيوبها، أو تصويبها، بل الأساس هو وصفها وتفسيرها والتعقيب عليها بما يُلائم أدوات البحث العلمي في مجال اللسانيات؛ إذ وصفت النماذج الدلالية واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام الإلكترونية، واستقرت على أن الحصص الدينية المعروضة في الشُّرُوقِ (أَوْنَ لَإَيْنَ) الجزائرية عبر وسائلها الإلكترونية حققت جميع شروط الانسجام الخطابي، رغم بساطة اللغة المستعملة، وبعض الأخطاء الشكلية، والخلاف الصوتية المتعاقبة، والظواهر اللسانية المطردة، إلا أن الجانب الدلالي عرف تحقُّقاً كلياً يتّسم بالمقبولية التامة، لذلك كان همّ أغلب اللغويين واللسانيين قديماً وحديثاً هو الجانب الشكلي (الفصل الأول)، وإن كان هو الأساس في ضبط اللغة العربية على سنن العرب، إلا أن تراجعها لا يعني تراجع المعنى؛ إذ الموضوع العام سيظل ثابتاً بأي لغة تكلمته، وبأي لهجة نطقته، ولذا كان اهتمامهم قائماً على فكرة الاتساق النصّي بدل الانسجام، وليس هذا بغريب.

فصل رابع

الدرسُ التداوُّيُّ في تحليل الخطاب الاجتماعيِّ عَيِّنَات مِن الشُّرُوق "أُون لَإِين"

مطلب أول: نظرية الأفعال الكلامية بَيْنَ محورِ التَّأصيلِ

وَعَايَةِ التَّثْرِيلِ

مطلب ثانٍ: نظرية الاستنزام التَّخاطُّبِيِّ فِي فَهْمِ الْمَعْنَى

التَّحَاوُّرِيِّ

مطلب ثالث: الاستِخْدَامَاتُ التَّطْبِيقِيَّةُ لِلتَّقْنِيَّاتِ

الْحَاجَجِيَّةِ لِنُموذَجِ "بِرْلَمَان" وَ"تَيْتِيكَ"

فَصْلٌ رَابِعٌ: الدَّرْسُ التَّداوُّيُّ فِي تَحْلِيلِ الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ عَيْنَاتٍ مِنَ الشُّرُوقِ "أُونْ لَايْن"

فإذا كان الاتِّساق ينظر للخطابات بأدوات شكلية صرفة (صوتا، وصرفا، ونحوا)، والانسجام ينظر بآليات منطقية للمعنى المودع في تلك القوالب الشكلية، فإنَّ هذا لا يكفي لتفسير أغلب التشكلات اللغوية؛ إذ عملية التَّواصل تفرض على الخطاب أن يكون له استعمالا ظرفيا مناسبا، لا يكفي مجرد وضع قواعد تتصل بضبط التركيب، وأخرى تنظِّم سير المعنى؛ لأن ذلك مؤداه إلى عزل الظروف الخارجة، أو ما يعرف بسياق الموقف، وجعل الخطاب مجرد ألفاظ ومعانٍ لا تحكمها قوانين التَّواصل، لذلك من شروط التَّواصل معرفة تفاصيل أخرى مثل: حال المتكلِّم، والمخاطب، والظروف التي نشأ فيها هذا الخطاب، حتى صار خطابا بمفهوم التأثير والإقناع؛ بمعنى آخر إذا كان الخطاب يلزم منه حضور المتخاطبين، فإنهم يؤثرون في بعضهم البعض وفق الأدوار، وحصول هذا التأثير الدوري يقتضي وجود عامل السِّياق بمفهوم موسَّع، كما قال "مالينوفسكي" (Malinowski) (1884م/ 1942م): "إننا نرى من اللازم توسيع مفهوم السِّياق إذا أردنا أن يزودنا بكامل فائدته، في الواقع لا بدَّ من تجاوز مجرد الروابط اللغوية، وأن يمتد إلى تحليل الشُّروط العامة التي تُنطق فيها اللغة... يعني أن دراسة أية لغة منطوقة في مجتمع يعيش ظروفًا مختلفة عن ظروفنا وبتمتلك ثقافة مختلفة، لا بد أن تؤدَّى مرتبطة بدراسة ثقافته وبيئته"¹.

فلاستفادة من السِّياق يقتضي ربط النصِّ بثقافة المتكلِّمين حسب الظروف التي هم عليها، وهو ما أطلق عليه "مالينوفسكي" (Malinowski) بسياق المقام قائلا: "لا يكون للملفوظ دلالة إلا في سياق المقام"².

وسياق المقام يغطي مساحة كبيرة جدا من عملية التَّواصل، ولذا كان العرب قديما يعطونه مكانة خاصة، ويعتبرونه قيذا حاسما في معرفة تفسير القرآن واصطلحوا عليه بـ"أسباب النزول"، وجاءت فيه الكثير من الروايات، ونجد أيضا أن علم البلاغة تركَّز أغلب جهودها على معرفة المقام في تأسيس الكلام، واشتهرت القاعدة الجاحظية "لكل مقام مقال"، فكان المقام هو سيد الموقف في التَّواصل اللغوي، ومن هنا جاء ما يُعرف في الدِّراسات الحديثة

¹- Bronislaw Malinowski; The problem of meaning in primitive languages, In Richards and Ogden's (The meaning of meaning), A study of the influence of language upon Thought and of The science of Symbolism, Routledge & Kegan Paul LTD, London, 10th edition 7th impression 1969, p 306.

²- Ibid, p 307.

ب"التداوليّة" الذي يُعنى بمفهوم "سياق الموقف"، يقول "صابر الحباشة": "ولما كانت التداوليّة علم استعمال اللّغة في المقام كما تظاهر على القول بذلك كثير من اللّسانيّين وفلاسفة اللّغة"¹.

ما قدّمه "صابر الحباشة" من تعريفٍ للتداولية هو ما تبنّاه الكثير من اللّسانيّين المحدثين، وهو ما يتوافق مع الفكرة السّابقة، ذلك أن الكتاب الذي ألفه "الحباشة" يعالج فيه مسألة "الأبعاد التداوليّة" التي وردت في شروح التلخيص للقزويني على اعتبار أنه كتاب في البلاغة، يضم مسائل كثيرة، ركّز فيها على "المسند إليه" تحت ظواهر بلاغية ك"الحذف والذكر، والتّعريف، والتأخير"، وافترض لذلك افتراضين هما: إمكانية استخلاص الأبعاد التداوليّة في الشروح، وافترض عدم إمكانية ذلك، وهذا حال الباحث المدرك لطبيعة الدّراسة الغربية، حيث يجتهد في مقاربتها مع الأصيل العربي الذي يقترب مع الوافد الغربي بطريقة معتدلة متّزنة دون اقضاء لكليهما.

والذي يجب أن نفهمه وسط كل المؤلفات التي كُتبت في مجال التداوليّة هو الموضوع الأساس الذي يطرحه، والهدف منه؛ لأن كثرة الآراء حوله أذهب دقّته، وساوّمه على الإقتراب من عبارة "بار هيلال" "سلة مهملات"²، وإن كان هذا الحكم القاسي لا يليق بمجال اتسعت فيه المؤلفات، وانتشرت انتشارا كبيرا، إلا أن توجيه كلام صاحبه نرجّحه بسبب الضبابية أو التذبذب المعرفي الذي عرفته التداوليّة، حتى في وضع واختيار التسمية (المصطلح) المناسبة، بين القائلين بتعريبه كما هو "براغماتية" على أشكالٍ كثيرة من التعريب، وبين المترجمين له ب"التداوليّة" وهذا الاختلاف مشهور عند الباحثين، ولا يعني عدم وجود ترجمات أخرى مثل "الذرائعية"، و"النفعية"، و"الادائيّة"، و"المقاميّة" وغيرها كثير، وهذا بسبب تفرد الباحثين، كلٌّ حسب اجتهاده، ولو اجتمعوا لكان خيرا لهم وأقوم للدراسات التداوليّة المعاصرة.

وعند النّظر في مصطلح وموضوع التداوليّة أو البراغماتيّة سنجدّه "يعود استعماله إلى الفيلسوف "نشارلز موريس" (Charles W. Morris) (1901م / 1979م) انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السّيميائيّة، [...]، والتداوليّة هي: دراسة علاقة العلامات بمستعملها ومؤوّلها"³.

¹ - صابر الحباشة، الأبعاد التداوليّة في شروح التلخيص للقزويني، الدّار المتوسطة للنّشر، تونس، ط1، 2009م، 1430هـ، ص 12.

² - يُنظر: صابر الحباشة، التداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2008م، ص 23.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004م، ص 21.

بما أن علم التركيب يُعنى بدراسة العلامات من حيث تعليق بعضها ببعض، وعلم الدلالة يختص بدراسة العلامات من حيث وجودها الخارجي (عالم الأشياء)، أو تمثيلها الذهني (تداعي المعاني في النفس)، فإنَّ التداولية تدرس تلك العلامات بما يحيط بها من واقع المتكلم والسامع استعمالاً، ومنه تداول تلك العلامات بين المستعملين، والتداول يقضي بتوفير شروط منطقيّة حتى تتم عملية الاتصال، منها اللغة المشتركة (ألفاظ مستعملة بناءً على الخبرة)، بالإضافة إلى المقام المشترك (سياق الموقف)، وقد جمع "مسعود صحراوي" مفهوم التداولية في كتابه (التداولية عند العلماء العرب) ثم استخلص تعريفاً شاملاً قائلاً: "باعتبارها" كلاماً محدداً" صادراً من "متكلم محدّد" وموجّهاً إلى "مخاطب محدّد" بـ"لفظ محدّد" في "مقام محدّد" لتحقيق "غرض تواصلية محدّد"¹.

ذكر في تعريفه ستة أمور تجتمع في مفهوم التداولية، وهي من المهام التي تبحث فيها، أولها "الكلام" وأقله أن يكون تركيباً مفيداً، وثانيها المتكلم وهو المستعمل للغة بأدائه المنفرد والمشكّل للأصوات والكلمات والتركيب، وثالثها "مخاطب" وهو الذي يتلقّى لغة الفرد المتكلم سماعاً وتفاعلاً، ورابعها "اللفظ" وهو الكلام الشفوي؛ أي ما يتلفظه اللسان محدثاً الكلام المباشر، فخرج بذلك المكتوب وإن كان يدخل بعد قراءته حيز المنطوق، وخامسها "المقام" وهو المناسبة التي أنشئ من أجلها الكلام، وسادسها "الغرض التواصلية" وهو أصل طبيعة اللغة في ذاتها، ولكن قد يكون لها غرض آخر غير التواصل، خاصة أن مفهوم التداولية يُعنى بفكرة الاستعمال والسيّاق، فالمتكلم يبحث عن طريقة ما لصنع حدث يتلاءم والواقع الذي يعيشه، مما يضطرّ إلى التأثير في المتلقّي بصيغة ما، فتكون وظيفتها حينئذ التأثير، وسيأتي تفصيل الفكرة في سياق الحديث عن "نظرية الأفعال الكلامية"، وفي كلّ مرّة يستعمل "صحراوي" لفظ "محدد"، ليشير بذلك إلى ضرورة التقيّد بالشروط التي تحقق للملفوظ قيمته. فإذا اختلّ التحديد في أي جزء من التعريف سقطت قيمة الملفوظ، مثلاً لو تكلم المتحدث بخطاب في سياق خاص بمادة الأدب العربي، واستعمل لفظاً غير محدّد بهذه المادة، لا تتم عملية التواصل أو التأثير المقصود.

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص 26.

رغم ما نشعر به من منطقيّة في طرح المفاهيم والتّصورات حول التّداوليّة، إلا أن موضوع المصطلح لم يعرف الاستقرار بل "تبليبل" أثناء تطوره وبدل أن تركز التّظريّة التّداوليّة على دراسة مرجعية الخطاب بوصفها علاقة للنص بالمستعمل، راحت تتلمس مجالات أخرى من البحث لم يسبق للسانيات أن أولتها الاهتمام¹.

والسّبب الرئيس في هذا التبليبل هو نشأتها التي استندت إلى الفلسفة والمنطق، حيث كانت الفلسفة اللّغويّة التي تُعنى بإيصال المعنى بطريقة إبداعية، بقيادة فلاسفة اللّغة الطّبيعيّة والتّحليلية هي "المنابع التي نشأت فيها التّداوليّة في الواقع، من خلال أعمال الفيلسوف "فريج"، ... و"روسو" اللّذين طوّرا كثيرا من قضايا الفلسفة التّحليلية، وهي التي أنتجت فيما بعد الفلسفة الإلّوستينية في اللّغة"².

وهذا ما جعل الفكر التّداولي غامضا حتى إن "دومينيك مانقونو" (Dominique Maingueneau) (1950م/...)، صرّح بصعوبته قائلا: "إنه من الصعب الحديث عن التّداوليّة، لأنّ هذا التّعبير يغطيه العديد من التّيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عددا من الأفكار"³. وكذلك "فرانسواز أرمينجون" (Françoise Arminjon) وصفته بعدم اتّضح حدوده، والفلسفة الأوستينية نسبة لـ "جون لانجشو أوستن" John Langshaw Austin (1911م/1961م)، هي الأساس وفيها تطرّقت التّداوليّة إلى مجالات وقضايا متنوّعة، وتوسّعوا فيها وجعلوها -أي التّداوليّة- هي "وحدها تبيح إشراك البشر في عمليّة التّحليل، [...]، تمكّنا من التحدث عن المعاني التي يقصدها النّاس، وعن افتراضاتهم، وأهدافهم، وما يصبون إليه، وأنواع الأفعال التي يؤدونها أثناء تكلمهم (مثلا، تقديم طلب)"⁴. فقد حدد "جورج يول" (George Yule) (1947م/...) اهتمامات التّداوليّة وأهدافها المتنوّعة وهي: التّحليل المشترك للمنطوقات اللّغويّة، معرفة المقاصد والأهداف وفق السّياق، وكذلك معرفة ما يفترضونه أثناء الفعل الكلامي، إلا ما كان غامضا مبهما لا نعرف مرجعيته الخطابيّة، مثال لو سمعنا شخصين يقول أحدهما للآخر متسائلا

¹ - رزيق بوزغاية، وراقات في لسانيات النّص، ص 146. (المرجع السّابق)

² - Philippe Blanchet; la pragmatique d'Austin à Goffman, collection référence, édition, Bertrand La coste, paris, France, 1995, p 14- 15.

³ - Introduction aux lectures de D. Maingueneau: lanalyse du discours, l'archive, hachette, paris, 1991, p 170

⁴ - جورج يول، التّداوليّة اليوم "علم جديد في التواصل"، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 20.

على وجه الطلب: هل يمكنك أن تعطيني إياه؟، فيقول له المحيَّب: لا، فنحن لا يمكننا معرفة ما افترضاه من حدث العطاء، وعلى رأي "بول" مما تفرضه التداوليَّة شرط الانتظام، ويتمثل في مناسبة الكلام للسياق وهو نفسه ما تحدث عنه "مالينوفسكي" (Malinowski) عن سياق الموقف، والذي سبق به العرب في مجال البلاغة (عنصر المقام)، وهو سرُّ مفهوم التداوليَّة كونها دراسة اللُّغة في الاستعمال، ثم يضع قيدا آخر وهو الخبرة المشتركة؛ إذ تمثل شرطا أساسا في بناء الافتراض حول الأشياء، ثم يؤسس في الفصل الذي يليه لقاعدة تُعدُّ أهم القواعد في مجال آخر وهو الإشارات "indexicals" مضمون القاعدة يتركز على أنه "كلَّما ازدادت الأشياء المشتركة قل استخدام اللُّغة للتعبير عنها" وإنما يُكتفى بالتعبير إشاري، وهو أنواع، عندنا التأشير الشخصي سواء ضمائر المتكلِّم، أو المخاطب، أو الغائب، وهدفها في عملية التحليل هو إزالة اللبس؛ أي قد يتشابه الضمير على المتلقِّي مما يصعب عليه معرفة المقصود من الضمير إلا من خلال السِّياق التَّواصلِي، فإذا قال مسؤول لأحد عامليه قل لصديقك يحضر غدا، وأثناء تبليغ الصديق الخبر يقول له: "قل له هو لن يحضر غدا بسبب المرض"، والأصل أن يقول: "قل له أنا لن أحضر..."، ولكن عدل من الضمير إلى الغائب، والأصل هو حاضر في تلك اللحظة التي يتكلم فيها، وهذا يبعث على الالتباس، لولا السِّياق التَّواصلِي الذي كشفه وأزاله، وأيضا يحصل استبدال ضمير المفرد بالجمع مما باب التعظيم أو المشاركة حسب مرجع الضمير، مثل: لقد أبرمنا عقدا مع شركة كوندور، فحصل استبدال ضمير المفرد وهو "رئيس الشركة" بالجمع من باب التعاون، كما قد يكون للتعظيم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 13]، والنوع الثاني من الإشارات التأشير المكاني "هنا وهناك"، وهي ألفاظ خرجت مكان التحدث، فلا يمكن معرفة دلالة التأشير في قولنا: "أحب الدِّراسة هناك وسائر الظروف المكانية"، إلا بالرجوع إما إلى سياق الكلام بين المتكلِّم والسامع وتعتمد على موضوع الإحالة النَّصِيَّة الداخلية، أو سياق الموقف الزمان والمكان وتعتمد على الإحالة المقامية الخارجية، والنوع الثالث التأشير الزماني "الآن وآنذاك وسائر الظروف الزمانية"، وهذه الاستعمالات كُلُّها يرتبط تحديد دلالتها بشروط السِّياق التَّواصلِي المتمثلة في: المتكلِّم والمتلقِّي والزمان والمكان، بمعنى أن مجال الإشارات يحضر عندما يتوفر السِّياق التَّواصلِي، والخبرة المشتركة وهما قيدان أساسان في تأسيس مفهوم "الانتظام" كما اصطلح عليه "بول".

وكذلك من المجالات التي كانت على صلة مباشرة بالتَّوَالِيَّةِ "الافتراض المسبق" (pré-supposition)، أو الاضمارات التَّوَالِيَّةِ على حدِّ تعبير "طه عبد الرحمان"¹، وهو الَّذِي يُعْنَى بالمتكلم دون المخاطب؛ أي قبل حدوث عملية التَّوَالِي أو تبادل الخبرات، حيث يفترض المتكلم تصورات داخل نفسه ينطلق منها دون الإفصاح عنها، على أن الَّذِي يحاوره على علم كذلك بنفس التَّصورات دون أن يُفصِّح عنها، ولعلَّ هذا قد يبدو غامضا لدى القارئ؛ لأنه يُربك مفهوم التَّوَالِيَّةِ، ويضعه في فلسفة أخرى خارجة عن أصل الدِّراسة التَّوَالِيَّةِ، كما أنه يستند إلى الخبرة المشتركة، القائمة في العالم الخارجي، فإذا قلتَ لصديقك مثلا: "أخي نجح"، فإن المخاطب الَّذِي تشاركه الخبر يفترض في نفسه أن لك أخا، من دون التصريح بذلك، حتى وإن قلتَ "أخي لم ينجح" يبقى الافتراض قائما على أن لك أخا، سواء في حال إثبات أو النفي يبقى الافتراض متوصلا، وعلى هذا فقس، أما لو خاطبت شخصا بغير أن يكون لكما اشتراك معرفي، فإنَّ الشخص المخاطب سيتجاهل أمرك قائلا "من أنت؟" أو لا تتكلم معي، أو يسألك عن أخيك.

أما "الاستلزام الحواري" فموضوعه هو العمليَّة التحوارية القائمة بين المتخاطبين، مما لا يجعل هذا المبحث يتصل بالتَّوَالِيَّةِ مباشرة إلا على وجه المقاربة المنطقيَّة، لذا يقول "بول": "لا يعتبر الاستلزام عموما مفهوما تداوليا (أي مرتبطا بمعنى المتكلم)، ولكن بدلا من ذلك يمكن اعتباره مفهوما منطقيًا بحثًا"².

ويعمل الاستلزام على وضع الجملة التامة التي يحسن سكوت المتكلم عليها موضع الاختبار التجريدي، بتفريغ أحد العناصر اللغويَّة في الجملة وتعويضها بمكافئ مجرد، أو بتخلية الموضوع، فإذا قلتَ مثلا: "الفقراء يموتون جوعا"، فإنك تستلزم من الجملة عدَّة مكافئات لها: فقد تعتبر جملة "يموتون جوعا" على أن سياق الموقف يُحدد التعبير الإشاري الشخصي "هم"، وأيضا جملة: "الفقراء يموتون بشيء"، كمكافئ مجرد "شيء" يفسره عبارة "الفقراء يموتون"، وأيضا جملة: "الفقراء يحدث لهم شيئا بسبب الجوع" وهذا المكافئ يُغطي عن قيمة الفعل الأساس في العبارة ويستلزمه المتكلم والسامع معا حسب سياق الموقف، رغم أن الاستلزام يقع على مستوى الجملة في حال خرق أحد القواعد التَّخاطبيَّة التي تتعرَّض له بالشرح والتحليل، إلا أن هذا لا ينفي تدخل المستلزم (المتكلم والمتلقِّي) في تمثيل التقديرات والمكافئات الضمنية حسب القواعد المخترقة.

¹ - طه عبد الرحمان، اللِّسان والميزان، الدَّار البيضاء، المركز النَّقائِي العربي، 1998م، ص 113.

² - جورج بول، التَّوَالِيَّة، تر: قصي العنَّاي، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار الأمان، ط1، 2010م، ص 62.

فهذان المجالان الفلسفيان (الافتراض المسبق، والاستلزام الحواري)، رغم أنهما يتكاملان وظيفيا إلا أنه يمكن للاستلزام أن يُلغى كل الافتراضات المسبقة¹، باعتبار التقديرات الوصفية التي تحظى بها الجملة في الاستلزام، تجعل من الافتراض موضوعا للنقاش والتحليل، خاصّة الافتراض الوجودي، كأن تقول: "رحل رئيس الجزائر إلى دولة تونس الشقيقة"، فالوصف "رئيس" المعروف بالإضافة، هو كيان موجود مفترض مسبقا، فإذا استلزمنا على الكيان الموصوف الموجود النفي، يصير عندئذ الاستلزام أقوى من الافتراض في عدم وجود رئيس للجزائر، وبالتالي تسقط قيمة الحدث "رحل".

وكذلك من المجالات التي تطرقت لها التّداوليّة التضمين التحادثي بأشكاله، الذي يتركز على "مبدأ التعاون والتّشارك" في بناء العالم الخارجي، وتعمير الفراغات الشكلية، بالإشارة إلى أشياء لم تُذكر تُفهم من سياق الكلام بالاعتماد على خبرة المشاركين فيه، ويمكن لهذه الأفكار التي ملأنا بها الصفحة أن تُجعل معا في إطار واحد وننسبها إلى صاحبها

كما رأينا، عدّة مجالات اقتحمت التّداوليّة دون التقيّد بفكرة ربط علاقة العلامة بمستعملها ومؤولّيها فقط، وهذا ما يجعل موضوع التّداوليّة لا يثبت على كونه نظرية ثابتة، بسبب كثرة المجالات التي دخلته، ولعلّ ذلك يعكس حقيقة مفهوم "البراغماتية" بدل "التّداوليّة"؛ إذ جعلوا الهدف من الملفوظ هو تحقيق غاية معيّنة، وفق سياق ثقافي محدد، وليس مجرد التّواصل فحسب، وذلك ما أقرّ به "فان دايك" (Dijk Teun A. van) بأن "البراغماتية هذا العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة له خاصية التداخل مع عدّة تخصصات أخرى، وقد حفّزته علوم الفلسفة واللّغة والانثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا"².

وبما أن المجالات كثيرة والقضايا متنوّعة في باب التّداوليّة حينئذ يصير الجمع أولى من جعلها مفرقة مشتتة، وأقرب جمع يمكن أن يأخذ به الباحث اللّسانيّ هو ما اقترحه "هانسون" (Hanson) من الدرجات التّداوليّة فجعل أول درجة منها تمس جانب رموز التّعبيرات المبهمة ضمن الاستعمال مستندة في ذلك إلى السّياق الوجودي؛ أي وجود المخاطبين ومقتضيات الزمان والمكان، ويوازيه عند العرب "علم المبهّمات" وهو من علوم القرآن ويرادّ به "الكلمات التي لا يُعرف لها مرجع فعليّ يبين دلالتها، ... الضّمائر والموصولات وأسماء الإشارة، فهي غير دالة دلالة توصيل

¹ - ينظر: جورج يول، التّداولية، تر: قصي العنّابي، ص 60. (المرجع السابق)

² - تون فان دايك، علم النّص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص 114. (المرجع السابق)

بذاتها، إلا أن تَرَدَّدَ في سياقٍ لغويٍّ يجعلها محيلة إلى مرجع محدد يؤولها... فإن تفسيرها منوط بمعرفة مقام النَّصِّ إما موقفاً أو ثقافة¹.

يتفق المعنى الذي قدمه "هانسون" مع ما عُرف عند العرب في قضية "التعبيرات المبهمة"، غير أن الأوَّل يستند في تفسيره لها انطلاقاً من السِّياق الوجودي، وهو ما يُعرف بالظروف الخارجيّة للنص وفق الاستعمال المبني على قيد الخبرة المشتركة، بينما الثَّاني يرجع في تفسيره للمبهمات إلى مقام النَّصِّ بصفة عامّة سواءً تعلّق الأمر بالمقام الداخلي للنص، أو الخارجي ويُعرف بسياق الموقف، وهذا يشترك مع ما قدمه "هانسون" في تداولية الدرجة الأولى .

وتداولية الدرجة الثَّانية تبحث عن مدى ارتباط الفكرة بالمفهوم، وتهتم بشروط التَّواصل والتمييز بين المعنى الحرفي والتَّواصل، والحرفي والسِّياقي، والحرفي والموضوعي، ويعتمد على مبدأ التعاون في بناء الخطاب، ويمكن أن تكون هذه الدرجة على صلة مباشرة بالدَّرْسِ الدَّلاليّ، إن لم نقل هو الموازي له، وقد تسمّى أيضاً بـ"الدَّلالة التَّدَاوُلِيَّة"، وهناك تداولية الدرجة الثالثة تُعنى بنظرية أفعال الكلام؛ إذ لا يتحقق الحدث الكلامي إلا من خلال السِّياق، وسيأتي في موضعه مفصلاً².

حيث قام به "فان دايك" (Dijk Teun A. van) باقتراح نموذج تداولي يعبر عن براغماتية اللّغة، كما سنفضله في المطلب الأوَّل، من خلال ما يُعرف بنظرية الأفعال الكلاميّة، أو نظرية الأعمال اللّغويّة³، وإن كان مرجع النّموذج في صياغته يعود فضله إلى "أوستين" (Austin)، واكتماله ونضوجه على يد "جون سورل" (John Searle) (1932م/...) ، إلا أن "فان دايك" (Dijk Teun A. van) حرص على جعل اللّغة تقوم بوظيفة النفع بطريقة ما، وهو ما سمح بخلق أفكار أخرى تتماشى مع وظيفة اللّغة التَّواصلية.

¹ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النَّصِّ، ص 161. (المرجع السَّابق)

² - يُنظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التَّدَاوُلِيَّة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنّشر والوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص من 79 إلى 81.

³ - اختلف المترجمون في وضع الترجمة المناسبة للأصل الأجنبي الأنكليزي (speech acts)، بين نظرية أفعال الكلام، أو نظريّة أفعال اللّغة، أو الأعمال اللّغويّة، أو نظرية أفعال اللّسان، والاختلاف القائم في ضبط المصطلحات يكمل في تصور مفهومها الأجنبي كما ورد في سياقه الثّقافيّ عندهم، والراجع عندي قد يكون مرجوحاً عند غيري حسب انتمائه البيئي، والسياق الذي تبلورت فيه المفاهيم، وإن كان الراجع يبدو في تحوّل ترجمة القائلين بنظرية أفعال الكلام. (يُنظر: المرجع نفسه، ص 89).

ومنهم من يرى نموذجاً فكرياً آخر غير ذلك معتبراً الاستعمال اللغويّ في عمومهِ لا يخلو من قصد الحجاج، فكل ملفوظ سردي أو وصفي أو حوارى أو تفسيري يتضمنه قاعدة ذو قيمة حجاجيّة في ذاته، وهو نموذج "جان ميشال آدم" (Jean Michel Adam)، وهذا يعكس واقع اللّغة في عملية الإقناع؛ أي تجاوز مجرد التّواصل إلى استثمار معطيات السّياق لتحقيق هدف الإقناع، وهذا ما سنعمل على تفصيله في المطلب الأخير وهو أوسع المطالب نظراً لأهميّته.

وقبل البدء في تفصيل المطالب أقول بأن تفصيل الدّرس التداوليّ يستوجب الإلمام الكبير بمعطياته، ومجالاته، خاصّة بعد إقتراحات المتنوّعة الّتي حظي بها الدّرس، ولا ندّعي في ذلك الوصول إلى أسرارهِ وتحقيق مقاصده، بقدر ما هو انتقاء قد يكون له ما يبرره، بسبب كثرة التوجّهات الّتي عرفتْها التّداوليّة، ومدارات التحوّل الّتي شهدتها في تاريخها، وامتلئت في ذلك رؤية "صابر الحباشة" لمّا قال: "فقد آل بنا الأمر إلى الانتقاء مع عدم زعمنا بأن ملكة الاختيار قد استقامت عندنا تمام الاستقامة... فنحن مقتنعون تماماً بالخاذير الواردة علينا من جهة اعتماد نظرية دون أخرى... غير أن المعيار الضابط للنظريات الّتي توسلنا بها يكمن في أقربها إفادة لنا"¹.

أما فيما يخصّ العينات الّتي سلطنا عليها الضوء في هذا الفصل فهي تنتمي إلى المجال الاجتماعي، بعرض أشرطة تعالج ظاهرة اجتماعية معيّنة، والسبب الّذي جعلنا نختارها للتحليل هو المناسبة الجامعة بين حقيقة مفهوم التّداوليّة الّذي يُعنى بالاستعمال والتّواصل والتّأثير، والمجال الاجتماعي الّذي يعالج مواضيع تتصل بالواقع، فكانت النّماذج المقدّمة من الدّرس التداوليّ مساعدة على فهم بيئة الخطاب الاجتماعي المعروضة عبر قناة الشُّروق "أَوْنَ لَايْن" الجزائريّة.

¹ - صابر حباشة، الأبعاد التّداوليّة في شروح التلخيص للقرطبي، ص 34. (المرجع السّابق)



فَصْلٌ رَابِعٌ

الدرسُ التداوُّيُّ في تحليل
الخطابِ الاجتماعيِّ عِناثُ
مِنَ الشُّرُوقِ "أُونْ لَإَيْنْ"

مطلب أول: الأفعال الكلامية بين محور التأصيل وغاية
التّريل.

مَطْلَبٌ أَوَّلٌ: الْأَفْعَالُ الْكَلَامِيَّةُ بَيْنَ مَحْوَرِ التَّأْصِيلِ وَغَايَةِ التَّنْزِيلِ

بما أن "الاستعمال اللغويّ ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضاً في الوقت نفسه"¹، فإنّ ذلك يعني "علماً بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماحتها في عمليات الاتّصال بشكل عام"².

فهو بهذا المفهوم يحيل إلى دراسة أثر الفعل الكلامي في عملية التّواصل، فتحليل الأفعال الكلامية يقتضي تجاوز فكرة الخبر الواصف لظاهرة ما بالبحث عن صدقها وكذبها في ظل التجريب الملازم لمقبولية الملفوظ، إلى حقيقة أخرى وهي خلق وصنع حدث خارجي أثناء النطق بالملفوظ مما يعكس عملية التّأثير في المتلقّي، ويقاس نوع هذه الجمل بمقياس التوفيق وإخفاق، وهو ما يُعرف بـ(الأفعال الأدائيّة أو الإنجازيّة)، وإن كان هذا الأداء في الوقت الذي يصف فيه ظاهرة ما فهو يعكس أثره فيه، ويحقّق مقابل المطابقة للواقع إنجازاً له، "وميزتها هو أن تلفظها إنّما ينجز الحدث الذي نصفه"³.

فمثل هذه الجمل في الوقت الذي يصف حدثاً ما فهو يسعى لإنجازه، فلا يمكن حسب النّظرية أن تكون الدّلالة مجرد وصف للواقع، فقيمتها الملفوظية تأبى إلا أن تكون إنجازاً لشيء ما، بما في ذلك "المقولات الخبرية التقريرية هي إنجازيّة بمعنى من المعاني"⁴. وحتى يستقيم هذا الإنجاز فلا بدّ له من شروط حدّدها "أوستين" (Austin) منها: أن تكون منتمية إلى مجموعة الأفعال الأدائيّة، فخرج بذلك كل فعل لا يحمل معنى التنفيذ والمباشرة بالعمل، وإن كان بعض التداوليين المعاصرين وضعوا قائمة تحتوي على الأفعال الدّالة على الأداء، منهم صاحب الفكرة "أوستين" (Austin) إلا أنه على رأي آخر يراها مغالطة فكرية، وأنه "لا ينبغي لنا أن نعتزّ بكون بعض المعاصرين يحاولون وضع لائحة للأفعال الكلاميّة من دون ذكر، أحياناً، لسياقها الكلامي أو الحالي"⁵.

¹ - تون فان دايك، علم النّصّ، تر: سعيد حسن بحيري، ص 89. (المرجع السّابق)

² - المرجع نفسه، ص 114.

³ - خليفة بوجادي، في اللّسانيّات التّداوليّة، ص 90. (المرجع السّابق)

⁴ - Austin; quand dire c'est faire, Introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970, p 32

⁵ - مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّسانيّ العربي"، ص 53. (المرجع السّابق)

انتقد "مسعود صحرأوي" الذين يتكلمون في وضع قائمة من الأفعال ظانين أنفسهم أنهم ضبطوا كفاءة النظرية، مع أن الأمر مرده في الأخير إلى السياق المقالي والمقامي الحالي؛ بمعنى أبسط يمكن إسقاط الشرط الأول، وتعويضه بالسياق المحدد للفعل الإنجازي، كما وضعوا شرطا آخر وهو أن يكون المتكلم هو نفسه المنجز للحدث؛ أي أن ينسب الحدث إلى ضمير المتكلم، وهذا كذلك يتحدد بالسياقين السابقين (الكلامي والحالي)، بالإضافة إلى شرط الزمنية، أن يحصل في الحاضر¹، وهذا الشرط محل نظر من حيث دقته، فقد ينعقد الفعل الإنجازي بكلام ظاهر فعل القول فيه لا يدل على الحضور، كقولك: "زوجتك ابنتي" فهذا إنجاز لـ "عقد زواج"، فعل القول فيه؛ تحديدا الفعل التركيبي يدل على "الماضي"، ولكن السياق الحالي دل على الحاضر، وتخريجا على ذلك ما ورد من اختلاف عند العرب وتحديد علماء الأصول واللغة نقلا عن ابن قيم الجوزية يقول: "اختلف في الإنشاءات التي صيغها أخبار كـ"بعث" و"اعتنقت"، فقالت الحنفية هي أخبار، وقالت الحنابلة والشافعية هي إنشاءات لا أخبار... لأن لهم أن يقولوا: إنها إخبارات عن الحال فخيرها مقارن للتكلم بها"².

وتعليل المذهبين "الشافعية والحنابلة" من كون اللفظتين (بعث، واعتنقت) بأتهما إنشائيتان راجع إلى اقترانهما بحال المتكلم لحظة التكلم، فلما كانت كذلك صارت في حكم الإنشائيات، وإن كان ابن القيم أورد تفصيلا طويلا حول أدلة المتعارضين وأن كل واحد منهما انتصر لمذهبه بأدلة منطقية، حتى لو أخذنا برأي الخبرين القائلين بأتهما خبريتان وهم الأحناف فهو رأي صائب، ووجه الصواب فيه هو أنهم قدروا الماضي على الوقوع أثناء التلقظ به، فقالوا أن الحدث الحقيقي مضى، وأخبرنا عنه على وجه التقدير، وحصل حقيقة البيع والعق سابقا، وبالتالي هو خبر ملازم للصدق لا وجه لتكذيبه، ومنه خرجوا بقسم آخر من الخبريات وهو الخبر الصادق المقدر على الحقيقة.

وذهب "هشام" إلى أن "الفعل الإنجازي في الإنجليزية يكون دائما بصيغة المضارع البسيط، وليس الماضي كما هي الحالة في العربية...، إن وجود هذا الاستعمال في العربية، أعني استخدام صيغة الماضي للإنجازات في حال الحاضر، يُعتبر دليلا كافيا"³.

¹ - Austin; quand dire c'est faire, Introduction, p 50- 51.

² - شمس الدين ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)، ج 1، ص 9- 14.

³ - هشام عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2007م، ص 280.

ولذا يعتبر السِّياق الكلامي والحالي هو الحاسم لما سبق من الشُّروط الثلاثة، ومثل هذا الكلام ما قدمه "صحراوي" من مثال شارحا له على منوال ما سبق قائلا: "طلقتُ زوجتي، تكون خبرية في حال الأخبار عن وقوع الطلاق، ومن ثمَّ تقبل الصدق والكذب، وتكون إنشائية في حال إيقاع فعل الطلاق الحقيقي عند النطق بالفاظها،... وفي مثل هذه الحالة تكون قرائن الأحوال هي المعيار في الحكم"¹.

وهذه الإنشائيات، رغم أن ظاهر الجمل من حيث أسلوبها خبرية، ولكن معناها إنشائي، تحسمه قرينة الحال ولذلك اقترح "أوستين" (Austin) مصطلح "الإنشائيات"، أو "القول الإنشائي"²، بدل الأخباريات الوصفية، هذا الأخير الذي فضّل أن يسمّى بـ "التقريرية"، وهو عنده يمكن أن يتّخذ نمطا خاصاً ليصبح ضمن الإنشائيات، "بما أنه يضع الأخبارات (أو بالاحرى التقريرات) في الإنشائيات" فإنه عمل على تحديد مفاهيم علمية تقرب من الفهم المناسب للنظرية، ومثال ذلك عندما يقول قائل في تجارته: "أربحتك هذه البضاعة"، فهو حدث ينطلق من فعل القول على معيار صوتي ونحوي ودلالي مقصود إلى الفعل الإنجازي مباشرة في الوقت نفسه على معيار تداولي، وهو ما يصطلح عليه أيضا بالعمل اللاقولي³، وأظن أن هذا الفرع من الأفعال الكلامية عليه مدار النقاش والكلام كله، فالفرق بين الأوّل والثاني هو فرق بين مجرد القول، وتنفيذ ما في القول، أو هو "عملٌ يُنجز بقول ما"⁴. ويعتمد على القصد المباشر والقوة أو القيمة المتضمنة في القول إما تبليغا، أو تطبيقا؛ أي تبليغ ما في مضمون القول كالنصيحة والوعد والوعيد كقولنا لشخص ما: "كُنْ قويا"، فهو أمر أنجزناه لقصد سياقي معيّن، أو تطبيقا لحدث ما كالحديث السابق: "أربحتك هذه البضاعة"، وينتج عن هذا العمل المباشر المقصود بنية المتكلّم المرتكز على القوة، نوعا آخر من الأفعال وهو الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول، فالذي يحصل من خلال قوة القول المتضمنة فيه؛ هو التأثير على المتلقّي كما قال أوستين (Austin): "التسبب في إظهار آثار في المشاعر والفكر، كالإقناع، أو التضييل، أو الإرشاد، أو التّضعيف..."⁵.

¹ - مسعود صحراوي، التّدالويّة عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّسانيّ العربي"، ص 81. (المرجع السابق)

² - يُنظر: فيليب بلانشيه، التّدالويّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سورية، ط1، 2007م، ص 53.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 59.

⁴ - Austin; quand dire c'est faire, p 113.

⁵ - Ibid, p 114.

والجدير بالذكر هنا ملاحظة هامة يتميّز بها البحث الأكاديمي وهو مراعاة الأسبقية في طرح الأفكار والبناء عليها؛ إذ البحث العلمي هو مجموعة أفكار يُبنى بعضها على بعض لتحصيل منفعة علمية، ولذلك من تمام المنهج التأصيلي هو النظر في كل دراسة أشارت إلى مثل الطرح السابق من أول ظهوره إلى ما صار عليه اليوم، فوجدتُ الفيلسوف "أبي نصر الفارابي" (ت 339هـ / 951م) قد تحدّث بعبارات صريحة عن مثل ما جاء به "أوستين" (Austin)، هذا إن لم يكن أخذها منه أساساً، ونذكر مثل هذا حتّى لا ندّعي دائماً أن السبق لعلماء الغرب، يقول "الفارابي": "والقول الذي يقتضى به شيء ما فهو يقتضى به إما قول ما، وإما فعل شيء ما. والذي يقتضى به فعل شيء ما فمنه نداء، ومن تضرّع، وطلب، وإذن، ومنع، ومنه حث، وكف، وأمر، ونهي"¹.

فلا يوجد كلام أصرح من هذا في مقابلة فكرة "أوستين" (Austin) التي شرحها المتأخرون على أنها نظرية جديدة لم يسبقه إليها أحد غيره، فانظر إلى قوله أيضاً: "النطق بالقول هو فعل ما"².

فهو بذلك شرح النظرية مع تقديم أمثلة كثيرة وشواهد لا تنقطع، فقد أشار إلى النطق بالقول الذي هو صوت مع تركيب ودلالة، ثمّ عرفه على أنّه "فعل ما" وهو نفسه الفعل المتضمن من القول، أو الفعل الإنجازي أو العمل اللاقولي، فكل قول هو فعل في الوقت نفسه، بل العجيب أنه أشار إلى فكرة "القوة" في تحديد الفعل الإنجازي الذي تحدث عنه "أوستين" (Austin)، قائلاً: "قوة أحد أنواع القول قوة السؤال عن الشيء"³.

أي في سياق حديثه عن النداء، يرى أن قوته الإنجازية هي نفسها قوة إنجائية في السؤال أو في غيرها من الأنواع، وهذا يقتضي أن يحصل من خلاله جواب من المتلقّي، أو ما يُعبر عنه حسب النظرية السابقة بالفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري، وهذا أيضاً أشار إليه "الفارابي" قائلاً: "كل مخاطبة يقتضى بها شيء ما فلها جواب، فجواب النداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرّع والطلبه بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي وما شاكله طاعة أو معصية"⁴.

الحاصل أن الجواب هو المقابل المباشر لمصطلح "أوستين" (Austin) الفعل التأثيري؛ إذ كل تأثير يقتضي وجود تفاعل وهو الجواب المقصود من الفعل، ومن شرح امتداد التداولية عند العرب وأثرها إثراءً نافعا "مسعود

¹ - أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه وقدم له: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1990م، ص 162.

² - المرجع نفسه، ص 163.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، ص 163-164.

صحراوي" في كتابه: (التداوليّة عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللسانيّ العربي")، وجعل كل الثّحة قد تطرّفوا إلى موضوع النّظرية بشكل مفصّل كلّ واحد بطريقته، وكذلك البلاغيّون، والأصوليون، والفلاسفة، وذلك في مبحث الخبر والإنشاء، وما حدث فيهما من تفصيلات تملأ الكتاب ملاً.

للقوة الإنجازيّة التي تحدّث عنها كلّ من "أوستن" (Austin)، و"الفارابي" قبله علامات أو ما يُعرف عن "جورج يول" (George Yule) بد(وسائل التّليل على القوّة الوظيفيّة) جمعها كلّ منهما بطريقته الخاصّة، وقد حصّرها "محمد العبد" في ستّ علامات وهي: 1- الصّيغة، 2- نغمة الصّوت، 3- أدوات الرّبط، 4- أشباه الجمل، 5- مصاحبات المنطوق، 6- ملابسات المنطوق¹.

ويُراد بالأولى هيئّة مخصوصة يكون فيها الفعل الإنجازي ذا قوة وظيفيّة نسبيّة؛ أي القوة الكاملة في الأداء وما دوّنها من حالات، ولكن هذه القوة لم تستقر على صيغة محدّدة، فكل لساني له منطلقه في تحديدها انطلاقاً من معايير تصنيف الفعل الإنجازي، والذي صاغه "أوستن" (Austin) في خمسة تصنيفات، (الأفعال الحكيمية أو الإقراريّة، والتمرسيّة، والتكليف أو الوعد، العرضية أو التّعبيرية، السلوكيات أو الإخباريات)، وكذلك عدّها تلميذه "سورل" (Searle) فأصبحت (الأخبار أو التأكيدات، الأوامر، الالتزامية أو التّعهد، التّصريحات، الإنجازيات)²، ثم جاءت تصنيفات أخرى من بعدهما تحدّد بنية الأفعال الإنجازيّة بين الآخذين بالمعيار التّحوي مثل ما قدّمه "وينديرليش" (Wunderlich)، حيث اعتبر (الصّيغة الاستفهامية، والأمر، والإدلائيّة، والأشكال الإنجازيّة)، هي المحدّد للفعل الإنجازي، ومنه تتحدّد القوّة الوظيفيّة، ومنهم من يعتبر المعيار الوظيفيّ هو المحدّد باعتبار (الحركة التمثيلية للإرادة أو حركة رد الفعل)؛ أي كلّ الأفعال التي تحمل إرادة التّغيير وتمثّل العالم الخارجي هو المقصود بالإنجاز، وهذا المعيار يجعل من القوّة الوظيفيّة تحتكم إلى أعراف المؤسسات الناطقة باللفظ، ومنهم من اعتبر المعيار التصنيفي من حيث هو أصلي وثانوي، وهذا ما جعل الأفعال الإنجازيّة تنقسم إلى صريحة مباشرة قائمة على العُرف المؤسّساتي، وأخرى ضمنيّة غير مباشرة تتحدّد حسب التقديرات ونيات المشاركين، وهذا ما يجعل موضوع القوة الوظيفيّة قابلاً

¹ - يُنظر: محمد العبد، النّصّ والخطاب والاتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، مصر، 2014م، ص 287 إلى 296.

² - يُنظر: فرانسواز أرمينغو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الانحاء القومي، الرباط، المغرب، 1986م، ص 62 إلى 67.

للتعديل¹، ولذلك إذا رجعنا إلى موضوع الصَّيْغَةِ المناسبة التي تكون أوضح في الإنجاز الفعلي للكلام سنجد "يول" يقترح في قوله: "سيكون" أعد" و"أحذر" الفعلين المنجزين، وفي حالة ذكرهما سيكونان وسيلتي تدليل جليتين على القوة الوظيفية. لا "ينجز" المتكلمون أفعالهم الكلامية بهذا الوضوح دائما².

رغم أنه لم يعتمد أي تصنيف من التصنيفات السابقة، إلا أنه جعل مصدر القوة الوظيفية ما كان على صيغة "أعد" و"أحذر"، واقترح هذه الصيغة: "أنا (فعل منجز) ك أن..."، وبالتالي كل فعل دخل بصيغته في الشكل الذي حدده "يول" يكون واضحا ومن الوضوح يستمد قوته الوظيفية، ويبقى مقترح الصيغة ليس ثابتا على هيئة محدّدة، مما يجعل الأمر يتغيّر حسب المقاصد التي أشرنا إليها سابقا، وهو السياق الحالي، أما السياق الكلامي فهو حسب طبيعة اللغة ونوعها، فليست الفرنسية هي الإنجليزية ولا هي العربية كما صرح بذلك "أرمينغو".

ومن علامات القوة الوظيفية أيضا "نغمة الصّوت" وننظر إليها من حيث الهبوط الدال على التحذير والتهديد، والصعود الدال على السؤال (سبق في الفصل الأول) في جزئية الحديث عن التنعيم، كما يدلّ على الاعتراض أيضا، ويليق بهذه العلامة معيار الحركة التمثيلية، فالصّوت الهابط يصنع تمثيلا واقعا لحقيقة التهديد، مما يجعل الطرف المتلقي في حذرٍ مما قد يحدث له، وهو كذلك بالنسبة للصوت المرتفع، ومما يليق أيضا بهذا المعيار علامة "مصاحبات المنطوق"، حيث تمثل الحركات التي تكون باليدين والعينين والجسد عموما واقع المنطوقات، وتزيدها قوة إلى قوتها الإنجازية، أما عن علامة "أشبه الجمل" فهي من القرائن اللفظية التي تزيد وظيفة الحدث المنجز تأكيدا، مثل زيادة "سوف" على الحدث المنسوب إلى ضمير المتكلم، مثل: سوف أقدم له هدية أو "قد" أو زيادة "أبدا" في نهاية الحدث المنطوق مثل: لا تفعل هذا أبدا.

وعندنا أيضا علامة "ملابسات المنطوق" التي تبين الغرض الذي تنتمي إليه الإنشائيات، وذلك من خلال السياقين الكلامي والحالي، يقول عنها "محمد العبد": "وهي تساعد مساعدة مهمة في تحديد الغرض، فالأمر يمكن أن يكون أمرا، أو إذنا، أو عرضا، أو التماسا، أو توسلا، أو اقتراحا، أو توصية، أو تحذيرا..."³.

¹ - في هذا السياق نحض على قراءة مقال يُفصل فيه موضوع التعديل بعنوان: "دور تعديل القوة الإنجازية للفعل الكلامي في تبليغ محتوى تعليمي، حصّة تعليمية (فهم المنطوق) - في مرحلة المتوسّط - للدكتور "عبد العالي موساوي، مجلّة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد: 05، العدد: 01 مارس 2022م، ص 225-235).

² - جورج يول، التّداوليّة، تر: فصي العتّاي، ص 84. (المرجع السابق)

يُعتبر موضوع إلغراض من أهم الموضوعات التي عالجها علماء البلاغة في باب "علم المعاني"، والتي تدرّس للتلاميذ في المدارس، وفي المعاهد والكلّيات، حيث تعرّفوا على باب الإنشاء ثم تم تقسيمه إلى طلي وغير طلي، وجعلوا لكل منهما أغراضا تؤدي إلى مفهوم الكلام المنطوق، ولكن المشكلة التي لم يحرص العلماء المحدثون على معالجتها هو موضوع الخلاف في تقسيم أساليب الجمل، وهذا باب واسع جدا، اعتنى به "مسعود صحرابي" في فصول كتابه (التّداوُلِيّة عند العلماء العرب)، حيث أورد تقسيمات أخرى مثل: الخبر والطلب والإنشاء مستندا في ذلك إلى تأصيلات السّابّقين من العرب الأوّلين.

أما عن بقية الوسائل فهي واضحة من حيث التدليل بها على القوة الوظيفيّة، وجاز أن نطلق عليها مصطلح "القرائن الزائدة" تأتي من أجل تحقيق قوة "وظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتّصال بشكل عام"¹. وبعيدا عن كل التّأصيلات التي قدّمها "أوستين" (Austin) و"سورل" (Searle) حول المقترحات الخمسة لأصناف الفعل الإنجازي، والتي تكلم عنها كل اللّسانيّين المحدثين، وملأت الكتب شرحا وتعليقا، بما أنهم اختلفوا كثيرا في صياغتها، بل لم يتفقوا أصلا على المعايير التي تحدد للفعل الكلامي معناه الكامل، وبهذا ظلّ بعضهم ينقد بعضا، ولم يثبتوا على طرح تستقيم عليه التصنيفات والمقترحات، لتُعتمد في المعالجة التطبيقية، ومثل ذلك ما فعلته "فرانسواز أرمينغو" (Françoise Arminjon) لما نقدت كلّ التصنيفات قائلة: "لا يوجد عند "ديتر" و"وينديريش" أي تصنيف مقنع، بما في ذلك تصنيف /سورل/ و/أوستين/².

لذلك فإننا نميل إلى تركها ونضم صوتنا إلى الدكتور "مسعود صحرابي"، حين جعل السّياق الكلامي والحالي هو المميز لها، دون اقتراح لوائح قد تصعب على المحلّل وهو ينظر في الخطابات نظرة تقصّي وتحرّج أن يستحضرها كلّها أمامه ثم يبدأ بتصنيفها، ثم أي معيار تصنيفي سيعتمد؟!، فتظهر المشقّة حينها، ولا سبيل لإدراك كل المعايير ونحن نحلّل خطابا ما، وبما أن التصنيفات لها ما يحركها نسقيا، فإنّ وصف وتفسير نسقية اللّغة العربيّة لها تصنيف خاص يجعلها تتخلّف عن كل التصنيفات، وتأخذ قوة فعلها الكلامي حسب السّياق الكلامي والحال.

³ - محمد العبد، النّصّ والخطاب والاتّصال، ص 297. (المرجع السّابق)

¹ - تون فان دايك، علم النّصّ، تر: سعيد حسن بحيري، ص 114. (المرجع السّابق)

² - فرانسواز أرمينغو، المقاربة التّداوُلِيّة، تر: سعيد علوش، ص 69. (المرجع السّابق)

ثمّ الغاية في الأوّل والأخير هو الكشف عن الفعل الإنجازي في عملية التّواصل، ومدى تحقيقها للعملية التّفاعليّة، وتحريك إرادة فاعلها نحو تغيير العالم، وبما أن غاية فصلنا هو التطبيق، فإننا نأخذ الأساسات التي نبني عليها التحليل التداولي في أول نموذج يُعتبر النواة المركزيّة في الدرس التداولي، ثم غايتنا أيضا معرفة مقاصد النّاس، ونيّاتهم بوضع فرضيات وتأويلات متنوّعة حسب قرائن السّياق، كل ذلك من أجل إحداث التغيير أو التّأثير.

أولا- الأفعال الكلاميّة في الخطاب الاجتماعي "حصّة لي فات مات أمودجا"

ما قمنا به في الجانب النظريّ هو تسليط الضوء على بعض ركائز النّظرية، من تأصيل لبعض أفكارها حتى تستقيم على هيئة مخصوصة تجعلها قابلة لأن تختبر الخطابات العربيّة؛ بسبب ما رأيناه من شروط ألزم بها أصحابها، وقد عرفنا أن خصوصية اللّغة العربيّة تتجاوز خصائص اللّغات الأخرى، باعتبار ما وضعوه من قيود لغوية لا تصلح في عمومها أن تنزّل منزلة العربيّة من اشتراط الزمن المضارع، ونسبة الفعل للمتكمّل، ومن تصنيف متداخل لم يستقر على منهج محدّد في الانتقاء، والدليل هو ما قدّمه بعضهم لبعض من انتقادات لا تكاد تنتهي، ولذلك يبقى الموضوع مفتوحا على الاجتهاد والخطاب هو الذي يفرض نفسه ويقترح المنهج المناسب له والأدوات اللازمة له؛ لأن الكثير من المناهج لا تصلح لدراسة الخطاب الاجتماعي، ومثل ذلك الأدوات والآليات، وبما أننا اعتبرنا النّظرية في حكم النّمودج المقترح جاز أن نصفه بـ"آلية التّداوليّة".

أما الخطاب الاجتماعي فهو مؤسس على الأحداث التي انتشرت في مجتمع ما، ومن أجل الكشف عن مختلف القضايا الرئيسيّة ينبغي استقراء أحداثها وتحليلها بما يتناسب وظروف البيئة التي حدثت فيها، والنّمودج المسخر لخدمة مثل هذه الموضوعات كفيّل بأن يكشف عن حقائق ضمنية أثناء المحادثة، بما أن الفعل الإنجازي هو أصل الفعل في تقرير مصير الخطاب فهو المطلوب قصد التّحليل، والحصّة المختارة هي "لي فات مات" يحتوي على أشربة كثيرة بين طويلة وقصيرة، فأخذنا منها ثلاثة أشربة للاقتراب من الواقع اللّغويّ الذي وصل إليه المجتمع الجزائري تداوليا، وهل تحقق الاتّصال المناسب أم ظلّ حبيس الأقوال، وهذه الحصّة تعرض في كل حلقة ضحية أو طرفا محددا، ويقوم المقدّم بطرح الأسئلة لمعرفة ظروفهم والتّفاعل معهم، قصد توجيه أفعالهم إلى التعاطف والإثارة.

أ- عنوان الخطابات:

شريط 1- التحرمات من بنّتي.

شريط2- # مؤذ.ر لقاء بالأحضان بين داود و صديقة.

شريط3- # شاهد .. ردة فعل الزوج بعدما عرف أن زوجته استدعته للبرنامج من أجل تطلب منه الرضاية.

ب- مكان وتاريخ الخطابات: نُشرت الحصة سنة 2021م.

ج- توقيت الخطابات:

شريط1- ثلاث دقائق وأربع ثوانٍ (3د، و4ثا).

شريط2- دقيقتان واثنتا عشرة ثانية (2د، و12ثا).

شريط3- دقيقتان وثمان وعشرون ثانية (2د، و28ثا).

د- تفريغ محتوى الخطابات: يمكن تجزئة الأشرطة الثلاثة إلى أدوار أو أطراف محرّكة للمحادثة، مع حذف

العبارات المكررة، التي تفيد في عمومها التأكيد على تقرير الحدث، ونقترح اصطلاحاً خاصاً بمدير الحوار والضيف، الأول نرّمز له (م)؛ ويعني الموجه أو المصلح، والثاني (ط1 أو ط2 في حال وجود الثاني)؛ ويعني طرف أول، وطرف ثانٍ.

الشريط الأول:

م: "إلى حابت نفهم أناي، كي دالك بنتك كيفاش كنت تتواصل مع بنتك؟ كنت تكلمها كنت تشوفها؟ .

ط1: ما كنت نشوفها ما كنت نكلماها .

م: شحال قعدتي من مدة ما كلمتيش بنتك؟

ط1: عام وتسع شهر .

م: [...] شكون كان بيها مادام هو راجل ما يقدرش؟ [...]

ط1: كانت جدّاها.

م: جدّاها؟

ط1: كانت جدّاها وهو عاود الزّواج .

م: آآ معناها راجلك بعد ما طلق عاود الزوج بوخذ أخرى؟

ط1: زوجٌ بوحْدَ أُخْرَى، قالكَ تزوجتْ خاترش باش تربي لي الطفلَ، آه، قتلك آآ أنا كي حكمولو الحبس
حكمولو ستّ شهر وخمستاش المليون، كفال

م: دَخَلَ الحبس؟

ط1: دخل الحبس، والطفلَ كانت قاعدَ عندَ أهلُو حتى لين خرجَ من الحبس، ومبعد كي خرجَ من الحبس،
[...] طلقْنَا، بنتي بعد عام وتسع شهر جبتها، رجعتلي جبتها بالجدارمي، وجبتها بالحكم، خليتها مولات ثلاث
سنين، جبَّها مولات ربَّع سنين ونصف تقريبا [مع ضحكة]

م: انتي في الفترة هاذي كيفاش كانت النَّفسية نتاعك؟ [...]

ط1: [...] مرضت، ما نرقدش، اليومنا هذا نسيت حوايج باش نجيبهم، نسيت ما جبتهمش، عندي ليفوطو
تاوعها، عندي دوزان تواعها، حوايجها كي كانت صغير جبتهم معايا، يرقدوا معايا ليل ونهار.

م: تحطي الحوايج تاع بنتك تحت منك اللي ماشتيتهاش؟ [سؤال لإثارة عاطفتها وعاطفة المتلقي]

ط1: نخط الحويج تاع بنتي ونرقد عليهم، ليفوطو تاواعهم نعنقهم ونرقد، [...]. يلحق العيد، يلحق مناسب،
نشريها الكسوة، كيما يكسو ولادهم ونخطهم [...].

م: وفي الفترة هذي وين كنت انتي عايشة؟

ط1: عند الأهل تاعي.

م: عند الأهل آآ رجعت لأهلك؟

ط1: ماليا آه، رجعت لماليا [...]. الحمد لله كانوا مقامين بيا، ما خصتني حتى حاج، عندي خاوتي، حاجة
اللي تخصني يشروها لي، الأب تاعي قالي ليثقل عليك خفيف عليا .

م: أسمحيلي نفسيا، نفسيا .

ط1: نفسيا مرُضت.

م: مشيت عند الطبيب النَّفساني؟

ط1: طبيب نفساني، يعني اليومينا هذا نشرب دوا.

م: اليومينا هذا تشربي دوا؟ [سؤال لإثارة عاطفتها وعاطفة المتلقي].

ط1: اليومنا هذا نشرب الدوا آه، كي تحكمني ساعات تحكمي الحالة تاعي، حتى دك مع الزوج تاعي، إذا كان رجعت ليه آآ نولي نلوم فيه نولي نعط عليه نولي نقولو أنت السبِّ اللي راني مريض، [...] أنت السبِّ لي بنتي تحرمت منها، بنتي نهارلي جبتها من نهار لي ربحتها من شرع جبتها متعطيلش ماما، طعتلي خالتي .

م: خالتي؟

ط1: إيه طعتلي خالتي ما تعرفش بالي ماماها، قريب خمس شُهر ولا ست شهر نحلل فيها، أنا ماماك مانيش خالتك أنا ماماك نفكر فيها حوايج تقوي لا لا ما كيش ماما، أنت خالتي، آه، صرا فيا المهم صرا فيا بزاف أمور [ضحكة] تأذيت بهم¹.

الشريط الثاني:

م: إلى راكم حابين تتلاقوا وتتحاضنو، عبزو على لدو بوزار لقدامكم، عبز عليهم.

ط1: سي جلال ما دارلي والو علاه نسامحو [...]

م: أو جاي يطلب منك السماح، هاذي هي الصورة لنبيها.

ط1: اسمع، جدد النية [...], الدنيا هاذي مكان واحد، اسمع وراي فرحان بيك.

م: تفضلوا.

ط1: صحيت وليك الفضل، [...] أنا ما عندي حتى حاج، ضدك داود، أنا راني عارف إنك تخدم، شفت عملك، قيمت عملك، الحمد لله أنو شي، المميز إلي فيك، أنك ديت لآآآ، كيفاش يقولو باللغة العربية، إنك ديت الخبر، الماد [...] ضرك أنت، كنت مفتون بيا، كنت تريد أن تقلص شخصية الأستاذ بوغاليا، هاذي الدنيا كل واحد عندو شخصيتو وطنيتو، داود ضك نحبك تكون أنت بشخصيتك، تكون أنت بطينتك، واعلم أني دائماً ندعيلك بالخير، ورب راه عالم.

م: صخ، كانت الزوج تاعك شوي تعبان.

ط2: راي داير أويراسيون.

م: الله يشفيها ويعافيها يارب.

¹ - <https://2u.pw/gIANhndl>, It was viewed on: 18/10/2023 at: 13:13

ط1: رب يجيب الشفاء إن شاء الله.

ط2: اللهم آمين.

م: لما تتبث الحصة هاذي وأنا نصيحتي ليك سجلها، خاطر ما سمعت يوماً إنسان يشكر في إنسان آخر، من جميع الجوانب.

ط2: والله والله يا سي جلال، وربّي راه شاهد، أو سقصية، عيني في عينو، كان كي نروحو لتكوين أو

تدريب، لو كان ما يحضرش سي داود، مقبر.

م: الله أكبر، الله أكبر.

ط2: نزيدلك دليل واحد أواخر.

م: نعم

ط2: كنت نحكي عليه، ل خاطر يقولك إنسان يشكر إنسان، ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع

وانفصل، أنا لازم هو، أنا نعطيلو نصيح لوجه الله، إنسان كي يحب إنسان لازم يحب في الله، وكى يبغض يبغض في الله.

م: وهذا يحبك [...] ¹.

الشريط الثالث:

ط1: يا خويا، لكان هذا الإنسان لستدعاني بلاك كشما راني غالط في حق واحد، ماذابيا يجي يعاتبني

ويقولهاالي اليوم ويخليني ريقلي أموري معاه قبل غدوا.

م: الله الله، قتلك، والله الله يعطيك الصّح، سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، يقولهم أحبّ ما يهدى إليّ

عيوبي.

ط1: بارك الله فيك.

م: بالصّح لازم يكون شجاع الإنسان، يكون بطل، مش خاطر نقولك عيوبك تكرهني وانك تعود تعاتبني وما

تكلمنيش العكس.

¹ - <https://2u.pw/0Fr0K3Q3>, It was viewed on: 19/10/2023 at: 18:17

ط1: نواجه مهما كان.

م: بارك الله فيك [...] ما عندك خلاف مع حتى واحد؟.

ط1: لا ضرك شكون المعصوم من الخطأ، قاع [القاف المعتمدة في الدَّارِجَة الجزائِيَّة والتي تلفظ "ga"]، نغلطو

م.١: صخ.

ط1: إن شاء الله ما تكونش غلط كبار برك، [مع ضحكة].

م: كلنا يا حاصر! كلنا نخطئ واحد يجدد التوب وتخطئ وتجدد كالوضوء، كالوضوء كيف كيف. [...], تماما

أنت على بالك راك حاب تعرف شكون لي؟.

ط1: مذايبا.

م: ماذيبك، من جيرانك ما كانش اللي عاتبك ل...؟

ط1: جيرياني الحمد لله نورمالو مريقل مع جيرياني [...] نلعب بكلش بالجار لا لا [مع ضحكة].

م: أيا الحمد لله، الحمد لله. أو وصي عليه النبي عليه الصلاة والسلام. أيا صخ الآن إذا كان حبيت تشوف،

شكون لستدعاك للبرنامج، ليكرو [الشاشة] راه أمامك، وسنكتشف، جميعا، من الذي، استدعاك أنوي الخير أنوي

الخير.

ط1: إن شاء الله.

م: صحيت، تفضل.

ط1: إكرام، الزوج تاعي لولا.

م: زوجتك لولا؟.

ط1: إيه، السلام عليكم.

ط2: وعليكم السلام.

ط1: على سلامتك.

ط2: لا باس الحمد لله وأنت لباس.

م: قولي قبل ما تتكلّم مع إكرام، أنا دلال خير جيت في وسطكّم، ما أنا والعياذ بالله من كلمة أنا والقناة والحصّ، [...] ناويين على الخير، خاطر عنوان الحصّ وشلي هو؟.

ط1: اللي فات مات .

م: صحيت بارك الله، [...] أنت في رايك علاش ستدعائك؟.

ط1: الله أعلم أنا هنايا يا خويا لستدعائي ليه أنا هنايا، ما عندي حتى مشكل إن شاء الله.

م: ما عندك حتى مشكل.

ط1: لكان غلط أسيدي وغلطت معاها ولا تسمح لي¹.

و- طريقة العمل: نقسّم الجدول حسب مقترح مضمون النّظرية إلى الفعل القولي والإنجازي والتأثيري، وقد ذكرنا العديد من الاصطلاحات المقابلة ودلّلنا عليها، والذي يهّمنا الآن على الجدول هو تحليل الخطابات الثلاثة تحليلًا عمليًا مستوفيا شروط الفكرة التي شرحناها:

ثانيا: الأفعال الكلامية وأثرها في فهم الخطاب الاجتماعي:

الأدوار	الفعل القولي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري	التصنيف
م: "كي دالك بنتك كيفاش كنت تتواصل مع بنتك؟ كنت تكلمها كنت تشوفها؟".	سؤال استفساري مباشر عن طبيعة العلاقة بين الضحية وابنتها.	دفع الضحية إلى الإجابة للحصول على معلومات دقيقة عن العلاقة بينها وبين ابنتها.	ظهور مشاعر ومعاناة الضحية، وإثارة التعاطف لدى الجمهور مما يبعث على التفاعل بينهم وبين الحادثة.	<u>توجيهيات:</u> معرفة نوع العلاقة التي كانت بين الأم وابنتها بعد الانقطاع عنها.
"شحال قعدتي من مدة ما كلمتيش بنتك؟"	استفسار عن مدة انقطاع التواصل بين الأم وابنتها.	استيضاح الحقائق وإبراز حجم الانفصال.	تعميق حزن الضحية، وإثارة مشاعر المستمعين.	<u>توجيهيات:</u> توجيه الضحية لتعي وتعيد التفكير في فترة الانفصال.
"وفي الفترة هذي	سؤال عن ظروف	محاولة فهم البيئة	يزيد من وضوح الصورة	<u>توجيهيات:</u>

¹ - <https://2u.pw/HiwaHgUC>, It was viewed on: 20/10/2023 at: 16:44

وين كنت انتي عايشة؟"	إقامة الضحية خلال فترة الانفصال.	الحديقة بها، وكيف أثرت على وضعها	لدى المستمعين ويثير فضولهم حول التفاصيل.	معرفة المكان الذي احتواها بعد الانفصال.
"مشيت الطبيب النفساني؟"	سؤال عن الخطوات التي اتخذتها الضحية لمعالجة حالتها النفسية.	توجيه انتباه الضحية إلى أهمية الصحة النفسية.	قد يدفع الضحية للتفكير في تجربتها مع العلاج، ويعزز إدراك الجمهور لمعاناتها.	<u>توجيهات:</u> معرفة ما إذا كانت ذهبت للطبيب أم لا.
اليومينا هذا تشري دوا؟"	سؤال للتأكيد حول استمرارها في تناول الدواء.	محاولة إبراز أن حالتها النفسية ما زالت متأثرة بالصدمة.	يثير التعاطف لدى الجمهور تجاه حالتها الراهنة.	<u>توجيهات:</u> معرفة ما إذا كانت مستمرة في شرب الدواء أم لا.
ط1: "ما كنت نشوفها ما كنت نكلمها."	تصريح عن انقطاع العلاقة بينها وبين ابنتها.	وصف الواقع المؤلم لانقطاع التواصل.	يثير تعاطف المستمعين تجاه الأم التي حرمت من ابنتها.	<u>عرضيات:</u> وصف تجربتها ومعاناتها.
"عام وشهر." وتوسع	إبلاغ عن المدة التي انقطعت فيها عن ابنتها.	التأكيد على طول مدة الانفصال.	إثارة الحزن والشعور بالأسى لدى المستمعين.	<u>عرضيات:</u> ذكر المدة التي.
"زوج تاعي زاد عاود الزواج."	بيان حقيقة أن زوجها تزوج مرة أخرى.	توضيح ظروف حياتها وتأثيرها السلبي.	يجعل المستمعين يفهمون صعوبة موقفها ويشعرون بالأسف تجاه ما مرت به.	<u>عرضيات:</u> توضيح الظروف.
"مرضت، ما نرقدش."	تقرير عن حالتها النفسية والصحية.	وصف معاناتها الناجمة عن الظلم والحرمان.	يعمق تعاطف المستمعين مع معاناتها.	<u>عرضيات:</u> وصف الحالة الصحية.

"عندي ليفوطو تاوعها، يرقدوا معاي ليل ونهار".	وصف لعلاقتها الرمزية مع ابنتها من خلال الاحتفاظ بأغراضها.	إظهار الارتباط العاطفي بابنتها رغم الانفصال.	يبرز الحنين العميق ويؤثر عاطفياً على الجمهور.	<u>عرضيات:</u> ذكر معلومات واقعية أو مشاعر حقيقية.
"نخط الحويج تاع بنتي ونرقد عليهم".	وصف سلوك عاطفي تجاه ابنتها.	إعلان عن الحنين والحب العميق لابنتها.	يعزز تعاطف المستمعين تجاه شدة الألم العاطفي للضحية.	<u>عرضيات:</u> وصف عن السلوك الموافق للظروف.
"نكتب، يلحق العيد، نشريلها الكسوة".	تعبير عن استمرار ارتباطها العاطفي بابنتها رغم غيابها.	إظهار حبها واهتمامها العميق بها.	يعمق الإحساس بمعاناة الأم من فقدان ابنتها.	<u>إفصاحات:</u> التعبير عن السلوك الموافق للظروف.
مرضت".	تعبير عن حالتها النفسية المتدهورة.	إظهار حجم التأثير السلبى للظروف على صحتها.	إثارة القلق والحزن لدى المستمعين تجاه حالتها.	<u>إفصاحات:</u> وصف حجم المعاناة.
بنتي متعطيلش ماما، طعيتلي خالتي".	وصف لرفض الطفلة الاعتراف بها كأم.	التعبير عن الألم النفسى الناتج عن هذه الحالة.	يثير الشفقة والحزن لدى المستمعين.	<u>إفصاحات:</u> وصف والتصريح بمحجم المعاناة.
الشَّرِيطُ الثَّانِي				
م: إلى راكم حابين تتلاقوا وتتخاصنوا، عبزو على (لدو بوزار) لفدّامكم، عبز عليهم".	طلب توجيهي للتصرف بالتسامح والعناق.	يشجع الأطراف على التعبير عن مشاعر التسامح والمصالحة.	يخلق أجواء تصالحية ودية بين الأطراف المتحاورين.	<u>توجيهيات:</u> معرفة مدى قبول الطرفين للصالح.
"لما تبث الحصّة هاذي وأنا نصيحتي ليك	نصيحة مباشرة من المصلح الاجتماعي للطرف الثاني.	توجيه المتحدث لتوثيق الحصّة للاستفادة لاحقاً.	يعزز الوعي بأهمية المواقف الإيجابية ويوجه المخاطب نحو توثيق	<u>توجيهيات:</u> توجيه النصيحة لتوثيق اللحظات

سجلها".		اللحظات المهمة.	الحميمية بين الطرفين
ط1: اعلم أي دائماً ندعيلك بالخير".	رسالة مباشرة للطرف الآخر.	يعبر عن النية الصادقة بالدعاء له.	يقوي العلاقة الإيجابية بين الطرفين ويعزز مشاعر المودة.
"سي جلال ما دارلي والو علاه نساخو".	تصريح من الطرف الأول بأنه لا يملك سبباً لمساحة الطرف الآخر.	محاولة تبرير عدم رغبة التسامح.	يبرز عدم وجود مبرر للخلاف.
"كنت نحكي عليه، ل خاطر يقولك إنسان يشكر إنسان، ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل".	نقل حقيقة أو نصيحة عامة عن العلاقات القائمة على الإخلاص لله.	التأكيد على أهمية النوايا الصادقة في العلاقات الإنسانية.	يجعل الطرف الآخر يشعر بأهمية الإخلاص في العلاقات، مما يعزز الشعور بالثقة.
"إنك ديت الخير، المادّ.	اعتراف بمهارة الطرف الآخر في أداء عمله.	الإقرار بموهبة "داود" في العمل.	يعزز شعور "داود" بالاعتزاز والفخر.
"صحيت وليك الفضل".	تعبير عن إلمتنان بلفظ صريح.	إظهار التقدير والاحترام.	يعزز الروابط الإيجابية ويشجع الطرف الآخر على الشعور بالرضا.
رب يجيب الشفاء إن شاء الله".	دعاء من الطرف الأول إلى الطرف الثاني.	إظهار التعاطف والتضامن مع مرض زوجة الطرف الثاني.	يخفف عن الطرف الآخر ويخلق جوّاً من الدعاء لزوجة الطرف الداعي.

واعلمُ أُنِي دائماً ندعيلك بالخير".	تصريح بالدعاء للآخر.	تعبير عن المحبة والنية الطيبة.	يعزز المشاعر الإيجابية ويشجع على التسامح.	<u>إفصاحات:</u> تذكير المستدعي بالدعاء المستمر.
"أنا نعطيLO نصيح لوجه الله".	تعبير عن النية الصافية في تقديم النصيحة.	إظهار الإخلاص والنوايا الحسنة.	يضيف طابع الثقة بين المتحدث والمخاطب.	<u>إفصاحات:</u> تذكير المستدعي بالنصيحة المفيدة.
"أنا لازم هو، أنا نعطيLO نصيح لوجه الله".	تعهد بتقديم النصيحة للطرف الآخر بصدق.	إلتزام بالنصيحة المخلصة.	يعزز الثقة بين الطرفين ويدفع إلى بناء علاقة قائمة على الصدق.	<u>إلزاميات:</u> التذكير بالوعد الذي أعطاه المستدعي.
"واعلمُ أُنِي دائماً ندعيلك بالخير".	تعهد بالدعاء للطرف الآخر بشكل دائم.	الالتزام بالمحبة والدعاء.	يعزز الثقة ويقوي الروابط بين الطرفين.	<u>إلزاميات:</u> نية المستدعي بالدعاء.
"وهذا يحبك".	إعلان من المصلح الاجتماعي عن مشاعر الحب بين الطرفين.	إقرار بمشاعر إيجابية تدفع إلى تعزيز التصال.	يخلق أجواء من المحبة ويشجع على تعزيز العلاقة.	<u>تصريحات:</u> يصرح المصلح بمحبة المستدعي للمستدعي.
"الله أكبر، الله أكبر".	إعلان عن دهشة أو إعجاب بما سمعه المتحدث.	التأكيد على عظمة الفعل الذي يتم الحديث عنه.	يزيد من قيمة ما قيل ويضيف عليه طابعاً إيجابياً.	<u>تصريحات:</u> يعلن عن اندهاش المصلح لكلام المتحدث.

الشَّرِيطُ الثَّالِثُ

ط1: "يا خويا، لكان هذا الإنسان لستدعاني بلاك	دعوة للإنسان الذي قد يكون لديه مشكلة معه لئن يقبل منه المعاتبه إن كان	يعبر عن استعداد المتحدث للاعتراف بالخطأ والتصال.	يشجع الطرف الآخر على الصراحة والمواجهة، ويدعو المستمعين إلى تبني مبدأ التسامح	<u>عرضيات:</u> عرض قبول الحاجة وأن المستدعي قابل

كشما راني غالط في حق واحد...".	المستدعي لديه الحق.	والمصالحة.	للتصالح مع المستدعي.
م: "بالصَّحَّ لازم يكون شجاع الإنسان، يكون بطل، مش خاطر نقولك عيوبك تكرهني وانك تعود تعاتبني وما تكلمنيش...".	نصيحة مباشرة للمتلقي ليكون شجاعاً عند سماع عيوبه من الآخرين.	التأكيد على أهمية التسامح وقبول النقد.	يدفع المتلقي للتفكير في أهمية الشجاعة عند مواجهة النقد.
"إذا كان حبيت تشوف، شكون لستدعاك للبرنامج، ليكرو راه أمامك، وسنكتشف، جميعاً، من الذي، استدعاك".	دعوة للطرف الأول للنظر في الشاشة لمعرفة من استدعاه.	إثارة الفضول ودفعه للاستعداد للقاء الشخص الذي دعاه.	يزيد من الترقب ويحفز على التفاعل الإيجابي.
"سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، يقولهم أحب ما يهدى إليَّ عيوبي".	نقل مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.	التأكيد على أهمية تقبل النقد بوصفه هدية.	يعزز احترام المستمعين لفكرة النقد البناء ويدفعهم لتبنيها.
ط1: جبراني الحمد لله نور مالمو مريقل مع	تقرير عن طبيعة العلاقة الإيجابية مع الجيران.	طمأنة المستمعين بعدم وجود خلافات مع	يعزز صورة المتحدث كشخص مسالم ومنسجم مع محيطه.
إخباريات:	إخباريات:	إخباريات:	إخباريات:

جيرانى".		الجيران.		
"إكرام، الزوج تاعى لولا".	تصريح بأن الشخص الذي استدعاه هو زوجته الأولى .	تقديم معلومة أساسية عن سبب وجوده في البرنامج.	يثير مشاعر المفاجأة أو الاهتمام لدى الحضور.	<u>إخباريات:</u> تبيين أنها زوجته الأولى .
"بارك الله فيك".	تعبير عن الامتنان والشكر.	إظهار التقدير للطرف الآخر.	يعزز العلاقة الإيجابية بين الطرفين.	<u>إفصاحات:</u> يعلن عن البركة.
"على سلامتكم".	تعبير عن الفرح بسلامة الشخص الآخر.	إظهار المحبة والاهتمام.	يعزز مشاعر الود والاحترام المتبادل.	<u>إفصاحات:</u> الافصاح عن المشاعر.
"إذا كان غلط أسيدي وغلطت معها ولا تسمح لي".	اعتراف محتمل بالخطأ واستعداد للاعتذار.	التعبير عن الندم والرغبة في إصلاح العلاقة.	يفتح باباً للتسامح ويعزز رغبة الطرف الآخر في المصالحة.	<u>إفصاحات:</u> الافصاح عن إمكانية الخطأ واردة.
"نواجه مهما كان".	تعهد بمواجهة المشكلات مهما كانت.	التزام صريح بالشجاعة والتصالح.	يزيد من مصداقية المتحدث ويشجع الطرف الآخر على التسامح.	<u>إفصاحات:</u> الإعلان عن المواجهة.
م: "أنوي الخير".	توجيه المستدعى وتذكيره بالنية الصافية تجاه الطرف الآخر.	التزام بحسن النية وعدم الأضرار بالطرف الآخر.	يطمئن الطرف الآخر ويعزز مشاعر الثقة المتبادلة.	<u>توجيهات:</u> إلزام المستدعى بالنية الحسنة.

(جدول 01)

تعليق:

يمكن أن نعقب في نقاط على ما استقرّر في الجدول من باب زيادة البيان عند الحاجة، حتى نعي هدف النموذج المقترح جيّداً، ونرى إلى أي مدى حقّق هدفه من التحليل التداولي في الخطاب الاجتماعي:

1- في الخطاب الأوّل يعتمد بشكل كبير وواضح على الأفعال التّوجيهية، في تحريك الأحداث الخارجية، وتحديدًا في استشارة الضحية بالأسئلة التي قدّمها المذيع أو الموجه أو المصلح من أجل معرفة الحقائق، وقد أنجزت وأدّت غرضها الفعلي، وكانت أسئلة توجيهية، لتكشف عن واقع الأم الأليم في الماضي أثناء انقطاع العلاقة بابتها بسبب الطلاق، ويمكن أن نقول مجملًا أن فعل التلّفظ المتمثل في الأسئلة متنوع ومختلف صوتًا وتركيبًا، ولكن الفعل الناتج عن القول هو واحد في الأخير، أساسه معرفة الظروف التي عاشتها الأم بسبب الفراق، والفعل الناتج عن القول كما لاحظنا من الجدول يتكرر نفسه وهو في عمومهِ استشارة العاطفة وتحريك مشاعر المستمعين.

وكذلك اعتمد الخطاب على الأفعال العرضية أو التّعبيرية¹، باستخدام أفعال دالة على العرض، "مثل: "التأكيد والنفي والوصف والإصلاح والدّكر والمحااجة والقول والتأويل والشّهادة والنقل والتّوضيح والتّفسير والتّدليل والإحالة..."².

فقد استخدمت إلام في التّعبير عن معاناتها ملفوظات متنوّعة من حيث الصّوت والتّركيب، وفي مجملها تحض على إنجاز واحد وهو وصف معاناتها بإنشاء تعبير بصيغة الماضي، والناتج من تلك الملفوظات هو حاصل المشاعر. أما عن النّوع الثالث من التصنيفات التي تظهر في الخطاب الافصاحات أو السّلوّيات "حيث يكون الهدف هو التّعبير عن الحالة النّفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة"³.

وكما لاحظنا فإذا أردنا إسقاط هذا التّعريف على العرضيات وسعتها ذلك؛ إذ الوصف والتّوضيح والتّفسير وغيرها مما ذكر قبل قليل هو عبارة عن وصف للحالة النّفسية، أما مسألة اشتراط النية الصادقة فهو أمر مبالغ فيه؛ إذ كيف سندرك أن المتكلّم ذو نية صادقة، إلا إذا كان الأمر يتعلّق بنفسه، والأصل في الأفعال الكلامية هي إنجاز للأحداث وحتمًا إذا تلقّظ المتكلّم فهو يريد الإنجاز بغض النّظر عن صدق نيته، وبالتالي هنا تصدق فرضية ترك التصنيفات والعدول عنها إلى ما يناسب السّياق؛ إذ كل الأفعال الإنجازيّة مقصدها واحد وإن اختلف التّعبير عنها، وهذا المقصد يؤخذ من العنوان الأعم لموضوع الخطاب، فلو عُنوّنا على سبيل الفرض الخطاب بمعاناة الأم، لكان الفعل

¹ - يُنظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيّات التّداويّة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 97. (المرجع السّابق)

² - فيليب بلانشيه، التّداويّة من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص 62. (المرجع السّابق)

³ - المرجع نفسه، ص 66.

الإنجازي واحد في جميع أجزاء النصّ وهو وصف الظروف المحزنة، وكان الفعل الناتج عنه، إثارة الحزن في نفوس المستمعين.

2- وفي الخطاب الثّاني، لو انطلقنا من العنوان "لقاء بالأحضان بين داود و صديقة"، وافترضنا مسبقاً أن الفعل الإنجازي هو الصلح باختصار، والفعل الناتج عنه هو المحبة، لاستقامت الفرضية على جميع أجزاء الخطاب، دون البحث عن أصنافية المفوضات، مثلاً في التوجيهات التي حُددت في الجدول نرى أن دور المصلح (المذيع) توجيه الطرفين إلى الالتقاء وذلك لغرض إنشاء الصلح وتحقيق المودة بينهما، وكذلك إذا أخذنا العرضيات التي وردت مرة واحدة حسب الجدول سنرى أنه يرمي إلى نفس الشيء وهو تذكيره بأنه يدعو له دائماً، لماذا مثلاً سيدعو له؟، فالإجابة واضحة لأنه يحبه، فالفعل الناتج عن القول دائماً هو لغرض المحبة، مهما اختلفت جزئيات. التعبير عن المحبة، وكذا في الإخباريات و"التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة"¹.

نلاحظ أن تعريف الإخباريات هي مطابقة الكلام للعالم الخارجي مع الاعتقاد بصحة الخبر، وهذا يحيلنا إلى تعريف الخبر عند البلاغيين في درس علم المعاني، حين يُضبط بمفهوم "مطابقة الواقع" بين الصدق والكذب، غير أن الإخباريات في النظرية لا تقرر بفكرة الكذب، بل لا بدّ من اليقين بالمحتوى كما سبق، ويبقى دائماً هذا التصنيف يحيل إلى إنجاز نفسه وهو الصلح، فهذه العبارات: "محاولة تبرير عدم رغبة التسامح" و"التأكيد على أهمية النوايا الصادقة في العلاقات الإنسانية" و"الإقرار بموهبة "داود" في العمل"، كلها للفعل الإنجازي نفسه، فالعبرة الأولى فعدم الرغبة في التسامح هو لأنه لا يوحد أي خلاف أصلاً، وبالتالي فالصلح تحصيل حاصل، وفي العبرة الثانية التأكيد على النوايا الصادقة، ماذا يصنع بالنية الصادقة؟، أكيد كل صاحب نية صادقة يقبل أي موضوع وهو هنا موضوع الصلح، وفي العبرة الثالثة الإقرار بأن داود موهوب، وهو دليل على أن التسليم بالصلح أمر معقول ومقبول، وبالتالي جميع العبارات وجميع الأصناف ستجتمع في الأخير على إنجاز الصلح وهو الموضوع العام، والنتيجة أو الفعل الناتج هو المحبة بمختلف تسمياتها.

¹ - فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوسن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص 66. (المرجع السابق)

3- وفي الخطاب الثالث والأخير نفترض أن العنوان أمدنا بالفعل الإنجازي العام ونرى مدى توافقه مع أجزاء الخطاب، العنوان هو: "ردة فعل الزوج بعدما عرف أن زوجته استدعته للبرنامج من أجل تطلب منه الرضاية"، والفعل الإنجازي هو "رد فعل الزوج" والنتائج عن القول هو "المشاعر الإيجابية".

في تصنيف العرضيات أو التعبيرات نجد أنه أكد ووضح ووصف وذكر كل ما يمكن أن يعرض له في لسانه من تعابير تحقق فعلا إنجازيا مشتركا وهو قبول الطرف الثاني دون أي خوف، وهذه هي حقيقة الفعل الإنجازي الذي افترضناه من العنوان "رد فعل الزوج"، وكان هذا الرد هو قبول الطرف الآخر مهما كان جنسه ونوعه، هذا فيما يتعلق بالزوج، أما الموجه (المذيع) فالأصل أن نقول عن تصنيف كلامه "توجيهات"، إلا أن التوجيه يقتضي عرضا من نوع خاص، فالتوجيه والتوضيح والوصف وغيرها تشترك مع العرضيات، وبالتالي جاز أن نلحق التوجيه ضمن العرض، فالموجه يعرض للأطراف أسئلة تساعد على الحديث، ونجد أيضا تصنيف الافصاحات/ التعبيرات حاضر في الخطاب على لسان الزوج، حيث عبّر عن اعتذاره بكل لطف، ويُنسب هذا التصنيف لـ "سورل" (Searle) وهو نفسه "يوافق إجمالا" السلوكيات في تصنيفية "أوستن" ومثال ذلك قولك "اعذرنى"..."¹.

ومن ثوابت السلوكيات أنه فعل يتفاعل به صاحبه مع أفعال الغير، فالأفعال العرضية والتوجيهية هما متداخلان معا وغايتهما نقل الحقائق وتأسيس لأحداث مبنية على الشفافية، والأفعال التعبيرية أو الافصاحية تظهر مشاعر الشكر والامتنان والدعاء والاعتراف، والأفعال الالتزامية تعكس استعداد الأطراف للتصالح وحسن النية، فالخطابات جميعا تستخدم الأفعال الكلامية بشكل ديناميكي لتحقيق هدف البرنامج وهو تعزيز المصالحة بين الأطراف.

خلاصة التحليل: بعد التعليق على ما ورد في الجدول من تصنيفات ودلالات تبين أنها متداخلة، ولا يمكن فصلها عن بعضها إلا في الأمور الظاهرة، كفصل الأوامر التي تسمى بالطلبات، عن بقية الأصناف الأخرى؛ لأن الطلب يُحمل على الأمر بفعل صريح، "افعل"، أما ما جاء على عبارات لفظية غير الأمر فهو قابل لأي صنف من الأصناف، ومثال ذلك حتى ثبتت الفكرة أكثر نأخذه من الخطاب الثالث حين قال الزوج: "إذا كان غلط أسدي وغلطت معاها ولا تسمح لي"، وقبل أن ننزل الملفوظ تصنيفيا علينا أن نجمع الأصناف كاملة ونقابلها بحدودها التعريفية:

¹ - فيليب بلانشيه، التداوئية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص 66. (المرجع السابق)

السُّلُوكِيَّاتُ = أفعال يعملها الشخص تكون متفاعلة مع أعمال الغير: تنزيل العبارة السابقة تفاعل الزوج مع زوجته التي تطلب الرضا من زوجها، والفعل الإنجازي هو: "الاعتذار عن الخطأ"، والحاصل منه: "الاعتراف بالذنب".

العرضيات = عرض أحداث على وجه الإصلاح والوصف والتفسير... إصلاح الزوج خطئه، والفعل الإنجازي هو: "الاعتذار عن الخطأ"، والنتائج منه: "الاعتراف بالذنب".

الطلبات = الأوامر: يطلب منها الزوج المسامحة، والفعل الإنجازي هو: "الاعتذار عن الخطأ"، والنتائج منه: "الاعتراف بالذنب".

الإخباريات = مطابقة الملفوظ للعالم الخارجي: تطابق ملفوظ الاعتذار عن الخطأ بما ارتكبه مع الزوجة من طلاق وظروف عاشتها، والفعل المتضمن هو: "الاعتذار عن الخطأ"، والنتائج منه: "الاعتراف بالذنب".

الافصاحات = التعبير عن الحالة النفسية بصدق: شعور الزوج بالذنب اتجاه خطئه، والفعل المتضمن هو: "الاعتذار عن الخطأ"، والنتائج منه: "الاعتراف بالذنب".

التصريحيات = إحداث واقعة غير موجود في العالم الخارجي: حيث أحدث الزوج واقعة الاعتذار وهي غير موجود من قبل في العالم الخارجي مع زوجته؛ لأنه لو كانت موجودة لما اضطرت إلى دعوته للبرنامج، والفعل المتضمن هو: "الاعتذار عن الخطأ"، والنتائج منه: "الاعتراف بالذنب".

الحاصل: لاحظنا أن تطويع الملفوظ إلى جميع التصنيفات مقبول جداً، ولم يُخل بمضمون الفكرة، كما أن الحدث الإنجازي والنتائج عنه بقي نفسه لم يتبدل، ولذلك أُلغى "مسعود صحرابي" فكرة التصنيف تماماً واستبدلها بما يناسبها في السياق الكلامي والحالي كما شرحنا سابقاً؛ لأنّ خصائص اللغة العربية مختلفة تماماً وخصائص اللغات الأخرى، فاللغة العربية تتميز بأنها لغة طيعة، سهلة وصعبة في الوقت نفسه، مرنة وصلبة، فقد جمعت الأضداد ومعاونها، وبالتالي لا سبيل لوضع قوائم تصنيفية تضيق من تأويل الملفوظ.

فائدة النموذج ليس في التصنيفات ولا في الشروط التي وضعها "أوستن" (Austin) و"سورل" (Searle) ومن جاء بعدهما، بل الفائدة تكمل في فهم المقصود من المعنى، فإذا كانت الألفاظ تصنع الأشياء فإن الأشياء تصنع الألفاظ كذلك، فكم من شيء في العالم الخارجي ليس له لفظ يحمله، فجاء قانون التواصل والاصطلاح صيّر إليه واحتواه فيه، فالألفاظ تصنع وتُصنع، والنموذج بفكرته يضبط المفهوم الأوّل بما أن اللغة وسيلة للتواصل، فالتواصل لا



يتم إلا بالتأثير في الآخرين، وهذا التأثير هو عين الإنجاز، وصميم الناتج منه، فربّ كلمة طيبة صادقة ترفع الهمم، ورب كلمة خبيثة تثبط العزائم، هذه حقيقة الكلمات وصنعها للعالم الخارجي.

فَصْلٌ رَابِعٌ

الَّذِي تَدَاوَلِي فِي تَحْلِيلِ
الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ عَيْنَاتُ
مِنَ الشُّرُوقِ "أُونْ لَايْن"

مطلب ثانٍ: الاستنزاء التَّخاطُّبِي فِي فَهْمِ الْمَعْنَى
التَّحَاوِرِي

مطلب ثانٍ: الاستلزامُ التخاطبيُّ في فهمِ المعنى التَّحَاوِرِيِّ

يُعَدُّ الاستلزام الحواري مجالاً ثرياً بالأبحاث، وأغلب الباحثين يعالجونه من منظور نظري، مع وجود بعض الأمثلة التوضيحية التي قد تساعد على فهم فكرة النموذج، لكن الذي يجب أن نسلط عليه الضوء أكثر في هذا المطلب هو التطرق إلى أهم أساساته دون التعمق في تفاصيله التي غدت حديثاً متواصلاً لا يعرف الانقطاع، وبما أن مؤسسه "هربرت بول جرايس" (Paul Grice) (1913م - 1988م)، فإننا سنحاول وضع أهم النقاط التي سار عليها في نموذجهِ، مع محاولة إيجاد مقابل لها في الدِّراسات العربيَّة، وهدفنا من هذا العرض الموجز هو تسهيل التعامل مع هذا النموذج بآلياته واستعماله في تحليل الخطابات والمحادثات، وإن كنَّا نعتذر عن عدم إحاطتنا بموضوع النموذج مفصلاً، وهذا الاعتذار لا يسقط من قيمة التطبيق؛ إذ المكتبات العربيَّة تفتقر كثيراً إلى الجانب التطبيقي في مجال الإعلام على وجه عام، والإلكترونيّ خصوصاً، وكما اعتذر من قبلي الدكتور: "الحباشة" قائلاً: "فإن لم نفهم بعض المقاربات في هذا المضمار...، فليس ذلك سوى قصور منا عن إدراك الشمول في مجال تشعبت فيه الرؤى، وتزاحمت الفلسفات والمناهج وربما تضاربت المقاربات، إن سمة الثراء الشديد في المباحث التَّوَالِيَّة، قد تؤدي بنا إلى محاولة تجنب التشتت"¹.

إن هذا الاعتذار الذي قدمه صاحب القول يدلّ قطعاً أن مجال المقاربات التَّوَالِيَّة واسع جداً، لا يمكن الإحاطة بكل مفاهيمه وتطوراتهِ التي خاضها في مساره البحثي، وما دما نستعين بالمنهج التَّأصيلي فإن من أهدافه تتبع النموذج منذ البدايات، والنَّظر في مقاصد المصطلحات، التي تفضي إلى الإدراك الجزئي لمضمون التَّصورات، وحتى نستهدي إلى ذلك رشداً، ينبغي معرفة علاقة هذا النموذج بالتَّوَالِيَّة أولاً، ومن ثمَّ نجتهد في تقريب صورته على وجه تستقيم عليه الرؤية العلميَّة.

مرّ معنا مفهوم التَّوَالِيَّة وأهم المجالات التي دخلته أو تقاطعت معه بقصد أو بغير قصد، وبما أنها دراسة اللُّغة في الاستعمال أو علاقة اللُّغة بمستعملها ومؤولِّيها، فإنَّ هذه العلاقة تتطلب منّا معرفة مفهوم الاستعمال الذي قال عنه "أوستن (Austin): "الاستعمال كلمة غامضة حتّى نكاد نياس من توضيحها، مثلها في ذلك مثل كلمة "الدَّلالة"..."².

¹ - صابر حباشة، الأبعاد التَّوَالِيَّة في شروح التلخيص للقرطبي، ص 42. (المرجع السَّابق)

² - فيليب بلانشيه، التَّوَالِيَّة من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص 138. (المرجع السَّابق)

فإن لفظ "الاستعمال" يُعَدُّ من أهم ما يميّز مجال التَّوَالِيَّة، وهذا الغموض الّتي يكتنفه حسب "أوستن" (Austin) جعله يبحث عن قيود أو شروط تجعله موازيا لمفهوم الدَّلالة، بما أنه يتقاطع معه في استحضر المعنى، غير أن المعنى الّذي يُتَوَصَّل إليه غالبا لا يكون هو نفسه المعنى الدَّلاليّ الّذي يؤخذ من المعاجم أو ما يسمّى بالمعنى الحرفي¹، بل يكون معنى تواصلياً يُعرف أثناء حدث التلقُّظ؛ إذ قيمة المعنى التَّوَالِي غير المعنى الحرفي، ولفظ "القيمة" هو ما يفرّق لنا بين الاستعمال والدَّلالة، فالثَّاني هو الأوّل إذا أُضيف له مفهوم القيمة كما استعمالهما "أوستن" (Austin) مقترنين مع بعضهما غالبا، وهذه القيمة يفصلها "بول جرايس" (Paul Grice) بقوله: "عندما أتكلّم فأنا أحاول إيصال بعض الأشياء إلى مخاطبي بدعوته إلى التعرف على مقصدي من توصيل تلك الأشياء بالذات، وأتخصّل على الإلّاثر المنتظر عندما أدعوه إلى معرفة غرضي من تقديم هذا الأثر له، وما إن يتعرّف مخاطبي على ما في غرضي الحصول عليه، حتّى تتحقّق النتيجة"².

ركّز "بول جرايس" (Paul Grice) على التَّوَالِي المقصدي الّذي يتحقّق في إطار الاستعمال، فهذه هي حقيقة القيمة الدَّلاليّة الّتي تعني تبليغ القصد أثناء الحديث، ومن هذا القصد المتصل بالمتكلّم جعل "بول جرايس" (Paul Grice) الدَّلالة على قسمين طبيعية تُفهم مباشرة لا تحتاج إلى قصد المتكلّمين؛ إذ تُفهم من خلال الدوال وعلاقتها بمدلولاتها برابط سببي عرّف، وهذا مجال بحث المستوى الدَّلاليّ كما مرّ معنا، أو هو المعنى الحرفي الّذي أشرنا إليه، وقسم آخر وهي الدَّلالة غير الطبيعية يكون فيها التَّأويل مبينا على السِّياق لمعرفة مقاصد المتكلّمين لا على المعاني الحرفية الّتي تؤدّيها التَّراكيب، فإذا كان القسم الأوّل قسما صريحا يدعو إلى الإنجاز المباشر للأفعال، فإن القسم الثَّاني يصرّح بوجود معانٍ مقصودة³ في الدَّلالة غير الطبيعية، وسميت كذلك لأن الأمر الطبيعي هو فهم التَّركيب ذاته دون اللجوء إلى قصد المتكلّم فهما علائقيا؛ بمعنى علاقة القضايا الموجودة في النَّصّ/الخطاب وفق التَّماذج الدَّلاليّة الّتي ذكرناها في الفصل السَّابق، وإلّا الّذي يكون غير طبيعي إذا أردنا البحث عن المعنى من عند المتكلّم ذاته؛ أي

¹ - هكذا وصفه "جون سيرل" في كتابه: "المعنى والعبارة"، حيث عقد فيه فصلا بعنوان: "المعنى الحرفي"

² - فيليب بلانشيه، التَّوَالِيَّة من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص 139. (المرجع السَّابق)

³ - يُنظر: عادل فاخوري، إلاقضاء في التداول الّسانيّ، عالم الفكر، المجلد 20، العدد 3، 1989م، ص 144.

محاولة الوصول إلى قصد المتكلم لا الكلام ذاته، وفي هذا تقول "بشرى البستاني" عن "بول جرايس" (Paul Grice) في تقسيمه: "يولي قصدية المتكلم أو ما يسمى بالدلالة غير الطبيعية اهتماما كبيرا"¹.

وقد حدد "بول جرايس" (Paul Grice) مفهوم الدلالة غير الطبيعية قائلا: "أن نقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلقظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه، بفضل فهم هذا المخاطب لنيته"².

فهم المتلقي لنية المتكلم يقع بشروط ومعطيات سنأتي عليها لاحقا، فإذا كان قصد المتكلم مضمرا لا يمكن معرفته في العموم إلا أن يكون المتكلم مستصحا معه المتلقي على أرضية مشتركة في بناء الخطاب على وضع خاص، فإن القواعد التي سطرها "بول جرايس" (Paul Grice) أثناء حديثه عن التضمنين التخاطبي تعتبر أساسية في تحليلية القصد، ووضعه على صورة مقبولة لدى المتكلم، حيث عرّفه بقوله: "إذا صدر شخص ما أن (س) يضمّر في خطابه ل(ص) قصدا ضمينا فهذا يعني أن الأول يراعي في خطابه ل(ص) ما يأتي:

1- أن (س) يراعي في خطابه ل(ص) قواعد التضمنين التخاطبي (Conversational maxims)، أو على الأقل المبدأ التعاوني (Cooperative principle).

2- أن يفترض أن (س) على وعي كافٍ بأن (ص) هو مقصود في خطابه...

3- أن يعتقد (س) بأن (ص) على وعي بالسليقة بأنه هو المقصود في خطابه على التعيين..."³.

ما قدّمه "جرايس" "بول جرايس" (Paul Grice) في القول الأنف ذكره تعتبر شروطا لنجاح عملية التواصل بين المتكلم الذي يضمّر قصدا معينا والمتلقي الذي يمتلك القدرة على فهم القصد، ذلك أن المتكلم يجب عليه أن يضع في حسبانته "مبدأ التعاون" الذي يعتبر من أساسيات مجال المحادثة ونتيجته "يؤدي إلى التواصل والتفاعل فيما بيننا

¹ - بشرى البستاني، التّداوليّة في البحث اللّغويّ والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012م، ص 86.

² - جورج يول، التّداوليّة اليوم "علم جديد في التواصل"، تر: سيف الدين دغفوس ص 53. (المرجع السابق)

³ - Chapman, Siobhan, Paul Grice Philosopher and linguist, p 20

مهما كانت الظروف المعتمدة... من هذا الجانب يقتضي الفعل التَّوَالِي من المتخاطبين عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتَّوَالِي¹.

وهذا التَّوَالِي والتَّفَاعُل لا يحصل إلا في ظل وجود شيء اسمه الحوار، وهو الذي تنفَعَل فيه عمليتي الإنتاج والتَّوَالِي، الأوَّل للمتكلِّم الذي يأخذ دوره، والثَّانِي للمستمع الذي يبحث عن القصد في ظلِّ السِّياق المشترك (وفق نظرية الأدوار، ونظرية التسلسل)، ولذلك تعتبر العملية الحوارية أساساً من أساسات مجال "التَّضَمِين التَّخاطِبِي"، ومنه يأتي موضوع "الاستلزام الحوارِي"، أو "الاستلزام التَّخاطِبِي"²، وحتى يكون حاضراً في كلامنا، لا بدَّ من عرض الكيفية التي يتحقق فيها، وقبل ذلك وجب عرض الصورتين اللتين تتم فيهما العملية الحوارية:

1. صورة يتم فيها مراعاة المتكلِّم لمبدأ التعاون، ويحكم هذا المبدأ مجموعة من القواعد التخاطبية وهي³:

أ- قاعدة الكم (القدر): وهي باختصار كمية المعلومات المنقولة، وتكون حسب السؤال، مثال: متى السَّاعة؟ يرِد المتلقِّي مخاطباً "الله أعلم" هنا تحقِّق مبدأ التعاون، ولكن إذا قال "ما المسؤول عنها بأعلم من السَّائل" كانت الإجابة طويلة ومستغرقة في البحث عن المعنى المقصود، هنا يحضر الاستلزام الحوارِي ليسدَّ الفراغ الذهني بناءً على السِّياق المعرفي الذي يمتلكه المتلقِّي في الحديث النبوي والآيات القرآنية.

ب- قاعدة الكيف: وهي عدم قول شيء يعتبر كذباً أو يحتمله، وكذلك عدم قول شيء ليس عندنا فيه دليل؛ لأن هذا يُعدَّ ادعاءً باطلاً، فالكيفية التي يؤدِّي بها الكلام كيفية صادقة ومبرهنة، ومثاله: لو سأل أحدهم شيخاً قال له هل الموت حق؟ وأجاب الشَّيخ نعم الموت حق، فهذه الإجابة صحيحة وتملك عليها أدلة من الواقع، ومن الدِّين لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ق: 23]، فهنا تحقِّق مبدأ التعاون، ولكن لو قال أحدهم مثلما نسمع في مجتمعنا: "لو تموت غدا ماذا تصنع؟" فيجيب العامي بقوله: "بعيد الشَّر"، فهنا خرق مبدأ الكيف وإجابته

¹ - ذهبية حمو الحاج، قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل، العدد الثاني، ماي، 2007م، ص 220.

² - جاء في هذا المصطلح عنوان لمقال بعنوان: "في الاستلزام التخاطبي في التراث اللِّساني العربي، لكادة ليلي، نُشر بمجلة علوم اللِّغة العربيَّة وآدابها، في العدد الأوَّل، من شهر ربيع الأوَّل، عام 1430هـ، ما يوافق مارس 2009م، وقد تحدَّثت فيه عن الاستلزام الحوارِي وقواعده من خلال رؤية تراثية.

³ - يُنظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللِّسانية (التَّوَالِيَّة)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط1، 2013م، ص 91، 92.

غير صادقة ولا يمتلك أي دليل على كلامته التي ألقاها العامة، فيستلزم حواريا أنه لا يريد أن يبلغ بأن الموت شر، ولكنه يقصد أن الموت ما زال بعيدا.

ج- قاعدة الطريقة: وتعني أن المتكلم يجتنب الغموض، ويتعد عن اللبس ما أمكنه حتى تظهر العبارة بمقصد غير مشتبّه على المتلقي، وأن يحسن نظم كلامه، وحسم بيانه، ومثال ذلك لو سأل أحدا شخصا يعرفه: "هل صليت اليوم؟" فيجيب: "نعم صليت اليوم"، فالعبارة واضحة، ولكن تكون ملتبسة وغامضة، حين يجيب بقوله: "صليت بغير وضوء"، فيتدخل الاستلزام الحواري ليسدّ الخرق الذي حدث في الجملة ويُقدّر الصلّاة التي صلاها بغير وضوء هي الصلّاة على النبي -صل الله عليه وسلم-، التي لا تحتاج إلى وضوء، فأزال الاستلزام الغموض بفضل الكفاءة المعرفية التي يمتلكها المتخاطبان.

د- قاعدة الصلة (الملاءمة/ المناسبة): وذلك بأن يكون المتكلم قاصدا الموضوع قصدا مباشرا، ومشاركته تكون إيجابية يجعلها على صلة مباشرة بموضوع التخاطب، وملاءمة لسياق الحال، ومناسبة لمضمون الحوار، كأن يقول قائل: "هل أنت مستعد للدراسة؟" فيجيب المتلقي: "نعم مستعد للدراسة" فهذا واضح وعلى صلة مباشرة بنص السؤال، وملائم لسياق الحال، لكن أن يجيب بقوله: "إني أحفظ القرآن"، فهنا يظهر الفراغ الكبير بين نص السؤال والإجابة، وبالتالي الاستلزام الحواري سيبي المعنى المضمر على تقدير أن حفظه للقرآن أولى من الدراسة العامة، وقد اعتبر بعض الباحثين أن هذه القاعدة تشمل القواعد الثلاث الماضية باعتبارها قاعدة تتعلق بالموضوع مباشرة، ويفترض في تحققها تحقق القواعد الأخرى.

2. وصورة يتجاوز المتكلم فيها "مبدأ التعاون"، وهذا التجاوز لا يكون سلبيا بقدر ما يفتح المجال لمفهوم الاستلزام الحواري، كالتخاطبات التي يتقاطع فيها المجاز وصور البيان مع المعنى الحقيقي، ويظهر هذا التجاوز عندما "يخل المتكلم عن قصد وعلانية بقواعد التخاطب، أو كما يعبر عن ذلك "جرايس" "بول جرايس" (Paul Grice) عندما يستخف (flout) المتكلم بهذه القواعد"¹.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 430. (المرجع السابق)

ويزيد تأكيداً على هذه الصورة الباحثة "دليلة مزوز" حين قالت: "وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر، ومن القرائن، وذلك بالذات ما عبّر عنه بالاستلزام التَّخاطُّبِيَّ"¹.

أوضحت الباحثة مفهوم "الاستلزام التَّخاطُّبِيَّ" على أنه مصطلح ثابت ومرادف للاستلزام الحواري، راجع ذلك إلى تعدد الترجمات، وبيّنت أن المعنى الضمني هو الذي يأتي من طريق المعنى الصريح المباشر، ويبقى ما قدّمه "بول جريس" (Paul Grice) اجتهداً يُحسب له رغم الانتقادات التي وجهت له، لأنها تسهّل عملية التَّأْوِيل، وتقرّب المقاصد، وتدفع الظنون الفاسدة، وتساهم في تقريب وسد الهوة التي انخرقت بين المتحاورين/ المتخاطبين.

وبما أن طريقتنا كانت عرض ما يوجد في النُّظَرِيَّة أو النَّمُودَج بطريقة مبسّطة، فإن مثلها أبسط منه إذا نظرنا في التراث العربي الأصيل، وبما أن دراستنا عربية فإننا نحاول الإقتراب من الأصيل على حساب الدخيل²، فتراثنا العربي مليئ بموضوع "الاستلزام" بكل فروعهِ اللُّغَوِيَّة، تحت مفاهيم متنوّعة، ولننظر مثلاً في كلام "بدر الدّين الزركشي" (ت 794 هـ) الذي يقول: "اعلم أن الألفاظ ظروف حاملة للمعاني، والمعاني المستفادة منها تارة تستفاد من جهة النطق والتّصريح، وتارة من جهة التّعريض والتّلويح...، والثّاني: هو المفهوم، وهو بيان حكم المسكوت بدلالة لفظ المنطوق...، فلمّا فهم من غير تصريح بالتّعبير عنه سمي مفهوماً"³.

ها هو كلام صريح جداً حول فكرة الاستلزام فسّمَاه "التعريض والتلويح" وهو المعنى الذي يُفهم بطريقة ما دون النطق به صراحة، رغم عدم بيانه الطريقة التي قد يُفهم بها، فلم يبين حقيقة مبدأ التعاون، ولم يشر إلى أي شيء يمكن الاستناد إليه في الاستلزام، وإنّما أراد بالتعريض أن نفهم المعنى بالتأويل لأن السّياق الذي ذُكر فيه يقتضيه، وإن كان

¹ - دليلة مزوز، الأبعاد التَّدَاوِيَّة في الخطاب القرآني - سورة البقرة أنموذجاً - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م، ص 64.

² - لا نقصد من مصطلح "الدخيل" إقصاء الدراسات الغربية بقدر ما نريد تبين أصولها الأولى أو امتداداتها عند العرب الأوائل.

³ - بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الكويت، ط1، 1988م، ج 3، ص 88.

قد اكتفى بذكر المعنى دون أسناده إلى قائله ومراعاة قصده، كما عرف العرب أيضا مصطلح "المنطوق غير الصريح" ويعرفه البغدادي (ت 739هـ) بقوله: "وهو ما لم يوضع له اللَّفْظ بل يلزم مما وضع له فيدل عليه بالالتزام"¹.

هنا ذكر لفظ "الالتزام" غير أنه في مقصود المعنى لا قائل المعنى، ويبقى الأصل في التَّوَالِيَّةِ هو البحث عن مقصود قائل المعنى لا المعنى ذاته؛ لأن المعنى ذاته دراسته تقع على عاتق الدَّرْسِ الدَّلَالِيِّ فحسب، وما يميز الدَّلالة عن التَّوَالِيَّةِ هو قيد الاستعمال والتَّوَالِي بين المتخاطبين، وإن كان هدف "الاستلزام الحواري" هو قريبا من هذا المفهوم العربي الذي ذكرناه؛ ثم يذكرون قسما آخر من "المنطوق غير الصريح" وهو الاقتضاء ويأخذ التعريف نفسه تقريبا، فيعرفه "تاج الدين السبكي" (ت 771هـ) بقوله: "دلالة اللَّفْظ على معنى مضمّر لازم للمعنى الذي وضع له اللَّفْظ متقدّم عليه، مقصود للمتكلّم، وجب تقديره ضرورة لتوقّف صدق الكلام أو صحّته العقلية أو الشرعية عليه"².

محمل القول؛ اللَّفْظ له معنيان معنى ظاهرا بيّنا، وهو ما أطلقنا عليه سابقا وصف "المعنى الحرفي"، ومعنى مضمرا داخل المعنى الحرفي، وهو الذي يُدرك بالاستلزام، ويبقى الاختلاف بين هذه الفهوم قائم على إدراك المنطقتين والتأسيسات التي بُنيت عليها، ف"بول جرايس" (Paul Grice) يرى أن الاهتمام ينحصر في المعاني المستعملة أي في اليوميات، لا في المعاني الموجودة في دلالة الألفاظ عرفا أو لغة، وعندما نقول المستعملة؛ أي التي يستعملها المتكلّمون للكشف عن مقاصدهم لا عن مقصد الخطاب ذاته، وبالتالي التركيز على عملية التخاطب/ التحوار، فالخطاب وحده لا يكفي ليتحقق فيه "مبدأ التعاون".

الحاصل: إن مجال الاستلزام الحواري يهدف إلى سدّ الفراغات الحاصلة بسبب خرق أحد قواعد التخاطب أو شروط مبدأ التعاون، وهذا يجعله قريبا من مفهوم التَّوَالِيَّةِ التي تُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، ولقد وضّحنا مفهوم الاستعمال الذي أهمّه "أوستن" (Austin) بالغموض، وأنه هو الدَّلالة مع إضافة لفظ "القيمة"، والتي تتجلى في الدَّلالة غير الطبيعية، وموضوعها فهم قصد المتكلّمين في سياق محدد، وقد اعتبر الاستلزام آلية من آليات التَّوَالِيَّةِ، وليس مجرد مجال أو مبحث متّصل بالتَّوَالِيَّةِ، فهو يُغطي النقائص، ويوجّه المقاصد إلى ما يحتمله سياق الموقف.

¹ - عبد المؤمن بن عبد الحقّ البغدادي الحنبلي، تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاهد الفصول، شرح: عبد الله بن صالح الفوزان، (د.ط.)، (د.ت.)، ج1، ص 233.

² - تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي المعروف بالسبكي، رفع الحاجب عن مختصر بن الحاجب، تح: علي محمد معوض، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1999م، ج3، ص 486.

أولاً: نَظَرِيَّةُ الْاسْتِزَامِ التَّخَاطُيِّ وَتَجَلِّيَاتُهُ فِي الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ "حِصَّةُ أَحْكِي حَكَائِكَ أُمُودَجًا"

بعد وضع فهم للنموذج بشكل واضح، وعرفنا أهمية قواعده في العملية الحوارية، وأزلنا الغموض عن بعض مقاصدها، فهمنا أن الأصل في الحوار يُبنى على "مبدأ التعاون" بتحقيق القواعد الخطابية اللازمة حتى يتم التَّواصل بشكل عاديٍّ، وأدركنا مفهوم الاستلزام حيث يحضر في حال خرق إحدى القواعد الخطابية، وهذا الخرق من شروطه أن لا يكون مقصوداً به الغموض، أو التضليل، وإنما لغايات أخرى، مثل الاستدراج.

أمّا عن الحصة فهي واضحة من خلال عنوانها "أحكي¹ حكايتك" تعرض مجموعة من الأطراف من أجل حلّ مشاكلهم، وإبراز معاناتهم قصد التعاطف معهم، وفي ذات الوقت تظهر عبارات تستحق الوقوف عندها لمعرفة مظاهرها واحتمالاتها في حال فقدان أو سقوط قاعدة من القواعد التَّخاطبية، والتي يجب أن يلتزم بها المتحاور في خطابه، لحصول مبدأ التعاون المشترك.

أ- عنوان الخطابات:

شريط1- هو ماشي باباهم.. وهي ماراهيش يّاهم.. وهادي هي الحقيقة الكاملة

شريط2- مقطع تقشعر له الأبدان، أم تبكي بحرقه، كل ما نروح نشوف وليدي نموت 20 مرة

شريط3- وحيدة بما تعرف شكون بابا الحقيقي.. وماحبش تخدملي كوارطي

ب- تاريخ الخطابات: نُشرت الحصة سنة 2023م.

ج- توقيت الخطابات:

شريط1- أربع دقائق وأربع وخمسون ثانية (4د، و54ثا).

شريط2- ثلاث دقائق وسبع وثلاثون ثانية (3د، و37ثا).

شريط3- دقيقتان وثمانية ثوان (2د، و08ثا).

د- تفريغ محتوى الخطابات: مثلما صنعنا في المطلب الأول نقوم بتجزئة الأشرطة الثلاثة حسب الأدوار، مع

حذف العبارات المكررة وغير المفهومة، والتي تفيد في عمومها التأكيد على تقرير الحدث، مع الاحتفاظ بالترميز نفسه (م) للمصلح أو الموجه، والثاني (ط1 أو ط2 في حال وجود طرفين).

¹ - خطأ لغوي في فعل الأمر "أحكي"، والأصل عملاً بالقاعدة النحوية يُحذف حرف العلة في الأمر فتصير "أحك" حكايتك.

الشَّرِيطُ الْأَوَّلُ:

ط1: "نَحْنُ كُنَّا بِكَرِي نَخْرُجُو بِسْتِيلُو، تَسْمَى الرِّقْمَانُ ضَرْكُ، هِيَ اللَّيْ اكْتَشَفْتَلْنَا بَلِّي هَذَا الطِّفْلُ مَحْطُوطٌ عَلَيْهِ، كُونِ مَا الرِّقْمَانُ، مَا نَعْرِفُوشْ، [...] كَيْمَا قَالَك تَخْرُجْ تَدِّي وَرَيْقِيكَ وَتَرْوَحْ. بِالصَّحْ ضَرْكُ كُلِّ شَيْءٍ رَاوْ مَسْجَلْ كَيْمَا قَالَكْ عَابَرٌ، إِيْسِي، كُلُّ شَيْءٍ بَايْنَلِكْ. كُونِ مَا الرِّقْمَانُ مَا عِنْدَنَا شْ خَيْر .

م: طيب، لما رفعت دعوَ قضائي فيها، واش من محكم [...]؟

ط2: محكمة تيارت.

م: محكمة تيارت؟

ط2: أهاه

م: على أي أساس تم رفض قضية إسقاط النسب؟ .

ط2: لعدم التأسيس، بلي أنا راني كاتب ورق، بلي مستعرف بلي هذا ولدي، وأنا ما كاتبتش أمام الله، [كلام

غير مفهوم] أمام القاضي، ما رفعت دعوَ ما درتش والو، ألعوب لعبتها الزوج تاعي.

م: يعني التوقيع مزور .

ط1: نعم .

م: طيب كشما كان حاج وخذ أخرى حبيت تزيد تقولها؟ كشما كان وصي حبيت تقولها كانش رسال للناس؟

ط2: تبني، تبني، حرام، أنا نشكركم نتوما لعطيطني هذ الفرص باه نبرأ نفسي، ونبرأ قاع (...). والحمد لله رب

العالمين لي هذا موجود.

في حال أنو القضاء ما فصلش في القضية هاذي، ما أسقطش النسب على الطفل، علباك راح يدخل في

الوث تاعك؟

ط2: في البيت [إيماء بالوجه] إن شاء الله، بإذن الله يسقط.

م: إن شاء الله، إن شاء الله، إذا كانوا بالاك في العدالة ما خذاوش معك اعتبار هاذي النقطة .

ط2: وأناي ناشد أنا الجهات المعروف، هذي الإنسان عندو كواغطو تاع لاداس، علاه راو مخطوط على اسمي

أنا؟، هذا طفل مُسَعَّد .

م: كشما كايّن حاج حبيتي تقولاها؟ .

ط1: اسمحلي تشوف هو الغني ربي سبحانه وتعالى [...]، الورث مشّي الورث، حاج ما تهميش تاع الورث، لهُمْنَا غَدُوّ يزوج مع أختو وَلَا مع عمتو وَلَا خالتو يكونو صغار عليه وتروح أجيال وأجيال [...]، ربي سبحانه عز وجل قادر على كلشي أمرو بين الكاف والنون، إذا أراد شي أن يقول له كن فيكون، نموتو قاع، دار كامل ماتت، والطفل قعد وتزوج مع أختو وَلَا تزوج مع...، تو ما يقولش نعرف، العلم لله، هي لا فيها تقوة رب العالمين، والنّاس راي تصلي وتقول الله أكبر، [...] تَصْنُفِي القلوب، وتشفي كيما قالك الداء [...]، تحكيلو وتقولو يا وَلَدِي، أنا جبتك وتعبت عليك وصهرت عليك صح صخ، بالصخ ماكش ولدنا، بغيت تقعد معايا، داركم، بغيت تروح، داركم، كما بغيت نت. هذا كيما قالك قضاء وقدر، والطفل كذلك ثاني مكذبها وقالت لاها بلي هاذا بويك، [...] .

م: صح سيد محمد أنا راني حاب منك رسال إلى النّاس لي راهم يزوروا هاد الوثائق تاع الأنساب، ويلحقوا أطفال مشي ولاد هاك النّاس ويمركيوهم على أسماءهم يديروها، ونت راك فاهم بيا هذ الدّرس بلي خطواتو وتبعاتو خطير جدّا، وشنو هي الرسالة لي توجهها للنّاس [...]؟ .

ط2: رسالتي هذا شيء ليس بالهين، باه تتكفل بطفل، صعب صعب جدا [...]، بياه تجيب طفل وتريه وتفهمه، البيئة ثاني ما تسمحش .

م: قصدك أنو مسؤولي كبير، لأنو الرسول عليه الصّلاة والسّلام أوصانا بالكفالة للأيتام، هو الأمر يحتاج إلى مسؤولي، يعني مشي لُعب، وماشي تاست، وماشي نجيبو طفل صغير نربّوه، وبعديك لسبب أو لآخر نخليوه، لأنو [إلابو] مشي حاج مؤقتا نمدوها للأطفال وبعديكي يكبر نشوفو أغلب الأطفال يتصدموا بهذا الحقيق برا في المخدرات وَلَا في مجالات واحد أخرى فقط لأنو، اللي داه من المركز وعدو بحياة ومبعد مقدرش يوفي بمذايك الحياة، على كلّ أنا مضطرّ باش نخليكم تروحو ضرك لأنو حرارة الستوديو مرتفع، ونتوما بسبب حصص الأشعة ما تقدروش تحملوا السخان، قلت كلش يعني؟ .

ط2: بارك الله فيك، الله يعطيك [...] نشكر قناة الشّروق والشّيخ تاعنا والحاضرين، والحمد لله رب العالمين .

م: الله يسلمك .

ط2: ونتمنى يعني أن يسقط هذا الطريق [...] باه نلقى ربي نظيف وصاي. من التّبني هذا ما كان. من هذا الباب، والله كان من هذا الباب .

م: إن شاء الله، إن شاء الله سي محمد¹.

الشَّرِيطُ الثَّانِي:

م: "دوكا، كيفاش راهو آدم؟ .

ط1: آدم راهو بعشرين عام، كي نمشي لعنده نبكي ونقولو أولدي اسمحلي، يا ولدي ضيعتك، يقولي يما هذا ربي كتهالينا، أنا نحشم متاه، [...] يقولي بلي مكتوب تاع ربي إني نعيش في الحبس هذي الكلمة تضرني، [...]، أنا سببت بعشرين عام يا ريت داووني أنا، يا ريت أنا نقول الإعدام، راني نموت كل يوم بعشرين خطر، [...]، دخلت عند المدير تاع بالعسل الإنسان محترم [...]، قاع في المستوى، يعاملوني غايي كي ندخل عندو، بالصح أنا ما قديتش نروح للدار، ضيعلتها حياتها ضيعلتها، [...]، إلى كاين شي مسؤول، ولّا وزير العدل ولّا أي إنسان ولّا قاضي العقوبات تاع المجلس، أي درت المذكرة أي خايف يرفضوها، يرفضولي المذكرة يعني ولدي (يتكوندان) بعشرين عام، يشوفولي المذكرة يعاودولي القاضي يشوفوا يلقاو يتبعوا القاضي كيما راني نهدر .

م: هذا هو آدم يعني؟

ط1: هذا هو آدم ولدي .

م: كي خلتيه خلتيه هاكذا آه؟

ط1: واه، هاكذا. [ضمت الصورة في حالة بكاء شديد]

م: خليها خليها لعندك، طيب أنا عندي فضول نعرف ردة فعل حوك، حوك لي شاف الأمور وين وصلت.

ط1: خويا وقف معايا في لول، قالّي نبيع الدار نجري عليه، نديرو حل، كي ما دا البراء ولّا يفوتلي في خواتاتي يعايروني، وأنا هذي الحصّ عندها عواقب، عندها عواقب، أنا في دار الشرع ييغو يضربوني كي شغل احنا جبوري وهو بن عاشوري كاين عنصري بناتهم، الله يجيب الخير وصاي أستاذ .

م: لا لا شغل من قبيل حكيثيلي ما نيش عارف إلى حبيتي تحكي على هذي النقطة قلتيلي بلي خويا كي شاف بلي (لافار) كبرت ما حبش يقول بلي يعني آدم خاطية؟ .

ط1: لحد الآن راه في المؤسّس جاه ربي يا مراد أنا الخصم التاعبي الخصم ...

¹ - <https://2u.pw/zunJpEfB>, It was viewed on: 09/04/2024 at: 13:34

م: لا لا قبل ما يدخلوا للسجن أنا حبنا مع الأول .

ط1: الخصم الخصم وقف معايا وقف قال كلمة الحق، نورمالو كي قتلو خوه يشهد فينا قاع، صوا قال كاين ربي، قالمهم ولدها كان مدايز معايا بالبويني وما كان رافد والو، يا مراد هذا الخصم وقال هك جاه ربي ولدي راه ضايغ أنا وقفت معاك في الأول مراد، [مع شهقة بكاء] [...], هو راه [...]. البراء تاعو في السن لكان يقول الحقيق ولدي يخرج، ما يقعدش لداخل، شا هو السؤال أستاذ .

م: السؤال أنو خوك يعني خوك أيضا ما حبش يقول بلّي آدم خاطيه .

ط1: ما قالش أنا معلبليش، أنا كي دخلت عند قاضي التحقيق قالي يا (مادام) خوك راه راه شاهد في وليدك، أنا خرجت حسبت حيلة القاضي بقيت نضحك، قتلهم بِشْمَتْنِي، وقالي خوك باش نقول خويا، هو القاضي كان يقولي صراح وكان ينصح فيا، وأنا معلباليش¹.

الشَّرِيطُ الثَّالِثُ:

ط1: "كان أم زوج تاعي نوجهلها تحية من هذ المنبر، قتلهاها اقعدي مع بنيتك وين رايح عوضيلها على واش فات، لا حياة لمن تنادي.

م: في الثلاث يام اللي قعدت فيهم عندك في الدار ما فتحتش معاك الموضوع؟ تع نت كيفاش جيتي؟ كيف زدتي؟ كيفاه باباك؟ .

ط1: الأب تاعي [...] كل مرّ حكاي، [...]، ووحدا ما تشبه لختها، والإنسان كي يعود بعقلو يحتم إنسانة في ثنين وتسعين (92)، في ذاك اليوم، مستحيل تعود [...] راني كنت (أونتر بارونتاز) حاشاكم كنت نخلط، مكانش (أندي دو)، يا واحد من العائل، اللي راني هذي اكتشفتها مؤخرًا، يا واحد كان موهرها تاع بإسم الحب، مكاش منها تاع كنت نخلط مانيش عارفة باباك شكون، مرّ كنت نخلط مانيش عارفة شكون، مرّ راهم راه صرالي مشكل مع جماع، ما نعرفهمش .

¹ - <https://2u.pw/3A0hJHM2>, It was viewed on: 16/04/2024 at: 16:43

م: يعني هي قصدك من هذا الكلام إنو هي متأكد وعارف عارف وين راه باباك؟

ط1: أنا متأكد ميا بالميا (100 %) بلي هي عارفاتو، وما حبتش تقولي بيه من العائل .

م: طيب نكملوا في للل .

ط1: كي هدرت معاها قاتلي، قتلها في هذ العام وثلاث شُهرْ علبالك بلي راني، كنت (أونسانت) وزيدت،

وئني راه قريب يولي يمشي، أي واحد [...] بزاف علاه تجيبي في الذراري قاع هذ، ذراري تاع هاد الوقت ولّاو يعيىو،

قتلها لا لا رامّ الوالدين هوم اللي يعيىو، ولاتي ما همش معيني ومعيني اللي واحد هارب منّا واحد هارب منّا،

وبعدو قتلها قتلها يا أرواحي أسيدي سويلي الوضعي وريلي بوي شكون إجدي، سويلي وضعيتي أخدميلي (ليابي)

تواعي راني اتدمرت راها ياك راك شفت .

م: شفت شفت ضرك نحكو عليهم .

ط1: آه، ديبلوماسي صوالحي أمري أرواحي أفضيلي أخدميلي كوارتي وروحي أسيدي، ربي يسهل"1.

هـ – طريقة العمل: نقوم برسم جدول ونقسمه حسب القواعد التخاطبية الأربعة، مع الحرص على تبين مقاصد

الملفوظات، ثم نعقب بتعليق نشرح فيه ما اجتمع في الجدول مع محاولة اقتراح نص بديل لعينة واحدة تجمع القواعد

كاملة في العملية التحوارية.

ثانيا: القَوَاعِدُ الْخِطَابِيَّةُ فِي الْعَمَلِيَّةِ التَّحَاوِرِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ:

ملفوظ	كم	كيف	صلة	طريقة
"نَحْنُ كُنَّا بَكْرِي نَخْرُجُو بَسْتِيلُو، تَسْمَى الرِّقْمَانْ ضَرْكُ، هِيَ اللَّيْ اكْتَشَفْتُنَا بَلِّي هَذَا الطِّفْلُ مَحْطُوطٌ عَلَيْهِ".	الإفراط في ذكر التفاصيل غير الضرورية عن الفارق بين الماضي والحاضر في (الكتابة اليدوية مقابل الرقمنة) رغم أن هذا التفصيل ليس محورياً لقضية النسب المطروحة، وكذلك	هناك ادعاء ضمني بأن الرقمنة كشفت أمراً بالغ الأهمية (الطفل محطوط عليه)، ولكن لا يتم تقديم أي دليل عن الكيفية التي حدث بها		في العبارة الثانية غموض شديد، غير واضح المقصود لولا السياق الذي يحيل إلى موضوع

1- <https://2u.pw/yDbLuu2j>, It was viewed on: 17/04/2024 at: 19:54

الافتشاف.		ذلك، أو مدى موثوقية هذه المعلومة من الرقمنة.	التكرار المفرط لهذه النقطة لا يعزز الموضوع الأساسي.	"كون ما الرقمان، ما نعرفوش".
المصطلحات القانونية (مثل عدم التأسيس) تُستخدم دون تبسيط أو تفسير، مما يجعل الإجابة غامضة بالنسبة لمتلقي عادي.			نقص في الشرح القانوني: هنا المعلومة غير كافية؛ لم يُشرح الأساس القانوني بشكل وافٍ، مما يترك غموضاً حول السبب الحقيقي للرفض.	"على أي أساس تم رفض قضية إسقاط النسب؟"، تمت الإجابة بـ: "لعدم التأسيس، بلي أنا راني كاتب ورق، بلي مستعرف بلي هذا ولدي".
	ذكر الأجزاء الدينية مثل (ما كاتبتش أمام الله) قد تكون غير ذات صلة بالسياق القانوني للقضية، ويبحث على إدخال الموضوع جهة أخرى قصد التعاطف معه.	معلومات مشكوك فيها حيث يظهر تضارب في كلام المتحدث حول موقفه من الاعتراف بالطفل، مما يجعل صدقه موضع شك ويثير تساؤلات حول الأدلة المقدمة. هذا الادعاء لم يتم دعمه بأي دليل خلال الحوار، مما يترك مجالاً للشك في صحة المعلومة.	العبارة تشير إلى أفعال (أو عدمها) مثل "ما رفعت دعوى، ما درتش والو"، لكنها لا تشرح كيف أثرت هذه التصرفات على مسار القضية، وهذا يعتبر إيجازاً محالاً.	"أنا راني كاتب ورق، بلي مستعرف بلي هذا ولدي، وأنا ما كاتبتش أمام الله [...] أمام القاضي، ما رفعت دعوى ما درتش والو" "التوقيع مزور"
استخدام لغة	ذكر هذا السيناريو	الغلو في وصف	الإفراط في العاطفية (مثل)	"نموتو قاع، دار

كامل ماتت، والطفل قعد وتزوج مع أختو".	نموتو قاع، دار كامل ماتت) قد يكون زائداً عن الحاجة، ولا يخدم النقاش بشكل مباشر.	المخاطر: المبالغة في وصف السيناريو الأسوأ (زواج الطفل بأخته) يبدو الكلام غير منطقي تماماً.	قد يكون محاولة لجذب الانتباه، أو إثارة القلق، لكنه غير متصل فعلياً بالمناقشة حول إسقاط النسب.	عاطفية مكثفة يزيد من التشويش، ويبعد التركيز عن القضية الرئيسة.
"نَحْنُ كُنَّا بَكْرِي نخرجو بستيلو" "نَصْفِي الْقُلُوبُ، وتشفي كيما قالك الداء".		إذا كانت العبارة الثانية رمزية، فهي تخالف قاعدة الكيف لأنها لا تُوضح المقصود الحقيقي منها.	إدخال موضوعات جانبية: تعتبران خروجاً عن موضوع النسب، وتُشتت الانتباه عن النقطة الأساسية للنقاش.	في العبارة الثانية رموز ليس لها ما يوضحها في سياق أو تطبيق عملي لهذه الأفكار.
"على أي أساس تم رفض قضية إسقاط النسب؟".				
"العلم لله، هي لا فيها تقوة رب العالمين" "بغيت تقعد معايا، داركم، بغيت تروح، داركم".	في الجملة الأولى : المستمع قد يحتاج إلى معرفة السبب أو الأمثلة التي تدعم هذه العبارة، لكنها لم تُقدم.		إفحام الدِّين والمجتمع: هذه العبارات تحمل قيم دينية ومجتمعية لكنها قد تكون غير مرتبطة بشكل مباشر بالقضية القانونية.	العبارة غامضة لم تُفسر بشكل دقيق معنى "لا" فيها تقوة ربي"، مما يجعلها مفتوحة للتأويل.

"لعبتها الزوج تاعي" "بلي مستعرف بلي هذا ولدي"				تُظهر غموضاً في التعبير عن المسؤولية وعن السبب الحقيقي وراء عدم إسقاط النسب.	
"تشوف هو الغني ربي سبحانه وتعالى [...] الورث مشي الورث"				العبارة تبتعد عن أصل النقاش) قضية النسب)، وتتحول إلى تعبيرات دينية وعاطفية عامة لا علاقة لها بالسّياق.	
الشّريط الثّاني					
"آدم راهو بعشرين عام، كي نمشي لعنده نبكي ونقولو أولدي اسمحلي، يا ولدي ضيعتك..." "دخلت عند المدير تاع بالعسل الإنسان محترم [...] يعاملوني غاي كي ندخل عندو، بالصبح أنا				العبارة تتجه نحو مشاعر المتحدث أكثر من تقديم تفاصيل مفيدة تتعلق بالموضوع الرئيسي (وضع آدم القانوني أو الاجتماعي). العبارة لا ترتبط بالسّياق الرئيسي للقّاش (قضية آدم)، بل تنحرف لتقديم	
تفاصيل طويلة وغير ضرورية: حيث يفرط المتحدث في التفاصيل حول معاناته الشخصية وعلاقته بابنه "آدم"، دون إضافة معلومات رئيسة للموضوع الأصلي، علما أن المبالغة في السرد تشوش على المستمع. ومن التفاصيل غير الضرورية ذكره لمعاملة المدير، كان من الممكن اختصار هذه					

ما قديتش نروح للدار	الملاحظات.		نحو تفاصيل غير ذات صلة (التعامل مع المدير).	واضح.
"يا ريت داووي أنا، يا ريت أنا نقول لإعدام، راني نموت كل يوم عشرين خطر" و "أنا ما قديتش نروح للدار، ضيعتلها حياتها ضيعتلها".	الإفراط في التفاصيل العاطفية: وهو ما يظهر من العبارات أنها عاطفية جدًا، وتعكس الحالة النفسية للمتحدث، مع عدم تقديمها للموضوع الرئيسي المتعلق بحالة آدم القانونية أو السبب وراء الحكم عليه.	قد تكون العبارة تعبيرًا عن مشاعر مبالغ فيها (الرغبة في الإعدام) مما يثير التساؤل حول صدقها كتصريح أو استخدامه كتعبير عاطفي بحت.	العبارة تخرج عن سياق النقاش الواقعي أو القانوني، وتتحول إلى تعبير عاطفي بحت قد لا يكون مناسبًا للسياق الأساسي.	الأسلوب درامي وغير منظم، مما يجعل الصعب التركيز على أي نقطة أساسية قد تحملها العبارة.
"لما خلتيه خلتيه هاكدًا آه؟" أو "ما حبيتش تقول بلي آدم خاطيه؟" أن تبرئ "آدم".	نقص في بعض المعلومات القانونية: فالإجابة لم توضح بشكل واضح ظروف القضية، أو الأدلة التي يمكن أن تبرئ "آدم".			
"الخصم الخصم وقف قال كلمة الحق، نورمالو كي قتلوه خوه يشهد فينا قاع". و "قالهم ولدها كان مدابر معايا بالبووي وما كان هذا الشجار له رافد والو".	العبارة تفتقر إلى تفاصيل كافية. ما هي "كلمة الحق" التي قالها الخصم؟ كيف أثرت على القضية؟ العبارة مختصرة جدًا ولا توضح كامل السياق كما أن العبارة الثانية تفتقر إلى تفاصيل تشرح ما حدث بعد ذلك، وكيف أثرت	غموض وادعاءات غير مدعومة: فالعبارات تشير إلى وجود شهادة تبرئ "آدم"، لكنها لا تستند إلى دليل ملموس، مما يثير تساؤلات حول مدى صحة الإدعاءات.		العبارة ليست واضحة تمامًا؛ الكلمات "كان مدابر معايا بالبووي" لا توضح ما إذا كان هذا الشجار له تبعات قانونية أو

أخلاقية واضحة.			هذه الحادثة على مجريات القضية.	
العبارة غامضة ماذا يعني "حسبت حيلة القاضي"؟ وكيف أثّرت على النقاش أو القضية؟		معلومات مشوشة: هذا الملفوظ يعبر عن سوء فهم أو تشويش حول دور الشقيق كشاهد، مما يضعف مصداقية ما يُقال.	العبارة تُظهر موقفًا حدث مع القاضي لكنها لا تقدم معلومات كافية عن محتوى الشهادة أو دور الأخ كشاهد في القضية.	"القاضي قال لي خوك راه شاهد في وليدك، أنا خرجت حسب حيلة القاضي بقيت نضحك."
	إدخال مواضيع جانبية: تخرج عن السياق القانوني وذكر قضايا شخصية خارج عن مسألة سجن "آدم"	المتحدثة تقدم تصورًا شخصيًا عن وجود "عنصرية"، لكنه لا يحتوي على أدلة ملموسة، فالسامع قد يتساءل عن مدى صحة هذه الإدعاءات		"أنا في دار الشرع ييغو يضربوني كي شغل احنا جبوري وهو بن عاشوري كاين عنصري بناتهم"
الغموض والتكرار فـالمتحدثة تكرر النقاط نفسها حول القضية الأساسية غير واضحة.				"هو راه [...] البراءة تاعو في السنّ لكان يقول الحقيق ولدي يخرج، ما يقعدش لداخل".
الشَّرِيطُ الثَّالِثُ				
العبارة غامضة	العبارة تتعدد عن		الإفراط في التفاصيل:	"راني كنت (أونتر

بارونتا (حاشاكم كنت نخلط، مكانش (أندي دو)، يا واحد من العائل، اللي راني هذي اكتشفتها مؤخراً...". "ديلوماتي صوالحي أمري أرواحي أقضي لي أخدميلي كوارتي...".	المتحدثة تضيف تفاصيل كثيرة عن حالتها العاطفية، والاجتماعية، ولكن في الماضي، ولكن بعضها يبدو زائداً، مع التكرار والإفراط في التعبير عن المطالب الشخصية، يطيل النصّ دون تقديم جديد يتعلّق بالسؤال المطروح أو النقطة الأساسية.		النقاش الأساسي (القضية القانونية أو الاجتماعية) وتقدم محتوى شخصياً غير ذي صلة مباشرة بالموضوع، والحديث عن "اكتشافات مؤخراً" يبدو غير مرتبط بالسياق العملي للحوار.	للغاية وغير منظمة؛ استخدام عبارات مثل "كنت نخلط" و"مكانش أندي دو" دون توضيح يجعل الرسالة غير مفهومة تماماً.
"أنا متأكد ميا بالميا (100%) بلّي هي عارفاتو، وما حبتش تقوليّ بيه من العائل".	العبرة تقدم معلومة مهمة (الشخص الآخر يعرف الحقيقة ولم يفصح عنها)، لكنها لا تدعم هذه المعلومة بتفاصيل، أو أدلة توضح كيف وصل المتحدث إلى هذا "اليقين المطلق" استخدام "ميا بالميا" يعزز الإطلاق، لكنه يفتقر إلى سياق مفسر.	الشكوك حول معرفة "الأم": تأكيدها المطلق بأن الأم تعرف الحقيقة يعكس استنتاجها الشخصي، وليس معلومة مؤكدة، مما يجعل هذا التصريح عرضة للتشكيك.		
"ذاري تاع هاد الوقت ولاو يعييو، قتلها لا لا رام"	العبرة طويلة ومتشعبة لكنها لا تقدم قيمة معلوماتية واضحة تخدم		إدخال مواضيع جانبية: مثل الكلام عن (انتقاد الأجيال	

	الصغيرة أو الوالدين)، وهو بعيد تمامًا عن السؤال الرئيس المتعلق بوضع الأب.		النقاش الرئيس.	الوالدين هوم اللي يعيبو..."

(جدول 01)

تعليق:

يبدو أن الخطابات الثلاثة سجّلت خرقاً كبيراً للعملية التحاورية الناجحة، بسبب مخالفتها للقواعد التخاطبية الأربعة، وهذا ما كشف عنه الجدول، سنعرض أهمّ التعليقات في النقاط التالية:

1- قاعدة الكم: نلاحظ أن الخطابات كلها تخلّلتها الخرق ولو كان نسبياً، وهذا الخرق في الكم له أسبابه منها: عدم تنظيم الأفكار، والتكلّم باللهجة العاميّة، وعدم التركيز على موضوع محدّد، هذه كلّها كانت سبباً مباشراً في طول العبارة أو قصرها، وهذه القاعد تشترك مع قاعدة الطريقة، فإنه بالضرورة إذا لم تكن الأفكار واضحة فهو بسبب قصرها، وإذا كانت مشتتة غير منظّمة ودقيقة فهو بسبب طولها.

2- قاعدة كيف: وهي من القواعد الأساسيّة في إبراز قوة الخطاب؛ إذ يتطلب كل ادعاء دليلاً تقوم به حجة القول، فإذا تكلم أحدنا كلاماً غامضاً أو قصيراً أو طويلاً أو عاطفياً يغيب عنا استحضار الدليل، وإن توقّر فهو يضعف إذا لم يكن الخطاب منظّماً وواضحاً، فهذه القاعدة طريق إلى بناء موضوع الحجاج؛ إذ من مقوماته اعتماد المنطق في تضمين الدليل، فليس كل دليل يصلح للاستدلال ولو كان صحيحاً، فمن شرط الدليل موافقته للسياق وهو ما يُعرف بقاعدة المناسبة، كلما كان الكلام مناسباً للسياق صار أكثر حجّية، وإن كانت القاعدة في بعض الأحيان تنفرد بنظام وشرط خاص، ولننظر في مثال من الخطاب الأوّل حين قالت المرأة: "نَحْنُ كُنَّا بَكْرِي نَخْرُجُو بَسْتِيلُو، تَسْمَى الرُقْمَانُ ضَرْكُ، هِيَ اللَّيْ اكْتَشَفْتَلْنَا بَلِّي هَذَا الطِّفْلُ مَحْطُوطٌ عَلَيْهِ"، هذا يعتبر ادّعاءً وكما هو معروف كلّ ادّعاء فهو مدان حتى تثبت براءته، حسب قاعدة القانون العام، مما يثير الشكّ حول القضية كيف للرقمنة أن تكتشف حقيقة نسب الطفل لو لم يكن هناك أحد قام بإدراجه من قبل في الرقمنة؟، وكيف ستعلم الرقمنة أو أحد من غير عائلة أن الطفل ينتسب إلى جهة ما؟، ولذا ما قدّمته المرأة من توضيح يخرق قاعدة كيف، فقولها: "كنا

بكري نخرجو بالسّيلو" ليس مبررا أبدا في عدم إثبات النسب للطفل أو إثباته، ولذلك قدّمت حجة غير منطقية تماما، وبه قد يسقط الخطاب كله.

ويوجد أيضا في الخطاب الثاني ادعاءات كثيرة نأخذ منها هذه العبارة: "أنا في دار الشرع ييغو يضربوني كي شغل احنا جبوري وهو بن عاشوري كاين عنصرى بناهم"، ملفوظ ييغو يضربوني، وملفوظ كاين عنصرية جملتان غير متكافئتين، لم تُثبت المرأة موضوع الضرب إلا على وجه الادّعاء بقرينة "ييغو" معناه لم يحصل الضرب حقيقة، وبررت ذلك بوجود عنصرية بين القبيلتين، فلا يمكن إثبات الضرب ولا يمكن إثبات العنصرية كذلك؛ إلا على وجه الخبر المحتمل للكذب والصدق، لأنه لا دليل منطقي تماما على هذا الكلام.

وفي الخطاب الثالث عندنا ادعاء في ملفوظ: "أنا متأكد ميا بالميا بلّي هي عارفاتو، وما حبتش تقوليّ بيه من العائل"، أثبتت وأكدت بأن الطرف الذي خاطبته الضحية يمتلك حقيقة النسب، غير أنها لم تقدم أي دليل، مجرد كلام، وربط عشوائي، والعنصرية بين القبيلتين ليس لها مبرر على عدم الاعتراف بالابن المسجون.

3- قاعدة الصلة (المناسبة/ الملاءمة): كما أشرنا سابقا بأنه أصل كل القواعد باعتباره يشمل الكم من حيث زيادة التفاصيل غير المناسبة كإقحام العاطفة، أو نقصان المعلومات ذات الصلة المباشرة بالموضوع، يؤدي إلى الإخلال بالسياق العام للملفوظ، وكذلك من ناحية الكم عندما لا يقدّم المتكلم ملفوظات عليها دليل واضح يُعتبر ما يقوله غير مناسب للسياق، وهكذا بالنسبة لقاعدة الطريقة التي تنضبط بالوضوح والدقّة والتنظيم، إذا لم يحصل التنظيم كان خروجاً عن السياق، ولا يلزم إذا حصل العكس؛ أي إذا حصل الخروج عن السياق فقد يتوفر على الكم والكيف والطريقة، ومثل ذلك عند أخذ ملفوظ من الخطاب الأوّل "تشوف هو الغني ربي سبحانه وتعالى [...] الورث مشّي الورث" إدخال الدّين يمثل خروجاً عن السياق الأساس، ولكنه ليس بالضرورة طويلاً أو قصيراً، كما أنه يعتبر الكلام مصحوباً بالدليل؛ وهو أن الله غني حقاً، وأن الورث موجود حقاً، وبالتالي يعتبر الملفوظ حسب قاعدتيّ الكم والكيف موفّقتان، وبالتالي ليس بالضرورة أن يؤدي خرق قاعدة الصلة بقية القواعد الأخرى ولا العكس، بل الأمر حسب طبيعة الكلام وموقعه في الخطاب.

4- قاعدة الطريقة: تعتمد هذه القاعدة على ضابط الوضوح والتّرابط المنطقي بين أجزاء الكلام، لتشكيل خطاب متماسكٍ تداوئياً، فهذه القاعدة تُبين عن مدى وضوح الخطاب على لسان المتكلم ومدى قبوله ورفضه لدى المتلقّي، فكلما كانت درجة تنظيمه مرتفعة فُيل دون أي تأويل، وكلما نقصت درجة الوضوح فيه أدى إلى فتح باب

التأويلات المتعددة، ولناخذ من الخطاب الثاني هذا الملفوظ: "على أي أساس تم رفض قضية إسقاط النسب؟"، تمت الإجابة بـ: "لعدم التأسيس، بلي أنا راني كاتب ورق، بلي مستعرف بلي هذا ولدي".

فمصطلح "عدم التأسيس" يُعتبر من المصطلحات القانونية التي لا يفهمها كل المخاطبين، فعدم توضيحه يؤدي إلى انخراط القاعدة جزئياً، ولكن عند النظر في هذا الملفوظ: "راني كنت (أونتر بارونتاز) حاشاكم كنت نخلط، مكانش (أندي دو)، يا واحد من العائل، اللي راني هذي اكتشفتها مؤخراً..."، نرى خرقاً كلياً للقاعدة، حيث استعملت المتحدث ألفاظاً "أجنبية" (أونتر بارونتاز) و(أندي دو) ولفظاً عاماً (كنت نخلط)، فالمستمع قد لا يفهم هذا التركيب، ولا يُدرك معنى (كنت نخلط)، الذي يكافئ عبارة (كنت أمارس الفاحشة مع الكثر من الرجال)، بهذه العبارة الواضحة يُدرك المستمع مقصود المتكلم ولا يفتح له مجالاً للتأويل؛ لأنه اعتراف يتحمل صاحبه عواقبه.

ملاحظة: الأسئلة المطروحة غالباً تتوقّر على جميع القواعد التخاطبية، لا يحتاج إلى بيان الخرق إلا نادراً، مثل السؤال الغامض أو الخارج عن السياق كلياً ومثل هذا ورد في الخطاب الأول سؤالاً مفاده: "على أي أساس تم رفض قضية إسقاط النسب؟"، فقد طرح سؤالاً يطلب فيه المعلومات الكافية (الكم)، والحجج المناسبة (الكيف)، ولم يخرج عن سياق القضية (الصلة)، واتّسم بالوضوح والمنطقية (الطريقة).

خلاصة تحليل الخطاب الثالث:

الخطاب يخرق قواعد العملية التخاطبية بدرجات متفاوتة:

خرق على مستوى قاعدة الكم: الإفراط في العاطفة مع نقص في التفاصيل القانونية.

خرق على مستوى قاعدة الكيف: تقديم تصريحات مشكوك فيها دون أدلة.

خرق على مستوى قاعدة المناسبة: الابتعاد عن الموضوع الرئيسي في عدة مواضع.

خرق قاعدة على مستوى الطريقة: غموض في التعبير وعدم تنظيم واضح للحوار.

ثالثاً: إعادة بناء الخطاب الاجتماعي الثالث وفق القواعد التخاطبية:

ط1: "كاين أم زوج تاعي، [قالت لماما] اقعدني مع بنيتك عوضيلها على واش فات.

م: في الثلاث يام اللي قعدت فيهم عندك ما فتحتش معاك الموضوع؟".

ط1: الأب تاعي كل مرَّ يحكي حكاى، والإنسان كي يعود بعقلو يختم إنسانَ [لهي أُمي] في ثنين وتسعين (92)، مستحيل [تكون تمارس الفاحش، يا دارت مع] واحد من العائل، يا واحد بإسم الحب.

م: يعني قصدك من الكلام إنو هي متأكد وعارف وين راه باباك؟

ط1: [الله واعلم ممكن من العائلة ما عنديش دليل باين]

م: طيب نكملو.

ط1: كي هدرت معاها، قتلها علبالك بلي كنت [حامل] وزيدت، وبني راه قريب يولي يمشي، [قاتلي] بزاف علاه تجبي في الذراري، وبعدو قتلها أرواحي أسيدي سويلي الوضعي وزيلي بوي شكون، أخدميلي (لباني) تواعي.

تعقيب:

حذفت كل العبارات الطويلة والعاطفية والفرنسية، وتركت لب الحوار، وأصل القضية (البحث عن نسبها)، دون الذهاب إلى التفاصيل المرهقة والمشتتة، بهذه الكيفية صار الخطاب متماسكا تداوليا، بعد تعويض بعض الكلمات والجمل كمكافئات، وسد لفراغات محتملة من طرفي حتى يكون الخطاب منطقيا ومنسجما إلى حدٍّ ما.

الحاصل:

موضوع الاستلزام التخاطبي مهم جدا لمعرفة ما يتضمنه الخطاب من مقاصد، ورغم هذا فإنه مع توفر القواعد كلها، وانتظام المعاني يبقى التأويل قائما إذا أخذنا الخطاب معزولا عن قائله؛ أي دراسته كنص مستقل عن إرادة صاحبه، سيكون للقارئ دورا خاصا في قبوله، وهنا يأتي مبحث الدلالة ليدرس المعاني الصريحة والمضمرة، وحينها يصير الاستلزام الحوارى، استلزاما للمعاني فقط لا للحوار؛ لأن دخول مصطلح الحوار يقتضي وجود على الأقل مستعملين، وبالتالي موضوع الاستلزام ذكره العرب كما أشرنا إلى ذلك قبل التطبيق لفظا ومعنى، وأرادوا به ما يلزم من المعنى معنى آخر ضمني، يُدرك بالسياق الكلامي فقط، وعندئذ يصير مبحثا من مباحث علم الدلالة، منحصر في البحث عن المعاني وفق النماذج الدلالية التي أسسنا لها في الفصل الماضي، بينما لو أخذناه بقرينة الاستعمال صار مفهوما تداوليا بامتياز، وحين سماع المتكلم لا يتبادر إلا قصدا واحدا ولو كان نسبيا، بينما لو أخذناه من النص مباشرة تفتح أما المتلقي العديد من الاحتمالات.

فَصْلٌ رَابِعٌ

الدرسُ التداوُّيُّ في تحليل الخطابِ الاجتماعيِّ عَيْنَاتُ مِنَ الشُّرُوقِ "أُونْ لَإِينْ"

مطلب ثالث: الاستِخداماتُ التَّطْبِيقِيَّةُ لِلتَّقْنِيَّاتِ
الْحَاجَجِيَّةِ لِنُموذَجِ "بِرُلْمَانْ" وَ"تَيْتِيكَ"

مطلب ثالث: الاستخدامات التّطبيقيّة لِلتّفنّيات الحِجَاجيّة لِنَمُودَج "بِرْلَمَان" وَ"تِيْتِيكَا"

عُرف الحِجَاج على أنه أحد المباحث المهمة الّتي تشترك في بناء تصور مفهوم التّداوليّة وأنه "مجال ثريّ من مجالات البراغماتية يتقاطع مع الكثير من المعارف الأخرى"¹، ذلك أن الأطروحات الّتي تتبنّاها التّداوليّة إما أن تكون من أصل فلسفي ومنطقي، هدفها دائما هو الإقناع بأي وجه من الوجوه، وإما أن تكون من أصل لساني يُعنى بالتخاطب والتمكّلم وهدفها الوصف، وتجتمع كلّها تحت مجال عام وهو "البراغماتية"، ذلك أن وصف الاستعمال اللّغويّ بين المتكلمين يقضي بوجود فكرة الحِجَاج الدوري -إن صحّ التعبير-، والمقصود بهذا المصطلح أن كلاً من المتكلم والمتلقّي يؤثّر في الآخر سؤالاً وإجابةً ومحاوراً، والحِجَاج يتكوّن عن طريق ملفوظات يصف فيها المتكلم شيئاً ما قصد الإنجاز، وهذا الإنجاز الّذي تحدّثنا عنه، ولا يحصل إلا بوجود "القيمة الحِجَاجية" في الفعل القولي، والّذي يسميه "أوستن" (Austin) القوة أو القيمة فهو "يستعمل المصطلحين دون تمييز بينهما"²، غير أن القوة بهذا المفهوم لا يحقّق الغرض المناسب من الفعل الكلامي؛ لأن المتخاطبين يعملون على تحقيق التّواصل الإيجابيّ بينهم، ويحصل هذا بالحِجَاج المناسب حسب درجة قوته، ولذلك يقول "ميشال آدم": "يتوقّر كلّ ملفوظ على قيمة حِجَاجيّة، حتّى في حال الوصف البسيط المنقوص من أدوات الرّبط الحِجَاجي ويتجلى أكثر في الخطاب التّوجيهي"³.

وهذا ما يُسمّى في عُرف الدّراسة بالحِجَاج التّوجيهي؛ أي أن يُنشئ المتكلم خطاباً دون مراعاة تدخل المتلقّي، أو فهمه، بل لا يهدف أصلاً إلى إقناعه، وأنما يصنع ملفوظات مستقلة عن قصد التّأثير، ويكون بذلك حقّق في خطابه بُعداً حِجَاجياً خاصّاً، "ولهذا يميز العلماء بين الهدف الحِجَاجي والبعد الحِجَاجي، على أساس أن هذا الأخير صفة ملازمة لكل فعل كلامي من دون أن يفترض مشروعا مصرّحاً به أو آليات واضحة للإقناع"⁴.

وهذا التمييز لا يُلغي الهدف الحِجَاجي بقدر ما يركز على السمة البارزة للخطاب التّوجيهي خصيصاً، ويبقى الهدف الحِجَاجي في البحث عن الكيفية المناسبة لاشتغاله هو الّذي يعنينا، فنجد "صابر الحباشة" بعد عرضه

¹ - D. Maingueneau, lanalyse du discours, p 228

² - فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص 59. (المرجع السّابق)

³ - Jean Michel Adam; La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse textuelle des discours, Armand Colin, Paris, France, 2^e édition, 2008, p 77.

⁴ - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النّصّ، ص 176. (المرجع السّابق)

للاتجاهات الأساسية لدراسة الحجاج، حيث يتم دراسته من منظورات ثلاثة (المنطقي واللغوي والمحدثي)، طرح سؤالاً غايته البحث عن الهدف الحجاجي، يقول فيه: "كيف نستفيد من الحجاج في التحليل التداولي؟"¹.

وقبل الإجابة المباشرة ينبغي أن نقف عند حدود موضوع الحجاج ونتعرف عليه، بما أنه عرف اتجاهات كثيرة، فإنَّ تعريفه سيظلَّ نسبياً ومبهماً إلى حدٍّ ما، بسبب ظهور مجموعة من النظريات المتعلقة بالحجاج، قديماً وحديثاً، منها نظرية الحجاج الجدلي التي عُرفت منذ العصر اليوناني مع أرسطو والسفسطائيين، مروراً بالعصر الإسلامي حيث دعا الإسلام إلى المجادلة بالتي هي أحسن، وكذلك المناظرات التي كانت تُعقد بين العلماء في إثبات الحقائق إما بطريق النقل أو العقل، وهكذا كانت الحجج تتغذى من هذين المصدرين الأساسيين، ثم حلتَّ النظرية الكلاسيكية في الحجاج البلاغي مع أرسطو، حيث اعتمد فيه المنطق الصوري في مباحثة الطبيعيات، أو ما يُعرف بالعالم المادي، وأسند إليه معرفة الحقائق المطلقة، وقد قامت الباحثة "جميل حمداوي" في كتابها (من الحجاج إلى البلاغة الجديدة) بعرض النظريات عرضاً تاريخياً مفصلاً، جمعت فيه أهم أفكار النظريات بطريقة واضحة ومبسطة.

ثم مع نشأة البلاغة الجديدة على يد التشيكي "شايم بيرلمان" (Chaim Perelman)، والبلجيكية "الوسي أولبريخت تيتيكا" (Lucie Olbrechts-Tyteca)، اتخذ الحجاج مساراً آخر، بعد أن كان حجاجاً برهانياً يعتمد على العقل في صياغة الأفكار (عملية الاستدلال)، ويتبناه الفلاسفة ومن اتبع نهجهم من علماء الدين (المعتزلة والأشاعرة)، صار حجاجاً يستند إلى دراسة التقنيات والاستراتيجيات الخطابية المتبعة في عملية الإقناع، ومنه ارتبط بمفهوم البلاغة الجديدة، وذلك من خلال الكتاب الذي قدّمه؛ أي "بيرلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) الموسوم بـ(الوجيز في الحجاج: البلاغة الجديدة)، حيث عرض فيه حقيقة الحجاج وما يقوم عليه من تصورات فلسفية، وهي "تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الإذهان وإدماجها في لإطروحة المقدمة، وتفحص أيضاً شروط انطلاق الحجاج أو نموه، وما ينتج عنها من آثار"².

وهو عبارة عن إعادة بعث مشروع "أرسطو" بطريقة جديدة؛ إذ وجه التقاطع بينهما هو الإقناع كهدف مشترك، وإنّما الفرق يكمل في الطريقة المستعملة أو الآليات الخطابية المتبعة لتحقيق الإقناع، تقول "جميل حمداوي": "وقد جدد

¹ - صابر حباشة، التداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، ص 20. (المرجع السابق)

² - Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles, 1969, p 36.

"بيرلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) آراء أرسطو حينما أراد أن يعيد إليها طابعها الفلسفي... فقد ارتبطت البلاغة عند أرسطو بالحجاج والخطاب الإقناعي وهذا الاقتران أو الترادف نجده أيضا لدى بيرلمان وتيتيكا¹. فالبلاغة الجديدة يكمل تجديدها في النظر إلى الوسائل والآليات الخطابية التي يعتمد عليها المحلل التداولي في إقناع المتلقي، وإن كان في آلياتها ما يقترب من الدرس البلاغي العربي تحديدا في فرع علم المعاني؛ لأن الحجاج الجديد لا يتخذ من البيان والبديع وسيلة للإقناع، فقد يستفزّان العاطفة ويستميلان الذوق ولكنهما لا يحققان الإقناع، إلا ما كان مألوفاً حجاجياً؛ بمعنى قد نجد استعمال الصور البيانية تحمل قصدا حجاجيا باستجلاب رضا السامع أو تعديل في وجهة نظره، كالأمثلة التشبيهية التي تُستعمل في حياتنا².

فمثلا في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ [الكهف: 45]. في الآية تمثيل وتشبيه الحياة بالماء المخاط للنبات بعد مدة يصير مصفراً فتأتي عليه الرياح فتجعله حطاما، فيه دليل على الانتعاش والازدهار والزخرف والمتاع الذي يجده الإنسان في حياته، ولكن سرعان ما يزول كل شيء في لحظة، فهنا صورة بيانية تستميل المتلقي نحو تغيير سلوكه في الحياة وإقناعه حتى يترك الزخارف الزائلة ويعدل عنها إلى ما يرضاه ربنا سبحانه.

ورغم أن لفظي "التأثير" و"الإقناع" في الاستعمال العام يستخدمان على أساس الترادف غير أن "بيرلمان" (Perelman) يعتبر الحجاج المؤثر هو الموجه لسامع قصد تغيير في سلوكه أو وجهة نظره، في حين الحجاج الإقناعي موجه نحو كائن عاقل يتفاعل أثناء العملية التحويلية؛ لأن الحجاج الإقناعي هو مقابل للحوار غالبا³؛ إذ "يتحرك الحجاج داخل بنية حوارية، يتعدد فيها المخاطب كميّا، ويتنوع كيفيّا"⁴.

والمسائل المهمة كذلك "في التصور الجديد، يمتد البحث إلى متلقي متخيل ومتنوع، فيربط الحجاج بحوار ثنائي، أو مداولة حميمية داخل الذات الواحدة"⁵.

¹ - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2014م، ص 29.

² - Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, p 229.

³ - Ibid, p 36.

⁴ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص 55.

⁵ - المرجع نفسه، ص 44.

إذن: فالمتلقّي هو من نوع خاص وصفه "محمد طروس" بالمتخيل جريا على وصف بيرلمان "الكائن العاقل"¹ الذي يُحاول التعبير عن رأيه بمنطقية قصد إثبات حقيقة ما ومعرفة طرق إيصالها، وليس المتلقّي العادي الذي لا يملك خلفيّة عن الموضوع أو الأطروحة؛ لأن الأوّل يناقش بعقله نتيجة ما يملكه من آليات خطابية، والثاني يُناقش بغريزته، أو بنظرة لا عقلانيّة نتيجة جهله بتلك الآليات، ولذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

لقد أشرنا سابقا إلى أن دراسة التّقنيات الخطابيّة من وجه نظر "الأرسطيين" الجدد "بيرلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) تختلف من حيث تحديد نوع الجمهور، ونوع الخطاب، فإن كان أرسطو اتخذ الخطابة بالمفهوم السائد قديما وهو اجتماع النَّاس لسماع الخطيب، فإنّ "بيرلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) اعتبرا أن الجمهور مختلف هذه المرّة إذا تعلّق بالحجاج فيمكن أن يكون المحاجج حاضرا وهو من نوع خاص كما أشرنا بوصفه "الكائن العاقل" و"المتخيل"؛ أي يكون بين متحاورين، كما يمكن أن يكون غائبا فينبغي الشخص الحجاج مع نفسه عن طريق برهنة صحّة وعدم صحّة القضية، وهذا يعزز في داخله روح النقد والتحليل.

أما عن نوع الخطاب فيقصد به مكتوبا أو منطوقا، فالخطاب المحاجي عند "الأرسطيين" يكون بكليهما، ولا يقتصر على حضور المستمع للخطيب شفويا كما كان من قبل، بل يستطيع الخطيب أن يكيّف كتابته حسب جمهوره، وقد جعلنا لهذا الحجاج (المقيّد بنوعي الجمهور الحاضر، والغائب، والخطاب الشفوي والكتابي) منطلقات حدّدت في القسم الثّاني من كتابه، وفي القسم الثالث درسا وسائله وتقنياته²، وهذا الأخير هو المعني في هذه المناسبة لأهميته.

ورغم ذلك فإن التّقنيات الخطابيّة لا يمكن فصلها عن منطلقات الحجاج أو مقدماته، فإذا حصل الفصل بينهما حصل التكلّف ضرورة، وإن كان الفصل المنهجي مقبولا في عُرف الدّارسين³، فالمقدمات التي ينطلق منها الخطيب في

¹ - Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, p 229.

² - يُنظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى يومنا هذا، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، فريق البحث في البلاغة والحجاج، كلية الآداب منوبة، ص 306 - 307.

³ - Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, p 08

قضيته إنما يأخذ بها حتى تكون القضية مقبولة لدى السامع أو القارئ، رغم أحاديته؛ أي ما يستحضره من المقدمات في القضية يعتبر خاصاً بالخطيب، فقد لا يسلم به الجمهور، كما قد يعترض عليه، ولذلك تعتبر هذه المقدمات نسبية من حيث الاختيار، فأولى هذه المقدمات "الوقائع" وهي: ما وقع من الحقائق معانية كما هي في العالم الخارجي، مثل: "طوفان الأقصى"، فلا أحد يُنكر الحدث الذي وقع في الأقصى المبارك، كما أن الحقائق تكون مفترضة مثل: "أحداث غزة"، فيفترض المتلقي مجموعة أحداث موجودة أو قد تُوجد في العالم الخارجي، فبنية الواقع تفرض نفسها على الجمهور، مما يؤدي به إلى التسليم والاذعان، إلا ما كان على وجه المكابرة أو الشك غير المنطقي الذي تنخرم به حقيقة الوقائع الثابتة.

ومن المقدمات أيضاً: "الحقائق المجردة" وهي: مجموعة من المفاهيم والنظريات العلمية في أي مجال من المجالات، تحضر من أجل الربط بين الواقعة المشاهدة والحقيقة المجردة لتكون نتيجة الخطيب حمل السامعين عليها من أجل الإقناع، ففي المثال السابق "أحداث غزة" يتعلّق بحقيقة سياسية مجردة وهي: تأزم العلاقات الدولية. ولنجعل مثالا آخر في هذه المعادلة المفيدة:

أ= الواقعة: طوفان الأقصى (واقعة مشاهدة) محاربة جنود الأقصى ودفاعهم عن وطنهم جعلهم ينتصرون.

ب= النظرية: كل مريد للحرية واستقلال وطنه يحارب أعداءه.

ق= القضية: انتصر طوفان الأقصى لأنهم حاربوا أعداءهم.

فإذا سمع المتلقي مثل هذا فإنه يُسلم بالخبر لمطابقته لبنية الواقع، فقد اجتمعت "أ" و "ب" لتصدق "ق".

ونجد من المقدمات: "الافتراضات" وهي مجموعة من التقديرات العادية والمحتملة التي تضعها جماعة ما على حساب جماعة أخرى، فقد يفترض مجتمع ما أن المال هو أساس الحياة كلّها (الماديون)، وهو أمر عادي عند جماعة ما، ومحتمل عند آخرين، فقد يراها الآخرون جزءاً من الحياة وليست كلّ الحياة (المتدينون)، ويراها آخرون ليست هي الحياة أصلاً بل هي لا شيء (الصوفيون)، فنلاحظ أن التقديرات اختلفت حسب جماعات الناس.

بالإضافة إلى مقدمة أخرى: "القيمة" وهي أساس الحجاج وعمود الذي يُبنى عليه، وتمثل جوهر القضية، ونجدها في الخطابات القانونية والسياسية والدينية والاجتماعية ما عدا تلك العلوم التي تصطبغ بصبغة التجربة، وهي على نوعين قيمة مجرّة مثل: العدل، المساواة، الحق، الواجب...، وقيمة محسوسة من قبيل: الأقصى، الوطن (الجزائر-)

تبسة)، وتتصل هذه القيم بمقدمة أخرى وهي: "الهرميات" فلا تنفرد القيمة وحدها ما لم توضع موضع المقارنة أو الترتيب المقصود، مثال قيمة العدل أفضل من المساواة، رغم أهمية القيمتين المجردتين لدى المتلقي، ولكن إدعائه وتسليمه بإحدهما راجع إلى طبيعة الجمهور، وطبيعة الخطاب ونوعه، قضية المرأة والرجل في المجتمع العربي المسلم يقدم العدل في تقدير الممتلكات كالميراث وغيره، بينما المجتمع الغربي يقدم المساواة، فالمرأة تساوي الرجل في كل شيء، وهي تُتخذ حسب درجة ترتيبها زمانياً ومكانياً.

وآخر المقدمات تتمثل في: "الموضع" ويُقصدُ به المعيار الذي تستند إليه القضايا، كالأفضلية في موضع الكم، كأن نقول حكم الله (القرآن) أفضل أو خير من حكم البشر (الديمقراطية) وهذا الحكم تفضله جماعة الموحدين، أما غير الموحدين يرون العكس، والوحدانية في موضع الكيف، كأن نجعل الصحة تضمن الوفاء للإنسان على حساب المال والبنون والجاه والزواج وغيرها مما يتعدد نسبياً عند الإنسان، و"موضع المفضلات" ويضم تقديم شيء على شيء مثل: التفكير المجرد أولى من العمل المجرب، باعتبار الترتيب؛ لأن المجرد لا يتحمل الشخص عواقبه؛ لأنه لم يُجرب، فالتجريب قد يُضعف التفكير ويجعله مؤثراً على النفس والصحة، ولذا يُقال في المثل الشعبي: "راحة البال ما تتشراش بالدرهم"، فالراحة قيمة مجردة لا تُشتري (قيمة ملموسة)، فموضع الترتيب هنا كانت حجته أبلغ مقاماً، وكذلك الموجود أولى من غير الموجود أو المحتمل، العمل بأجرة أقل في مكان هادئ ونظيف أولى من العمل بأجرة أعلى في مكان وسخ وحصيف، وقد يمثل هنا المثل الشعبي الذي يقول: "جا يسعى ودّر تسع" وكذلك المثل الآخر الذي قيل فيه: "ما حكم لا في الغار ولا حكم لفي يديه" ويُطلق على الإنسان الذي يضع ما هو موجود بشيء غير موجود.

كانت هذه هي المنطلقات الأساسية في تأسيس الحجاج، فكلما كانت حاضرة في الخطاب زادت قوّته وحقت غاية الخطاب، فالوقائع المشاهدة تستند إلى الحقائق المجردة وهي بدورها تعتمد على ما فيها من قيمة وهذه القيمة تتخذ ترتيباً خاصاً حسب نوع الجمهور حضوراً وغياباً، ثم تُؤخذ جميعاً وفق موضع المفضلات، فالباقي أولى من الفاني والمستمر أولى من المنقطع، والثابت أولى من المتغير، وهلم جرا.

ولا تكفي هذه المقدمات لبناء خطاب إقناعي ما لم يتدخل دور الخطيب في تشكيله على وجه تستقيم فيه رؤية السامع، ولكي ينهض بهذه العملية لا بدّ له من أدوات تساعد على ذلك، بأنّ يتخذ أداة الحضور وسيلة لتمثيل صورة الشيء المذكور وتقريبه للسامع بدقة، وجعل وسيلة الصفات أيضاً مقرونة بهذا الحضور، فكلّما زاد الحدث

توصيفا زادت دقة الواقعة، وقُلِّصت من تخوم التَّأويلات المتعددة، فالحضور والنوع وسيلتان هامتان لإبراز دقة الموضوع وإعطائه بُعداً تأويلياً مشتركاً.

ولنشرع الآن في ذكر التَّقْنِيَّاتِ الْحَاجِيَةِ الَّتِي سَنَعْتَمِدُهَا فِي التَّطْبِيقِ عَلَى عَيْنَةٍ مِنَ الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْمَأْخُوذِ مِنْ قَنَاةِ الشُّرُوقِ أَوْنَ لَايْنِ الْجَزَائِرِيَّةِ، عبر الوسيط الإلكتروني "اليوتيوب" كما جرت عادةُ الفصول والمطالب السابقة من هذه الرسالة النافعة -بحول الله-، وتتلخّص هذه التَّقْنِيَّاتُ فيما يلي:

منها التَّقْنِيَّاتُ الْمُبَاشِرَةُ أَوْ الطَّرَائِقُ الْاِتِّصَالِيَّةُ (procédés de liaison) وقد خصص لها المؤلِّفان "بيرلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) ثلاثة فصول من القسم الثاني في كتابه (الموجز في الحجاج: البلاغة الجديدة)، والتَّقْنِيَّاتُ غَيْرُ الْمُبَاشِرَةِ أَوْ الطَّرَائِقُ الْاِنْفِصَالِيَّةُ ؛ وخصص له فصلاً واحداً من القسم الثاني، أما الأولى فيقصد بها إمكانية الجمع بين البُنَيَّاتِ الْمُتَبَايِنَةِ فِي بَنِيَّةٍ وَاضِحَةٍ مِنْ أَجْلِ التَّعْدِيلِ الْإِيجَابِيِّ أَوْ السَّلْبِيِّ ؛ بمعنى أوضح هي عبارة عن عنصر (أ) + عنصر (ب) = قضية كاملة تتميز بالوضوح، وهدفها توجيه الفكرة سلبيّاً وإيجابياً، ولها أشكال تتمثّل في:

أولاً: الْحُجَجُ شَبْهُ الْمُنْطَقِيَّةِ:

وهي¹ باختصار أدلة تفتقر إلى الصرامة اللازمة في عملية الإقناع، وقد تُتَّهَمُ مِنْ قِبَلِ الْبِرْهَانِيِّينَ (أصحاب البرهنة)، بأنّها خطأ منطقي، رغم أنّها تستند إلى بعض مظاهر المنطق كالتعارض (incompatibilité)؛ الَّذِي يَحْمِلُ الْقَضِيَّةَ عَلَى إِيجَادِ مَخْرَجٍ تَأْوِيلِيٍّ لَهَا حَسَبِ الْمَقَامِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ الْقَضِيَّتَانِ، ومثاله كما جاء في الآية الكرّمة: ﴿... قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: 79]، تبدو الآية غريبة، وظاهرها يدعو إلى الغموض، غير أن دفع التعارض بموجب المقام أولى، على عكس البرهانيين الَّذِي يرون بأنّ الحجة إذا تأسست على منطق صحيح يستحيل معه التعارض، فالآية الماضية حسبهم ليست منطقيّة، إلا أن الأمر يحتاج إلى مراجعة مفهوم الحسنة والسيئة كونهما من عند الله، ومفهوم الحسنة هي الَّتِي تَكُونُ مِنَ اللَّهِ، والسيئة من النَّفْسِ، فالجمع أولى من التشكيك في الآيات؛ إذ المقطع الأوّل يدعوك الله من خلاله إلى التفقه في كون الحسنة والسيئة ما كنت لتعملهما إلا بقدره الله، حيث أمّدك بالقدرة

¹ - Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, p 259

على فعلهما، فهو أمر كوني، وفي المقطع الثاني هو أمر شرعي، فالحسنة تنسب لله من باب النعمة، والسيئة تُنسب إليك من باب أنها شر وخبث، والله طيب لا يقبل إلا طيباً، وهكذا جمعنا بين القضيتين ولا تعارض بينهما. ولذلك تبدو قريبة من المنطق أو شبهة به نظراً إلى تعدد التَّأويل حسب ظروف الخطاب وعلاقته بالمقام، ومع ذلك يبقى الأمر يحتاج إلى اجتهاد في البحث عن العلائق الممكنة في الجملة وهو أمر مُكَلِّف نوعاً ما.

ولدينا أيضاً التماثل (L'identité)، وهو مبنيٌّ على مفهوم التعريف؛ بمعنى إذا أردنا تعريف لفظ ما بلفظ آخر يماثله نكون أمام لفظتين متشابهتين يصعب التفريق بينهما ظاهرياً، مما يفتح المجال للتأويل كما فعلنا في درء التعارض، ومثال ذلك: الصَّلَاة هي صلاة، فكان تعريف لفظ "الصَّلَاة" وهي العبادة بمعرف يماثله وهي الصلة التي تربط الإنسان بربه، فاللفظ الثاني المعرف هو الذي يحمل قيمة دلاليةً بواسطة المقام، ويمثل هذا النوع من الأدلة قول القائل: "فسر الماء بالماء"، غير أن الماء الأول قد لا يكون هو نفسه الماء الثاني، فحين نقول الماء هو الماء، فتفسير لفظ الماء الأول بالماء الثاني يكون على وجه مخصوص، يحتويه مقام منصوص، وهنا يحيلنا في التفسير قرينة الإحالة المقاميّة، أو المقام وهو مظهر من مظاهر الاتساق النَّصِّي، ولذا عبارة "تفسير الماء بالماء" تُعدُّ غير صالحة إذا أردنا التَّنْقِص من تعريف شيء بما يماثله لفظاً، فالعلم هو العلم، والنفس هي النفس، والنحو هو النحو وهكذا، فدائماً مدلول الاسم الثاني ينص على وجود مقام قيل فيه، وهذا هو دور مجال التَّوَالِيّة، وهكذا يتقاطع الحجاج معه، فالاستعمال غير الاستعلام.

ينضاف إلى الحجاج شبه المنطقيّة تلك التي تقوم على التبادل (réciprocité)، وهي عبارة عن قضيتين متناظرتين من نفس المجال أو الفئة يُجمع بينهما وفق قاعدة العدل، ومثاله: قول أحد المتسولين: "لا أفهم كيف يمكن أن يُعتبر التسوّل جريمة في مجتمع يرى الصدقة فضيلة"¹.

فلاحظ أن التسوّل جريمة عكس الصدقة فضيلة، قضيتان من نفس المجال وهي حجّة بنيت على أساس منطقي في سياق التعجب، ولكن لا تُعتبر صادقة أو مبرهنة مائة بالمائة فتتقصها الدقّة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، ومنتهى الدقّة يقضي بوجود مغالطة في العبارة، فالتسوّل ظاهرة سيئة إذا كانت على وجه الديمومة في مقامها (من شخص

¹ - الحسن بنو هاشم، نظرية الحجاج عن شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص 57.

يتعمد التسؤل)، والصدقة ظاهرة حسنة إذا كانت على وجه الديمومة في مقامها (إلى أشخاص لا يتعمدون التسؤل)، ولذا ظاهر الحجة شبه منطقية ليست منطقية على إطلاقها.

ومن مظاهر الحجة شبه المنطقية أيضا التعدية (transitivité)، ويمكن اختصار الحديث عنها بهذه الرموز:

(أ) = (ب) و (ب) = (ج) إذن (أ) = (ج)؛ نحو: صديق صديقي هو صديقي. (ليس بالضرورة).

وأيا: (أ) ≠ (ب) و (ب) ≠ (ج) إذن (أ) ≠ (ج)؛ نحو: صديق عدوي هو عدوي. (ليس بالضرورة).

وأيا: (أ) € (ب) و (ب) € (ج) إذن (أ) € (ج)؛ نحو: ولد زوجتي هو ولدي. (ليس بالضرورة)

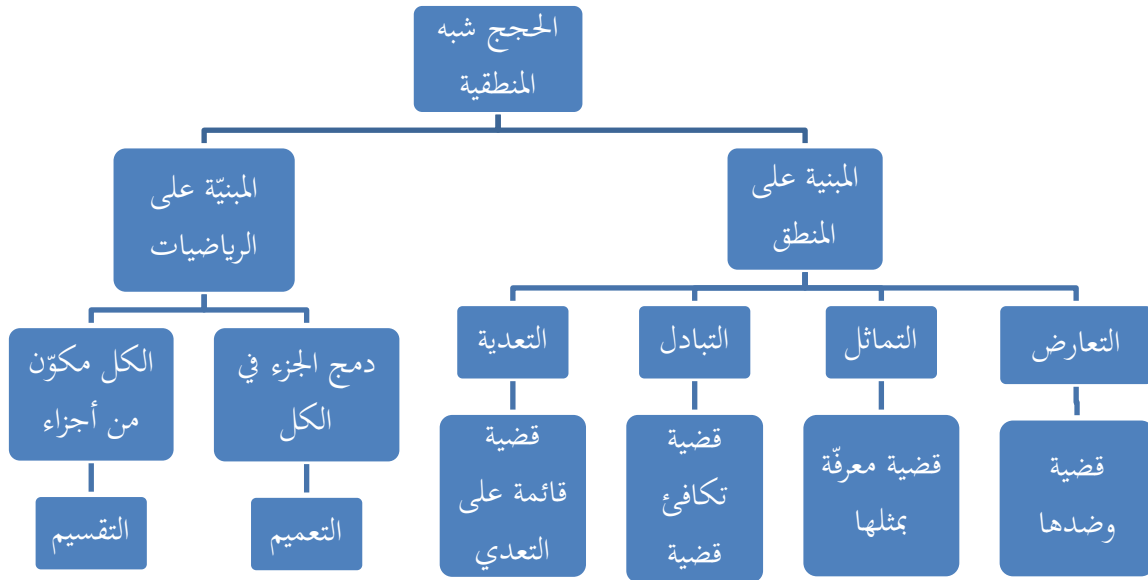
إذن نلاحظ من خلال الأمثلة أننا وضعنا أمامها عبارة ليس بالضرورة؛ لأنها حجة تنقصها الدقة دائما، فليس بالضرورة أن يكون صديق صديقي هو صديقي فقد يكون عدوي فباب الاحتمال وارد جدا، وهو ما يدفع بالجمهور "المعقلن" إلى الاعتراض، فالعبارات حجيتها صالحة بالنسبة للمتكلم، لكن ليس بالضرورة اعتمادها كمقياس في الحالة العامة.

وعندنا أيضا الحجج شبه المنطقية المستندة إلى مبادئ الرياضيات، كإدماج الجزء في الكل، وهذه القاعدة معمول بها في عُرف العلوم الطبيعية، وتدخل في المعلوم بالضرورة، ونجد نظيرها في القواعد الأصولية الفقهية، ومثل ذلك ورد في الحديث: "ما أسكر كثيره فقليله حرام"، ورغم حصول نوع من المنطقية في القاعدة إلا أنه يمكن إلتراض عليها بطرح السؤال: هل كل مُسكر مذهب للعقل حرام؟، فإذا قيل نعم وهذا معلوم بالضرورة، نقول وماذا عن مادة المخدر (البنج) التي يستخدمها الطبيب في العمليات الجراحية؟ وماذا عن الضرورات المقدرة بقدرها في شرب الخمر؟، فيصبح لكل قاعدة استثناء قد يُعيق الاستدلال.

ومن مبادئ الرياضيات كذلك أن الكل هو مجموعة من الأجزاء المكونة له، وتبني عليها قاعدة التقسيم، ومثل ذلك إذا قلنا الإنسان فهو كل يتكون من مجموعة أعضاء، ولفظ الكلام كل ينقسم إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ومع ذلك لا تكون الأجزاء دائما جزءا للكل، فهو مستقل قبل أن يتكون مع غيره.

ويمكن جمعها كاملة في هذه الخطاطة حتى يسهل تذكرها وضبط مخرجها أثناء التطبيق:

شكل 01:



خطاظة جامعة لمظاهر الحجج شبه المنطقية

ثانيا: الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

وهى شكل من أشكال التقنيات الخطابية فى طرائق الوصل كذلك وتتمثل فى ربط الحجج شبه المنطقية بأحكام مسلم بها من بناء الآراء حول الوقائع المشاهدة والمفترضة، أو الحقائق المجردة والملموسة، أو الافتراضات المقدرة عرفاً، ولنضرب لذلك مثالا حتى نقرب من تصور هذا التعريف، "انتصرت غزة، ولكنها لم تنتصر بعد"، تحملا من مظاهر الحجج شبه المنطقية وهى التعارض، وبما أن التعارض تأسس على بنية الواقع صار التسليم بهاتين القضيتين أمرا مؤكدا، حيث الأولى أثبتها المقام الزمنى الحاضر "أنها انتصرت"، والثانية "لم تنتصر بعد" لأنها لم تسقط الكيان الصهيونى كليا، بل فر من ديارهم، ومن المحتمل تقديرا (منطلق الافتراضات) أن يعودوا بقوة؛ لأن حقيقة النصر تكون بإبادتهم (حقيقة مجردة)، وإلا فإن "الصهيانية" لن يرضوا حتى تكون معهم، أو تسلم لهم الأرض، وبالتالى مفهوم النصر محتمل، وليس حقيقة مطلقة، فالقضيتان مؤسستان على بنية الواقع ومثبتتان بالمقام عن طريق حجة التعارض.

وتتخذ هذه الحجج مظهرين هما: الاتصال التتابعى أى وصل قضيتين متباعدتين سببيا، بحيث تكون الظاهرة الأولى سببا للثانية، ومثاله: إذا لم تعالج ستموت، فالموت نتيجة لعدم العلاج؛ أى أنه "حجاج يرمى إلى الربط بين

حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي¹؛ فظاهرة الموت سببها عدم العلاج، ومثله أيضا: "عالج فشفي"، و"نام فارتاح"، و"سهر فتعب"...، فالشفاء والراحة والتعب نتائج، وأسبابها العلاج، والنوم، والسهر على الترتيب، نلاحظ أنهما قضيتان متباعدتان، فجمع بينهما الرابط السببي "حرف الفاء"، وهذه الأخيرة محلُّ نظر في اتجاه آخر من النظريات الحجاجية تُعرف بالحجاج اللغوي عند "ديكرو" وتسمى **الروابط الحجاجية**، ف"تشتمل اللغة العربية على مجموعة من الروابط الحجاجية، مثل: لكن، وبل، وإذًا، وإذن، وفاء، وحتى، وكى، ولأم التعليل،... وتستتبع هذه الروابط علاقات حجاجية قائمة على الحجب والنتائج،... وهذا ما دفع ديكرو للتفكير في وضع مقاربة حجاجية لسانية تهدف إلى وصف هذه الروابط اللغوية في سياقها التداولي"².

فالرابط السببي مهم في إقامة العلاقة الاتصالية بين السبب والنتيجة، غير أن "بيرلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) يركزان على بناء الظاهرة حسب الوقائع، والحقائق، والافتراضات، والقيمة، والهرميات، والمواضع؛ وهي المنطلقات الأساسية في بناء نظريتهما، وبالتالي الخروج من النصّ إلى الواقع، ومن الواقع إلى النصّ، أما نظرية ديكرو فهي تعتمد على النصّ وحده؛ أي من النصّ إلى النصّ.

وعندنا أيضا "حجاج يرمى إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سببٌ أحدثه وأدى إليه"³؛ بمعنى نستخلص من الظاهرة الواقعة سببا ملازما لها، ومثاله: مات أهل غزة لأنهم جاعوا، فالنتيجة هي الموت لأهل غزة والسبب هو الجوع، وأشهر الروابط في اعتماد الوصل بين النتيجة والسبب "لأن"، التي نستعملها لتبرير الظاهرة.

وحجاج من نوع آخر يبحث عن نتائج مستقبلية لظاهرة واقعة حالا؛ أي "حجاج يرمى إلى التكهن بما سيُنجز عن حدث ما من نتائج"⁴؛ ومثاله: يصمد المرباطون في غزة فسينتصرون.

كانت هذه أهم محطّات الرّبط الاتصالي التّابعي، وهناك محطّات آخر في الرّبط الاتصالي وهي التّواجدي، ويقصد به تواجد شيء في بنية الواقع قد يكون متّصلا بالشخص (حجّة الشخص وأعماله) ومثاله: "شخص أحرقت شهادة تخرجه لا يكون إلا كارها حزينا من الوضع الذي هو عليه من البطالة"، فكشّفنا عن نية الشخص كانت عن

¹ - حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى يومنا هذا، ص 332. (المرجع السابق)

² - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 38. (المرجع السابق)

³ - حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى يومنا هذا، ص 332. (المرجع السابق)

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

طريق عمله الذي قام به، "فثنائية الشخص وأعماله لا تكاد تنفصل، ولذلك فأعمال الشخص وأفعاله المتجلية والمتجسدة تساعدنا في الكشف عن جوهره ونيته، وأفكاره تحيلنا وتنبئنا بما سيصدر عنها من أعمال ومواقف قبل وقوعها، وتفسيرها لنا بعد وقوعها، وهذا في الغالب يصدق حينما نكون أمام شخصية متغير متناقضة"¹.

إذاً فقد تكون الأعمال الملازمة للشخص كاشفةً عن حقيقته ونيته، خاصةً إذا تكررت منه؛ لأنّ الشيء إذا تكرر تقرّر، وهذه الحجة تصل بين الشخص وأعماله المتواجدة خارجه ولذلك أصطلح عليها بالربط الاتصالي التوايدي.

كما يوجد شيء متصل بالمرجع مباشرة (حجة السلطة)، ويقصد بها استعمال المتكلم حجة من مرجع يكتسب هبة في نفوس المتلقين، فليس كل مرجع يصلح للاستدلال، وإلا كانت الأحاديث الضعيفة، وأقوال عامة الناس مرجعاً مؤثراً، وبالتالي سلطة الحجة تؤخذ من المصادر القويّة التي يصعب معها الرد أو النقاش، كاستخدام الآيات القرآنية أو الأحاديث الصحيحة، أو أقوال العلماء الجهابذة، أو الإجماع، فيكون حينئذ المتلقي مكتفياً بالسماع دون اعتراض، كما قد يكون الشخص المتكلم هو نفسه صاحب هبة وقوة علمية يُعتدّ بها، فيصير خطابه العادي مؤثراً ومقنعاً، بسبب أن المحاجج يمتلك درجة علمية كبيرة كالدكتور، والعالم، والمتخصص وغيرهم، فإذا تكلموا لم يُقابِلوا بالإعتراض غالباً، "وبالتالي ينبغي التمييز بين حالتين: حالة السلطة التي تتجلى مباشرة من قبل المخبر، أو مصدر الإثبات، وحالة السلطة التي يستشهد بها المتكلم لدعم أقواله"².

وعندنا أيضاً تواجد شيء متصل بالرمز مباشرة، ووجه الوصل هو اتصال الرمز بالرموز إليه والعلاقة بينهما ضرورية وليس عُرفية، ومثاله: علاقة رمز الصليب بالمسيحية، أو رمز العلم بالوطن، أو رمز الهلال الأحمر بالمساعدات، وهي محل تأثير لدى متلقي يدرك قيمة الرمز، فليس كل تقاطع يُعد رمزا للصليب، وليس كل علم يعني وجود وطن، ولا الهلال الأحمر كذلك فهي تخضع لخصوصية مكانية وزمانية وثقافية محدّدة يجب على المحاجج أن يدركها قبل إقامة دليله على الرمز، وإلا فقد قيمته.

¹ - شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شايم برلمان، مجلة التعليمية، المجلد: 5، العدد: 15 سبتمبر 2018م، ص 228.

² - كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، 2008م، ص 153.

ثالثاً: الحُجَجُ الْمُؤَسَّسَةُ لِبِنْيَةِ الْوَاقِعِ:

وهي شكل من أشكال التقنيات الخطابية في طرائق الوصل أيضاً؛ حيث يعمل الخطيب أو المتكلم على تأسيس الواقع بأدوات نذكر منها: المثل ويؤتى به عادةً لتقوية فكرة ما، "ونستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع بما تقدمه من تصوّر وتجريد للأشياء، وما تتضمنه من مشابهاة يستدعيها سياق القول الحجاجي"¹.

والمثال يعتبر حالة خاصة وقع في ظرف زمني مضى، يمكن أن يُجعل كمستند أو مرجع في إثبات مثله إذا كان الموقف مشابهاً له، ومثاله: "طلب المال الكثير يؤدي إلى البغي والطغيان، مثل "قارون" أُعطي مالا كثيراً فأصبح بذلك طاغية"، فنلاحظ أن التمثيل بقارون يُعتبر حالة خاصة أمكن تعميمها لمشابهاة بحالات كثيرة منها، فأصبح يمثل قاعدة على أن الذي يمتلك المال الكثير سيطغى، إلا ما استثنى، والمثل يُؤسس لبنية الواقع وبالتالي يصير حجة، خاصة إذا دُعِمَ المثل بالشواهد الكثيرة تصير القاعدة أمتن وأرسخ وأدعى للإقناع، وهذه الشواهد تُؤخذ من الحجة السلطوية، قرآناً أو سنةً صحيحةً، أو إجماعاً كما مر معنا.

كما يمكن تأسيس الواقع بواسطة التمثيل وهي مشابهاة تقع في العلاقة بين قضيتين متصلتين بقضيتين متصلتين لوجود وجه شبه بينهما؛ أي (أ) و(ب) تشبه العلاقة بين (أ') و(ب')، فيسمى "برلمان" الأوليين "التيمة" (theme)، والآخرين "الحامل" (phore)، وهذا الأخير يُفترض أنه موجود من قبل، فيحمل الموضوع عليه في شيء يشبهه، والمثال الرائج في الكتب هو: في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41].

القضيتان الأوليان أ = (المشركون) وب = (الأولياء) / القضيتان الأخريان أ' = (العنكبوت) وب' = (البيت)، فعلاقة المشركين بأوليائهم، كعلاقة العنكبوت ببيتها، ووجه التشابه هو الضعف، فالمشركون عبدوا الأولياء الذي لا حيلة لهم في الوجود، والعنكبوت لجأت إلى بيتها الضعيف الذي لا يقدر على نفعها؛ إذا الجامع بينهما هو تشابه علاقة في وجه الشبه لا علاقة تشابه بين المشبه والمشبه به.

وكما للتقنيات الحجاجية طرائق للوصل وقد تعرّفنا عليها، فيها كذلك طرائق للفصل، ولكن الجانب التطبيقي يحتاج إلى الذي بيناه وفصلناه، وأبدئنا رأينا فيه، مع ذكر ما نراه مناسباً في التحليل التداولي من منظور منطقي فلسفي

¹ - قدور عمران ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م، ص 46.

لا من منظور لغوي لساني، ولا منظور محادثاتي، فلو بسطنا القول فيهما ما وسعنا كتاب، واعتمادنا على الحجاج الجديد لـ "برلمان وتيكا" له أسبابه نذكر منها:

✓ التّقنيات الحجاجية في رؤية "برلمان" (Perelman) و"تيتيكا" (Tyteca) واضحة وتعتمد على منهجية دقيقة، رغم ما تعرّضت لها من انتقادات، وهذا حال أي عمل إذا ما تمّ نقصان.

✓ التنظيم الذي حظي به المشروع كفيل بأن يُوصف بالمشروع الناجح، كيف لا وهو الذي أبان عن أشكال حجاجية تجمع بين ما هو منطقي (الحجج شبه المنطقية) ووجودي (الحجج المؤسسة على بنية الواقع)، وتأصيلي (الحجج المؤسسة لبنية الواقع).

✓ حسب وجه نظرنا قد جمع المشروع بين مداخل وعلوم كثيرة من علوم العرب قديما وحديثا، فلم يترك باب المناطقة والفلاسفة إلا ووضع أدوات إجرائية تتماشى مع أساليبهم، ولا مجال العلوم إلا بنّت البلاغة الجديدة حججا تتماشى مع العلوم كموضوع السببية وإقامة الفرضية على الرّموز، والنصوص، وتجارب الأشخاص، ولا مجال الدين والأحكام والمواظ إلا صيرت إليها (المثل، والشواهد، والتمثيل وغيرها) خادمة لها.

وبالتالي نرجع إلى السؤال الأوّل الذي طرحه "صابر الحباشة": "كيف نستفيد من الحجاج في التحليل التداولي؟"¹ وهو ما سنحاول تقديمه في الجانب التطبيقي، مراعيًا في ذلك شروط المنهج العلمي.

رابعاً: الاستخدامات التطبيقية للنظرية على الخطاب الاجتماعي "راك في التحقيق أمودجا"

بعد التفاصيل التي أتينا عليها والتي أخذت منا جهداً في تقريب وحصر أهم الأساسات التي بُنيت عليها النظرية، يسعنا الآن النظر في الخطاب الاجتماعي من حصة: "راك في التحقيق" والتي تعرض في كل مرة طرفاً محاوراً، يتقمّص دور المتهم، ويعرض من خلالها حياة الشخصية، وظروفه التي مرّ عليها، ويتجلى دور المحقق في طرح الأسئلة المناسبة لسياق القول، وهذا من أجل دفع المتلقي إلى التأثر والاقناع بما يعرضه من أدلة متنوعة، حتى يساهم في بعث الوعي في نفوس جمهوره المتابع للحصة، كما يكمل هدفها في توعية الجمهور وإرشاده نحو تعديل سلوك ما.

أ- عنوان الخطاب: شاهد قصة محمد من مستهلك مخدرات إلى مربي.

ب- تاريخ الخطاب: نُشرت الحصة سنة 2025م.

¹ - صابر حباشة، التداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، ص 20. (المرجع السابق)

ج- توقيت الخطاب: الشَّرِيط مدَّته تسع وثلاثون دقيقة وثلاث وأربعون ثانية (39 د و 43ثا)، أخذت منه "حياة الشخص المدمن" و "كيف كان يعيش" و "كيف شُفِي من الإدمان"، والمقطع المأخوذ كانت فترته تتراوح ما بين [01د و 21ثا] إلى [14د و 12ثا]؛ أي اثنتا عشرة دقيقة وإحدى وخمسون ثانية (12د، و 51ثا).

د- تفريغ محتوى الخطابات: قمت بتجزئة الشَّرِيط حسب الأدوار المتحاورة، مع حذف العبارات المتكررة، والتي تفيد في عمومها تأكيد المعلومة، ووضعت الكلمات الأجنبية بين قوسين، وقمت بترجمتها بين معكوفين "[]"، مع الاحتفاظ بترميز (م) إشارة إلى المحقق أو المحاور، و(ط) إشارة إلى الطرف.

م: "محمد شحال في عمرك؟"

ط: (بيانتو) [الوقت الحالي] إن شاء الله 35

م: الله يبارك ما تباشش!، [...]، وشراك دير ضرك محمد خدام [...]؟ .

ط: (تو جور) الخدمة خدام، راني مع الديكور [...].

م: وراك لاقى روحك شوي؟ .

ط: الحمد لله. [...] حياةً واحدًا أخرى واشبيك .

م: قبل ما تكون حياةً واحدًا أخرى الحياة الشابًا هاذي، كانت حياة قبلها؟ .

ط1: كان (تروا زيطاب) [ثلاث مراحل]، كانت حياة شابًا وحياة (كوشمار) [مصائب]، ومبعد عاودت وليت حياة واحدًا أخرى.

م: الحياة الشابًا هي كنت انتاي (جوار) [لاعب]؟ احكي لي .

ط1: آه، كنت (جوار) (وي)، كنت نلعب (بالون) [كرة القدم] مع "اصطوالي"، "آرياس" [...] لعبت (سطوبار) ومبعد رُوخت (أفو سونتر)، [...] خرجت دخلت شوي (شونتي)، كنت نحب شوي الخدم باسكو علبالك كابر مع (لونتراج) [بيئة] تاع الخدم وقاع، (صافي أوبوندونيت) [تركت] شوي (البالون). (دابخي دوميل ديزويت) [وبعد عام 2018]، نقلك (أونتراج) [ظرف] تاع دوميل ديزويت صعب.

م: آني جايبك [...] شوف خويا محمد، أنت اليوم (كونفوكيتك) [دعوتك] أنا للتحقيق، ماشي بش نغافرك [نعاركك]، ولّ بش نقلك، ولّ بش نزيك حاش لله، جبتك باش تكون قُدو، نقلك علاش قدو، كاين (دي جون) [شباب] يقدرو يديروك قدو، يقتدو بيك، علاه؟، لأنك نت كنت، مدمن، مدمن، تتعاطى جميع أنواع المخدرات،

وإذا بيه، فقت مع روحك، الآن وليت موضع النَّاس دير بيك (أن أكرومبل) [مثل]، باش دير القلب، وتحبس،
[...]. محمد واش السلع لولا لدقيتها نتاي؟.

ط: أنا جامي استعملت أمور انا روح (ديراكتمو) [مباشرة] (دروق دي) هاروين. [...]

م: هاروين؟..!

ط: هاروين (ديراكتمو).

م: شحال كان في عمرك؟.

ط: احسب (أون دوميل ديزويت) [2018]، [...] كنت (جان أدونيسونس) [شباب صغير].

م: كيفاش حتى وين استعملت الهاروين؟.

ط: والله يا محمد لحد الآن معلابيش، راني شافي سهرًا، (اووو)، ومبعد منها غيبوب ثمنيا سنين [...] غيبوب

ديراكت (كوما). [سيبطار]، ومنو الإدمان.

م: أول مرًا هاروين كيفاش (بيكيت) [أدخلت الإبرة]،

ط: (بيكيت) حاج لولا مادارتلي والو الخطر لولا، (دوزيام فوا) [المرّة الثّانية] حببت نروح (نسيّ) [نجرب] ندير

لادوز اكثر.

م: صحّ لادوز لولا، كي بيكيث أول مرّ، كنت في الليل في سهر؟ .

ط: آه.

م: ما دارتلك والو ما خلواتك ما..؟

ط: مادارتلي والو كنت (نونتريني) [أتدرب] كنت بيا [جيد] ليّمات هاذوك شوي موخ [...] .

م: كي سيت أول مرّ كنت تلعب بالون (أو مام طو) [في نفس الوقت]؟

ط: كنت نلعب بالون آه.

م: ما دارتلك والو.

ط: ما دارتلي والو لخطر لولا، (لادوزيام فوا لاتروزيام فوا) [المرّة الثّانية والمرّة الثالثة] (شيت) تخريط، واحد دُوخ،

ومبعد ما كان والو، مبعد مع الوقت نقلك بالاك (ديباسي) [تتجاوز] بيها (دو موا تروا موا) [ثلاثة أشهر أربعة

أشهر] تولى جيست تستعملُ باش تولى (نورمال)، ومبعد أنا نهار لحبست محمد (جي دي كوفار) [ألاحظ] بالاك
تسع وتسعين بالمائة أنه (دروق دو) هي نوع من أنواع المخدرات شغل هي نوع من أنواع السحر سحر، [...] .
م: كي ضربت الهاروين (لادوزيام فوا)، واش الإحساس لكان عندك [...] ؟
ط: تنساهم قاع موخ، تنسى كلش تنسى (لبروبلام) [مشاكل] تاعك تنسى كلش [...] وهي هاذيك حشوا،
[...]، تروح تستعملها تقول باش ننسى وهي راك راح تزيد تضرها (فوا دو) [مرتين].
م: شحال دوم النسيان والرشق هاذيك؟ شحال نهار يومين، خمس سوايع؟
ط: ما فهمتكش بالعقل، تسمى شحال الخلو تاعها؟.
م: صح، راك درت (تشيك)، الخلوي هاذك، شحال يقعدلك؟
ط: واحد كارونط [أربعون] آ آ اففف، نقولو (دو مينيت) زوج دقائق الماكس، هادي كي تكون زعمَ مارك زوج
دقائق الماكس.
م: ومبعد تعاود تروشيقي؟
ط: ومبعد تولى دوا تولى اداوي محمد، تحكمك هك (إين مينيت) [دقيقة] ومبعد تروح.
م: هادي تشوشنا؟
ط: كي تشوشنا كي البيض كي قاع (الدروق دي) قاع هاكذا فيه طلع وتَحْسِنُ ثَمَّ، فيها جيست نشو تاع
بالاك (كالكو سيكوند) [بضع ثوانٍ] وتحبس ثم.
م: بالصَّح قالك النشو تاعهاكاين لطول ما يرقدش في الليل.
ط: مكانش منها مكانش منها، ما يرقدش في الليل (باسكو) [لأن] هي ما تخلّيش يرقد (سيتو) [فقط].
م: صح، قتلتي لولا ما دارتلي والو، (دوزيام) بدات، من (تروازيام والكاتريام) وروح كيفاش وليت؟.
ط: والله غير غيبوب ثَمَّ، هاذاك هو (الشُّوك) [الخلعة] موخ، [...]، لحقت (إين دوز) ما تتصورش، بالعقل
بالعقل تزيد في لادوز وحدك، تولى شوي تزيد شوي نزيد شوي [...]، هي الحشو قاع (سيكوا) [ما هي؟] محمد،
[...]؟، كيفاش (جون) يجبد (جون)؟ يجبدك جيست باش نت تشري وهو يستعملُ يعطيك شوي ويدي الباقي،
[...]، تسمى يكسرلك حياتك على جال هاذيك الشوي، [...].

م: [...] نديروها راك أب الآن، عندك ثلاث ولاد (أدونيسون)، صحَّ، عندك زوجٍ وعندك دراهم، ولادك راك شاكٌ فيهم، ضركُ نتَ لجوزت، كيفاش واش الحاج لتخليك تتوسوس من ولادك تقول A وقيلا راهم يتعاطو، كيفاش يكون (كومبورطومو) [تصرفات، سلوكات] نتاعهم؟.

ط: (نحني بيا) هادي مليح عجبتي هادي، يتبدل (بريميار مو) الطفل تلقاه يحوس بزاف على الدراهم، [...], الحاج الثاني، لكان وليدك ولَّ خوك ولَّ جارك ولَّ تفيقلو، يتبدل يولي خفيف يولي (أنورمال) [غير طبيعي]، تفيقلو بلي راو مستعمل حاج، بيان في الهدر تاعو، في (ليجاست) تواوغو، (ديفوا) دير عفس بلا ما تجيب خبر.

م: يعني يولي (أكريسيف) [عنف] يولي يتقلق؟

ط: (أكريسيف) نو [لا]، [...]، بالاك في (ليمونك) [لا يوجد مخدرات]، كايين عباد ضعاف يولي (أكريسيف)، كي يكون مونك [...] يقدر يقتل، يقدر يدير كلش.

م: يقدر عادي.

ط: يقدر نورمال.

م: يقتل باباه، يقتل يماه، خوه؟

ط: يقدر عادي جدا، نعطيك الطالع تاعها يقتل نورمال.

م: ما يفيقش؟

ط: طحتلو الدراهم منا يكون مونك زيد تتعافر معا يضر بك يقتلك باش يرفد هاذاك الدراهم .

م: [...] نسقسيك، هاذوك ليّام زعمَ نقولو يعطولك (أنمبلا) [مائدة] فيه لحم فيه المشوي فيه أنواع الفيتامينات

قاع من، ويعطولك كمّي صغير؟

ط: ما تشوفش فيه موخ، ما كان والو (تكوبيلك لاييتي) [تفقدك الشهية] هي ديجا، ما توكلش، يشيان من

قبيلنا نعاود نقلك يشيان تشوف وليدك يشيان يطيح، يهبط لرض، يهبط أنا من ربع وثمنين كيلو لربع ستين كون

نطريني [أندرب] الصباح وعشي ما نطيحهاش.

م: المكونات تاعها قلتي فيها سحر، تشوشن هادي رام يتعاطو فيها...

ط: تشوشن شوف باش نتفاهمو محمد، تشوشن هي الهاروين ناس بزاف راهي تخلط راهي تهدر برك، [...] يجييوها الأفارق، شوف على حساب (لونتراج) واش رانا ندورو، على حساب وش خدمنا، المكونات لفيها تسمى الحاج (الدونجي) [الخطيرة] لفيها العظم تاع الموتى.

م: العظم تاع الموتى؟!

ط: العظم تع الموتى آه، تلقى فيها شعر من الداخل [...]!

م: قالولي العظم تاع موتى صح، كاين فيها شوي زجاج شوي زجاج مكسّر؟

ط: كاين زجاج كاين كلش، شوف لبييع لبييع نعطيك معلوم لبييع زعم نقولو يجيب (سارتا ميلغرام)، يجيب نقولو (فان غرام)، يرجعها (كارونط غرام)، يلقي الجير يزيدها الجير، كون يعرف يدير الجير ما يفيقلهاش يدير الجير، ولكان يعرف [...] الجيلاتين ما يفيقلهاش يدررو كلش، يزيدها يضربها يقلك مضروب.

م: والشعوذ علاه، وعلاش يديرولها الشعوذ؟

ط: باش (تبروغرامي) [تبرمج] بن ادم (جي بونس) [على ما أظن].

ط: [...] يوجعك قلبك موخ، آآ وي راو خبطني، كي نتفكر قلبي لضرك يخبط موخ، دونجي يا خو، كيفاش لحقنا للشعوذ، أنا نهار حبستها محمد كون نقلك كيفاش حبستها تموت بالضحك، روت عند المحمدية، الحراش عندكم، ديت ثلاث شكاير تيزانا، في (لارسيبيو)، روت، علاش يقلك (سي أونفي أومي)، فهمتي، أنا ديحا قبل ما نروح، كنت حاب ديحا نجس، شغل أنا غاضتني عمري كيفاش كنت [...] نهار لطلعت محمد، نهار لي لحقت أنا لأسطنبول نضت غدوة من ذاك ما عنديش المونك، تأمن ولا ريخ.

م: كاش مر شفت عندك أحبابك ملي ماتو أوفار دوز؟

ط: آآآ يا محمد، وجعتني.

م: ماتو قدامك ولا ناسك تعرفهم ولا، اسمحلي راح نفتح معاك قوس هذا بالصح مي هذا مليح ليجان تواعنا

باش يعرفو خويا لعزير، احكي حط كلش في الطابل.

ط: أم يموتو أكثر ملي يموتو في فلسطين، صدق أو لا تصدق [...]

م: راني نشوف النساء (لجان في)

ط: ولو أكثر من الرجال.

م: هاذي لحيرتي، نأكدوا هاذي تسمى كايْن اه.

ط: (أوفيسيال مو)، نسا بزاف، واحد الوقت كتنا نروحو (لوبيطال) نديرو توعيات تاع البليدا، هكذا مع ليجان (نقسرو)، كان بش تشوف طفل [...] تشوف وحد بالاك في الشهر، ضرك بالاك كون نقلك ليشيفر [عدد] تاع النساء ما نقدرش نقولولك باسكو نخيرك، (لجان في) اه، (ديز ناف أون ديزويت طو) [تسع عشرة سنة، ثمان عشرة سنة]، محمد قاع يشمو ضرك¹.

هـ - طريقة العمل: سنقسم التطبيق إلى جدولين، جدول يتعلّق بالحجج شبه المنطقيّة، ومظاهرها التي فصلناها، مع مراعاة الشرح، وجدول آخر يجمع بين الحجج المؤسسة على بيئة الواقع والمؤسسة لبنية الواقع وفق مظاهرها التي تتطرقنا إليها، ثم نُتبع كل جدول بتعليق بسيط.

خامسا: مَظَاهِرُ الْحَجَجِ شَبَهَ الْمُنْطَقِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ:

المظاهر	التعارض	التماثل	التبادل	التعدية	التقسيم
العبارات الدالة على مظاهر الحجج شبه المنطقيّة	1- يجبدك جيست	1- (تو جور)	1- ومبعد	1- "راني شافي	1- كان (تروا
	باش نت تشري وهو يستعمل يعطيك شوي ويدي الباقي".	الخدمة خدام، راني مع الديكور".	رُوحَت (أفو) سونتر، [...] خرجت دخلت	سهرا، ومبعد منها غيوب ثنيا سنين [...] غيوب ديراكت	زيطاب)، كانت حياة شابًا وحياة (كوشار) ومبعد عاودت وليت حياة واحد اخرى.
	2- المكونات لفيها تسمى (الدونجي) لفيها العظم تاع الموتى.	2- قبل ما تكون حياة واحد اخرى الحياة الشاّبًا هاذي، كانت حياة قبلها؟.	2- "أنت اليوم (كونفوكيتك) أنا للتحقيق، ماشي بش نعاورك، ولّ بش نقلقك، ولّ بش نزيك حاش لله، جبّتك باش	2- (كوما)". 2- راك درت (تشيك)، الخلوي هاذاك، شحال يقعدلك؟.	2- ، يُتبدّل (بريميار (مو) الطفل تلقاه يحوس بزاف على الدراهم، الحاج الثاني، لكان وليدك ولّ خوك ولّ جارك ولّ تفيقلو، يتبدّل يولي خفيف (أنورمال)،
	3- "أنا جامي استعملت أمور أنا روحت (ديراكتمو) دروق دي) هاروين".	3- "ومبعد تولي دوا تولي ادّاوي محمد".	3- بالصّح قالك النشو تاعها كايْن لطول ما يرقدش	3- (كوما)". 2- راك درت (تشيك)، الخلوي هاذاك، شحال يقعدلك؟.	3- (كوما)". 2- راك درت (تشيك)، الخلوي هاذاك، شحال يقعدلك؟.
4- كيفاش حتى وين					

¹ - <https://2u.pw/yac4Ead5>, It was viewed on: 25/01/2025 at: 23:03.

استعملت الهاروين؟". 4- "لحقت (إين دوز) ما تتصورش، بالعقل بالعقل تزيد في لادوز وحدك، تولي شوي نزيد شوي نزيد شوي". 5- "شغل هي نوع من أنواع السحر سحر".	5- "والله يا محمد لحد الآن معلابيش، راني شافي سهرا، (اووو)، ومبعد منها غيبوبة ثنيا سنين..." 6- بالاك تسع وتسعين بالمائة أنه (دروك دو) هي نوع من أنواع المخدرات شغل هي نوع من أنواع السحر سحر.	4- تكون قُدُو". 3- لأنك نت كنت، مدمن، مدمن، تتعاطى جميع أنواع المخدرات، وإذا بيه، فقت مع روحك، الآن وليت موضع الناس دير بيك (أن أكرومبل)	في الليل". 4- (تكوبيلك لايبي) هي ديجا، ما توكلش، يشيان	تفيلو بلي راو مستعمل حاج، بيان في الهدر تاعو، في (ليجاست) تواوغو، (ديفوا) دير عفس بلا ما تجيب خبر. 3- "قالولي العظم تاع موتى صخ، كاين فيها شوي زجاج شوي زجاج مكسر؟".
1- تعارض صريح شراؤك أنت للمخدر واستعماله هو. 2- تعارض صريح بين كون المخدر مادة كيماوية وسحرا (مادي ≠ معنوي) في شيء واحد. 3- نفي وإثبات لاستعمال المخدر في الوقت نفسه. 4- سؤال عن الزمان والمكان في الوقت نفسه وهو أراد الزمان	1- عرّف الخدمة بأنه خدام، ثمَّ عرّف بنوع الخدمة وهي "الديكور"، فالخدمة الأولى كانت مطلقة، وفي الثانية قيدها. 2- الدواء كانت مطلقة، ثم قيدها بالموقف الذي هو فيه من تعاطيه للهاروين (إدمان).	1- خروجه من لعبة كرة القدم إلى العمل سبب في الإدمان. 2- دُعي للتحقيق ليس من أجل التضييق عليه بل ليكون مثالا (مبادلة) قضية التضييق بالقدوة). 3- تبادل قضيتين من	1- من السهرة إلى الغيبوبة إلى المستشفى، ومنه السهرة تؤدي إلى المستشفى. 2- سؤال يتضمن لحظة ضرب إبرة الهاروين (تشيلك) إلى النشوة "الخلوي" إلى زمن النشوة، وبالتالي الهاروين له مدة نشوة محددة،	1- تقسيم مراحل حياة الشاب إلى أقسام وهي: مرحلة جميلة، ومرحلة كئيبة، ومرحلة أخرى. 2- تقسيم مراحل إدمان الطفل أو الشاب عموما: البحث عن المال، ثم مرحلة الخفة والطيش، ثم تغير في كلامه وسلوكاته، ثم القيام بأشياء بلا وعي منه. 3- تقسيم مكونات

3- شوي نزيد	لحظة إدمانه	سأله عنها المحقق.	الهاروين إلى أقسام
5- نفى وإثبات في إدراك استعمال الهاروين (والله ماعلا باليش ≠ راين شافي سهرًا).	الأولى غير شوي نزيد الثانية لأنه تدرّج في الإدمان، المرة الأولى غير الثانية.	3- من الهاروين إلى لحظة تعافيه منها، مبادلة في نفس السيّاق من الإدمان إلى الشفاء.	وهي: عظم الميّت، وزجاج مكسّر، وهناك أمور أخرى جاءت في سياق الكلام أنه يضيف لها البائع "الجير" وهي مادة بيضاء أو الجيلاتين.
4- تماثل	4- الهاروين	4- الهاروين تقطع الشهية ومنه عدم الأكل والضعف، وبالتالي: الهاروين تدمّر الصّحة.	4- الهاروين تقطع الشهية ومنه عدم الأكل والضعف، وبالتالي: الهاروين تدمّر الصّحة.

(جدول 01)

تعليق:

نجد عند اعتماد المنهج الاستقرائي للجدول ما يلي:

1- أن مظهر التعارض بارز بقوة في الخطاب، حضر ستّ مرّات بطريقة صريحة، حيث تجد نفس السيّاق تقع فيه قضيتين متعارضتين، وهو ما يُحقّق كفاءة حجّاجية من منظور المتكلّم، وهذا التعارض يزيد الخطاب منطقيّة، لأنّه يجمع بين نقيضين دلاليين يعززان قيمة الموقف الذي كان فيه الشاب المدمن، ولنأخذ مثالا حتى نفهم أكثر قال الشاب: "يجب عليك جيسيت باش نت تشري وهو يستعمل يعطيك شوي ويدي الباقي"، فالمشتري هو الشخص نفسه، والمستعمل هو غيره (صديقه)، فالظاهر أن يقول "أنا نشري ونستعمل"، ولكن نسب استعمال المخدر للغير، والسبب أن الغير هو المستفيد، فهذا التعارض جاء من إبراز حقيقة صديق السوء، الذي يجتهد في تدمير النّاس، فقيمة التعارض توضّح الأهم فالمهم، فالأهم هو صديق السوء، والمهم هو تعاطيك أنت، والأوّل أعلى درجة من الثّاني، كما يمكن أن يكون التعارض سببا في وقوع الالتباس على متلقٍ من نوع آخر ليس من نفس المجال، فيحتاج المتكلّم إلى

توضيح التعارض ورفع ما استطاع، فقد يكون التعارض مفيداً إذا احتتمل توجيهها خاصاً، وهو موجود في الآيات والآيات والأحاديث، ولذا قرّر علماء الأصول أنه كلّما وجدنا تعارضاً اجتهدنا في الجمع، فإن لم نستطع نزلنا درجة إلى أحكام النَّاسِخِ والمنسوخ، فإن لم ندرك زمن ومناسبة الكلام لجأنا إلى الترجيح، وهو كثير جدّاً، ولا يُعَدُّ ذلك من الخرق ولا من النقص.

2- وفي المرتبة الثَّانِيَةِ يحضر مظاهران من المظاهر الحجاجية المبنية على المنطق بعدد أربع مرّات بطريقة صريحة، هما التماثل والتعديّة، ويُؤَيِّدُ بالأوّل في مناسبة تكرار المعلومة لغرض فائدة زائدة على الأصل، كالتأكيد، والتقييد، والإثبات وغيرها، وهو كما قال عنه الباحثون "من قبيل تحصيل حاصل...، إن صيغة التماثل ليس إلا طريقة شكلية نتوخّاها في تقويم شيء ما تقوياً إيجاباً أو سلباً بواسطة الحشو"¹.

أما النوع الثَّانِي "التعديّة" يكشف عن العلاقة غير المباشر بين القضية وأخرى، وغرضها اختصار المسافات لبلوغ النتيجة مباشرة، ومثال ذلك كما مرّ معنا قال الشاب: "تكوبيك لا بيتي" هي (ديجا)، ما توكلش، يشيان"، نلاحظ أن الفعل "تكوبي" أي "تقطع" تعود على المذكور في سياق الجملة وهي المخدر (الهاروين)، فتصبح المعادلة المترجمة من القول كالآتي:

أ= الهروين / ب= قطع الشهية / ج= يشيان [الضعف]، وبالعلاقة المتعدّية تصبح: أ= الهروين / ج= يشيان.
فالنّتيجه الّتي تؤديها الهروين هو الضعف والدمار للصحة الجسديّة.

3- ثم يحضر نوعان آخران بنفس العدد ثلاث مرّات، أحدهما مبني على المنطق وهو التبادل، والآخر مبني على الرياضيات وهو التقسيم، أما الأوّل فهو مبادلة بين قضيتين من نفس الفئة، وقد ذكرنا ذلك في الشّرح، والثَّانِي علاقة رياضية نحصي بها متتاليات من أصل العبارة الّتي تمثّل الكل، وقد مرّ معنا تفصيل ذلك.

4- عدم حضور النوع الثَّانِي المبني على العلاقة الرياضية "دمج الجزء في الكل" ليس لعدم توقّره في الخطاب، وإنّما لعدم وضوحه جيداً، مما قد يُربك دراستنا ويوقعها في المغالطات، لذا لم نذكرها وإلا فهي موجودة بشكل ضمني مثل مكونات الهاروين الّتي ذكرها الشاب أنّها تتكوّن من "عظم الموتى، والزجاج المكسر، والجير، والشعر، والجيلاتين"

¹ - حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى يومنا هذا، ص 327. (المرجع السّابق)

هذه كلّها تمثّل أجزاء للكل، وبالتالي ما ينسحب على جزء واحد منها ينسحب على الكل، أنّها مضرة بقانون التّعميم

سادسا: مَظَاهِرُ الْحُجَجِ الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى بِنْيَةِ الْوَاقِعِ وَالْحُجَجِ الْمُؤَسَّسَةِ لِبِنْيَةِ الْوَاقِعِ فِي الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ

النّوع		الحجج المؤسّسة على بنية الواقع		الحجج المؤسّسة لبنية الواقع	
المظاهر	السببية	الشخص وأعماله	السلطة	المثل	التمثيل
العبارات الدّالة على المظاهر الحجاجية للسكّين الحاججين.		1- "راني شافي سهرًا، ومبعد منها غيبوب ثمنيا سنين [...] غيبوب ديراكت (كوما)، ومنو الإدمان	1- نقولو (دو مينيت) زوج دقائق الماكس، هاذي كي تكون زعمَ مارك زوج دقائق الماكس.	1- "جبتك باش تكون قُدوّ، نقلك علاش قدوّ، كاين (دي	1- "أم يموتو أكثر ملي يموتو في فلسطين، صدّق أو لا تصدّق".
		2- يُتبدّل (برعيار مو) الطفل تلقاه يحوس بزاف على الدراهم، [...]، الحاج الثّاني، لكان وليدك ولّ خوك ولّ جارك ولّ تفيقلو، يتبدّل يولي خفيف يولي (أنورمال) [غير طبيعي]، تفيقلو	2- "ومبعد توي دوا تويّ ادّاوي محمد، تحكّمك هكّ (إين مينيت) ومبعد تروخ".	جون) [شباب] يقدر يديروك قدوّ، يقندو بيك، علاه؟، لأنتك نت كنت، مدمن، مدمن، تتعاطى جميع أنواع المخدّرات، وإذا بيه، فقت مع روحك، إلان ولّيت موضع النّاس دير بيك (أن أكرومبل) 2- "علاش	
		بلي راو مستعمل حاج، بيان في الهدرّ تاعو، في (ليجاست) تواوغو، (ديفوا) دير عفس بلا ما تحيب خبر	3- "لحقت (إين دوز) ما تتصورش، بالعقل بالعقل تزيد في لادوز وحدك، تولي شوي نزيد شوي نزيد شوي"		
		3- "طحتلو الدراهم منا يكون مونك زيد تتعافر	4- "كي يكون مونك [...] يقدر يقتل، يقدر يدير كلش"		

الشرح	توجد في الخطاب أسباب ونتائج ولكنها غير مباشرة، وغير واضحة إلا بعد الجمع والتأمل	معاه يضربك يقتلك باش يرفد هاذاك الدراهم".	يقلك (سي أونفي أومي)	1- يمثل الشاب سلطة لوحده لأن مجال المخدرات يعرفه أصحابه، والواقع يُبت كلامه، والعلم كذلك، فهو وحده يمثل سلطة باعتبار المجال.	1- يمثل الشاب سلطة، مثلاً، والمثل يؤخذ كقاعدة خاصة يمكن الاعتبار بها، وتتقوى بالشواهد، وهي كثيرة ويكفي سلطة النصوص والعلم والمختصين.	1- تمثيل في مشابهة العلاقة بين الموت والخرم، كالذين يموتون في فلسطين، ووجه الشبه هو التعبير عن الكثرة.
				2- يشهد الشاب بأن النشوة لا تتعدى دقيقة، وهذا بالقياس مع حال أي نشوة لا تستغرق وقتاً طويلاً أكثر من دقيقة.	2- مثل فرنسي مضمونه:	
				3- وكلامه يمثل مرجعاً علمياً وشرعياً، حتى في الحديث: "الخرم أم الخبائث"، وقياساً عليه جميع المخدرات مثله.		

(جدول 02)

تعليق:

بعد النتائج المستخلصة من الجدول الأول وما كان فيها من نتائج، نأتي على الجدول الثاني الذي يجمع بين شكلين من الأشكال الحجاجية أو التقنيات الحجاجية، ولنر أهمية في إبراز مضمون الخطاب الإقناعي نوجزها في النقاط التالية:

1- حجة السلطة مهيمنة على النص؛ لأن المتكلم هو من يعرض نفسه على أنه القدوة، وبما أنه استطاع التخلص من الإدمان، فإنه يمثل قدوة لغيره من المدمنين وبالتالي فهو يملك السلطة في التأثير وإقناعهم، وكل ما يقوله

سَيُقَابَلُ بِالْقَبُولِ عِنْدَ جُمْهُورٍ مُعَيَّنِينَ، وَلَكِنْ عِنْدَ مُتَلَقٍّ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ سَيَرَفُضُهُ أَوْ لَا يَتَفَاعَلُ مَعَهُ، وَهَذَا حَالُ جَمِيعِ النَّصُّوَصِ الْمُقَدَّسَةِ، سُلْطَةُ النَّصِّ تَعْتَمِدُ عَلَى شُرُوطِ السِّيَاقِ التَّوَالِي، مِنْ ظُرُوفِ الْمُتَلَقِّي وَحَيْثِيَّاتِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَغَيْرِهَا، وَلِذَلِكَ حُجَّةُ السُّلْطَةِ هِيَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى بَيْنَةِ الْوَاقِعِ؛ أَيِ عَلَى الظُّرُوفِ الْخَارِجِيَّةِ الْحَاطَةِ بِالْخِطَابِ، فَلَا سُلْطَةَ لِلْخِطَابِ مُعْزُولًا عَنِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُتَلَقِّي، مَا لَمْ تَتَّصِلْ بِالعَالَمِ الْخَارِجِيِّ.

2- ثُمَّ يَأْتِي النَّوعُ الثَّانِي وَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الشَّخْصِ وَأَعْمَالِهِ، فَحُضُورُهَا تَزِيدُ مِنْ قِيَمَةِ الْخِطَابِ عَلَى أَنَّهَا تَجَارِبُ يَتَّعِظُ بِهَا الْمُتَلَقِّي مِنَ النَّوعِ الْخَاصِّ، فَكَلَّمَا حَضَرَتْ التَّجَارِبُ فِي الْخِطَابِ اسْتَطَاعَ بِفَضْلِهَا الْمُتَلَقِّي أَنْ يَجِدَّ أَوْ يَبْنِي عَلَيْهَا، فَالْقَتْلُ الَّذِي قَدْ يَقَعُ مِنَ الطِّفْلِ أَوْ الشَّابِّ بِسَبَبِ عَدَمِ تَوْفَرِ الْمَخْدَرَاتِ، وَالْمُتَضَمِّنُ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ الْكَلَامِيُّ هُوَ النَّصِيحَةُ وَعَدَمُ الْاقْتِرَابِ مِنْ أَيِّ مَخْدَرٍ يَسَبِّبُ الْمَوْتَ لِلْغَيْرِ، وَإِنْ كُلُّ النَّصِّ يَحْكِي عَنِ التَّجَارِبِ وَالْأَعْمَالِ الَّتِي حَدَثَتْ لِلشَّابِّ وَالَّتِي قَدْ تَحْدُثُ لِلشَّابِّ عَمُومًا.

3- وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ يَحْضُرُ الْمِثْلُ مَرَّتَيْنِ بِطَرِيقَةٍ مُبَاشِرَةٍ، مَرَّةً عَلَى لِسَانِ الْمُحَقِّقِ قَائِلًا: "جَبْتِكَ بَاشْ تَكُونُ قُدُّو"؛ أَيِ سَتَكُونُ لَغَيْرِكَ مِثْلًا يُخْتَدَى بِهِ فِي مُوَاجَهَتِهِ لِلْإِدْمَانِ، وَالْمِثْلُ عَادَةً يَكُونُ قَدْ وَقَعَ فِي الْمَاضِي وَأَصْبَحَ قَاعِدَةً خَاصَّةً قَدْ تَنْتَزَلُ فِي ظَرْفٍ خَاصٍّ، مِثْلُ الشَّابِّ يَعْتَبَرُ مِثْلًا وَقَاعِدَةً لَغَيْرِهِ تُضْرَبُ لِكُلِّ شَابٍّ كَانَ فِي مَرَحَلَتِهِ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُعْطِي لِقِصَّةِ الشَّابِّ مَكَانَةً حَتَّى يَكُونَ مِثْلًا هُوَ الْإِعْلَامُ، فَالْإِعْلَامُ وَحْدَهُ سُلْطَةُ قَوِيَّةٌ نَحْوُ تَغْيِيرِ إِرَادَةِ الشَّعْبِ، وَتَوْجِيهِهِ سُلُوكِهِ، أَمَّا النَّوعُ الْآخِرُ مِنَ الْحُجَجِ فَهُوَ التَّمَثِيلُ، وَغَالِبًا فِي الْخِطَابَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ يَكَادُ يَكُونُ مُنْعَدَمًا؛ لِأَنَّ قَضَايَاهَا وَاقِعِيَّةٌ لَا مَجَالَ لِلتَّمَثِيلِ، خَاصَّةً إِذَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِآفَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ مِثْلُ تَعَاظِي الْمَخْدَرَاتِ.

الْحَاصِلُ:

الْخِطَابَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ تَتَمَيَّزُ بِكَوْنِهَا خِطَابَاتٍ تَوْجِيهِيَّةٍ تَوْعُويَّةٍ مِنْ خِلَالِ الْحُجَجِ الَّتِي تَتَوَافَرُ عَلَيْهَا، وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْحُجَجَ شَبَهَ الْمُنْطَقِيَّةِ حَاضِرَةً بِقُوَّةٍ، وَتَمَثَّلُ الْعُمُودَ الْأَسَاسَ، وَأَبْرَزَ الْأَنْوَاعَ ظُهُورًا "التَّعَارُضَ"، حَيْثُ تَدْفَعُ الْمُتَلَقِّي نَحْوَ اسْتِحْضَارِ إِمْكَانَاتِهِ الْإِدْرَاكِيَّةِ الْإِلَازِمَةِ لِدَفْعِ التَّعَارُضِ وَفَتْحِ التَّصَالِحِ بَيْنَ الْأَنْسَاقِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْمُمْكِنَةِ، وَكَلَّمَا كَانَ التَّعَارُضُ مُوجُودًا زَادَ انْتِبَاهُ الْمُسْتَمْعِ وَكَثُرَتْ اسْتِفْهَامَاتُهُ، حَتَّى أَنَّهُ يُؤَدِّي بِهِ إِلَى دَغْدَغَةِ أَفْكَارٍ بِالسَّخَرِيَّةِ كَمَا عَبَّرَ بِذَلِكَ صَاحِبُ الْمَشْرُوعِ "بِرْمَان"، وَهَذِهِ السَّخَرِيَّةُ كَفِيلَةٌ بِأَنْ تَجِيبَ عَنِ التَّعَارُضَاتِ بِأَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ.

وَنَجِدُ أَيْضًا مِنْ أَنْوَاعِ الْحُجَجِ الْمُسْتَسَمَّةِ عَلَى بَيْنَةِ الْوَاقِعِ "حُجَّةُ السُّلْطَةِ"، حَيْثُ اسْتَمَدَّهَا الشَّابُّ مِنَ الْإِعْلَامِ مُبَاشِرَةً وَتَحْدِيدًا مِنَ الشُّرُوقِ "أَوْنَ لَايْن" مِمَّا يَخُولُهُ أَنْ يَكُونَ مُحِطًّا أَنْظَارَ الْجَمِيعِ، وَحَسَبَ قَانُونِ التَّعْدِيَةِ إِذَا كَانَ

الشباب المدمن كغيره من المدمنين إلا أن قضيته ارتبطت بظهوره في الإعلام الإلكتروني ومنه الشباب المدمن قدوة ومثالا لغيره بموجب سلطة الإعلام الإلكتروني.

خلاصة الفصل:

استقام الفصلُ في النِّهَايةِ، وَقَدْ جَمَعَ مَعَهُ الْعَدِيدَ مِنَ النَّقَاطِ، وَأَحْرَزَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَلاحِظَاتِ، وَأَجَابَ عَلَى بَعْضِ التَّسْأُولَاتِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَجْعَلَهُ مُقَارَنَةً عَمَلِيَّةً فِي تَحْلِيلِ الْخِطَابَاتِ الْبَشَرِيَّةِ نُوجِزُ بَعْضَهَا فِيمَا يَلِي:

1- لقد استطاعت المجالات الثلاثة المرتبطة بالتداولية أن تستقل كل واحدة برؤيتها مما يجعل نظرية الأفعال الكلامية تداولية خاصة، والاستلزام التخاطبي كذلك تداولية خاصة، والتقنيات الحجاجية تداولية خاصة، ولذلك جمعها البروفيسور "رزيق بوزغاية" في كتاب كامل وعنوانه بـ "التداوليات"، بدل "التداولية"؛ لأن كل مجال يربط اللغة بالمتكلمين في ظروف معينة حريٌّ به أن يستقل فصلاً.

2- لا يمكن أبداً اعتبار "التداوليات" فرعاً مستقلاً عن حقيقة اللسانيات، بل هو مقارنة غنية بالمجالات، ومضمونها الأساس؛ هو التواصل بين المتكلمين، وحدث التواصل يُوجِبُ حضور المتحاورين وأدوارهم وفاعليتهم، كما رأينا ذلك في الخطاب الاجتماعي.

3- يدفعنا المطلب الأول نحو الإنجاز المباشر للأفعال القولية بقصدية واضحة دون تأويل، وقد رأينا ذلك في الخطابات المحللة فكانت أغلب الإنجازات الكلامية تتركز على دفع المذيع أو المصلح للأطراف المستضافة نحو طلب المعلومات منهم حتى يُعالج موضوعهم، كما كان دور الأطراف مؤثراً من خلال فعلهم اللساني، وهذا أدى في النهاية إلى ناتج من الفعل الكلامي وهو التعاطف مع الأطراف في جميع الأشرطة المعروضة.

4- يمدنا الاستلزام التخاطبي بقواعد جوهرية بحيث إذا استند عليها المحلل استطاع الكشف عن قصد المتكلم، في أي مجال من المجالات، وذلك بمحاولة تتبّع مدى خرق تلك القواعد، وكيف يمكن ترميمها، والبحث عن مكافئ لها ضمن إطار السياق الاستعمالي.

5- تعتبر التقنيات الحجاجية لوحدها مجالا يستحق أن تُخصّص له الإمكانيات المعرفية اللازمة، واستثماره في ميادين أخرى، فقد رأينا كيف استطاع الشاب المدمن أن يخلق فضاءً واسعاً من الحجج "شبه المنطقية" والتي جعلت المستمع في ترقب مستمر، خاصة ما أضافه من بعض العبارات كـ "السحر"، والشعوذة، والزجاج، وعظم الموتى".

6- يبقى الدرس التداولي واحدا من أهم الدروس التي تقاطعت مع العلوم الأخرى، والتي يحتاج إليها كل باحث أكاديمي ليقترّب من العالم الخارجي، وأن يصنع من المتلقي وسيلة لبناء خطابتنا، فالقصد في النهاية يرمي إلى مراعاة أحوال المتكلمين في سياق المواضع اللسانية.

خاتمة

خاتمة

تعتبر وسائل الإعلام الإلكترونية ذات قيمة كبيرة في المجتمع المعاصر؛ بفضل سهولة استخدامها، وانتشارها السريع بين الناس، حيث مكّنها ذلك من الدّخول في عصر جديد عصر التّقنيات الرّقميّة، وبعد فرض "العولمة" على النّاس بكلّ فيئاتهم التّعامل معها بقصد أو بغير قصد، بات من الضّروري التّواصل بها، ومما تفرضه هذه الوسائل الإعلاميّة الإلكترونيّة موضوع اللّغة العربيّة، وقد رأينا من خلال دراستنا للمجالات الثلاثة (العلميّة، والدّينيّة، والاجتماعيّة)، كيف استطاعت اللّغة أن تؤثر على المتلقّي، وقد أبان الإعلام الإلكترونيّ لقناة الشّروق "أون لاين" عبر مختلف وسائله نماذج كثيرة من الخطابات الّتي تعكس ثقافة المجتمع، ومن خلال اللّغة المستعملة بين فصحيّ العصر بمستوياتها العاميّة (الشبيهة بالفصحى) تجلّت التّأثيرات الحتميّة لها، وقد استقامت الرّسالة على حصيلة النّتائج التّالية:

أولاً - نتائج عامّة (تخصّ الجانب النّظريّ):

1- استطاعت الدّراسة اللّسانيّة أن تصنع فضاءً واسعاً من الأدوات والاقتراحات والنّماذج التّحليلية عبر مراحل تطوّرها بفضل المظهر الطّبيعي للّغة، ذلك أنّ اللّسانيّات ما كانت لتتأسّس معرفيّاً لولا وجود النّصّ والخطاب، وهذا الأخير كان سبباً في الكشف عن المناهج المتعدّدة للّسانيّات الحديثة.

2- تعدّدت رؤى الباحثين اللّغويّين واللّسانيّين حول كينيّة صنع هذه الأدوات والآليات والعمل بها، والّتي تحقّق للدّرس اللّسانيّ غايته من الوصف والتّحليل، بين الآخذين بنموذج الأقدمين مكتفين بالتّعليق عليه وترسيمه في أبحاثهم، وبين العاملين بنموذج الغربيين مستندين إلى شروط الحداثة، فاستطاع بحثنا بفضل الجهود المتواصلة طيلة ثلاث سنوات أن تُقارب بينهما عملاً بالقاعدة الأصوليّة العامّة "الجَمْعُ أَوَّلَى مِنَ التَّرْكِ".

3- تتقاطع المباحث اللّغويّة القديمة عند العرب مع الكثير من المباحث اللّسانيّة الحديثة في الجوهر، وتختلف معها في العرض، فإذا كان القدامى أشاروا إلى الموضوعات الحديثة في زمانهم، إلا أنّهم يفتقرون إلى المنهجية الصّارمة في مُباحثَةِ القضايا الجزئيّة، فالإشارات القليلة لا تكفي لبناء بحث علميّ متوازن، ولذا كان دور الغربيين هو تنظيم هذه الأفكار، وإعطائها فرصة الظهور في شكل قوانين وتخرجات نظريّة مستقلّة.

4- كشفت الدّراسة عن نمطين لسانيّين مختلفين أحدهما يصف ويحلّل، والآخر يستلزم ويؤوّل؛ وكلاهما يجتمع تحت مفهوم المقاربة اللّسانيّة، فما كان الدّرس الصّوّتي ليتشكّل لولا الحاجة إلى الكلمة، وما كانت الكلمة لتُصاغ لولا النّسق التّركيبيّ، وما حضر النّسق في سياق إلّا للدّلالة على أمر، وما استحقّ المعنى ذلك إلّا لتعدّده في النّفس وفي

الخارج، وما حصل التَّعَدُّدُ إِلَّا بتداعي المقاصد والغايات، وما خرج الملفوظ من اللِّسان إِلَّا لبناء عالم خاصٍّ، وما تشكَّل هذا العالم، إِلَّا للتَّأثير في البنية الاجتماعيَّة العامَّة، فالتَّكامل بين النمطين ضروريٌّ لتحقيق غرض الدِّراسة اللِّسانيَّة.

ثانياً- نتائج خاصَّة (تعلُّق بالشقِّ التطبيقي):

1- تتميَّز بنية الخطاب العلمي بمجموعة من الخصائص الصوتية والتركيبية، منها ما يتعلُّق بالمادَّة الجاهزة؛ حيث كشف التحليل اللساني عن ظواهر متعدِّدة، منها كثرة تسكين الكلمات ممَّا أدَّى إلى تشوُّه التَّراكيب، ناهيك عن اختلاس زمن الحرف ممَّا أدَّى إلى حذفه غالباً، وتداخل المخارج والصِّفات، وحذف "التاء" المربوطة دائماً في آخر كلمة من الجملة، واضطراب مواضع التَّبر، وكذلك من النَّاحية النَّحويَّة سقوط العلامات الإعرابيَّة غالباً، وإن حظيت الكلمات بالعلامة فهي غير مناسبة للموضع الَّذي حلَّت فيه، وهذا ما يسمَّى قديماً بـ"ظاهرة اللّحن" وهو معروف عندنا بالخطأ، وأما عن المادَّة غير الجاهزة التي يكون فيها دور المتحدث دوراً عفويًّا فهي تتميز أيضاً بأنَّ لغتها تنتمي إلى اللُّغة المحليَّة الجزائريَّة، وقليلاً ما نسمع بعض الألفاظ الفصيحة، وما انطبق على الخطابات الجاهزة من ظواهر صوتيَّة وصرفيَّة ينطبق على هذه أيضاً، بالإضافة إلى ظاهرة نحت الكلمات، وزيادة بعض الحروف للتَّوكيد مثل "الشين" الَّتِي تأتي في موضع نهاية الأفعال المضارعة، وتكون ملازمة لـ"ما" النافية" مثل "ما تطلعش" و"ما تحملش"... الخ، وكلّ هذا سبق تفصيله وتعليله فلسفياً، ناهيك عن الوقفات الكثيرة في غير موضعها دون اكتمال سياق الجملة، والتَّردّد المستمر بعد نطق كلِّ كلمة وجملة، والَّذي مثَّلته الخالفة الصَّوتيَّة "آآآ".

ولهذا تأثير سلبيٍّ على اللُّغة الفصحى، وتهديد مباشر لأمنها وسلامتها، فقد يتحدَّج الطبيب بأنَّ اختصاصه ليس عربياً، نقول بل الواجب على من تعلَّم ودرس في دولة عربيَّة وإسلاميَّة أن يُجيدَ ولو أبسط القواعد العربيَّة ليعكس هويَّته في مجاله، فقد يعطي انطباعاً مناسباً للمتلقِّي العربيِّ والأجنبيِّ خاصَّة، في قدرة الطبيب على تمثيل مجاله في لغته الخالدة؛ إذ المريض في حاجة ماسَّة إلى الكلمات المريحة واللُّغة السليمة ليطمئنَّ قلبه.

فالدَّرس اللِّسانيّ استطاع أن يُحقِّق بأدواته وآلياته كشفاً دقيقاً لعناصر التَّركيب اللُّغويِّ، وأن يصل إلى كلِّ حدودها، بدءاً من الصَّوت مخرجاً وأداءً، مروراً بالصَّيغ الصَّرفية وتوظيفاتها الدَّلاليَّة، انتهاءً عند القرائن النَّحويَّة، من أجل معرفة مدى اتِّساق الخطابات، وقربها من المعيار الصَّوابي تحقيقاً وتعليقاً.

2- أثبتت النماذج الدلالية كفاءتها التقديرية في معالجة الخطابات الدينية، رغم ما ينقصها من دقة في التأصيل، وحتى تكون مساعدة أكثر في التحليل راجعنا بعض مصطلحاتها، وعدّلنا بعض جزئياتها لا على سبيل الاستدراك ولكن إعمالاً للرأي الذي لا يخالف منهجية البحث العلمي، بداية بنموذج تشاكل الخطاب الذي رأينا أنه يساعد كثيراً في ضبط القضايا وفق قانون قيد الاختيار، وأنه يجعل الخطاب أكثر تماسكاً إذا أحسن المتكلم وضع دلالاته بطريقة أقرب إلى المنطق المشروط، مروراً بنموذج البنية الكبرى الذي عرف شيئاً من التذبذب المفهومي؛ بسبب عدم تفريق صاحبه بين البنية الكبرى وموضوع الخطاب فجعلهما بمثابة شيء واحد، فالأول ما هو إلا طريق للثاني، وبيناً رؤيته ورؤية "ميشال آدم" حولها، وأن هذا الأخير اقترب من تصور حقيقة البنية الكبرى، انتهاءً بنموذج الربط بين القضايا وفق أشكال العلاقة السببية، التي أظهرت تماسك الخطاب الديني، وأن كل قضايا الجزئية محكومة بأدوات منطقية تجعله محققاً لأبعاده التواصلية.

3- كشف الدرس التداولي بفضل آلياته ومباحثه عن مقاصد المتكلمين، فالفعل الكلامي لازم الخطابات فكان الفعل الأدائي هدفه توصيف الظروف التي عاشها المتكلم، والمتضمن من هذا التوصيف قولاً وفعلًا هو التأثير في المتلقي، كما ساعدت القواعد التخاطبية على استدراك المعاني الخفية والمضمرة في الخطاب، وهو ما ساعد على صنع خطاب متماسك تداولياً، بالإضافة إلى التقنيات الحجاجية التي توافرت في الخطابات، زادتها منطقية وسلامة من الغموض، رغم بعض الجزئيات التي تحتاج إلى تمعن إلا أنه في العموم الأغلب كانت خطابات متماسكة ومتوازنة.

4- استطاعت وسائل الإعلام الإلكترونية أن تؤثر في الخطاب العربي سلبيًا وإيجاباً، حيث كانت السلبيات واضحة من خلال الأساليب الضعيفة في التعبير، واستخدام الألفاظ الأجنبية بكثرة، ما عدا الخطاب الديني كان خطاباً عربياً بنسبة مقبولة مع ما ينقصها من التحضير الجيد، وهذا ظاهر من خلال بعض العبارات التي تتكرر بصفة عشوائية، والحوالف الصوتية من التكعكع والآهات، والحركات الكثيرة بالجسد، وهو نفسه بالنسبة للخطاب الاجتماعي، والعلمي، أمّا الإيجابية فهي في طرح الموضوعات، وحسن إدارة المحادثات، واحترام الإيديولوجيات.

6- ساهمت مدونة الشُّروق "أون لاين" عبر مختلف وسائلها الإلكترونية في توصيل صورة مفصلة عن واقع بنية اللغة العربية في الجزائر، وهذه المساهمة أبقت على أثرين، أثر سلبي؛ وهو مدى تأثيرها السلبي على العربية الفصحى، وأثر إيجابي؛ وهو تبسيط لغة الخطاب حتى تكون معقولة، خاصة تلك المسائل المتعلقة بالجانب الطبي، فلو تكلم

بالعربية الأصيلة ما أدرك المتلقي البسيط مرام الخطاب، ولذا كان الأصل في تشكيل الملفوظات أن تكون مخزجةً على القاعدة الأصولية "لا إفراط ولا تفريط".

تخرجنا على الشاهد الذي يقول فيه "أبو البقاء الرندي" (ت 684 هـ): "لكلّ شيء إذا ما تم نقصان"، يبقى كلّ إنجاز وجهد بشريّ يفتقر إلى الكمال؛ إذ النقص صفة كلّ بحث وباحث، ولذا الحرص على تقويم وإصلاح وإضافة ما يكون مناسباً للبحث العلميّ أمر ضروريّ، وقيد لازم؛ وحتى ينضج العلم بما فيه من ثمار، لا بدّ من توصيله بأهم التوصيات التي تناسب مكانة الموضوع المقترح، وإرفاق النتائج بمقترحات عملية، وهذه أهمها:

- 1- ربط مخابر البحث الأدبيّة واللّغويّة بالمجال الإعلاميّ، وإعطاء فرصة للباحثين أن يقدّموا محتويات مناسبة عن أهميّة العربيّة الفصحى في تشكيل خطابتنا، والحرص على تضمينها في كلّ المجالات الإعلاميّة.
- 2- إقامة ورشات وملتقيات مستمرة دون انقطاع عبر وسائل الإعلام الإلكترونيّة وإخراجها من حيّز الجامعة إلى فضاء الإعلام الرّحب، حتى تُثمر ولو بنسب قليلة؛ فإنّ أحب الأعمال أدومها وإن قلّ.
- 3- ضرورة حرص المخابر البحثيّة على تأطير الطّلبة في جميع المجالات عبر مرحلتيّ الليسانس والماستر وتكوينهم في مجال اللّغة العربيّة؛ إذ هي وسيلة في أداء العلوم الأخرى، وأن يجتهد الباحثون في كلّ مجال في تعريب المصطلحات الأجنبيّة وإيجاد بديل عربيّ لها، حتّى تتراحم اللّغات الأخرى وتكون لنا منقبة التّاريخ المغتصب.
- 4- المساهمة في صنع محتويات عن اللّغة العربيّة عبر الوسائط الإلكترونيّة، وتخصيص ميزانية مستقلّة لأداء هذا العمل الخالد، وخير شاهد على ذلك "حصّة أمالي" في الأدب، وحصّة "فاضل السّامرائي" في البلاغة.
- 5- تشكيل فرق بحثيّة من المجالين الإعلاميّ واللّسانيّ، وعقد ندوات باستمرار سواء عبر الوسائل الإلكترونيّة، أو الملتقيات المباشرة، وإن كانت هذه الأخيرة أفضل، للتّشاور والتّعاقد على نشر وعي سياسة التّخطيط اللّغويّ.

قائمة المصادر

والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً - قائمة المصادر

1. <https://2u.pw/0Fr0K3Q3>
2. <https://2u.pw/1Q2796B9>
3. <https://2u.pw/1tVHu8ZH>
4. <https://2u.pw/3A0hJHM2>
5. <https://2u.pw/3NUBgZHM>
6. <https://2u.pw/5I0xUdgl>
7. <https://2u.pw/5VnaD6qh>
8. <https://2u.pw/6hw9RDKO>
9. <https://2u.pw/B5MC1hT6>
10. <https://2u.pw/FEqNbytL>
11. <https://2u.pw/gIANhndl>
12. <https://2u.pw/HiwaHgUC>
13. <https://2u.pw/iTqwPFq0>
14. <https://2u.pw/mf6cYO87>
15. <https://2u.pw/NdgOXk4D>
16. <https://2u.pw/nGTkHy1v>
17. <https://2u.pw/pd2dSEP9>
18. <https://2u.pw/TgVKfF8M>
19. <https://2u.pw/yac4Ead5>
20. <https://2u.pw/yDbLuu2j>
21. <https://2u.pw/yej8yoow>



22. <https://2u.pw/zoWoleuO>
23. <https://2u.pw/zRThMRlr>
24. <https://2u.pw/zunJpEfB>
25. www.youtube.com/@EchoroukTVOfficiel

ثانياً- المعاجم

1. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1979م.
2. ابن فارس، الصاحي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
3. الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتّباً على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
4. ابن منظور: جمال الدّين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

ثالثاً- الكتب التراثيّة

1. الأشموني: نور الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عيسى بن محمّد، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، تح: محي الدّين عبد الحميد، (د.ط)، (د.ت).
2. الأسترباذي: محمد بن الحسن الرضي، شرح شافية ابن حاجب، تح: جماعة من الأساتذة، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ط)، 1982م.
3. ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء، كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء، تح: رمضان عبد التّواب، (د.ط)، (د.ت).
4. ابن الأثير: مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد الحزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطانجي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1963م.
5. البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه، صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ.
6. الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، دار الأمان، الرباط، ط1، 1998م.

7. الجمحي: أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ط)، (د.ت).
 8. ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952م.
 9. ابن جني، التصريف الملوكي، تح: البدرأوي زهران، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية، القاهرة، ط1، 2001م.
 10. ابن جني، المنصف في شرح تصريف المازني، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1954م.
 11. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، (د.ط)، 2010م.
 12. ابن خلدون: أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان، المقدمة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط4، (د.ت).
 13. الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1988م.
 14. السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، رفع الحاجب عن مختصر بن الحاجب، تح: علي محمد معوض، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1999م.
 15. السيوي: أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، طبعة بولاق، (د.ط)، 1317هـ .
 16. السيوطي: عبد الرحمان جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 2008م.
 17. الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد بن ترهان بن أوزلاخ، كتاب الحروف، حقّقه وقَدّم له: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1990م.
 18. ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، بدائع الفوائد، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- رابعاً- قائمة المراجع العربية:

1. ابن الأجرّوم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنّهاجي، متن الأجرّوميّة، تح: حايك النّبهان، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
2. أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م.
3. أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1997م.
4. إبراهيم السامرائي، التطور اللّغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981م.

5. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1981م.
6. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1997م.
7. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1992م.
8. إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م.
9. إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
10. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012م.
11. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1994م.
12. تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1990م.
13. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، (د.ط)، 2014م.
14. جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظرية الإعلام، دار الفكر العربي، ط2، 1978م.
15. حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007م.
16. الحسن بنو هاشم، نظرية الحجاج عن شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2014م.
17. حسن ظاظا، اللّسان والإنسان، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (د.ط)، 1990م.
18. حسنين شفيق، الإعلام الجديد والجرائم الإلكترونية، دار فكر وفن، (د.ط)، 2015م.
19. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى يومنا هذا، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، فريق البحث في البلاغة والحجاج، كلية الآداب منوبة.
20. حمدي حسين، نظرية الاتصال واستراتيجيات البحث في الدراسات الإعلامية، مجله الإعلام، (د.ط)، 1997م.
21. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1992م.
22. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م.
23. ابن دقيق العيد: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، ط6، 2003م.

24. رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النصّ، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2018م.
25. زيد منير سليمان، الصحافة الإلكترونية، دار أسامه للنشر، ط1، 2009م.
26. سعيد بنكراد، سيمائيات النصّ مراتب المعنى، دار الأمان، الرباط، ط1، 2018م.
27. سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986م.
28. صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2009م، 1430هـ.
29. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2008م.
30. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان القاهرة، ط1، 1996م.
31. طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1998م.
32. طه عبد الرحمان، عاطف عدلي العبد، الاتصال والرأي العام، الأسس النظرية والاسهامات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993م.
33. عبد الأمير الفيصل، الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي، الشروق، عمان، ط1، 2005م.
34. عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة الجزائر، 2000م.
35. عبد الرحمان الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات الجمع الجزائري للغة العربية، (د.ط)، 2016م.
36. عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، (د.ط)، 2012م.
37. عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب 3، (د.ط)، (د.ت).
38. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007م.
39. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007م.
40. عبد الرحمان الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2012م.
41. عبد الرزاق محمد الديلمي، المدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال، دار الثقافة، عمان، ط1، 2011م.
42. عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والتحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، ط1، 1987م.
43. عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط2، 1986هـ.



44. عبد القادر عبد الجليل، علم الصّرف الصّوتي، دار أزمنة، عمان، ط1، 1998م.
45. عبد القادر فاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، دار توبقال، المغرب، ط1، 1985م.
46. عبد الملك الدنان، البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندريّة، 2006م.
47. عبد المؤمن بن عبد الحقّ البغدادي الحنبلي، تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاهد الفصول، شرح: عبد الله بن صالح الفوزان، (د.ط)، (د.ت).
48. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004م.
49. عبد الوهاب حمودة، القراءات واللّهجات، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1948م.
50. عبده الرّاجحي، التطبيق الصّرفي، دار النهضة العربيّة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
51. عبده الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندريّة، (د.ط)، 1996م.
52. علي جميل سلوم، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1.
53. علي عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربيّة، (د.ط)، 1945م.
54. قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د.ط)، (د.ت).
55. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ط1، 2000م.
56. كاصد ياسر الزبيدي، فقه اللّغة العربيّة، دار الفرقان، ط1، 2004م.
57. لؤي الزعبي، الوسائط المتعددة، الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، (د.ط)، 2020م.
58. ليلي خلف أيوب السبعان، قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2014م.
59. محمد العبد، النّصّ والخطاب والاتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2014م.
60. محمد العبد، بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، دار الفكر العربي، (د.ط)، 1999م.

61. محمد طروس، النَّظريَّة الحجاجية من خلال الدِّراسات البلاغية والمنطقيَّة واللِّسانيَّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2005م.
62. محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1979م.
63. محمد منير حجاب، وسائل الاتصال "نشأتها وتطورها"، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2008م.
64. محمود عكاشة، النَّظريَّة البراغماتية اللِّسانية (التَّداوليَّة)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط1، 2013م.
65. محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي - دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال-، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005م.
66. محمود فهمي حجازي، الأسس اللُّغويَّة لعلم المصطلح، مكتبة غريب، (د.ط)، (د.ت).
67. محمود محمد سفر، الإعلام موقف، مطبعة تامة، السعودية، ط1، 1982م.
68. مسعود صحراوي، التَّداوليَّة عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللِّسانيّ العربي"، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.
69. مشتاق عبَّاس، المعجم المفصَّل في فقه اللُّغة، دار الكتب العلميَّة، ط1، 2001م.
70. مناف مهدي محمد الموسوي، علم الأصوات اللُّغويَّة، جامعة السابع أبريل، ليبيا، ط1، 1993م.
71. هشام عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
72. يوسف محمد، النَّظريَّات النَّفسية والاجتماعيَّة في وسائل الاتصال المعاصرة والإلكترونيَّة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط2، 2015م.
73. المعجم العربي الأساسي، إعداد مجموعة من اللُّغويِّين العرب بتكليف من المنطقة العربيَّة للتربية والعلوم الثقافية، توزيع لاروس، (د.ط)، (د.ت).
- خامسا- المراجع الأجنبيَّة المترجمة:
1. أف. آر. بالمر، علم الدَّلالة، تر: مجيد الماشطة، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، (د.ط)، 1985م.
2. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1979م.

3. برنت روبن، الاتصال والسلوك الإنساني، تر: نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية، جامعه الملك سعود، معهد الادارة العامة، (د.ط)، 1991م.
4. تون فان دايك، النص والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000م.
5. تون فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة، ط2، 2005م.
6. جورج يول، التداولية اليوم "علم جديد في التواصل"، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
7. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار الأمان، ط1، 2010م.
8. جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، (د.ط)، (د.ت).
9. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات دار الاختلاف، بيروت، ط1، 2007م.
10. فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، الرباط، المغرب، (د.ط)، 1986م.
11. فيرنر كليماير وآخرون، أساسيات علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009م.
12. فيليب بروتون، سيرج برو، ثورة الاتصال نشأة إيديولوجية جديدة، تر: هالة عبد الرؤوف مرد، دار المستقبل العربي، بيروت، (د.ط)، 1993م.
13. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2007م.
14. كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، 2008م.
15. ماري نوال غاري بريو، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهم الشيباني، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، (د.ط)، 2007م.



16. هونغ، ليفيك، وآخرون، السلطة والاتصال، تر: نظر جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1991م

سادسا- المراجع الأجنبية:

1. A. J. Greimas; Maupassant, La sémiotique du texte, éd Seuil, paris, 1976.
2. A. J. Greimas; Sémantique structurale, éd, Larousse, Paris, 1966.
3. Austin; quand dire c'est faire, Introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970.
4. Bronislaw Malinowski; The problem of meaning in primitive languages, London, 10th edition 7th impression 1969.
5. Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Bruxelles, Editions de l'université de Bruxelles, 1969.
6. Daniel Jurafsky and James H. Martin, Speech and Language Processing, Cambridge, MA, 1e édition 2009.
7. Hinde E, R.A. Non-verbal communication, Cambridge at the university, Press, id: 1972.
8. Introduction aux lectures de D. Maingueneau: lanalyse du discours, l'archive, hachette, paris, 1991.
9. Jean Michel Adam; La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse textuelle des discours, Armand Colin, Paris, France, 2^e édition, 2008.
10. Jean Michel Adam; Les Textes Types et prototypes, Armand Colin, Paris, 2^e edition 2001.



11. Joseph Courtés: La sémiotique du langage. Armand Colin, paris 2007.
12. Le petit Larousse illustré; Paris cedex 06, id: 1998.
13. Lyons, J, Ling. Générale, Larousse, Paris, 1970.
14. Nicole Delbeque; Linguistique cognitiveLes, Comprendre comment fonctionne le langage de boeck bruxelles, Belgique, 2^e édition 2006.
15. Philipe Blanchet; la pragmatique d'Austin à Goffman, collection référence, édition, Bertrand La coste, paris, France, 1995.
16. Pierre Frath; Sémantique, référence et acquisition automatique de connaissances a partir de textes, France, Novembre 1997.
17. Roman Jakobson; Essais de linguistique générale; Paris; id: 2003.
18. Trubetskoy; principe de phonologie, paris, 1949.
19. Zellig harris; Language and information, Columbia University Press, New york 1988.

سابعاً- الرسائل الجامعية:

1. دليلة مزوز، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني -سورة البقرة أنموذجاً- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م.
2. مانت بولغيتي، جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العام -دراسة وصفية-، مذكرة الماجستير، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2014م/ 2013م.
3. محمد بوعمامة، علم الدلالة بين التراث وعلم الحديث، رسالة دكتوراه، قسنطينة، 1993م.

سادساً- المقالات والندوات والمنشورات العلمية:

1. جعفر زروالي، مصطلح اللسان بين المفسرين واللغويين، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الجزء الأول، العدد 15، ربيع الأول 1439هـ/ نوفمبر - ديسمبر 2017م.



2. خليل سمعان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج 1، مج 43 يناير 1967م، رمضان 1387هـ، على هامش دعوى الصعوبة في تعلم العربية.
 3. ذهبية حمو الحاج، قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل، العدد الثاني، ماي، 2007م.
 4. شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شايم برلمان، مجلة التعليمية، المجلد: 5، العدد: 15 سبتمبر 2018م.
 5. عادل فاحوري، الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، المجلد 20، العدد 3، 1989م.
 6. عاصم شحادة علي، المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة في التركيب: دراسة في الدلالة، المجلد 35، العدد 3، 2008م، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية.
 7. عبد العالي موساوي، دور تعديل القوة الإنجازية للفعل الكلامي في تبليغ محتوى تعليمي، حصّة تعليمية (فهم المنطوق) - في مرحلة المتوسط-، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد: 05، العدد: 01 مارس 2022م.
 8. عمار مرياش، بلاد العجائب (مجلة الضاد)، معهد الآداب واللغة العربية جامعة قسنطينة، دار الشهاب باتنة، الجزائر، العددان 10 و 11.
 9. لكادة ليلي، في الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، في العدد الأول، من شهر ربيع الأول، عام 1430هـ، ما يوافق مارس 2009م.
 10. محمد عبد العزيز عبد الدايم، نظرية الصّرف العربي "دراسة في المفهوم والمنهج"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 21، 2000م/2001م،
- ثامنا- المواقع الإلكترونية:

1. [http:// ar .wikipedia .org /wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)

الملاحق

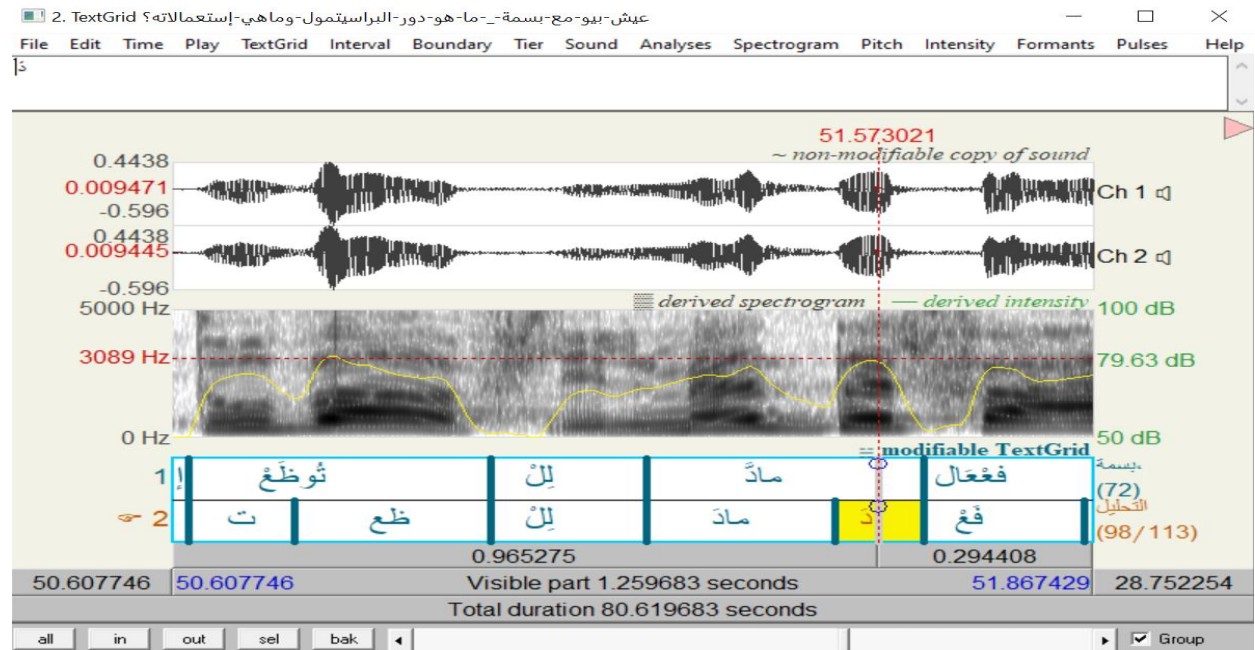
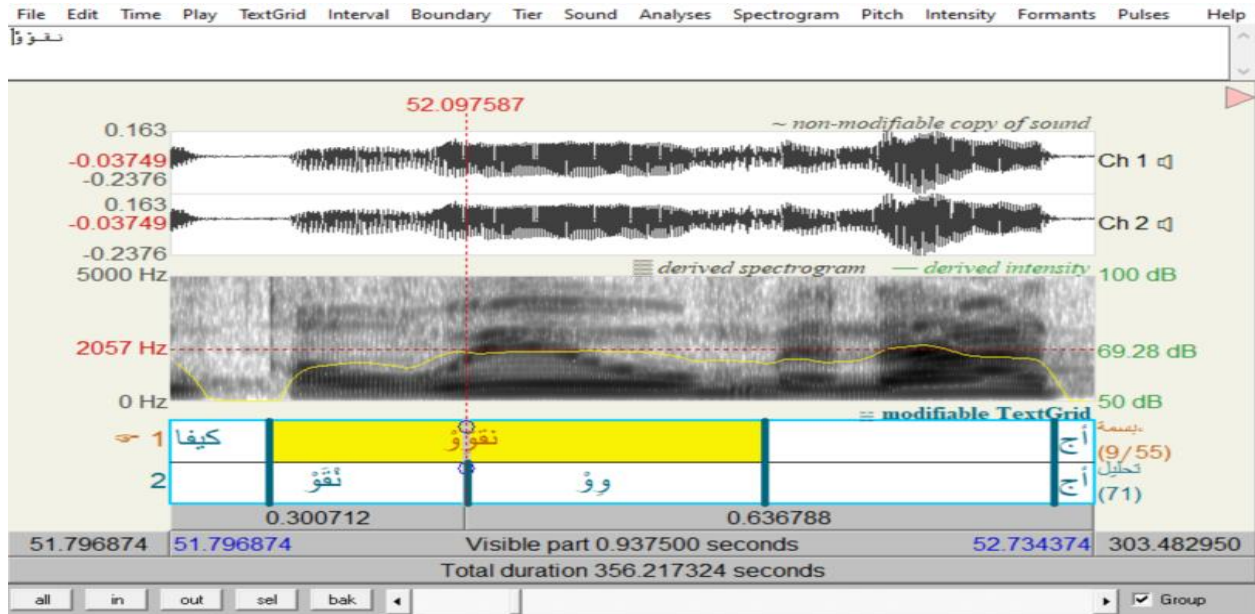


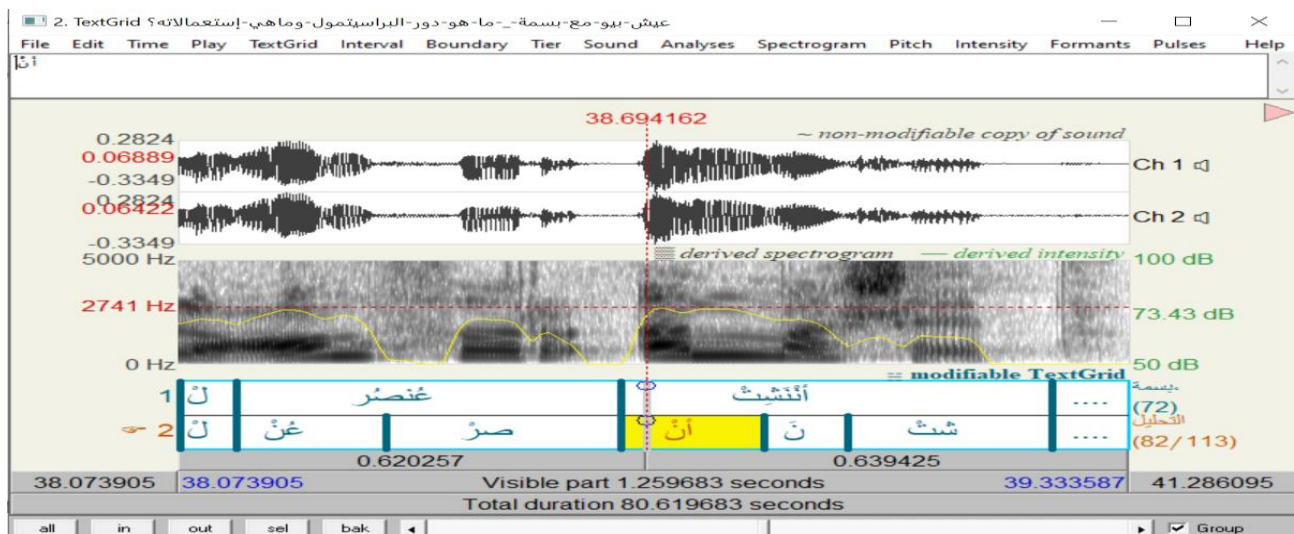
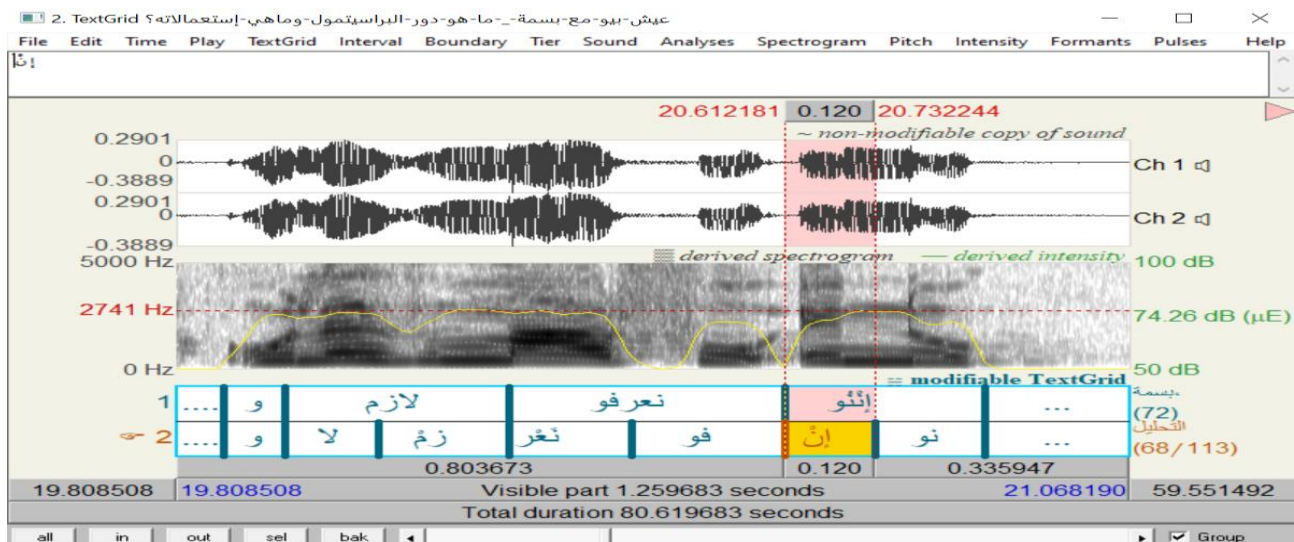
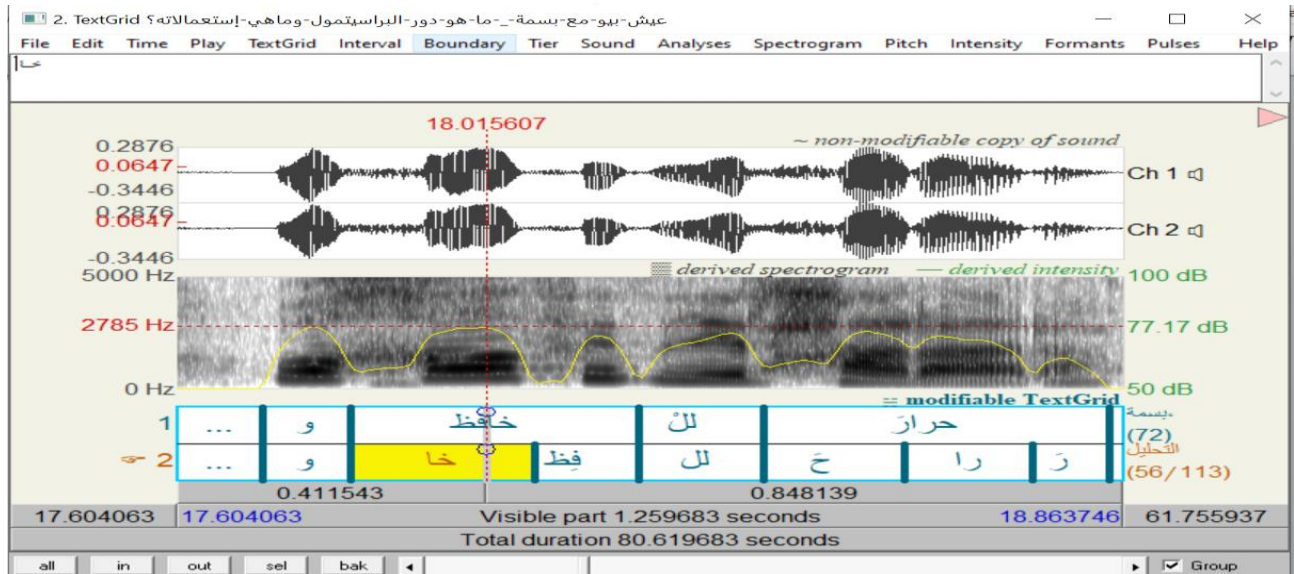
الملاحق

صور من برنامج برايت للنبر والتتغيم للأشرطة الثلاثة

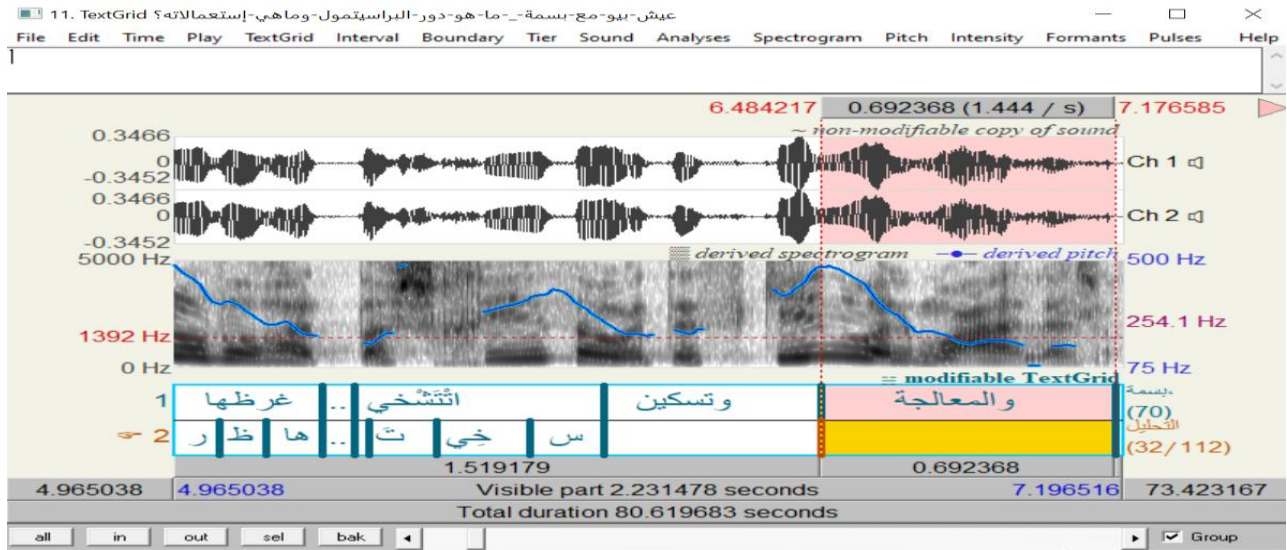
الشريط الأول:

1- النبر في الكلمات: (نقوؤ/ فعل/ توضع/ مادّ/ خافظ/ حراز/ إنو/ نعرفو/ لازم/ أنشطت/ عنصر)



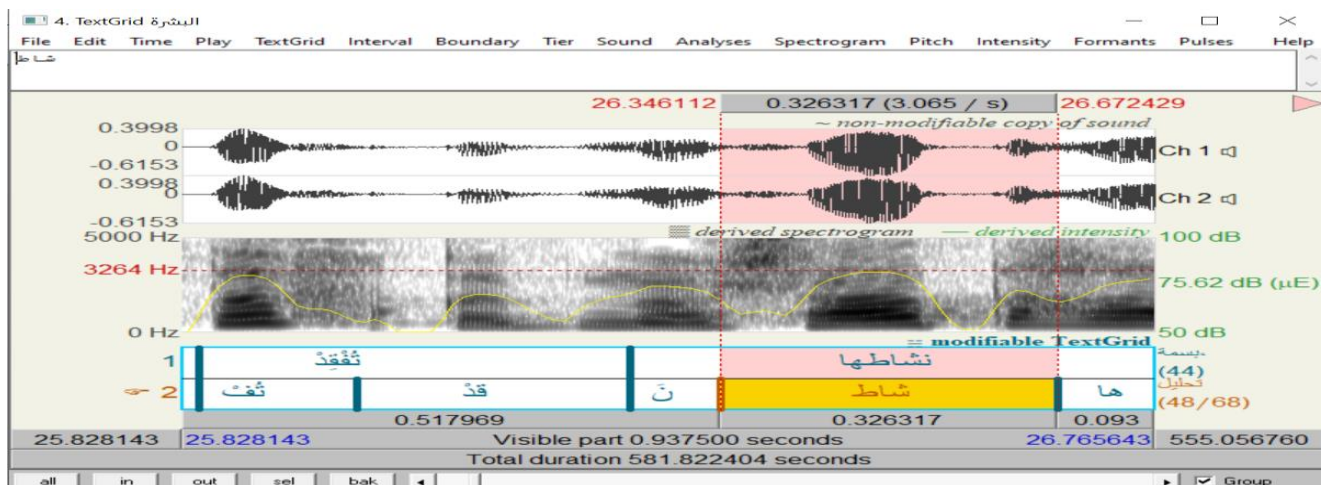
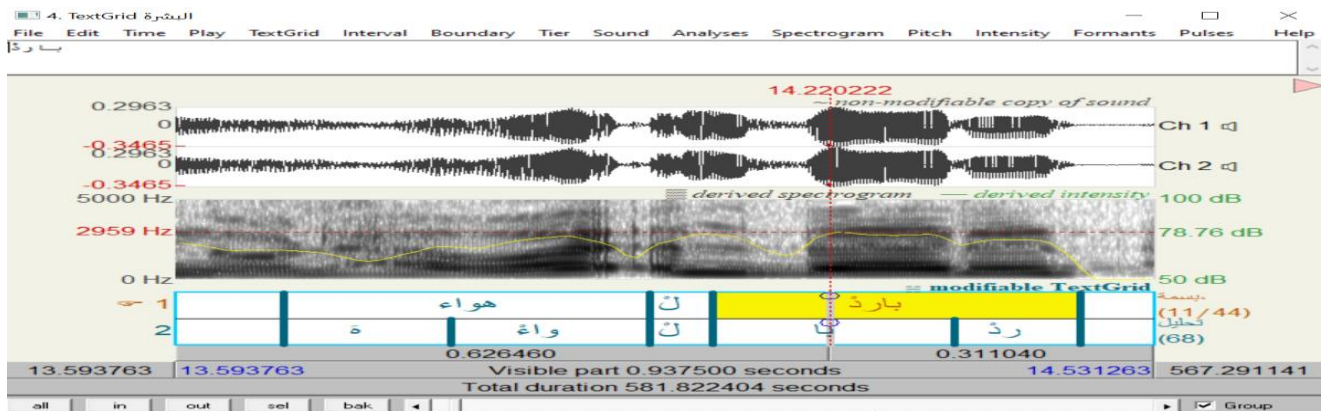


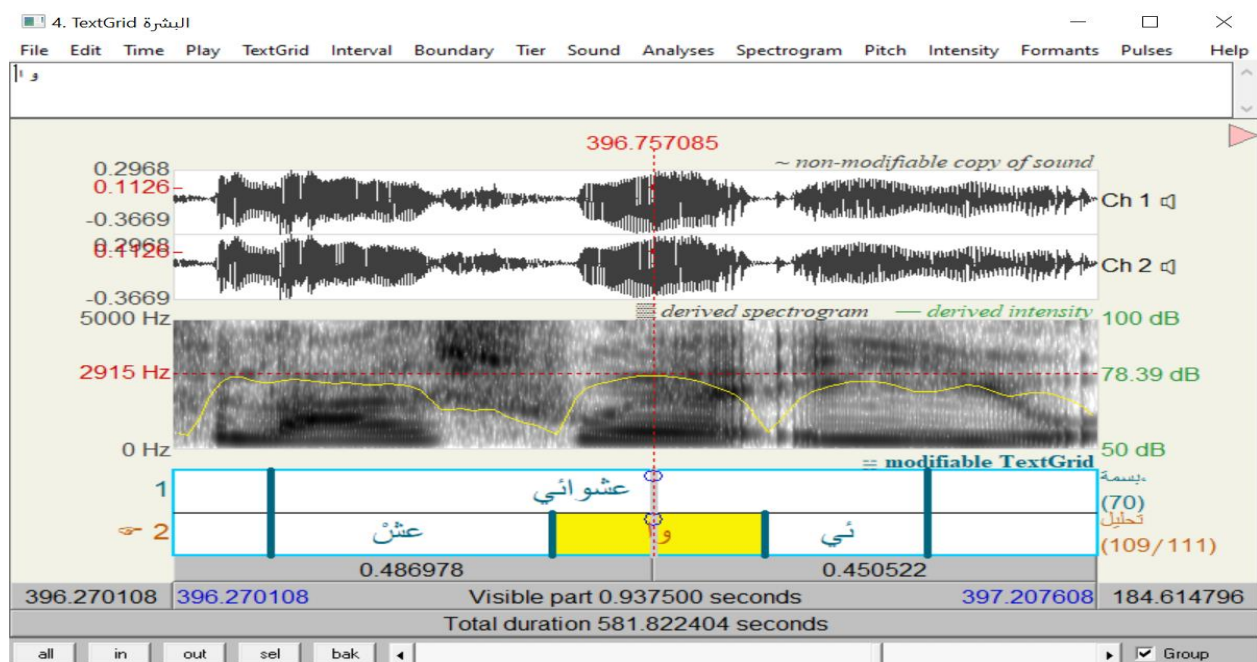
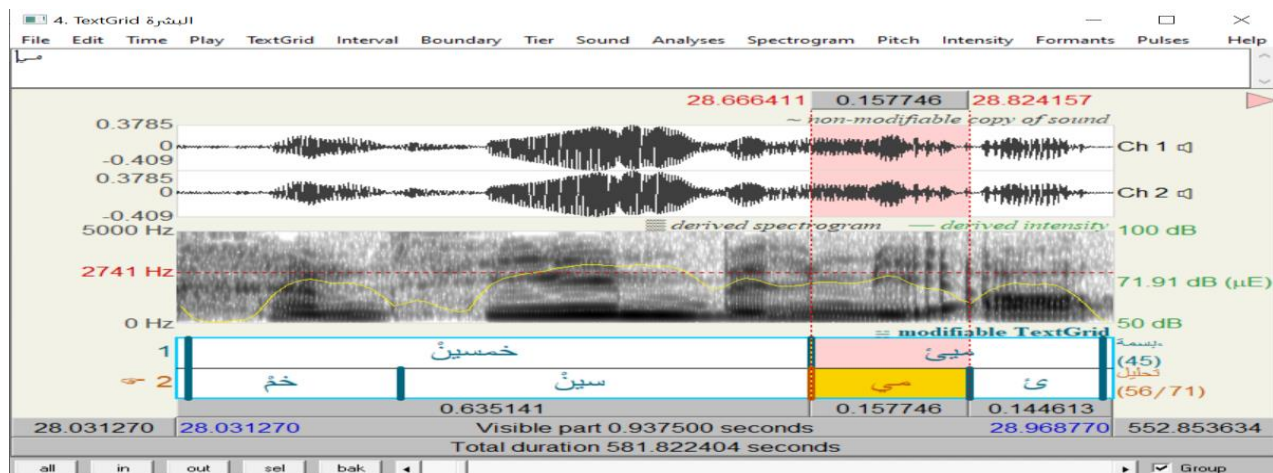
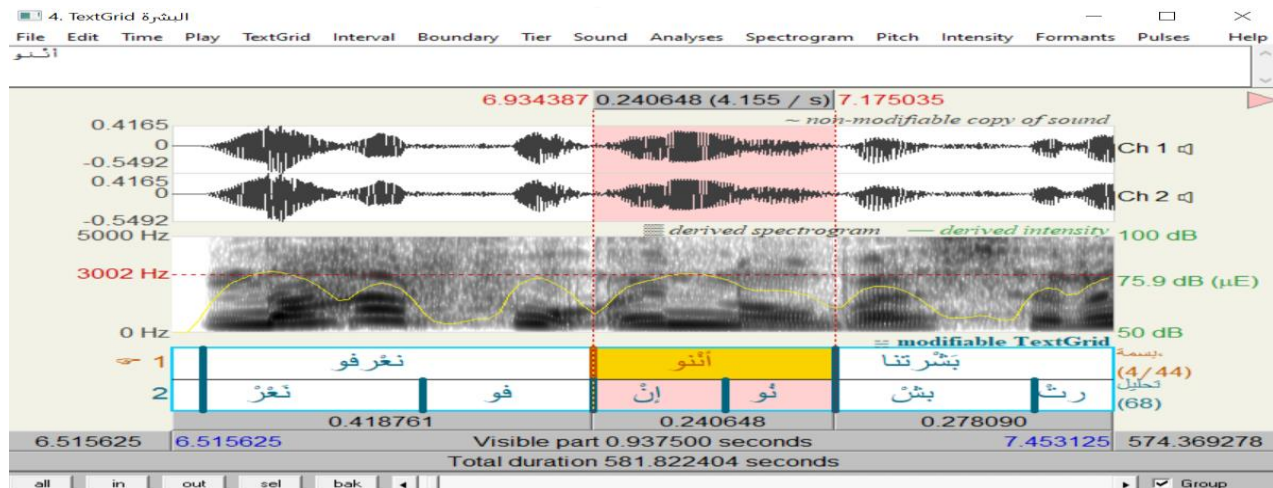




الشريط الثاني

1- النَّبَرُ فِي الْكَلِمَاتِ: (هواء بارد/ تَفْقِدُ نَشَاطَهَا/ إِنْو نَعْرِفُو بَشَرَتَنَا/ خَمْسِينَ مِئ/ عَشَوَائِي)

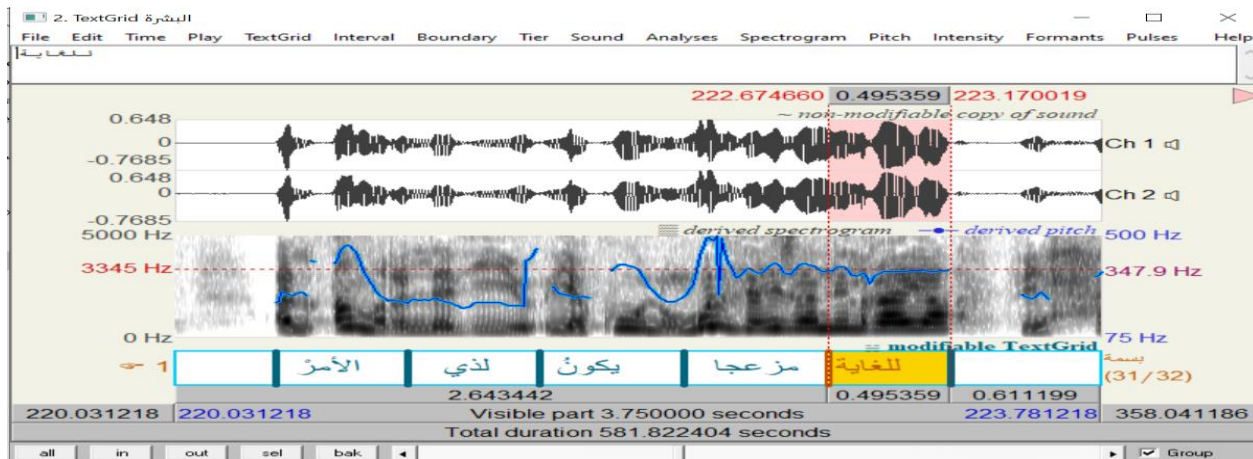
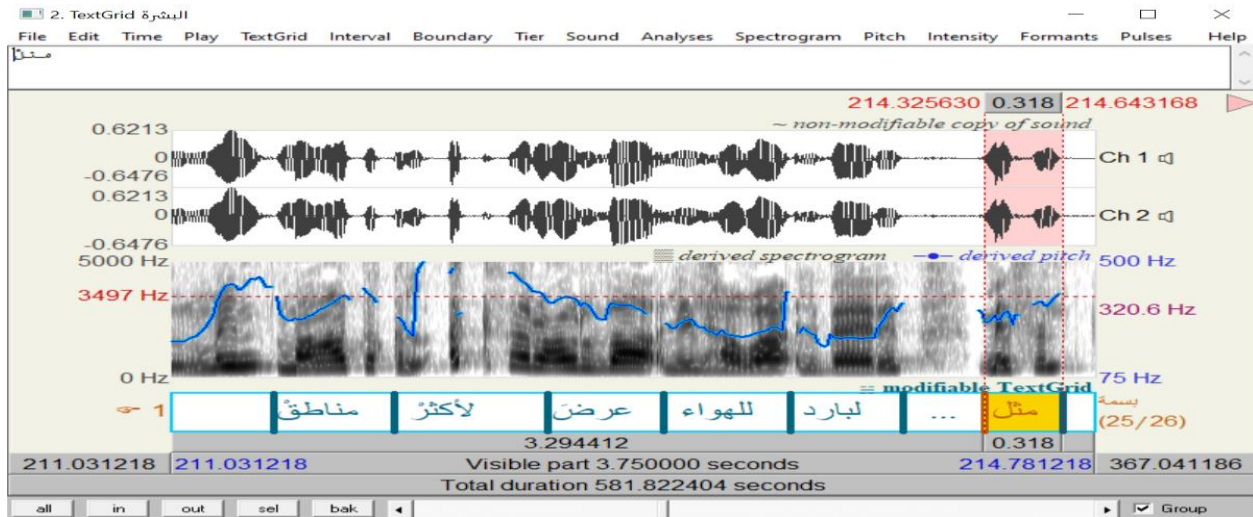




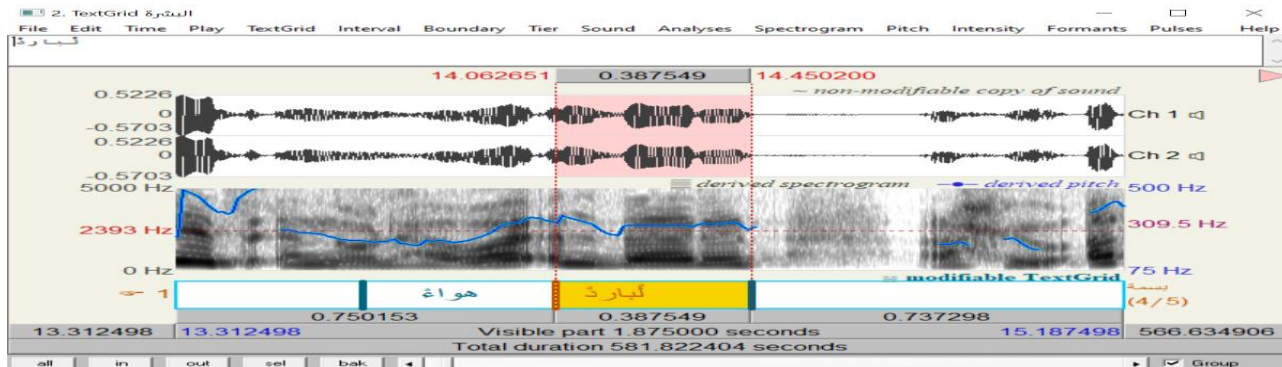


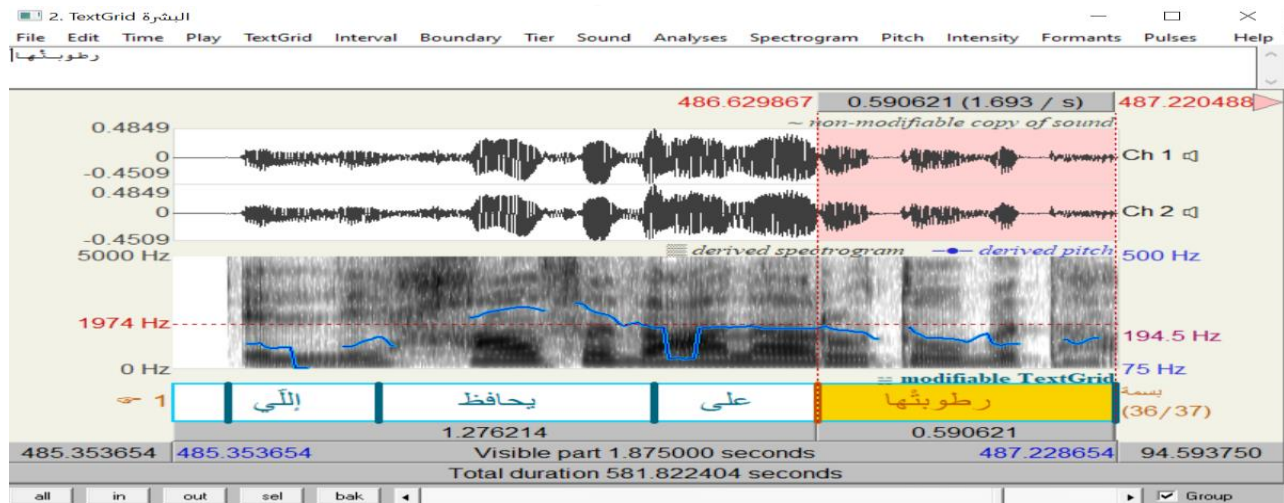
2- التّغيم

أ- الصّاعدة في الكلمات: (للغاية/ مثل)

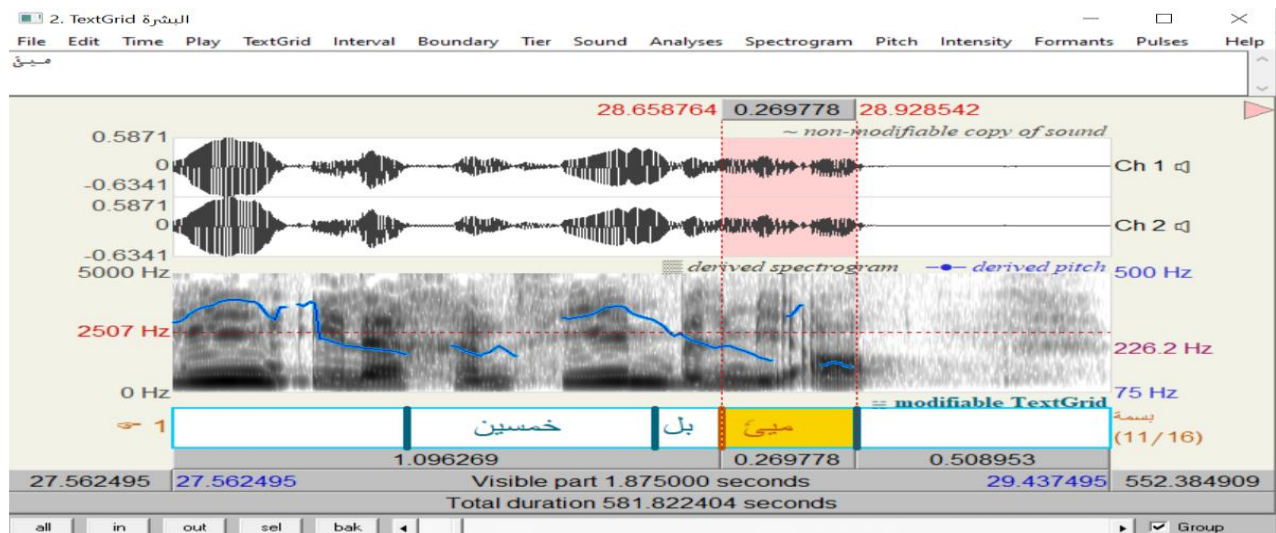
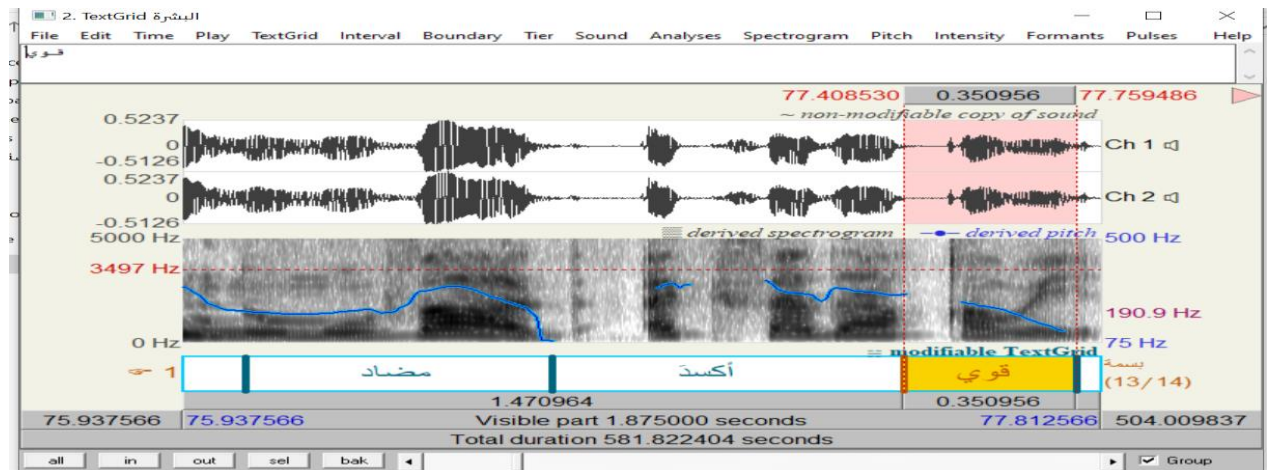


ب- المستوية: (لبارد/ رطوبتها)





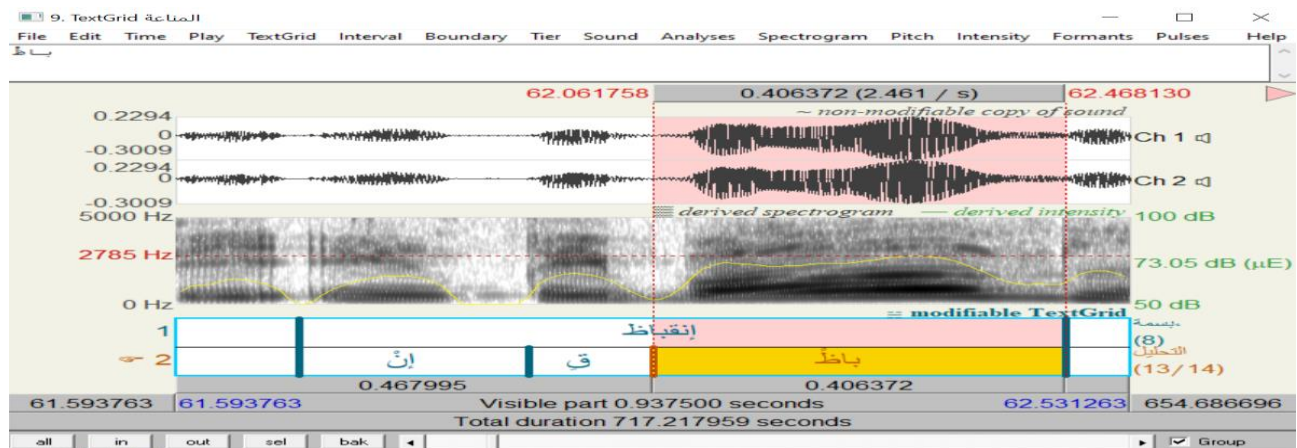
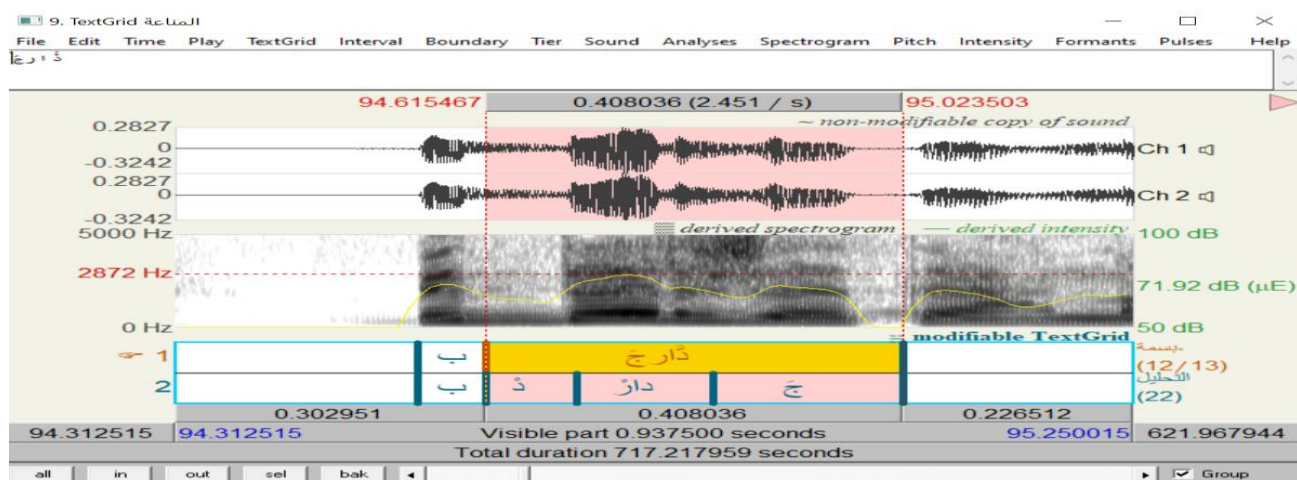
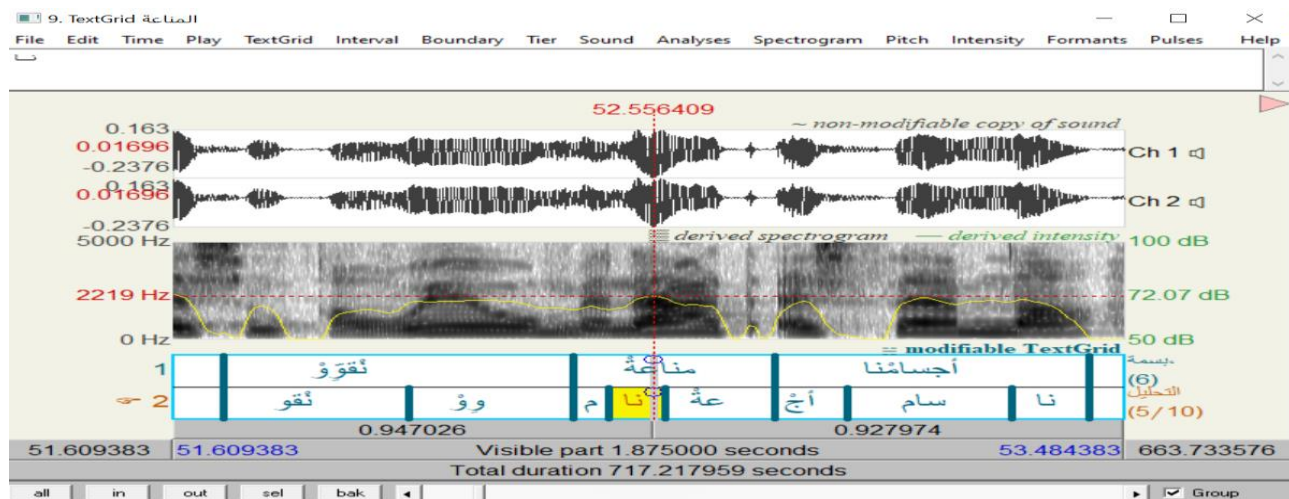
ج- الهابطة: (جسم/ والمعالجة)





الشريط الثالث

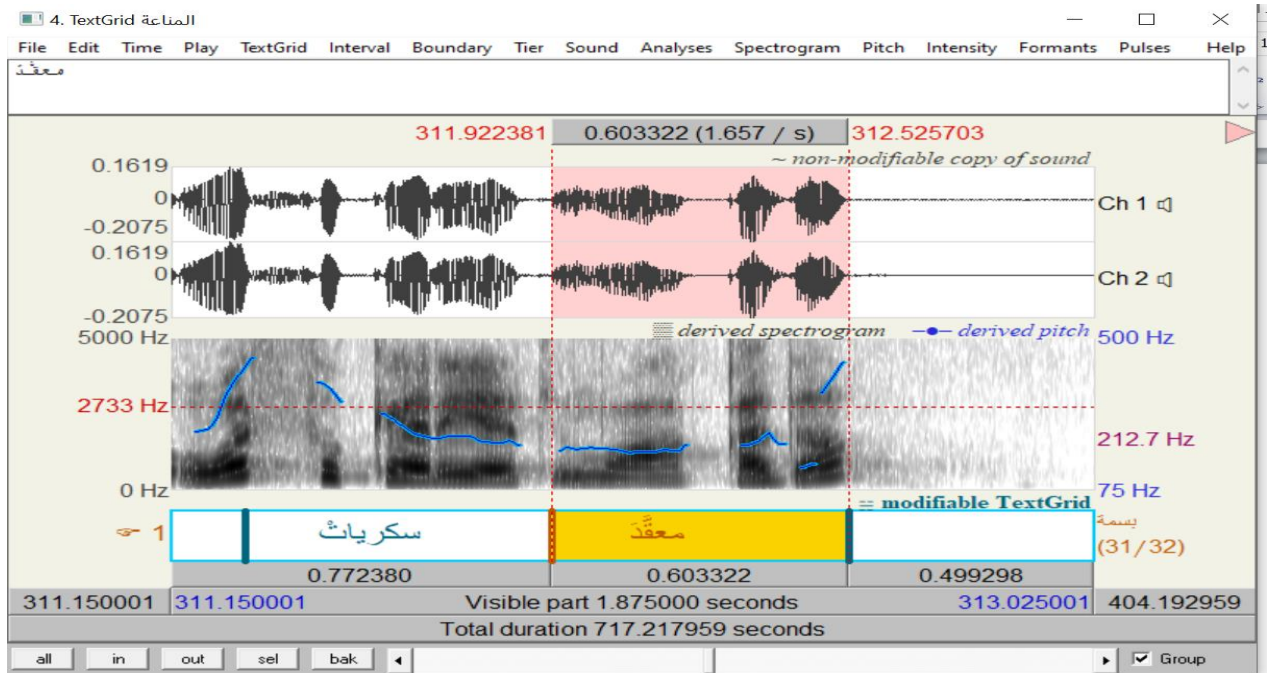
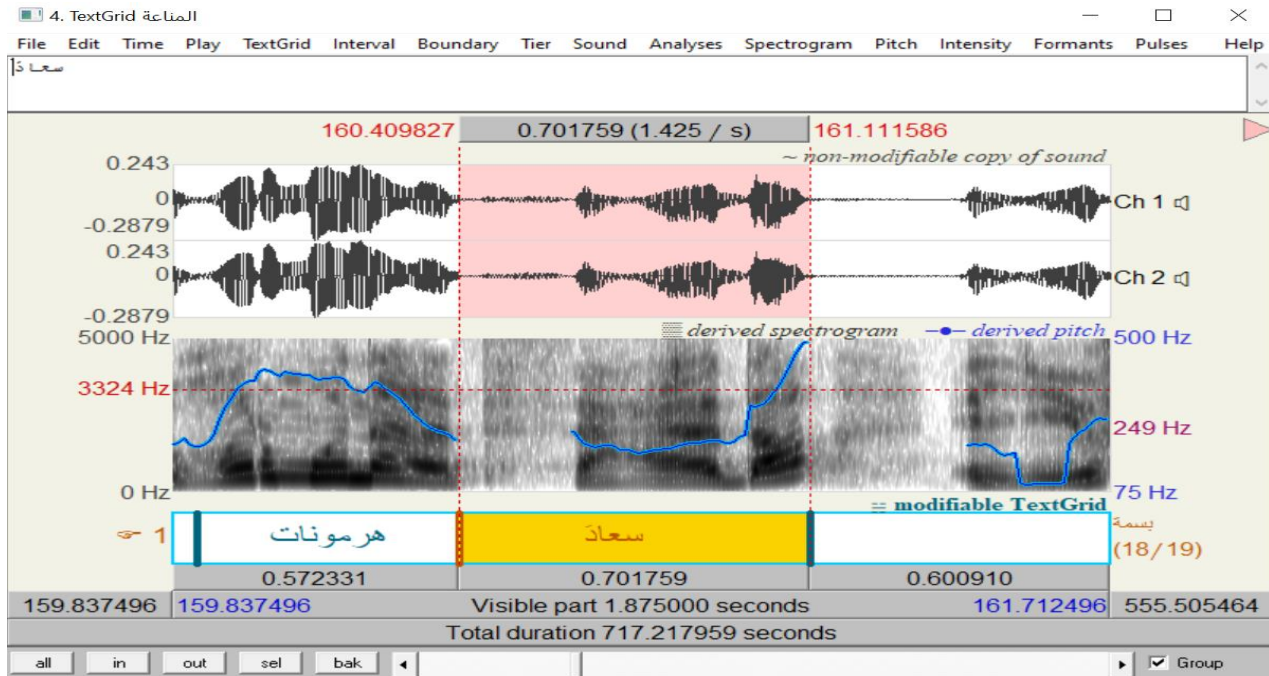
1- النَّبَر في الكلمات: (نقوؤ مناعة أجسامنا/ دَارَج/ إنقباط)

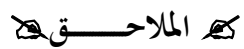




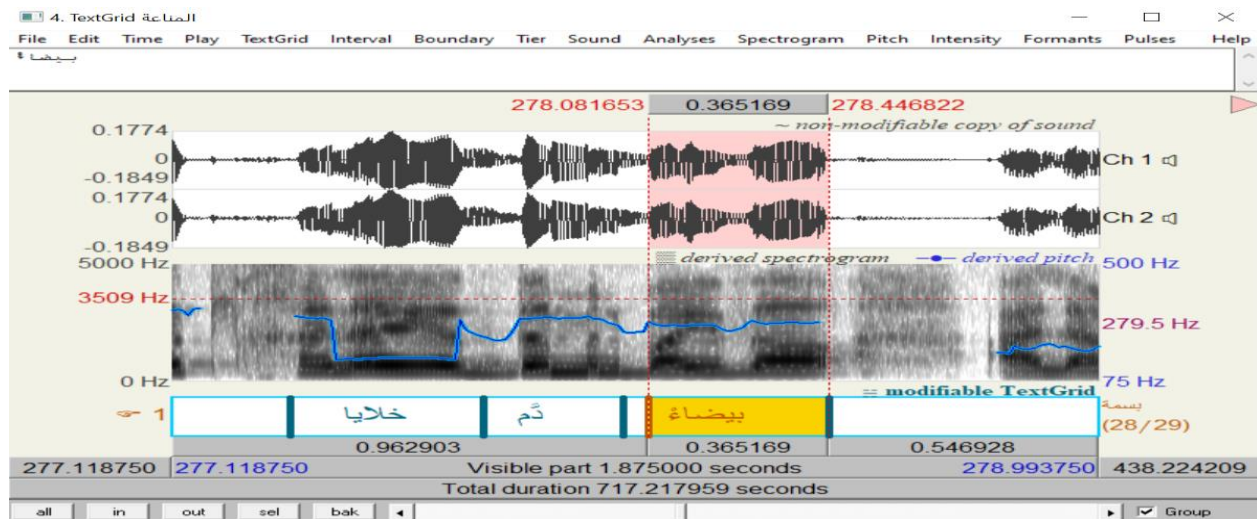
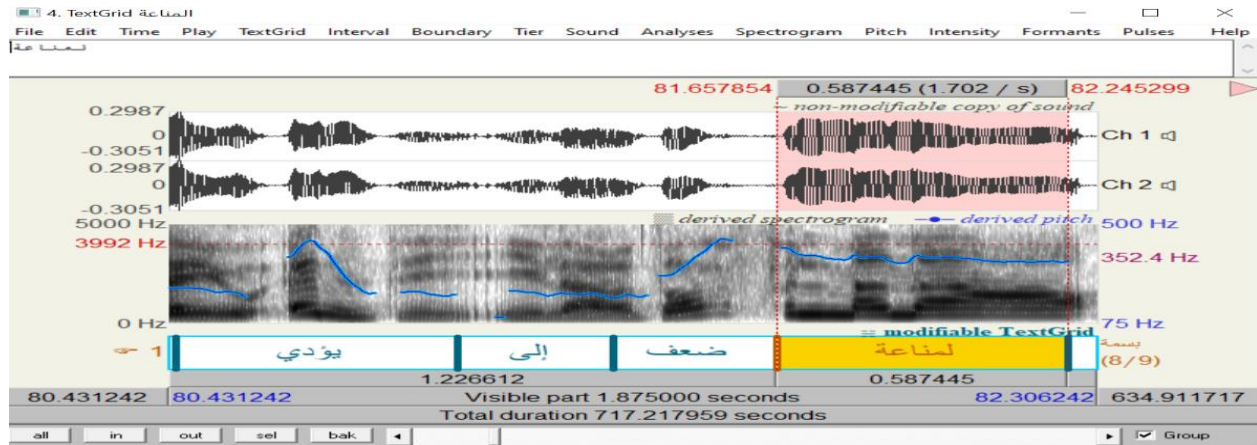
2- التَّغْيِيم

أ- الصَّاعِدَة فِي الْكَلِمَات: (سَعَادَ/ مَعْقَدَ)

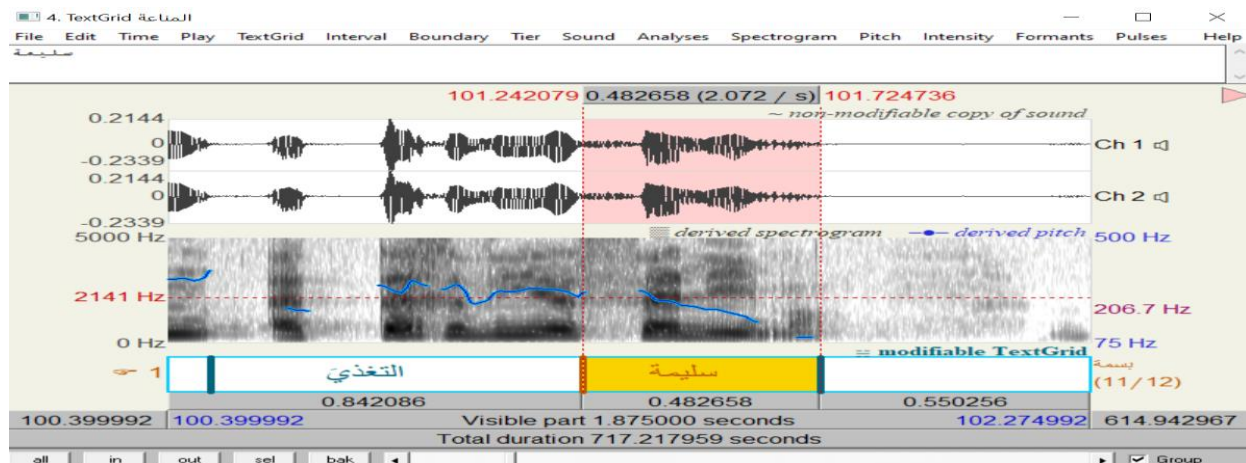


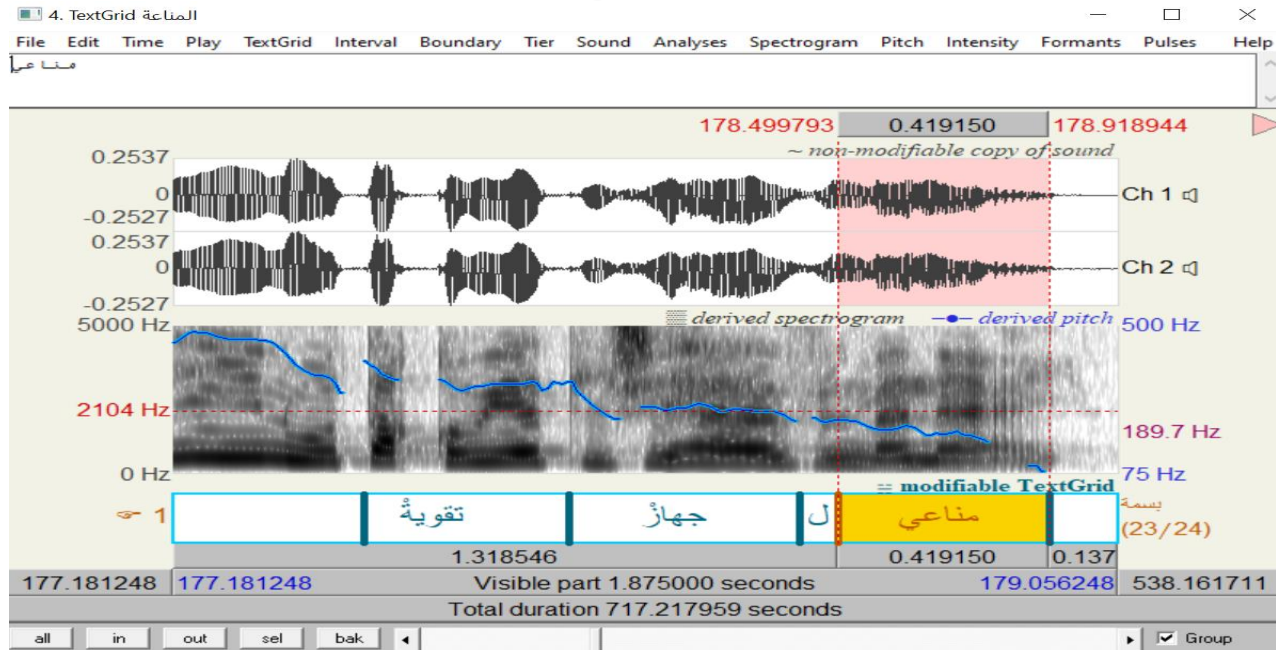


ب- المستوية في الكلمات: (لمناعة/ بيضاء)

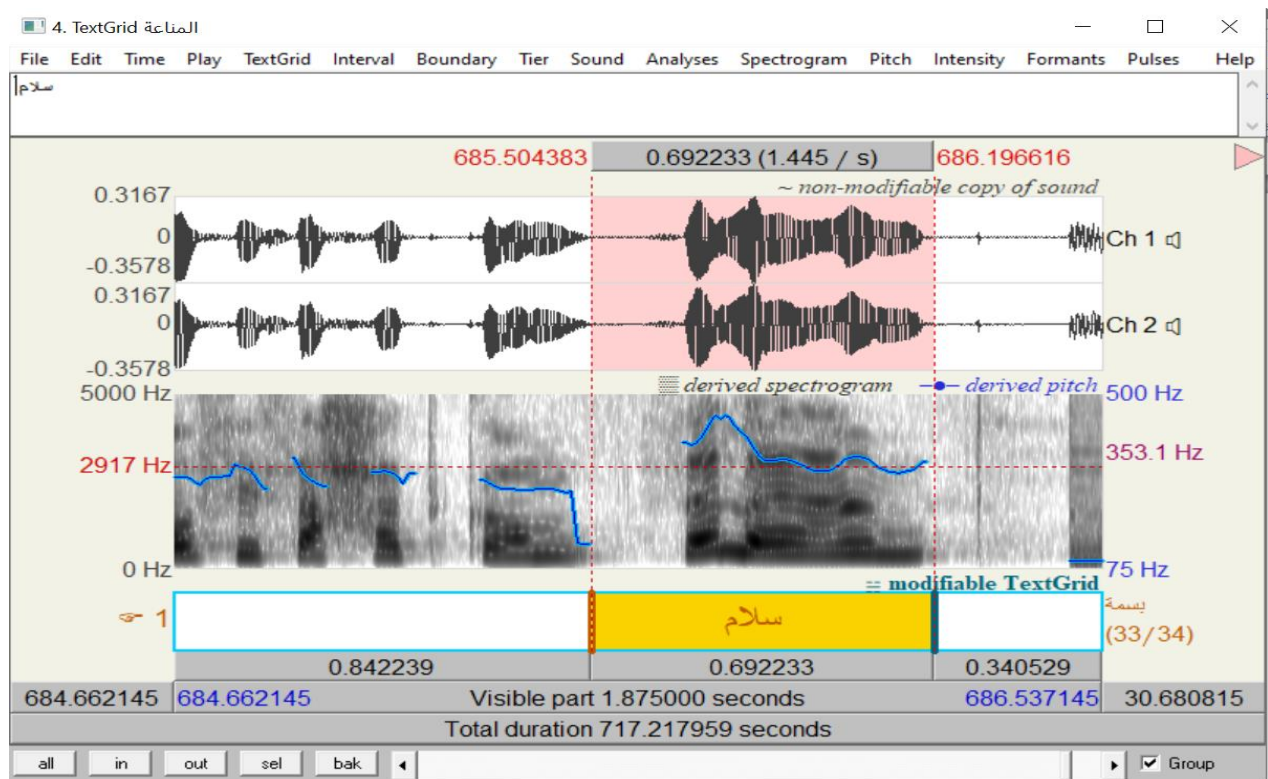


ب- الهابطة في الكلمات: (سليمة/ مناعياً)





د- المضطربة بين الصُّعود والهبوط والاستواء في كلمة (سلام)



فَهْرُسُ الْمُحْتَوَيَاتِ



فهرس المحتويات

أ	مقدمة
1	فصل تمهيدى الجهاز المفاهيمى لوحداث العنوان
2	أولا: تأصيل مفهوم اللغة
8	ثانيا: تأصيل مفهوم اللهجة:
20	ثالثا: تأصيل مفهوم اللسان:
26	رابعا: مفهوم الإعلام الإلكترونى:
26	1- الإعلام:
30	2- الاتصال:
35	خامسا: التعريف بمدونة الشروق (أون لاين):
38	فصل أول: الخصائص الصوتية والتركيبية لبنية الخطاب العلمى عيانت من الشروق "أون لاين"
43	مطلب أول: الدرس الصوتى بين حقيقة التشكل وواقع الاستعمال
54	أولا: الفونيمات التركيبية فى الخطاب العلمى المعد مسبقا (الجاهز) "حصّة عيش بيو مع بسمة أمودجا"
58	1- الفونيمات التركيبية للخطاب العلمى بين المستوى الاستعمالى والمغيار الصوائى:
66	2- الفونيمات فوققطعية (التطريزة/ الفرعية) للخطاب العلمى الجاهز:
80	ثانيا: الفونيمات التركيبية فى الخطاب العلمى التلقائى (غير جاهز) "حصّة Dr Help أمودجا"
81	1- الفونيمات التركيبية للخطاب العلمى غير الجاهز بين المستوى الاستعمالى والمغيار الصوائى:
89	2- الفونيمات فوققطعية (التطريزة/ الفرعية) للخطاب العلمى غير الجاهز:
99	مطلب ثان: الدرس الصرفى بين حدود الكلمة ومنوال اللفظ
108	أولا: صبغ فصحة العصر فى الخطاب العلمى الجاهز "حصّة الأوبئة أمودجا"
109	1- الاسم بين حدود الكلمة ومنوال اللفظ:
118	2- الصفة بين حدود الكلمة ومنوال اللفظ:
120	3- الفعل بين حدود الكلمة ومنوال اللفظة:



127	ثانيا: صِبْغُ فَصْحِي الْعَصْرِ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ غَيْرِ الْجَاهِزِ "حِصَّةُ صَبَاحِ الشُّرُوقِ أُمُودَجًا":
129	1- الاسم ومحدداته:
135	2- الفعل ومحدداته:
139	3- الصفات والضمائر إلى العدم:
142	مطلب ثالث: الدرسُ النَّحْوِيُّ فِي إِطَارِ نَظَرِيَّةِ الْقَرَائِنِ وَحَدَثِ الْمَوَاضِعِ
150	أولا: تَرَكَيبُ فَصْحِي الْعَصْرِ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الْجَاهِزِ "حِصَّةُ رِيُورَتَا جُ أُمُودَجًا":
151	1- الْقَرَائِنُ الْمُعْنَوِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ (العلاقاتُ السِّيَاقِيَّةُ):
159	2- الْقَرَائِنُ اللَّفْظِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الْجَاهِزِ
168	ثانيا- تَرَكَيبُ فَصْحِي الْعَصْرِ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الْعَفْوِيِّ غَيْرِ الْجَاهِزِ "حِصَّةُ allo دُكْتُورُ أُمُودَجًا":
169	1- الْقَرَائِنُ الْمُعْنَوِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ غَيْرِ الْجَاهِزِ:
176	2- الْقَرَائِنُ اللَّفْظِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ غَيْرِ الْجَاهِزِ
188	فَصْلٌ ثَانٍ: النَّمَاذِجُ الدَّلَالِيَّةُ فِي تَحْلِيلِ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ عَيْنَاتٌ مِنَ الشُّرُوقِ "أُونُ لَايْنُ"
193	مطلب أول: نُمُودَجُ تَشَاكُلِ الْخِطَابِ وَقَانُونِ قَيْدِ الْاِخْتِيَارِ
201	أولا: تَشَاكُلُ الْخِطَابِ وَقَانُونِ قَيْدِ الْاِخْتِيَارِ فِي الْخِطَابِ الدِّينِيِّ "حِصَّةُ فَاسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ أُمُودَجًا":
204	ثانيا: الْوَاسِمَاتُ الْمَرْكَزِيَّةُ وَالْقَضَايَا النَّظَائِرِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الدِّينِيِّ:
214	مطلب ثانٍ: نُمُودَجُ الْبِنْيَةِ الْكُبْرَى وَقَانُونِ تَفَاعُلِ الْقَضَايَا الْجَزْئِيَّةِ
220	أولا: الْبِنْيَةُ الْكُبْرَى وَالْفِكْرَةُ الْعَامَّةُ فِي الْخِطَابِ الدِّينِيِّ "حِصَّةُ نِسَاءِ الصَّحَابَةِ أُمُودَجًا":
224	ثانيا: الْبِنْيَةُ الْكُبْرَى وَالْفِكْرَةُ الْعَامَّةُ فِي الْخِطَابِ الدِّينِيِّ:
232	مطلب ثالث: نُمُودَجُ الرِّبْطِ بَيْنَ الْقَضَايَا وَقَانُونِ الرِّبْطِ السَّبْبِيِّ
239	أولا: أَشْكَالُ الْعِلَاقَةِ السَّبْبِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الدِّينِيِّ "حِصَّةُ وَقْفَةٍ مَعَ آيَةٍ أُمُودَجًا":
243	ثانيا: مَظَاهِرُ الْعِلَاقَاتِ السَّبْبِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الدِّينِيِّ:
250	فَصْلٌ ثَالِثٌ: الدَّرْسُ التَّدَاوُلِيُّ فِي تَحْلِيلِ الْخِطَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ عَيْنَاتٌ مِنَ الشُّرُوقِ "أُونُ لَايْنُ"



261	مطلب أول: الأفعال الكلامية بين محور التأصيل وغاية التنزيل
268	أولاً- الأفعال الكلامية في الخطاب الاجتماعي "حصّة لي فات مات أمودجاً"
274	ثانياً: الأفعال الكلامية وأثرها في فهم الخطاب الاجتماعي:
287	مطلب ثانٍ: الاستلزام التخاطبي في فهم المعنى التحويري
294	أولاً: نظرية الاستلزام التخاطبي وتجلياته في الخطاب الاجتماعي "حصّة اخكي حكايتك أمودجاً"
299	ثانياً: القواعد الخطابية في العملية التحويرية في الخطاب الاجتماعي:
308	ثالثاً: إعادة بناء الخطاب الاجتماعي الثالث وفق القواعد التخاطبية:
311	مطلب ثالث: الاستخدامات التطبيقية للتقنيات الحجاجية لنموذج "برلمان" و"تيتيكا"
317	أولاً: الحجج شبه المنطقية:
320	ثانياً: الحجج المؤسسة على بنية الواقع:
323	ثالثاً: الحجج المؤسسة لبنية الواقع:
324	رابعاً: الاستخدامات التطبيقية للنظرية على الخطاب الاجتماعي "راك في التحقيق أمودجاً"
330	خامساً: مظاهر الحجج شبه المنطقية في الخطاب الاجتماعي:
334	سادساً: مظاهر الحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسسة لبنية الواقع في الخطاب الاجتماعي
339	خاتمة
345	قائمة المصادر والمراجع
356	الملاحق
370	فهرس المحتويات
373	ملخص البحث



ملخص البحث

لا شك أن اهتمام الباحثين باللغة العربية في كل المجالات أمر محمود ومطلوب، ومن المجالات التي راعت هذا الاهتمام مجال الإعلام، حيث رصدنا من خلال وسائله الإلكترونية وتحديدًا وسيلة "اليوتيوب" خطابات ثلاثة وزعتها حسب مستويات التحليل اللساني (الصوتي، التركيبي، والدلالي، والتداولي).

ومن الأهداف المتوصل إليها تحقيق التكامل الوظيفي بين اللغة والإعلام من خلال تحليل عينات من قناة الشروق عبر الوسيلة الإلكترونية "اليوتيوب" لضرورة حضارية، ومعرفة الأدوات والآليات المناسبة لتحليل مختلف الخطابات في الإعلام الإلكتروني.

أما الإشكالية المناسبة لهذه الدراسة فهي: كيف أثرت وسائل الإعلام الإلكترونية في تشكيل بنية الخطاب العربي الجزائري؟. وهذا يدعو إلى وجود تساؤلات فرعية تخدم الإشكال الرئيس من قبيل: ما هو واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام الإلكترونية؟، ما الخصائص الصوتية والتركييبية للخطاب العلمي وتحديدًا مجال الطب في الجزائر؟.

وقد اعتمدت في معالجة الفصول على المنهج التكاملي الذي يجمع بين مختلف المناهج والآليات مثل الوصفي، والمقارن، والتاريخي والتداولي...، حيث يكون أكثر شمولية لوصف ورصد الخطابات في المجالات الثلاثة (العلمي، والديني، والاجتماعي) استنادًا إلى شرط المجانسة الذي يقضي بضرورة وجود تناسب بين المجال والمنهج المتبع.

وقد توصلت في النهاية إلى نتائج تحدد فائدة الدراسة أهمها: أن اللغة العربية تواجه أزمة نوعية في المجالات الثلاثة التي تم التطرق لها، فقد شهدت أشراطها المعروضة عبر قناة الشروق "أون لاين" تحديدًا عبر وسيلة "اليوتيوب" الكثير من الانحرافات الصوتية أداءً ومخرجًا، والتركيبة صياغةً وضبطًا، كما حققت بكافة مستوياتها (فصحى العصر وشبه الفصحى - العامية) الغرض من أداء فكرة الحصّة، وقربت الموضوعات لجميع الفئات، وقد رأينا ذلك متجليًا في المجال الديني حيث انتظمت اسماتها الدلالية، واستقامت أشكال العلاقة السببية في عرض الأحداث عرضًا منطقيًا، كل ذلك بفضل ما أمده الدرس الدلالي من نماذج تطبيقية.

الكلمات المفتاحية: فصحي العصر، شبه الفصحى، الوسائل الإلكترونية، الإعلام.



Summary

There is no doubt that researchers' interest in the Arabic language in all fields is a commendable and desirable thing. One of the fields that has taken this interest into account is the media, where we have monitored three discourses through its electronic media, specifically YouTube, which we have distributed according to the levels of linguistic analysis (phonetic, syntactic, semantic, and pragmatic).

Among the objectives achieved is achieving functional integration between language and media by analyzing samples from Al-Shorouk Channel via the electronic medium "YouTube" for a cultural necessity, and identifying the appropriate tools and mechanisms for analyzing various discourses in electronic media.

The relevant problem for this study is: How have electronic media influenced the formation of the structure of Algerian Arabic discourse? This calls for sub-questions that serve the main problem, such as: What is the reality of the Arabic language in electronic media? What are the phonetic and syntactic characteristics of scientific discourse, specifically in the field of medicine, in Algeria?

In dealing with the chapters, I relied on the integrated approach that combines various approaches and mechanisms such as descriptive, comparative, historical and communicative..., as it is more comprehensive in describing and monitoring discourses in the three fields (scientific, religious and social) based on the condition of homogeneity that requires the existence of a proportion between the field and the method used.

Finally, it has reached findings that determine the study's usefulness, the most important of which are: The Arabic language is facing a qualitative crisis in the three areas that have been addressed. Its tapes displayed on the Sunrise Channel, or not specifically via YouTube, have witnessed a lot of acoustic deviations and output, the composition is



formulated and adjusted, and it has achieved all its levels. The purpose of performing the notion of quota, which brought the subjects closer to all categories, was to see this reflected in the religious field, where they organized their semantic names, and established the forms of causal relationship in the presentation of events logically, all thanks to the lesson's applied models.

Keywords: Language of the day, Semi-language, electronic, media

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Guelma, May 8, 1945



Faculty: Literature and Languages
Department: Arabic Language and Literature
Domiciliation laboratory: linguistic and literary studies

THESIS

TOWARDS OBTAINING A 3RD CYCLE
DOCTORAL DEGREE

Field: Arabic language and literature

Course: Linguistic studies

Specialty: linguistic discourse

Presented by: wali eddine hamla

Titled

*Arabic Language in Electronic Media "alshuruq online
Algerian" – Linguistic Study–*

Dated on: 12/06/2025

Before the committee composed of:

First and last name	Grade	Foundation	Adjective
Mr. Bouzid Sasi hatef	prof	Univ. 8 mai 1945 –guelma–	President
Mr. Tahar naidja	MCA	Univ. 8 mai 1945 –guelma–	Supervisor and rapporteur
Mr. Mostapha maghmouli	prof	Univ. Baji moukhtar –anaba–	Examiner
Mr. Layachi Amiar	prof	Univ. 8 mai 1945 –guelma–	Examiner
Mr. Warda bouiran	prof	Univ. 8 mai 1945 –guelma–	Examiner
Mr. Rouabhia hadda	prof	Univ. 8 mai 1945 –guelma–	Examiner

2025